

اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

في

سِيَرَةِ النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

دِرَاسَةٌ مُحَقَّقَةٌ لِسِيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ

تأليف

مُوسَى بْنُ رَاشِدٍ الْبَازِزِيِّ

تقديم

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان الشيخ أ.د. خالد بن علي الشقيق

الشيخ أ.د. محمد رواس قلعة جي الشيخ د. عثمان بن محمد الفعيس

الجزء الأول

دار ابن الجوزي

الَّذِينَ آمَنُوا

فِي

سَيَرَةِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ

وَعَلَى اللَّهِ

١



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣ - ٠١٣٨٤٢٨١٤٦

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٦٣

جوال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر - القاهرة:

جوال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٨٣

٠١٢٨١٩١٤٠٠١ - ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤

✉ aljawzi@hotmail.com

☎ +966503897671

📱 aljawzi

📧 eljawzi

🌐 ibnaljawzi.com

ح) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العازمي، موسى بن راشد

اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون: دراسة محققة للسيرة

النبوية. / موسى بن راشد العازمي - الدمام، ١٤٤١هـ

٤مج.

ردمك: ٤ - ٠٨ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ١ - ٠٩ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ١)

١ - السيرة النبوية

أ. العنوان

١٤٤١/٦٩٣١

٢٣٩ ديوي

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار الأول

الطبعة الرابعة

لدار ابن الجوزي

١٤٤٥

٢٠٢٣

الباركود الدولي: 9786038298084

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٥هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي
لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ

فِي

سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمَبْرُورِ

ﷺ

دِرَاسَةٌ مُحَقَّقَةٌ لِلسَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ

تَأليفُ

مُوسَى بْنِ رَاشِدٍ الْإِيزَمِيِّ

تَقْدِيمُ

الشَّيْخُ مَشْهُورُ بْنُ حَسَنٍ آلِ سَلَمَانَ الشَّيْخُ أ.د. خَالِدُ بْنُ عَلِيِّ الْمَشِيقَحِ
الشَّيْخُ أ.د. مُحَمَّدُ رَوَّاسُ قَلْعَةِ جَبِي الشَّيْخُ د. عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَمَيْسِ

الجزء الأول

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تقديم الشيخ مشهور حسن آل سلمان



إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذه دُرَّة نفيسة، معروضة بثوب زاهٍ قشيب، تعب في صنعها الأخ الحبيب موسى العازمي.

دلَّت على همَّة وعزيمة، ونهمة قوية، في النظر والبحث، وازدانت هذه الطبعة بمزيد تفتيش بعد تَقْمِيش، وتحقيق بعد جمع، وأيُّ خيرٍ في سيرة اختلط صحيحها بِوَإِهْيَا، وأنت لا تَقْلِيها، ولا تبحث عن ناقلها.

جهد الأخ موسى بن راشد - وفقه الله - على الاستيعاب، مع بيان غريب الأخبار، وبيان درجتها من حيث الصحة والحسن والضعف، ونقل أحكام الأئمة المعتبرين من السابقين واللاحقين بإنصاف مع اختصار.

فالكتاب مميَّز بشموله، وحسن عرضه، وسهولة أسلوبه، وجودة نقده، وبيان السليم من السقيم، والصحيح من المعلول، وفيه مُلَح وأشعار، ونكت وفوائد الأخبار على وجه - أحسبه - يعجب الأخيار من طلبة العلم الأبرار، وذوي الأوطار ممن يرغب بالوقوف على المصنَّف من سيرة المختار صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الحائزي مراتب الفخار.

أحسن الله لمؤلفه، ونفع به، وجعل صنيعه من حسناته التي ينال عليها - إن شاء الله تعالى - الأجرين، ورزقنا وإيَّاه الاتِّباع، وغلّق بنا أبواب الابتداع، وجعلنا من المهدّيين إلى يوم الدِّين.

رَقَمَ ذَلِكَ وَقَالَهُ

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الثلاثاء ١٦/ذو القعدة ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢/١٠/٢ م

تقديم الشيخ أ. د.
خالد بن علي المشيقح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فقد قرأت في كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون لمؤلفه
الشيخ موسى بن راشد العازمي فألفيته كتابًا جيدًا شاملاً لسيرة النبي ﷺ،
وقد اجتهد في تحريري الصحيح من السيرة وهذا في جملة الكتاب،
فأسأل الله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وبالله
التوفيق.

كتبه

د. خالد بن علي المشيقح

١٤٣٤/٣/١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور

محمد رواس قلعه جي

حائز على الجائزة الأولى الدولية للتقدم العلمي
خبير في الموسوعة الفقهية (الكويت)
خبير في المجمع الفقهي الدولي
عضو شرف في المجمع الفقهي (الهند)

ص ب ١٣ الصفاء ١٣٠٠١ - الكويت
ملف المكتب ٢٤٨٧٤٠٣
هاتف وفكس للمنزل ٩٦٥-٥٧١٤٦٦٣
جوال ٦٢٤١١٦٨

هذا عمل رائع ، فيه جهد
مبارك ، وتحقيق واستشهاد
جميل ، وثيق هو مثل الاعجاب .
اللهم ان الله لما نفعه الثواب
العظيم ورفقه صاحب السيرة
في الجنة

د. د. محمد رواس قلعه جي



تقديم الشيخ عثمان بن محمد الخميس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أما بعد:
فإن النظر في سيرة النبي الكريم ﷺ يبعث في النفس الرضى، ويؤنس القلب ويريقه، وكم يتمنى القارئ لسيرة النبي ﷺ أن يجد كتاباً جامعاً، وفي الوقت ذاته حريصاً على صحة ما ينسب إلى النبي ﷺ، وقد أهداني أخي موسى بن راشد العازمي كتابه الموسوم بـ«اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون» فألفيته ماتعاً كاسمه، قد أتى فيه جامعاً على كل جوانب سيرة النبي ﷺ فيما أعلم، مع حرصه على صحة الروايات، وإن ذكر غيرها نبّه على ذلك، ولقد أكثر من النقل عن علماء السير، وقد أحسن الانتقاء من دُررهم، ولا أخفي خبراً إن قلت إنني استفدت منه كثيراً أثناء قراءتي كتابه فجزاه الله خيراً، ونفعه الله ونفع به.

وكتبه

د. عثمان بن محمد الخميس

١٤٣٠/١٢/٢٩ هـ



المقدمة



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى مَنَهِجِهِ، وَافْتَقَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

لَا يَخْفَى عَلَى أَيِّ مُسْلِمٍ مَا لِسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهَا الْيَنْبُوعُ الصَّافِي لِطَالِبِ الْفَقْهِ، وَالدَّلِيلُ الْهَادِي لِبَاغِي الصَّلَاحِ، وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى لِلْأُسْلُوبِ الْبَلِيغِ، وَالدُّسْتُورُ الشَّامِلُ لِكُلِّ شُعْبِ الْخَيْرِ.

وَلَقَدْ كَانَ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُذَرِّكُونَ مَا لِسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ آثَارٍ حَسَنَةٍ فِي تَرْبِيَةِ النَّشْءِ، وَتَنْشِئَةِ جِيلٍ صَالِحٍ لِحَمْلِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، فَمِنْ ثَمَّ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ وَمَعَاذِيهِ ﷺ.

وَمَنْ دَرَسَ سِيرَتَهُ ﷺ وَأَعْطَاهَا حَقَّهَا مِنَ النَّظَرِ وَالْفِكْرِ وَالتَّحْقِيقِ رَأَى نَسَقًا مِنَ التَّارِيخِ الْعَجِيبِ، اسْتَعْلَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْفَيْئَةُ الْمُؤْمِنَةُ مَعَهُ عَلَى عَنَاصِرِ الْمَادَّةِ، وَعَوَامِلِ الْجَذْبِ الْأَرْضِيِّ، وَارْتَقَوْا بِالْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى دَرَجَاتٍ لَمْ تَشْهَدْهَا عَلَى امْتِدَادِ عُصُورِهَا وَأَزْمِنَتِهَا.

وَبِمَا أَنَّ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ جُزْءٌ مِنَ التَّارِيخِ، وَالتَّارِيخُ إِنَّمَا يَتَنَاقَلُهُ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ الْأَخْبَارِ وَالتَّحْدِيثِ وَالسَّمَاعِ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَعْتَرِي هَذِهِ الْأَخْبَارَ دَرَجَاتُ الصَّحَّةِ وَالضَّعْفِ، وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ قَيَّضَ لَهَا عُلَمَاءَ حِفَظًا أَفْذَادًا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَالغَثِّ وَالسَّمِينِ مِنَ الْحَوَادِثِ الْمُخْتَلَفَةِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ^(١) رَضِيَ اللَّهُ فِي نَظْمِ السَّيَرَةِ:

فَلْيَعْلَمِ الطَّالِبُ أَنَّ السَّيْرَةَ تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أُنْكَرَا

وَقَالَ الْحَافِظُ الدُّمَيْطِيُّ^(٢) فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»:

وَكُنْتُ قَدْ تَبِعْتُهُ - أَي: ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي

السَّيَرَةِ^(٣)، وَكُنْتُ حِينَئِذٍ سِيرِيًّا مَحْضًا، وَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَذْكُرَ الْخِلَافَ.

وَعَلَّقَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ عَلَى كَلَامِ الْحَافِظِ الدُّمَيْطِيِّ بِقَوْلِهِ:

وَدَلَّ قَوْلُ الدُّمَيْطِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ الرُّجُوعَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا وَافَقَ فِيهِ أَهْلُ

السَّيْرِ، وَخَالَفَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَتَصَلَّعَ^(٤) مِنْ

الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلِخُرُوجِ نُسْخٍ مِنْ كِتَابِهِ وَانْتِشَارِهِ لَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنْ تَغْيِيرِهِ^(٥).

(١) هُوَ: الْإِمَامُ الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْعِرَاقِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةً

لِلْهِجْرَةِ، وَاشْتَغَلَ بِالْعُلُومِ، وَأَحَبَّ الْحَدِيثَ، فَأَكْثَرَ مِنَ السَّمَاعِ، وَتَقَدَّمَ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ

بِحَيْثُ كَانَ شُبُوحُ عَصْرِهِ يُبَالِغُونَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِالْمَعْرِفَةِ.

لَهُ نَظْمٌ فِي السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَلْفِ بَيْتٍ.

تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ. انظر: شذرات الذهب (٨٧/٩).

(٢) هُوَ: الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفٍ الدُّمَيْطِيُّ الشَّافِعِي، وُلِدَ فِي آخِرِ سَنَةِ

ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَتَفَقَّهَ بِدُمَيْاطَ وَبَرَّعَ، ثُمَّ طَلَبَ الْحَدِيثَ، وَكُتِبَ الْعَالِي

وَالنَّازِلَ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى، وَكَانَ صَادِقًا حَافِظًا مَتَّقًا، تُوْفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ.

لَهُ مُصَنَّفَاتٌ نَفِيسَةٌ، مِنْهَا: «السَّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ»، فِي مَجْلَدٍ، وَغَيْرَهَا. انظر: تذكرة الحفاظ،

لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ (١٤٧٧/٤).

(٣) الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ عَلَى بَغْلَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ: «دُلْدُلٍ»،

وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْبَغْلَةَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا فِي غَزْوَةِ

حُنَيْنٍ هِيَ الْبَغْلَةُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوَةُ بْنُ نُفَّاثَةَ الْجُدَامِيُّ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي

صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٧٥) (٧٦)، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٤) تَصَلَّعَ: تَمَكَّنَ وَتَرَسَّخَ.

(٥) انظر: فتح الباري (٣٤٨/٨).

وَقَدْ تَبَعْتُ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ قُرَابَةَ الْعَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَقَرَأْتُ خِلَالَهَا كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ السَّيْرِ وَالْمَعَاذِي، وَكُتُبِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، حَتَّى مَيَّزْتُ كَثِيرًا مِنَ الْحَوَادِثِ الصَّحِيحَةِ وَالْحَسَنَةِ عَنِ الضَّعِيفَةِ، وَحَرِصْتُ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى بَيَانِ مَعْنَى الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَدْ يَضَعُبُ فَهْمُهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ الْمُعْتَمَدَةِ؛ كـ «لِسَانِ الْعَرَبِ»، وَ«الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ»، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَكَذَلِكَ الْحَوَادِثُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ كَانَ حُكْمِي عَلَيْهَا مِنْ نَاحِيَةِ الصَّحَّةِ وَالضَّعْفِ هُوَ مِنْ خِلَالِ حُكْمِ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْحَوَادِثِ، وَبَعْضُهَا لَمْ أَجِدْ مَنْ حَكَمَ عَلَيْهَا فَتَرَكْتُهَا عَلَى حَالِهَا، وَعَزَوْتُهَا إِلَى مَضَرِّهَا.

وَلَا يَسْعُنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا أَنْ أَشْكُرَ كُلًّا مِنْ:

- ١ - الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الشَّطِّي.
- ٢ - الدُّكْتُورُ خَالِدُ الصَّافِي.
- ٣ - الشَّيْخُ سَالِمُ خَلِيفَةُ الْهَوَاش.
- ٤ - الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ كُوْهِية.
- ٥ - الْأَخُ يَزِيدُ الْقَطَّان.
- ٦ - الْأَخُ مُهَنَّدُ الْخَارِجِي.

عَلَى مَا قَدَّمُوهُ لِي مِنْ مَّلَاحِظَاتٍ هَامَّةٍ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي هَذَا خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ لَا يَحْرِمَنِي الْأَجْرَ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ ﷻ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وكتبه

موسى بن راشد العازمي

mrm3azmi@gmail.com

١٢ ربيع الآخر ١٤٣١ هـ - ٢٨/٣/٢٠١٠ م

الكويت

قَالُوا فِي أَهْمِيَّةِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

قَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: كُنَّا نَعْلَمُ مَعَاذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَرَائَاهُ، كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الزُّهْرِيُّ رحمته الله: فِي عِلْمِ الْمَعَاذِي عِلْمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(١).

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عليه السلام: كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَعَاذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَا تُرِ آبَائُكُمْ، فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا ^(١).

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رحمته الله: تَتَعَلَّقُ بِمَعَاذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْكَامٌ كَثِيرَةٌ، فَيَجِبُ كِتَابُهَا وَالْحِفْظُ لَهَا ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله: وَأَضْلُ الْأُصُولِ الْعِلْمُ، وَأَنْفَعُ الْعُلُومِ النَّظَرُ فِي سِيرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتُهُمْ افْتَدَتْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] ^(٢).

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الطَّنْطَاوِيُّ رحمته الله: يَجِبُ عَلَى كُلِّ رَّبٍّ أَسْرَةٍ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ كِتَابٌ جَامِعٌ مِنْ كُتُبِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَنْ يَقْرَأَ فِيهِ دَائِمًا، وَأَنْ يَتْلُو مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِدَلِكِ سَاعَةً كُلَّ يَوْمٍ، لِيَنْشُؤُوا عَلَى مَعْرِفَةِ سِيرَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ، فَإِنَّ سِيرَتَهُ الْيَنْبُوعُ الصَّافِي لِطَالِبِ الْفِقْهِ، وَالدَّلِيلُ

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) انظر كلام ابن الجوزي في: صيد الخاطر (ص ١٢٧).

الهادي لبಾಗಿ الصّلاح، والمثل الأعلى للأسلوب البليغ، والدستور الشامل لكل شعب الخير^(١).

وقال أيضًا الشيخ علي رضي الله عنه: إن في السيرة يا أيها الإخوان قصصًا كاملة، فيها كل ما يشترط أهل القصص من العناصر الفنية، وفيها فوق ذلك الصدق، وفيها العبرة^(٢).

وقال الشيخ أبو الحسن الندوي رضي الله عنه: إن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم رضي الله عنهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان وتشعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفأؤها وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها^(٣).

وقال الدكتور محمد أبو شهبه رضي الله عنه: إن خير ما يتدارسه المسلمون، ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويعنى به الباحثون والكاثبون دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلم ومثقف، ومهذب، ومؤدب، وأصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات، الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم، ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة^(٤)، وإمامة وقيادة، وعدل، ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد في سبيل العقيدة والشرعية، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة.

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي (ص ٢١).

(٢) انظر: ذكريات الشيخ علي الطنطاوي رضي الله عنه (١٢٧/٦).

(٣) انظر: كتاب حياة الصحابة، للشيخ الإمام العلامة محمد يوسف الكاندهلوي (١/١٥).

(٤) الكيس - بفتح الكاف وسكون الياء - هو العقل. انظر: النهاية (٤/١٨٨).

وَلَقَدْ كَانَتِ السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ مَدْرَسَةً تَخْرَجُ فِيهَا أَمْثُلُ التَّمَاذِجِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُمْ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ: الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، وَالْقَائِدُ الْمُحَنِّكُ، وَالْبَظْلُ الْمَغَوَّارُ، وَالسِّيَاسِيُّ الدَّاهِيَةُ، وَالْعَبْقَرِيُّ الْمُلهِمُ، وَالْعَالِمُ الْعَامِلُ، وَالْفَقِيهُ الْبَارِعُ، وَالْعَاقِلُ الْحَازِمُ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي تَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِهِ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالتَّاجِرُ الَّذِي يُحَوِّلُ رِمَالِ الصَّخَرَاءِ ذَهَبًا، وَالزَّارِعُ وَالصَّانِعُ اللَّذَانِ يَرَيَانِ فِي الْعَمَلِ عِبَادَةً، وَالكَادِحُ الَّذِي يَرَى فِي الْاِحْتِطَابِ عَمَلًا شَرِيفًا يَتَرَفَّعُ بِهِ عَنِ التَّكْفُفِ وَالتَّسَوُّلِ، وَالْغَنِيُّ الشَّاكِرُ الَّذِي يَرَى نَفْسَهُ مُسْتَحْلَفًا فِي هَذَا الْمَالِ يُنْفِقُهُ فِي الْخَيْرِ وَالْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ، وَالْفَقِيرُ الصَّابِرُ الَّذِي يَحْسَبُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ حَالَهُ غَنِيًّا مِنَ التَّعَفُّفِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَبِرَسُولِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبِهَذَا كَانُوا الْأُمَّةَ الْوَسْطَى، وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ^(١).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِ مَسَلَاةَ شَخْصٍ فَارِغٍ، أَوْ دِرَاسَةَ نَاقِدٍ مُحَايِدٍ، كَلَّا كَلَّا إِنَّهَا مَصْدَرُ الْأُسُوةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَفْتَفِيهَا، وَمَنْبَعُ الشَّرِيعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَدِينُ بِهَا، فَأَيُّ حَيْنٍ فِي عَرَضِ هَذِهِ السَّيْرَةِ، وَأَيُّ خَلْطٍ فِي سَرْدِ أَحْدَاثِهَا إِسَاءَةً بِالْعَةِ إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ نَفْسِهِ... إِنِّي أَكْتُبُ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ كَمَا يَكْتُبُ جُنْدِيٌّ عَنْ قَائِدِهِ، أَوْ تَابِعٌ عَنْ سَيِّدِهِ، وَتَلْمِيزٌ عَنْ أَسَاتِذِهِ.. إِنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي لَا يَعِيشُ الرَّسُولَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ضَمِيرِهِ، وَلَا تَتَّبِعُهُ بِصِيرَتِهِ فِي عَمَلِهِ وَتَفْكِيرِهِ لَا يُغْنِي عَنْهُ أَبَدًا أَنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَفِي سِيرِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَنْبِيهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِي السَّنَنِ ^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد أبو شهبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/٧ - ٨).

(٢) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٥).

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٣٠).



مَزَايَا السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

تَجْمَعُ السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عِدَّةَ مَزَايَا تَجْعَلُ دِرَاسَتَهَا مُتْعَةً رُوحِيَّةً وَعَقْلِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً، كَمَا تَجْعَلُ هَذِهِ الدَّرَاسَةَ ضَرْوِيَّةً لِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، والمُتَهَمِّينَ بِالِإِصْلَاحِ الاجْتِمَاعِيِّ، لِيَضْمُنُوا إِبْلَاحَ الشَّرِيعَةِ إِلَى النَّاسِ بِأُسْلُوبٍ يَجْعَلُهُمْ يَرُونَ فِيهَا الْمَثَلَ الْأَعْلَى عِنْدَ اضْطِرَابِ السُّبُلِ وَاشْتِدَادِ الْعَوَاصِفِ، وَلِتَتَفَتَّحَ أَمَامَ الدُّعَاةِ قُلُوبُ النَّاسِ وَأَفْنِدْتُهُمْ، وَيَكُونَ الْإِصْلَاحُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الْمُضْلِحُونَ، أَقْرَبَ نَجَاحًا وَأَكْثَرَ سَدَادًا.

❁ وَنُجْمِلُ فِيمَا يَلِي أَبْرَزَ مَزَايَا السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ:

أَوَّلًا: إِنَّهَا أَصَحُّ سِيرَةٍ لِتَارِيخِ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ عَظِيمٍ مُصْلِحٍ، فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا سِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصَحِّ الطَّرِيقِ الْعِلْمِيَّةِ وَأَقْوَاهَا ثُبُوتًا، مِمَّا لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِلشَّكِّ فِي وَقَائِعِهَا الْبَارِزَةِ وَأَحْدَاثِهَا الْكُبْرَى، وَمِمَّا يُيسِّرُ لَنَا مَعْرِفَةَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهَا فِي الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنْ أَحْدَاثٍ أَوْ مُعْجَزَاتٍ أَوْ وَقَائِعٍ أَوْحَى بِهَا الْعَقْلُ الْجَاهِلُ الرَّاغِبُ فِي زِيَادَةِ إِضْفَاءِ الصِّفَةِ الْمُدْهَشَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ مِمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مِنْ جَلَالِ الْمَقَامِ وَقُدْسِيَّةِ الرِّسَالَةِ، وَعَظْمَةِ السَّيْرَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: ... فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ، إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي دَوْلَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانُوا يُمْنَعُونَ مِنْهُ^(١)، مَعَ صِدْقِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ وَعَدَمِ الْأَسَانِيدِ؛

(١) كانوا يمنعون من رواية الحديث في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسببين:

بَلْ هُوَ غَضٌّ لَمْ يُشَبَّ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْإِكْثَارِ مِنْ رِوَايَةِ الْغَرَائِبِ وَالْمَنَاقِيرِ فِي زَمَانِنَا مَعَ طُولِ الْأَسَانِيدِ، وَكَثْرَةِ الْوَهْمِ وَالْغَلْطِ؛ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ نَزَجُرَ الْقَوْمَ عَنْهُ، فَيَا لَيْتَهُمْ يَفْتَصِرُونَ عَنْ رِوَايَةِ الْغَرِيبِ وَالضَّعِيفِ؛ بَلْ يَرُوءُونَ - وَاللَّهِ - الْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَبَاطِيلَ، وَالْمُسْتَحِيلَ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَالْمَلَا حِمَ وَالزُّهْدِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

فَمَنْ رَوَى ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ بِبُطْلَانِهِ، وَعَرَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، جَانٍ عَلَى الشُّنَنِ وَالْآثَارِ، يُسْتَتَابُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ أَنَابَ وَأَقْصَرَ، وَإِلَّا فَهُوَ فَاسِقٌ، كَفَى بِهِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَتَوَرَّعْ، وَلْيَسْتَعِنْ بِمَنْ يُعِينُهُ عَلَى تَنْقِيَةِ مَرْوِيَّاتِهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ^(١).

ثَانِيًا: إِنَّ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاضِحَةٌ كُلُّ الْوُضُوحِ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِهَا، مِنْذُ زَوَاجِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بِأُمِّهِ آمَنَةَ إِلَى وَفَاتِهِ ﷺ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ عَنْ وَلَادَتِهِ، وَطُفُولَتِهِ، وَشَبَابِهِ، وَمَكْسَبِهِ قَبْلَ الثُّبُوتِ، وَرَحَلَاتِهِ خَارِجَ مَكَّةَ، إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا كَرِيمًا، ثُمَّ نَعْرِفُ بِشَكْلِ أَدَقِّ وَأَوْضَحِ وَأَكْمَلَ كُلِّ أَحْوَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةً فَسَنَةً، مِمَّا يَجْعَلُ سِيرَتَهُ ﷺ وَاضِحَةً وَضُوحَ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ النُّقَادِ الْعَرَبِيِّينَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي وُلِدَ عَلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ.

= ١ - السبب الأول: اتساع الدولة الإسلامية في زمن عمر رضي الله عنه، فحتى لا ينشغل أهل البلاد المفتوحة بالحديث دون القرآن.

٢ - السبب الثاني: أنهم كانوا يمنعون من رواية الرقائق والمواعظ، دون أحاديث الأحكام والعبادات.

وأخرج نهي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الإقلال في رواية الحديث: ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٨)، والحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٣٥٣)، وإسناده صحيح.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٦٠١ - ٦٠٢).

وَهَذَا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ مِثْلُهُ وَلَا قَرِيبٌ مِنْهُ لِرَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمُوسَى عليه السلام لَا نَعْرِفُ شَيْئًا قَطُّ عَنْ طُفُولَتِهِ وَشَبَابِهِ وَطُرُقِ مَعِيشَتِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَنَعْرِفُ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ عَنْ حَيَاتِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، مِمَّا لَا يُعْطِينَا صُورَةً مُكْتَمَلَةً لِشَخْصِيَّتِهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ يُقَالُ فِي عِيسَى عليه السلام، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَيْنَ هَذَا مِمَّا تَذْكُرُهُ مَصَادِرُ السَّيَرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ أَدَقِّ التَّفَاصِيلِ فِي حَيَاةِ رَسُولِنَا صلى الله عليه وآله الشَّخْصِيَّةِ؛ كَأَكْلِهِ ^(١)، وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ ^(٢)، وَلِبَاسِهِ ^(٣)، وَشَكْلِهِ ^(٤)، وَهَيْئَتِهِ، وَمَنْطِقِهِ ^(٥)، وَمُعَامَلَتِهِ

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٣٢) عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله يَلْعُقُ - أي: يلحسُ - أصابعه الثلاث من الطعام.

وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٣٩٨) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إِنِّي لَا أَكُلُ مُتَكَيِّئًا».

(٢) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢١٠٠)، عن عباد بن تميم، عن عمه: أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا إِيَّاهُ رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى.

(٣) روى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧١١٧)، بسند صحيح عن أبي رمثة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ.

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٤٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٤٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَا بِالْأَدَمِ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالْسَّبُطِ.

(٥) الْمَنْطِقُ: هُوَ الْكَلَامُ. انظر: لسان العرب (١٤/١٨٨).

روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٦٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٩٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ... إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٩٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ.

قال ابن المنيّر فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (١/٢٥٥): وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْقَرَائِحِ، فَلَا عَيْبَ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ الَّذِي لَا يَحْفَظُ مِنْ مَرَّةٍ إِذَا اسْتَعَادَ، وَلَا عُذْرَ لِلْمُفِيدِ إِذَا =

لَأُسْرَتِهِ^(١)، وَتَعْبُدِهِ، وَصَلَاتِهِ^(٢)، وَمُعَاشَرَتِهِ لِأَصْحَابِهِ^(٣)؛ بَلْ بَلَغَتِ الدَّقَّةُ فِي رُوَاةِ سِيرَتِهِ ﷺ أَنْ يَذْكُرُوا لَنَا عَدَدَ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ^(٤) ﷺ.

ثَالِثًا: إِنَّ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْكِي سِيرَةَ إِنْسَانٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرِّسَالَةِ، فَلَمْ تُخْرِجْهُ عَنْ إِنْسَانِيَّتِهِ، فَقَدْ تَزَوَّجَ وَطَلَّقَ، وَرَضِيَ وَغَضِبَ، وَبَاعَ وَاشْتَرَى، هُوَ إِنْسَانٌ بِكُلِّ مَا فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنَى يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ قُدُوةً لِمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ، وَلَمْ تَلْحَقْ حَيَاتُهُ ﷺ بِالْأَسَاطِيرِ، وَلَمْ تُضَفِ عَلَيْهِ الْأُلُوهِيَّةُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَإِذَا قَارَنَّا هَذَا بِمَا يَرَوِيهِ الْمَسِيحِيُّونَ عَنْ سِيرَةِ عِيسَى ﷺ،

= لَمْ يُعِدْ؛ بَلِ الْإِعَادَةُ عَلَيْهِ آكُذٌ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ؛ لِأَنَّ الشُّرُوعَ مُلْزِمٌ.

(١) روى الإمام أحمد في المسند بسند جيد، رقم الحديث (٢٦٢٧٧)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبذن، فقال ﷺ للناس: «تَقَدَّمُوا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِكَ». فسأبقتُه فسبقتُه، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبذنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال ﷺ للناس: «تَقَدَّمُوا» فتقدموا، ثم قال: «تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِكَ»، فسأبقتُه، فسبقتني، فجعل يضحك، وهو يقول: «هَذِهِ بَيْتُكَ».

(٢) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١١٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨١٩)، عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلفت هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

(٣) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦١٢٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢١٥٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليُخَالِطَنَا حتى يقول لأخ لي صغير: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ».

وروى الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٨٤٨١)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢١٠٨) بسند قوي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنَا، قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».

(٤) روى الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٢٦٩٠)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٢٩٣) بسند صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته، إلا أربع عشرة شعرة يَبِضَاءُ.

وَمَا يَرْوِيهِ الْبُؤْذِيُّونَ عَنْ بُؤْذَا، وَالْوَثْنِيُّونَ عَنْ آلِهَتِهِمُ الْمَعْبُودَةِ، اتَّصَحَ لَنَا الْفَرْقُ جَلِيًّا بَيْنَ سِيرَتِهِ ﷺ وَسِيرَةِ هَؤُلَاءِ، وَلِذَلِكَ أَثَرٌ بَعِيدُ الْمَدَى فِي السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ لِاتِّبَاعِهِمْ، فَادَّعَاءُ الْأُلُوهِيَّةِ لِعِيسَى ﷺ، وَلِبُؤْذَا جَعَلَهُمَا أَبْعَدَ مَنَالًا مِنْ أَنْ يَكُونَا قُدُورَةً نُمُودَجِيَّةً لِلْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، بَيْنَمَا ظَلَّ وَسَيَظُلُّ مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ النُّمُودَجِيَّ الْإِنْسَانِيَّ الْكَامِلَ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا كَرِيمًا فِي نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ وَبَيْتَتِهِ، وَمِنْ هُنَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

رَابِعًا: إِنَّ سِيرَةَ الرَّسُولِ ﷺ شَامِلَةٌ لِكُلِّ النَّوَاحِي الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ، فَهِيَ تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الشَّابِّ الْأَمِينِ الْمُسْتَقِيمِ قَبْلَ أَنْ يُكْرِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّسَالَةِ، كَمَا تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَمَلِّسِ أَجْدَى الْوَسَائِلِ لِقَبُولِ دَعْوَتِهِ، الْبَازِلِ مُنْتَهَى طَاقَتِهِ وَجُهْدِهِ فِي إِبْلَاحِ رِسَالَتِهِ، كَمَا تَحْكِي لَنَا سِيرَتَهُ ﷺ كَرَّيسِ دَوْلَةٍ يَضَعُ لِدَوْلَتِهِ أَقْوَمَ النُّظْمِ وَأَصَحَّهَا، وَيَحْمِيهَا بِقُطْنَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَصِدْقِهِ بِمَا يَكْفُلُ لَهَا النَّجَاحَ، كَمَا تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ الرَّسُولِ الزَّوْجِ وَالْأَبِ فِي حُنُوِّ الْعَاطِفَةِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، وَالتَّمْيِيزِ الْوَاضِحِ بَيْنَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ لِكُلِّ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ الرَّسُولِ الْمُرَبِّيِّ الْمُرْشِدِ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ تَرْبِيَّةً مَثَالِيَّةً يَنْقُلُ مِنْ رُوحِهِ إِلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَمِنْ نَفْسِهِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، مَا يَجْعَلُهُمْ يُحَاوِلُونَ الْإِقْتِدَاءَ بِهِ فِي دَقِيقِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا، كَمَا تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ الرَّسُولِ ﷺ الصَّدِيقِ الَّذِي يَقُومُ بِوَاجِبَاتِ الصُّحْبَةِ، وَيَفِي بِالْإِتِزَامَاتِهَا وَآدَابِهَا، مِمَّا يَجْعَلُ أَصْحَابَهُ يُحِبُّونَهُ كَحُبِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ^(١) وَأَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِمْ لِأَهْلِيهِمْ وَأَقْرَبَائِهِمْ،

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٣٣٢)، عن عبد الله بن هشام قال: كنّا =

وَسِيرَتُهُ ﷺ تَحْكِي لَنَا سِيرَةَ الْمُحَارِبِ الشُّجَاعِ، وَالْقَائِدِ الْمُنتَصِرِ، وَالسِّيَاسِيِّ النَّاجِحِ، وَالْجَارِ الْأَمِينِ، وَالْمُعَاهِدِ الصَّادِقِ.

وِخْلَاصَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ النَّوَاحِي الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ الْقُدْوَةَ الصَّالِحَةَ لِكُلِّ دَاعِيَةٍ، وَكُلِّ قَائِدٍ، وَكُلِّ أَبٍ، وَكُلِّ زَوْجٍ، وَكُلِّ صَدِيقٍ، وَكُلِّ مُرَبٍّ، وَكُلِّ سِيَاسِيِّ، وَكُلِّ رَئِيسٍ دَوْلَةٍ، وَهَكَذَا...

خَامِسًا: إِنَّ سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ تُعْطِينَا الدَّلِيلَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ، إِنَّهَا سِيرَةُ إِنْسَانٍ كَامِلٍ سَارَ بِدَعْوَتِهِ مِنْ نَضْرٍ إِلَى نَضْرٍ، لَا عَلَى طَرِيقِ الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجَزَاتِ؛ بَلْ عَنْ طَرِيقِ طَبِيعِيٍّ بَحْتٍ، فَلَقَدْ دَعَا فَأُوذِيَ، وَبَلَغَ فَأُصْبَحَ لَهُ الْأَنْصَارُ، وَاضْطُرَّ إِلَى الْحَرْبِ فَحَارَبَ، وَكَانَ حَكِيمًا، مُوَفَّقًا فِي قِيَادَتِهِ، فَمَا أَرَفَتْ سَاعَةٌ وَفَاتِهِ ﷺ، إِلَّا كَانَتْ دَعْوَتُهُ تَلْفُ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ كُلَّهَا عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ، لَا عَنْ طَرِيقِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَمَنْ عَرَفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عَادَاتٍ وَعَقَائِدَ وَمَا قَاوَمُوا بِهِ دَعْوَتَهُ مِنْ شَتَّى أَنْوَاعِ الْمُقَاوَمَةِ حَتَّى تَذِيرِ اغْتِيَالِهِ، وَمَنْ عَرَفَ عَدَمَ التَّكَافُؤِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَارِبِيهِ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ انْتَصَرَ فِيهَا، وَمَنْ عَرَفَ قِصَرَ الْمُدَّةِ الَّتِي اسْتَعْرَفَتْهَا رِسَالَتُهُ حَتَّى وَفَاتِهِ، وَهِيَ ثَلَاثُ وَعِشْرُونَ سَنَةً، أَيْقَنَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنَّ مَا كَانَ يَمْنَحُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ثَبَاتٍ وَقُوَّةٍ وَتَأْثِيرٍ وَنَضْرٍ لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُ نَبِيٌّ حَقًّا، وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤَيِّدَ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ هَذَا التَّأْيِيدَ الْفَرِيدَ فِي التَّارِيخِ، فَسِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُثَبِّتُ لَنَا صِدْقَ رِسَالَتِهِ عَنْ طَرِيقِ عَقْلِيٍّ بَحْتٍ، وَمَا وَقَعَ لَهُ ﷺ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ

= مع النبي ﷺ وهو أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ؓ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ عُمَرُ ؓ: فَأَنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

لَمْ يَكُنْ الْأَسَاسَ الْأَوَّلَ فِي إِيْمَانِ الْعَرَبِ بِدَعْوَتِهِ؛ بَلْ إِنَّا لَا نَجِدُ لَهُ مُعْجَزَةً آمَنَ مَعَهَا الْكُفَّارُ الْمُعَانِدُونَ، عَلَى أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ الْمَادِيَّةَ إِنَّمَا تَكُونُ حُجَّةً عَلَى مَنْ شَاهَدَهَا، وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا الرَّسُولَ ﷺ، وَلَمْ يُشَاهِدُوا مُعْجَزَاتِهِ، إِنَّمَا آمَنُوا بِصِدْقِ رِسَالَتِهِ لِلْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ النَّبَوَّةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَإِنَّهُ مُعْجَزَةٌ عَقْلِيَّةٌ، تُلْزِمُ كُلَّ عَاقِلٍ مُنْصِفٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَعْوَى الرِّسَالَةِ...

وَمِنْ هُنَا نَرَى هَذِهِ الْمِيزَةَ الْوَاضِحَةَ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، أَنَّهُ مَا آمَنَ بِهِ وَاحِدٌ عَنْ طَرِيقِ مُشَاهَدَتِهِ لِمُعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ؛ بَلْ عَنِ اقْتِنَاعِ عَقْلِيٍّ وَجَدَانِيٍّ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ رَسُولُهُ ﷺ بِالْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا إِكْرَامٌ لَهُ ﷺ وَإِفْحَامٌ لِمُعَانِدِيهِ الْمُكَابِرِينَ، وَمَنْ تَتَبَعَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَجَدَ أَنَّهُ اعْتَمَدَ فِي الْإِفْنَاعِ عَلَى الْمُحَاكَمَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْمُشَاهَدَةِ الْمَحْسُوسَةِ لِعَظِيمِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أُمِّيَّةٍ تَجْعَلُ إِتْيَانَهُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ ﷺ^(١).



(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي (ص ١٥ - ٢٣).



الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

أما العرب قبل الإسلام فسَاءَتْ أخلاقُهُمْ، فأوغلوا بالخمر والقمار، وبلغت بهم القساوة والحمية المزعومة إلى وأد^(١) البنات، وشاعت فيهم الغارات، وقطع الطرق على القوافل، وسقطت منزلة المرأة، فكانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة، ومن المأكولات ما هو خاص بالذكور، مُحَرَّمٌ عَلَى الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.

وكانت العصبية القبليّة، والدموية شديدة جامحة، وأغرموا بالحرب، حتى صارت مسألة لهم، وملهى وهواية، ينتهزون للتسلية، وقضاء هوى النفس نشوب حرب لها مسوغ، أو لا مسوغ لها، يدل على ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي (الرقاد بن المنذر بن ضرار الضبي):

إذا المهره الشفراء أدرك ظهرها فشب الإله الحرب بين القبائل
وأوقد نارا بينهم بضرامها لها وهج للمضطلي غير طائل
وهانت عليهم إراقة الدماء، فتثيرها حادثة تافهة، وتدوم الحرب أربعين سنة يقتل فيها ألوف من الناس.

أما من جهة الأخلاق، فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصلة، وأسبابها فاشية^(٢).

(١) وأد البنات: قتلهن. كان إذا وُلِدَ لأحدهم في الجاهلية بنت دفنَها في التراب وهي حية حسيّة العار. انظر: النهاية (١٢٥/٥).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٩).

✽ شُرْبُ الْخَمْرِ:

وَكَانَ شُرْبُ الْخَمْرِ وَاسِعَ الشُّيُوعِ، شَدِيدَ الرُّسُوحِ فِيهِمْ، تَحَدَّثَ عَنْ مُعَاقَرَتِهَا وَالْاجْتِمَاعِ عَلَى شُرْبِهَا الشُّعْرَاءُ، وَشَغَلَتْ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ شِعْرِهِمْ وَتَارِيخِهِمْ وَأَدَبِهِمْ، وَكَثُرَتْ أَسْمَاؤُهَا وَصِفَاتُهَا فِي لُغَتِهِمْ، وَكَثُرَ فِيهَا التَّدْقِيقُ وَالتَّفْصِيلُ كَثْرَةً تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ، وَكَانَتْ حَوَانِثُ الْخَمَّارِينَ مَفْتُوحَةً دَائِمًا يُرْفَرُ عَلَيْهَا عِلْمٌ يُسَمَّى (غَايَةً).

قَالَ لَبِيدٌ^(١) بَنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ رضي الله عنه:

قَدْ بَثَّ سَامِرَهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهَا
وَكَانَ مِنْ شُيُوعِ تِجَارَةِ الْخَمْرِ أَنْ أَصْبَحْتَ كَلِمَةَ التَّجَارَةِ مُرَادَفَةً لِبَيْعِ
الْخَمْرِ^(٢).

✽ الْقِمَارُ:

وَكَانَ الْقِمَارُ مِنْ مَفَاخِرِ الْحَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ:
أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَا ابْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ
نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهَيْئُهَا وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنَقَامِرُ
وَكَانَ عَدَمُ الْمُشَارَكَةِ فِي مَجَالِسِ الْقِمَارِ عَارًا.
قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَامِرُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَيَقْعُدُ
حَرِيبًا^(٣) سَلِيبًا، يَنْظُرُ إِلَى مَالِهِ فِي يَدِ غَيْرِهِ، فَكَانَتْ تُورِثُ بَيْنَهُمْ

(١) هُوَ: لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ صَعْصَعَةَ الْعَامِرِيِّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، كَانَ رضي الله عنه شَاعِرًا مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ، وَكَانَ فَارِسًا شَجَاعًا سَخِيًّا، وَهُوَ صَاحِبُ إِحْدَى الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَقَدْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَنَةً وَقَدْ قَوْمُهُ بَنُو جَعْفَرٍ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ. انظر: الإصابة (٥/٥٠٠).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رحمته الله (ص ٣٩).

(٣) الحريب: الذي سَلِبَ ماله. انظر: لسان العرب (٣/١٠١).

عَدَاوَةً وَبُغْضًا^(١).

✽ تَعَاطِيهِمُ الرِّبَا:

وَكَانَ أَهْلُ الْحِجَازِ: الْعَرَبُ وَالْيَهُودُ، يَتَعَاطُونَ الرِّبَا، وَكَانَ فَاشِيًا^(٢) فِيهِمْ، وَكَانُوا يُجَحِّفُونَ^(٣) فِيهِ، وَيَبْلُغُونَ إِلَى حَدِّ الْعُلُوِّ وَالْقَسْوَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كَانَ الرِّبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّضْعِيفِ وَفِي السِّنِّينَ، يَكُونُ لِلرَّجُلِ فَضْلٌ دَيْنٍ، فَيَأْتِيهِ إِذَا حَلَّ الْأَجَلُ، فَيَقُولُ لَهُ: تَقْضِيَنِي أَوْ تَزِيدُنِي؟ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَقْضِيهِ قَضَى، وَإِلَّا حَوَّلَهُ إِلَى السَّنِّ الَّتِي فَوْقَ ذَلِكَ، إِنْ كَانَتْ ابْنَةُ مَخَاضٍ^(٤) يَجْعَلُهَا ابْنَةً لَبُونٍ^(٥) فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ حِقَّةً^(٦)، ثُمَّ جَذَعَةً^(٧)، ثُمَّ رُبَاعِيًا^(٨) هَكَذَا إِلَى فَوْقِ.

وَفِي الْعَيْنِ^(٩) يَأْتِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَضْعَفُهُ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، وَإِنْ لَمْ

(١) انظر: تفسير الإمام الطبري (٣٦/٥)، آية (٩١) من سورة المائدة.

(٢) فَشًا: أي: انتشر. انظر: النهاية (٤٠٣/٣).

(٣) الْمُجَاحِفَةُ: أَخَذَ الشَّيْءَ وَاجْتَرَأَهُ. انظر: لسان العرب (١٨٦/٢).

(٤) الْمَخَاضُ: اسْمٌ لِلنُّوقِ الْحَوَامِلِ، وَبِنْتُ الْمَخَاضِ وَابْنُ الْمَخَاضِ: مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ قَدْ لَحِقَتْ بِالْمَخَاضِ: أَي: الْحَوَامِلِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَامِلًا. انظر: النهاية (٢٦١/٤).

(٥) بَنْتُ لَبُونٍ، وَابْنُ لَبُونٍ: وَهُمَا مِنَ الْإِبِلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ سَنَتَانِ وَدَخَلَ فِي الثَّالِثَةِ، فَصَارَتْ أُمُّهُ لَبُونًا؛ أَي: ذَاتَ لَبَنِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ قَدْ حَمَلَتْ حَمْلًا آخَرَ وَوَضَعَتْهُ. انظر: النهاية (١٩٨/٤).

(٦) الْحِقَّةُ: بَكْسَرُ الْحَاءِ وَهُوَ مِنَ الْإِبِلِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ إِلَى آخِرِهَا، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَحَقَّ الرُّكُوبَ وَالتَّحْمِيلَ، وَيُجْمَعُ عَلَى حِقَاقٍ وَحَقَائِقَ. انظر: النهاية (٣٩٩/١).

(٧) الْجَذَعَةُ: هُوَ مَا كَانَ مِنْهَا شَابًّا فَتِيًّا، فَهُوَ مِنَ الْإِبِلِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْمَعْزِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، وَقِيلَ: الْبَقَرُ فِي الثَّالِثَةِ، وَمِنَ الضَّأْنِ مَا تَمَّتْ لَهُ سَنَةٌ، وَقِيلَ: أَقَلُّ مِنْهَا. انظر: النهاية (٢٤٣/١).

(٨) يُقَالُ لِلذَّكَرِ مِنَ الْإِبِلِ إِذَا طَلَعَتْ رَبَاعِيَّتُهُ - أَي: أَسْنَانُهُ الْأُمَامِيَّةُ -: رَبَاعٌ، وَالْأُنثَى: رَبَاعِيَّةٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ. انظر: النهاية (١٧٣/٢).

(٩) الْعَيْنُ: هُوَ الذَّهَبُ. انظر: لسان العرب (٥٠٧/٩).

يَكُنْ عِنْدَهُ أَضْعَفُهُ أَيْضًا، فَتَكُونُ مِثَّةً، فَيَجْعَلُهَا إِلَى الْقَابِلِ مِثَّتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَعَلَهَا أَرْبَعِمِثَّةً يُضْعَفُهَا لَهُ كُلَّ سَنَةٍ أَوْ يَقْضِيهِ^(١).

وَقَدْ رَسَخَ الرَّبَا فِيهِمْ، وَجَرَى مِنْهُمْ مَجْرَى الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي صَارُوا لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّجَارَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَقَالُوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ الرَّبَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَلَّ مَالٌ أَحَدِهِمْ عَلَى غَرِيمِهِ، يَقُولُ الْغَرِيمُ لِغَرِيمِ الْحَقِّ: زِدْنِي فِي الْأَجَلِ وَأَزِيدُكَ فِي مَالِكَ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ: هَذَا رَبَا لَا يَحِلُّ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمَا ذَلِكَ، قَالُوا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا زِدْنَا فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ، أَوْ عِنْدَ مَحَلِّ الْمَالِ^(٢).

❁ انْتِشَارُ الرِّزْنَى:

وَلَمْ يَكُنْ الرِّزْنَى نَادِرًا، وَكَانَ غَيْرَ مُسْتَنَكِرٍ، فَكَانَ مِنَ الْعَادَاتِ أَنْ يَتَّخِذَ الرَّجُلُ خَلِيلَاتٍ، وَتَتَّخِذُ النِّسَاءُ أَخِلَاءَ بِدُونِ عَقْدٍ، وَقَدْ كَانُوا يُكْرِهُونَ بَعْضَ النِّسَاءِ عَلَى الرِّزْنَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ^(٣) مِنْكُمْ طَوْلًا^(٤) أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ^(٥) الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيَئِنِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ^(٦) وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ^(٧)﴾ [النساء: ٢٥].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠٤/٣). (٢) انظر: المرجع السابق (١٠٤/٣).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٦٠/٢): أي: ومن لم يجد.

(٤) المرجع السابق (٢٦٠/٢): أي: سعة وقُدرة.

(٥) المرجع السابق (٢٦١/٢): أي: الحرَّائِر.

(٦) قال القرطبي في تفسيره (٢٣٦/٦): أي: غير زَوَانٍ؛ أي: مُغْلَنَاتٍ بِالرِّزْنَى؛ لِأَنَّ أَهْلَ

الجاهلية كان فيهم الزَّوَانِي فِي الْعَلَانِيَةِ، وَلَهُنَّ رَايَاتٌ مَّنْصُوبَاتٌ.

(٧) المرجع السابق (٢٣٦/٦): أي: أصدقاء على الفاحشة، والآية الكريمة في سورة النساء

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء... والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً^(١)، فمن أرادهن دخل عليهن^(٢).

وقال عليه السلام: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدَنْتُمْ تَحْصِنًا لِبَنَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

وروى الإمام مالك في «الموطأ» بسند صحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها^(٣).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب البغي، فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام، وكسب البغي، وثمن الكلب^(٤).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنًا لِبَنَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ

(١) قال الحافظ في الفتح (٢٣٢/١٠): علماً بفتح اللام؛ أي: علامة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُمْ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، رقم الحديث (٥١٢٧).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الاستئذان، باب الأمر بالرفق بالمملوك، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول (٥٨٩/١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٩٧٦).

اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿١﴾ [النور: ٣٣].

وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي غرضة غيب^(٢) وحيف^(٣)، تؤكل حقوقها، وتبتز^(٤) أموالها، وتحرم إرثها، وتغضل^(٥) بعد الطلاق، أو وفاة الزوج من أن تتكح زوجا ترضاها، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة.

❁ وأدھم البنات:

وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد^(٦)، ذكر الهيثم بن عدي، على ما حكاه عنه الميداني أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة، فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة، فجاء الإسلام، وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد البنات، فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة، ومخافة لحوق العار بهن من أجلهن، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء، أو شيماء^(٧)، أو برشاء^(٨)، أو كسحاء^(٩) تشاؤماً منهم بهذه الصفات.

وكانوا يقتلون البنات، ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَنَكُمْ عَلَىٰ آلِهَاتِهِ﴾، رقم الحديث (٣٠٢٩) (٢٧).

(٢) العَبْنُ: النسيان. انظر: لسان العرب (١٥/١٠).

(٣) الحَيْفُ: الميل في الحكم، والجور والظلم. انظر: لسان العرب (٤٢٠/٣).

(٤) تُبْتَزُّ أَمْوَالُهَا: أي: تُسَلَبُ أَمْوَالُهَا. انظر: لسان العرب (٣٩٩/١).

(٥) تُغْضَلُ: أي: تُمْنَعُ. انظر: النهاية (٢٣٠/٣).

(٦) وأد البنات: قتلهن: كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في الثراب وهي حية، خشية العار. انظر: النهاية (١٢٥/٥).

(٧) شِيمَاءُ: أي: سَوْدَاءُ. انظر: لسان العرب (٢٦٢/٧).

(٨) الأَبْرَشُ: الأَبْرَصُ. انظر: لسان العرب (٣٧٧/١).

(٩) الأَكْسَحُ: الأَعْرَجُ، والمُقْعَدُ أيضاً. انظر: لسان العرب (٨٩/١٢).

يَتَأَخَّرُ وَأُذُ الْمَوْءُودَةِ لِسْفَرِ الْوَالِدِ وَشُغْلِهِ فَلَا يَبْذُرُهَا إِلَّا وَقَدْ كَبُرَتْ، وَصَارَتْ تَعْقِلُ، وَقَدْ حَكَمُوا فِي ذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مُبْكِيَّاتٍ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُلْقِي الْأُنْثَى مِنْ شَاهِقٍ^(١).

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِهِمْ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا^(٢) وَهُوَ كَظِيمٌ^(٣)﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسُّكُمْ عَلَى هَوًى أَمْ يَدُسُّهُ^(٤) فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ^(٥)﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

❖ قَتْلُ الْأَوْلَادِ خَشْيَةَ الْفَقْرِ:

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَخَوْفَ الْفَقْرِ، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ مِنْ بَعْضِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَكَانَ يَشْتَرِيهِمْ بَعْضُ سُرَاةٍ^(٥) الْعَرَبِ وَأَشْرَافِهِمْ، فَصَغَصَعَهُ بَنُ نَاجِيَةٍ يَقُولُ: جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ فَدَيْتُ ثَلَاثَ مِائَةِ مَوْءُودَةٍ^(٦).

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَنْذُرُ إِذَا بَلَغَ بَنُوهُ عَشْرَةَ نَحَرَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، كَمَا فَعَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ جَدُّ الرَّسُولِ ﷺ.

فَحَذَرَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ^(٧) نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ [الأنعام: ١٥١].

(١) الشَّاهِقُ: الْجَبَلُ الْمُرْتَفِعُ. انظر: لسان العرب (٢٢٩/٧).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٧٨/٤): أي: كَثِيبًا مِنَ الْهَمِّ.

(٣) المرجع السابق (٥٧٨/٤): أي: سَاكَتْ مِنْ شِدَّةٍ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزَنِ.

(٤) المرجع السابق (٥٧٨/٤): أي: يَبْذُرُهَا، وَهُوَ أَنْ يَدْفِنَهَا فِي التُّرَابِ وَهِيَ حَيَّةٌ.

(٥) سُورَاةٌ: أي: أَشْرَافٌ. انظر: النهاية (٣٢٧/٢).

(٦) انظر: الإصابة (٣٤٧/٣).

(٧) الْإِمْلَاقُ: الْفَقْرُ. انظر: تفسير ابن كثير (٣٦٢/٣).

وقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَوْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا^(١)، وَهُوَ خَلَقَكَ».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ ﷺ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ ﷺ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ^(٢) جَارِكَ»^(٣).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا - فَأَلْحَقُوا الْبَنَاتِ بِهِ ﷺ^(٤).

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [١٦٩] أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩، ١٥٠].

(١) النِّدُّ: بكسر النون وتشديد الدال، هو مثل الشيء الذي يُضَادُّه في أموره، ويريد بها ما كانوا يَتَّخِذُونَهُ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى. انظر: النهاية (٣٠/٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧٥/١٤): الْحَلِيلَةُ بفتح الحاء وزن عَظِيمَةٍ؛ أي: التي يَحِلُّ لَهَا وَطْئُهَا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إثم الزناة، رقم الحديث (٦٨١١)، وأخرجه في كتاب التوحيد، باب قول الله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، رقم الحديث (٧٥٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، رقم الحديث (١٤١).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص ٣٩).

❁ ظَلَامٌ مُطْبِقٌ وَيَأْسٌ قَاتِلٌ:

وَقُصَارَى الْقَوْلِ: إِنَّ الْقَرْنَ السَّادِسَ الْمَسِيحِيَّ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْبُعْثَةُ
الْمُحَمَّدِيَّةُ وَمَا يَلِيهِ مِنْ فِتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ، كَانَ مِنْ أَحْطَّ أَدْوَارِ التَّارِيخِ، وَمِنْ أَشَدِّهَا
ظَلَامًا وَيَأْسًا مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَصَلَاحِيَّتِهَا لِلْبَقَاءِ وَالْإزْدِهَارِ^(١).



(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص ٤٣).

لِمَاذَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ؟

اِفْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَطْلُعَ هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي تُبَدِّدُ الظَّلَامَ، وَتَمَلَأُ الدُّنْيَا نُورًا وَهِدَايَةً، مِنْ أَفْقِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ الَّذِي كَانَ أَشَدَّ ظَلَامًا، وَكَانَ أَشَدَّ حَاجَةً إِلَى هَذَا النُّورِ السَّاطِعِ.

وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَرَبَ، لِيَتَلَقَّوْا هَذِهِ الدَّعْوَةَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُبَلِّغُوهَا إِلَى أَبْعَدِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ مِنْهَا:

١ - أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَصْحَابُ إِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ، إِذَا أَلْتَوَى عَلَيْهِمْ فَهْمُ الْحَقِّ حَارِبُوهُ، وَإِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ عَنْ عُيُونِهِمْ، أَحْبَبُوهُ وَاحْتَضَنُوهُ، وَاسْتَمَاتُوا فِي سَبِيلِهِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ مَا قَالَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، حِينَ سَمِعَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الصُّلْحِ فِي الْحَدِيثِيَّةِ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ^(٢).

(١) هو: سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيُّ خَطِيبُ قُرَيْشٍ، وَفَصِيحُهُمْ، وَمِنْ أَشْرَافِهِمْ، يُكْنَى أَبُو زَيْدٍ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَعُقَلَائِهِمْ وَخُطْبَائِهِمْ وَسَادَاتِهِمْ.
أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَاعُونِ عَمَاسٍ سَنَةَ ثَمَانٍ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ. انظر: الإصابة (١٧٧/٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ صُلْحِ الْحَدِيثِيَّةِ فِي الْحَدِيثِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٨٣)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٨٩٠٩).

وَلَمَّا أَسْلَمَ ﷺ كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ إِذَا سَمِعَ الْقُرْآنَ ﷺ، وَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَدْعُ مَوْقِفًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا وَقَفْتُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ، وَلَا نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنْفَقْتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا، لَعَلَّ أَمْرِي أَنْ يَتْلَوْا بَعْضُهُ بَعْضًا^(١).

٢ - وَمِنْهَا: أَنَّ أَلْوَاخَ قُلُوبِهِمْ كَانَتْ صَافِيَةً، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهَا كِتَابَاتُ دَقِيقَةٍ عَمِيقَةٍ يَصْعُبُ مَحْوُهَا وَإِزَالَتُهَا، شَأْنُ الرُّومِ وَالْفُرْسِ، وَأَهْلِ الْهِنْدِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَ وَيَزْهَوْنَ بِعُلُومِهِمْ وَأَدَابِهِمُ الرَّاقِيَةِ، وَمَدَنِيَّاتِهِمُ الرَّاهِيَةِ، وَفِلْسَفَاتِهِمُ الْوَاسِعَةِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُمْ عَقْدٌ نَفْسِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ، لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ حَلُّهَا.

أَمَّا الْعَرَبُ فَلَمْ تَكُنْ عَلَى أَلْوَاخِ قُلُوبِهِمْ إِلَّا كِتَابَاتٌ بَسِيطَةٌ خَطَّتْهَا يَدُ الْجَهْلِ وَالْبَدَاوَةِ، وَمِنَ السَّهْلِ الْمَيَسُورِ مَحْوُهَا وَغَسْلُهَا، وَرَسْمُ نُقُوشٍ جَدِيدَةٍ مَكَانَهَا، وَبِالتَّعْبِيرِ الْعِلْمِيِّ الْمُتَأَخَّرِ كَانُوا أَصْحَابَ الْجَهْلِ الْبَسِيطِ، الَّذِي تَسْهُلُ مُدَاوَاتُهُ، بَيْنَمَا كَانَتِ الْأُمَمُ الْمُتَمَدِّنَةُ الرَّاقِيَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مُصَابَةً بِالْجَهْلِ الْمُرْكَبِ، الَّذِي تَصْعُبُ مُدَاوَاتُهُ وَإِزَالَتُهُ.

٣ - وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ - أَيِ: الْعَرَبُ - كَانُوا وَاقِعِيَّينَ جَادِّينَ، أَصْحَابَ صِرَاحَةٍ وَصِرَامَةٍ، لَا يَخْدَعُونَ غَيْرَهُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ، اعْتَادُوا الْقَوْلَ السَّدِيدَ، وَالْعَزْمَ الْأَكِيدَ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ مَا رَوِيَ فِي قِصَّةِ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ: لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فِي الْعَقَبَةِ، لِيُبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ الْخَزْرَجِيُّ ﷺ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ

النَّاسِ.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٩٤)، الإصابة (٣/١٧٧)، أسد الغابة (٢/٣٩٦).

... قَالُوا: فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفَيْنَا؟

قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ».

قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ ﷺ فَبَايَعُوهُ^(١).

وَقَدْ صَدَقُوا ﷺ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى لِسَانِ الْأَنْصَارِ يَوْمَ بَدْرٍ:
فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا
تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ^(٢).

فَكَانُوا ﷺ صَادِقِينَ مِنَ اللَّحْظَةِ الْأُولَى، وَقَدْ تَجَلَّى هَذَا الصِّدْقُ فِي
الْعَزْمِ، وَالْجِدِّ فِي الْعَمَلِ، وَرُوحِ الْأَمْتِثَالِ لِلْحَقِّ.

٤ - وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا بِمَغْزِلٍ عَنْ أَدْوَاءِ الْمَدَنِيَّةِ وَالتَّرَفِ، الَّتِي
يَضَعُبُ عِلَاجُهَا، وَالَّتِي تَحُولُ دُونَ التَّحَمُّسِ لِلْعَقِيدَةِ وَالتَّقَانِي فِي سَبِيلِهَا.

٥ - وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أَصْحَابَ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ وَشَجَاعَةٍ، لَيْسَ
النِّفَاقُ وَالْمُؤَامَرَةُ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ فَقَدْ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَبَذَلُوا الْغَالِي وَالنَّفِيسَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.

٦ - وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ كَانُوا مَغَاوِرَ حَرْبٍ، وَأَخْلَاسَ^(٣) خَيْلٍ، وَأَصْحَابَ
جَلَادَةٍ وَتَقَشُّفٍ فِي الْحَيَاةِ، وَكَانَتِ الْفُرُوسِيَّةُ هِيَ الْخُلُقَ الْبَارِزَ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ
تَتَّصِفَ بِهِ أُمَّةٌ تَضطلعُ بِعَمَلٍ جَلِيلٍ؛ لِأَنَّ الْعَصْرَ كَانَ عَصْرَ حُرُوبٍ وَمُغَامَرَاتٍ.

٧ - وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً نَشَأَتْ عَلَى الْهَيَامِ^(٤) بِالْحُرِّيَّةِ،
وَالْمُسَاوَاةِ وَحُبِّ الطَّبِيعَةِ، وَعِزَّةِ النَّفْسِ، وَبَعْضِ الْأَدَابِ الَّتِي أَقَرَّهَا الْإِسْلَامُ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥٩). (٢) انظر: المرجع السابق (٢/٢٢٧).

(٣) أَخْلَاسُ خَيْلٍ: أَي: مُلَازِمِينَ رُكُوبَ الْخَيْلِ. انظر: لسان العرب (٣/٢٨٣).

(٤) الْهَيَامُ: هُوَ الْحُبُّ الشَّدِيدُ كَالْمَجْنُونِ عَلَى حُصُولِ الْحُرِّيَّةِ. انظر: لسان العرب (١٥/١٨٢).

٨ - وَمِنْهَا: أَنَّ قَوَاهُمُ الْعَمَلِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ، وَمَوَاهِبُهُمُ الْفِطْرِيَّةَ مَذْخُورَةٌ فِيهِمْ، لَمْ تُسْتَهْلَكْ، فَكَانَتْ أُمَّةً بِكْرًا، دَافِقَةً بِالْحَيَاةِ وَالنَّشَاطِ، وَالْعَزْمِ وَالْحِمَاسِ^(١).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» وَابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا^(٢) فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَبُهَا لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ^(٣) زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(٤).

وكَانَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ الَّتِي بُعِثَ فِيهَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَشَدِّ الْفَتَرَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ ظُلْمَةً وَانْحِطَاطًا، وَأَبْعَدَ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ فِي الْإِصْلَاحِ، وَأَصْعَبِ مَرَحَلَةٍ وَاجْهَهَا نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَدَقُّهَا^(٥).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ

(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص ٤٥).

(٢) قال السندي في شرح المسند (٣٥٥/٧): أي: أصلبهم في مراعاة الدين، بحيث لا يراعي أحدًا فيه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٨٦/١٣): الفرائض جمع: فريضة، وهي الموارث، وخصت الموارث باسم الفرائض من قوله تعالى في سورة النساء آية (٧): ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾؛ أي: مقدراً أو معلوماً أو مقطوعاً عن غيرهم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٢٩٠٤)، (١٣٩٩٠)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر البيان بأن معاذ بن جبل كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، رقم الحديث (٧١٣١)، والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب فضل معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي عبيدة بن الجراح، رقم الحديث (٤١٢٤).

(٥) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص ٥٦).

صَحِيح عَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «... وَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا فِيهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فِتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قُفْلَ قَلْبِهِ بِالْإِيمَانِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقْرُ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهَا لَلَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]»^(١).

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].



(١) الخبر أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٨١٠)، والإمام البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٦٤)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٣٣/٦) وقال: وهذا إسناد صحيح.



مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِهِ ﷺ إِلَى مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ ﷺ

✽ النَّسَبُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ:

أَمَّا نَسَبُهُ ﷺ فَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَى ذُرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أَبُو سُفْيَانَ^(١) بَيْنَ يَدَيْ هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، فَأَشْرَفَ الْقَوْمِ قَوْمُهُ، وَأَشْرَفَ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ، وَأَشْرَفَ الْأَفْحَاذِ فَخِذُهُ ﷺ.

فَهُوَ: مُحَمَّدٌ^(٢) ﷺ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ^(٣).

(١) جاء في حديث هِرْقَلٍ مع أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ سَأَلَهُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيَكُنُّمُ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا دُوْ نَسَبٍ. رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، رقم الحديث (٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٣).

(٢) قال القاضي عياض فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٢٤٦/٧): وَتَسْمِيَّتُهُ مُحَمَّدًا وَقَعَتْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَمِدَ رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ، وَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ يَحْمَدُ رَبَّهُ فَيُسْقَعُهُ، فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ، وَقَدْ خُصَّ بِسُورَةِ الْحَمْدِ، وَبِلَوَاءِ الْحَمْدِ، وَبِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَشُرِعَ لَهُ الْحَمْدُ بَعْدَ الْأَكْلِ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ، وَبَعْدَ الدُّعَاءِ، وَبَعْدَ الْقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ، وَسُمِّيَتْ أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، فَجُمِعَتْ لَهُ مَعَانِي الْحَمْدِ وَأَنْوَاعُهُ ﷺ.

(٣) أخرج هذا القدر من نسبه الشريف ﷺ: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ. وانظر: طبقات ابن سعد (٢٣/١ - ٢٤)، زاد المعاد (٧٠/١)، تاريخ الطبري (٤٩٧/١)، البداية والنهاية (٦٥٣/٢)، دلائل النبوة، للبيهقي (١٨١/١).

هَذَا هُوَ الْقَدْرُ الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنْ نَسَبِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَا خِلَافَ فِيهِ
الْبَيِّنَةُ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا النَّسَبُ الَّذِي سُفِّنَ إِلَى عَدْنَانَ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ
وَلَا نِزَاعَ، وَهُوَ ثَابِتٌ بِالتَّوَاتُرِ وَالْإِجْمَاعِ^(٢).

✽ أَصَالَةُ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ:

اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ، وَأَزَكَى الْقَبَائِلِ، وَأَفْضَلَ
الْبُطُونِ فَكَانَ ﷺ أَوْسَطَ قَوْمِهِ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُمْ شَرَفًا.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ، وَكَرَمُ بَلَدِهِ، وَمَنْشُؤُهُ فَمِمَّا
لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ، وَلَا بَيَانٍ مُشْكِلٍ، وَلَا خَفِيٍّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ نُحْبَةُ
بَنِي هَاشِمٍ، وَسَلَالَةُ قُرَيْشٍ وَصَمِيمُهَا، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ، وَأَعَزُّهُمْ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ
أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ^(٣).

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي
كُنْتُ مِنْهُ»^(٤).

وَجَاءَ فِي حَدِيثِ هِرْقَلٍ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَهُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيَكُمُ؟
فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ^(٥).

(١) انظر: زاد المعاد (١/٧٠). (٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول (١/٣٤).

(٣) انظر: كتاب الشفا، للقاضي عياض (١/٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٥٥٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٩٣٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ
رقم الحديث (٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى
هرقل، رقم الحديث (١٧٧٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأُسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(١).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَأَنَّهُ سَمِعَ شَيْئًا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»^(٢).



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٢٧٦)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٩٨٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٨٨)، والتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ فَضْلِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٩٣٥)، وَأَوْرَدَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِ الْأَصُولِ (٦٣٣٨).

طَهَارَةُ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ

وَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ يَتَنَقَّلُ مِنْ أَضْلَابِ الْأَبَاءِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الْأُمَمَاتِ الطَّاهِرَاتِ لَمْ يَمَسَّ نَسَبُهُ الشَّرِيفَ شَيْءٌ مِنْ سِفَاحٍ وَأَذْرَانِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ بَلْ هُوَ ﷺ مِنْ سُلَالَةٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ أَشْرَافٌ أَطْهَارٌ.

رَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ»^(١).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ: وَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ جَرَتْ سُنَّتُهُ أَنْ لَا يَبْعَثَ نَبِيًّا إِلَّا فِي وَسْطٍ مِنْ قَوْمِهِ شَرَفًا، وَنَسَبًا، فَقَدْ كَانَ فِي الدُّزْوَةِ مِنْ هَذِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَا مِنْ آبَائِهِ إِلَّا كَانَ غَنِيًّا بِالْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ، وَمَا مِنْ أُمَّ مِنْ أُمَمَاتِهِ إِلَّا وَهِيَ أَفْضَلُ نِسَاءِ قَوْمِهَا نَسَبًا وَمَوْضِعًا، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْفَضَائِلُ، وَالْكَمَالَاتُ الْبَشَرِيَّةُ تَنْحَدِرُ مِنَ الْأُصُولِ إِلَى الْفُرُوعِ حَتَّى تَجْمَعَتْ كُلُّهَا فِي سُلَالَةٍ وَلَدِ آدَمَ وَمُصَاصَةٍ^(٢) بَنِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُمُ اللهُ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ^(٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٥٧/١)، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (ص ٤٢)، وأورده الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنهاية (٦٥٨/١)، وقال: هذا مرسل جيد.

قلت: وللحديث شواهد عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة رَحِمَهُمُ اللهُ يَرْتَقِي بها إلى الْحَسَنِ، وانظر: صحيح الجامع، للألباني رَحِمَهُ اللهُ، رقم الحديث (٣٢٢٥).

(٢) يُقَالُ: فُلَانٌ مُصَاصٌ قَوْمِهِ: أَي: أَخْلَصُهُمْ نَسَبًا. انظر: لسان العرب (١٢٣/١٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور محمد أبو شهبة رَحِمَهُ اللهُ (١٨٥/١).

أُسْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

تُعْرَفُ أُسْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأُسْرَةِ الْهَاشِمِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى جَدِّهِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَسَنَذْكُرُ فِيمَا يَلِي شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ هَاشِمٍ وَمَنْ بَعْدَهُ.

✽ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ:

كَانَ هَاشِمٌ - وَاسْمُهُ عَمْرُو - رَجُلًا مُوسِرًا ذَا شَرَفٍ كَبِيرٍ، وَقَدْ تَوَلَّى هَاشِمُ السَّقَايَةَ^(١) وَالرَّقَادَةَ^(٢) مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ حِينَ تَقَاسَمَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنُو عَبْدِ الدَّارِ الْمَنَاصِبَ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

وُسَمِيَ هَاشِمًا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَشَمَ الثَّرِيدَ^(٣) لِقَوْمِهِ بِمَكَّةَ وَأُطْعِمَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَكَانَ يُطْعِمُ الْحُجَّاجَ أَوَّلَ مَا يُطْعِمُ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ يَوْمَ بِمَكَّةَ، وَبِمِنَى، وَالْمُزْدَلِفَةِ، وَعَرَفَةَ، وَكَانَ يَثْرُدُ لَهُمُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ، وَالْخُبْزَ وَالسَّمْنَ، وَالسَّوِيقَ^(٤) وَالتَّمْرَ، وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْمَاءَ فَيَسْقُونَ بِمِنَى إِلَى أَنْ يَصْدُرُوا^(٥) مِنْهَا فَتَنْقَطِعَ الضِّيَافَةُ.

(١) السَّقَايَةُ: هِيَ جَمْعُ الْمَاءِ مِنْ آبَارِ مَكَّةَ الْمُخْتَلِفَةِ، وَوَضْعُهَا قُرْبَ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ تُحَلَّى بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ أَوْ الزَّيْبِ فَيَشْرَبُ الْحَجَّاجُ مِنْهَا. انظر: النهاية (٣٤٢/٢).

(٢) الرَّقَادَةُ: هُوَ طَعَامٌ يُوَضَعُ لِلْحُجَّاجِ عَلَى سَبِيلِ الضِّيَافَةِ. النهاية (٢٢٠/٢).

(٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: (٦٩١/١٠): الثَّرِيدُ: بَفَتْحِ الثَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ هُوَ خَلْطُ الْخُبْزِ بِمَرَقِ اللَّحْمِ، وَهَشَمَ: أَي: كَسَرَ الْخُبْزَ.

(٤) السَّوِيقُ: هُوَ قَمْحٌ أَوْ شَعِيرٌ يُقْلَى ثُمَّ يُطْحَنُ، فَيَتَزَوَّدُ بِهِ، مِلْتَوْتًا بِمَاءٍ أَوْ سَمْنٍ أَوْ عَسَلٍ. انظر: شرح المواهب (٣٥٣/٢)، لسان العرب (٤٣٨/٦).

(٥) صَدَرَ: رَجَعَ. انظر: لسان العرب (٣٠١/٧).

وَفِيهِ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

عَمَرُوا الَّذِي هَاشِمُ الشَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ^(١) عِجَافُ
سُنْتُ إِلَيْهِ الرُّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ
وَمِنْ حَدِيثِ هَاشِمٍ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ
سَلْمَى بِنْتَ عَمْرِو أَحَدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أُحَيْحَةَ بْنِ
الْجَلَّاحِ مِنَ الْأَوْسِ، وَكَانَ مِنْ عِظَمِ شَرَفِهَا أَنَّ الْعِصْمَةَ بِيَدِهَا (أَي: هِيَ الَّتِي
تُطْلَقُ) إِذَا كَرِهَتْ رَجُلًا فَارْقَتْهُ، فَحَظَبَهَا هَاشِمٌ فَعَرَفَتْ شَرَفَهُ وَنَسَبَهُ فَرَوَّجَتْهُ
نَفْسَهَا، وَأَقَامَ عِنْدَهَا أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِهَا قَدْ حَمَلَتْ
بِشَيْبَةَ، فَمَاتَ هَاشِمٌ بِغَزَّةَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ، وَوَلَدَتْ امْرَأَتُهُ سَلْمَى طِفْلًا
وَسَمَّتْهُ شَيْبَةَ، وَكَانَ لِهَاشِمٍ أَرْبَعُ بَنِينَ وَهُمْ: شَيْبَةُ، وَأَسَدٌ، وَأَبُو صَيْفِيٍّ،
وَنَضْلَةُ، وَخَمْسُ بَنَاتٍ هُنَّ: الشُّفَاءُ، وَخَالِدَةُ، وَضَعِيفَةُ، وَرُقِيَّةُ، وَحَيَّةُ، وَفِي
رَوَايَةٍ حَتَّةٌ^(٢).

✽ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ:

أَوْصَى هَاشِمٌ عِنْدَ وَفَاتِهِ إِلَى أَخِيهِ الْمُطَّلِبِ فَصَارَتْ السَّقَايَةُ وَالرَّفَادَةُ إِلَيْهِ
مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، وَفَضْلٍ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ: الْفَيْضَ
لِسَخَائِهِ وَفَضْلِهِ.

وَلَمَّا صَارَ شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَصِيفًا^(٣) أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، سَمِعَ بِهِ الْمُطَّلِبُ

(١) مسنتون: أي: أصابتهم السنّة، والسنّة: هي الجذب، يقال: أخذتهم السنّة إذا أجذبوا
وأقحطوا. انظر: النهاية (٣٧١/٢).

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٤/١)، تاريخ الطبري (٥٠٤/١)،
البداءة والنهاية (٦٥٥/٢).

(٣) الوصيف: هو الغلام دون المراهق. لسان العرب (٣١٦/١٥).

فَرَحَلَ فِي طَلَبِهِ فَلَمَّا رَأَاهُ عَرَفَ شَبَهُ أَبِيهِ فِيهِ فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَكَسَاهُ حُلَّةً يَمَانِيَّةً، وَأَرَدَفَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَقَالَ شَيْبَةُ لِعَمِّهِ: لَسْتُ بِمُفَارِقِ أُمِّي إِلَّا أَنْ تَأْذَنَ لِي، فَسَأَلَهَا الْمُطَّلِبُ أَنْ تُرْسِلَهُ مَعَهُ فَأَبَتْ، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي غَيْرُ مُنْصَرِفٍ حَتَّى أَخْرُجَ بِهِ مَعِي، إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ بَلَغَ وَهُوَ غَرِيبٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ شَرَفٍ فِي قَوْمِنَا، نَلِي كَثِيرًا مِنْ أَمْرِهِمْ، وَقَوْمُهُ وَبَلَدُهُ وَعَشِيرَتُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي غَيْرِهِمْ، فَأَذْنَتْ لَهُ فَاحْتَمَلَهُ فَدَخَلَ بِهِ مَكَّةَ مُرْدِفَهُ عَلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا الْمُطَّلِبُ اشْتَرَى عَبْدًا فَسُمِّيَ شَيْبَةُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ.

فَقَالَ الْمُطَّلِبُ: وَيَحْكُمُ! إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أَخِي هَاشِمٍ قَدِمْتُ بِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ^(١).

❀ وَفَاءُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ:

فَلَمَّ يَزَلْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مُقِيمًا بِمَكَّةَ حَتَّى تَرَعَرَعَ ثَمَّ إِنَّ الْمُطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ خَرَجَ تَاجِرًا فَهَلَكَ فِي مَنْطِقَةِ رَدْمَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ السَّقَايَةَ، وَالرَّقَادَةَ فَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ، وَأَقَامَ لِقَوْمِهِ مَا كَانَ آبَاؤُهُ يُقِيمُونَ قَبْلَهُ لِقَوْمِهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ جَسِيمًا أَبْيَضَ، وَسِيمًا طَوَالًا فَصِيحًا، مَا رَأَاهُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَحَبَّهُ، وَشُرِفَ فِي قَوْمِهِ شَرَفًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ، وَأَحَبَّهُ قَوْمُهُ، وَعَظُمَ خَطَرُهُ فِيهِمْ حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ: «بِشَيْبَةِ الْحَمْدِ» لِكَثْرَةِ حَمْدِ النَّاسِ إِيَّاهُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «الْقِيَّاضُ» لِحُبُودِهِ، وَيُقَالُ لَهُ: «مُطْعِمُ طَيْرِ السَّمَاءِ»؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ مِنْ مَائِدَتِهِ لِلطَّيْرِ وَالْوُحُوشِ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى شُهْرَةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِالكَرَمِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٥٠١، ٥٠٢)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٣٧)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/٢٣).

«مُسْنَدِهِ» وَالطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْأَثَارِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حُصَيْنٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ خَيْرًا لِقَوْمِهِ مِنْكَ: كَانَ يُطْعِمُهُمُ الْكِدَّ وَالسَّنَامَ... (١).

هَذَا وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَظِيمًا عِنْدَ قُرَيْشٍ فَحَسِبُ وَإِنَّمَا كَانَ عَظِيمًا كَذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْيَمَنِ مُهْتِنًا بِالْمُلْكِ عِنْدَمَا تَوَلَّى مَعْدِيكَرَبَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ عَرْشَ الْيَمَنِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ ذَا مَكَانَةٍ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَرَبِ كَمَا يَدُلُّ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى مَكَانَتِهِ عِنْدَ قُرَيْشٍ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ رَئِيسًا لَوْفِدِهَا فِي هَذِهِ الْمُهَمَّاتِ الْعَظِيمَةِ (٢).



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٩٩٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٢٥٢٥)، وأورده الحافظ في الإصابة (٧٦/٢). وصحح إسناده.

(٢) انظر: شرح المواهب (٢٧١/١).



أَهَمُّ الْأَحْدَاثِ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَمِنْ أَهَمِّ الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَمْرَانِ: حَفْرُ بَيْتِ زَمْزَمَ، وَحَادِثُ الْفِيلِ.

❁ أَمَّا زَمْزَمُ^(١):

فَكَانَتْ سُقْيَا مِنَ اللَّهِ، وَخُلَاصَةُ أَمْرِهَا مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لَنَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ^(٢) فَقَالَ لِي: احْفَرْ طَيِّبَةً^(٣)، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا طَيِّبَةٌ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجِعِي، فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي، فَقَالَ: احْفَرْ بَرَّةً^(٤)، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا بَرَّةٌ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجِعِي، فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفَرْ

(١) زَمْزَمُ: هِيَ الْبُيْرُ الْمَعْرُوفَةُ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ. انظر: النهاية (٢/٢٨٢).

وجاء في فضل مايتها أحاديث كثيرة منها:

روى مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧٣) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طَعْمٍ».

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢٦/١٦): أي: أَنَّهَا تُشْبِعُ شَارِبَهَا كَمَا يُشْبِعُهُ الطَّعَامُ.

(٢) أي: فِي الْمَنَامِ.

(٣) قال السهيلي فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ (٢٥٨/١): لَأَنَّهَا لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عليهما السلام.

(٤) قال السهيلي فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ (٢٥٨/١): وَهُوَ اسْمٌ صَادِقٌ عَلَيْهَا أَيْضًا؛ لِأَنَّهَا فَاضَتْ لِلْأَبْرَارِ، وَغَاضَتْ عَنِ الْفَجَّارِ.

الْمَضْنُونَةَ^(١)، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْمَضْنُونَةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجِعِي، فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفَرُ زَمْزَمَ^(٢)، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَمْزَمُ؟ قَالَ: لَا تُنَزِّفُ^(٣) أَبَدًا، وَلَا تُذْمُ^(٤) تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْتُ^(٥) وَالْدَّمِ، عِنْدَ نَقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ^(٦) عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ^(٧).

قَالَ: فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا، وَدُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ، غَدَا بِمَعُولِهِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَيْسَ لَهُ يَوْمِئِذٍ وَلَدٌ غَيْرُهُ، فَحَفَرَ فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ الطَّيِّ، كَبَّرَ فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ إِنَّهَا بِئْرُ أَبِيْنَا إِسْمَاعِيلَ، وَإِنَّ لَنَا فِيهَا حَقًّا فَأَشْرِكُنَا مَعَكَ فِيهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ دُونَكُمْ، وَأُعْطِيْتُهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: فَأَنْصِفْنَا فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا، قَالَ: فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَنْ شِئْتُمْ أَحَاكِمُكُمْ إِلَيْهِ، قَالُوا: كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدٍ «هَذِيمٌ» قَالَ: نَعَمْ، وَكَانَتْ فِي مَنْطِقَةٍ مَعَانٍ مِنْ مَشَارِفِ

(١) قال السهيلي في الرُّوضِ الْأَنْفِ (٢٥٨/١ - ٢٥٩): لَأَنهَا ضُنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مُتَأَفِّقٌ، وَالتَّضَلُّعُ؛ يَعْنِي: مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الشَّرْبِ حَتَّى تَمَدَّدَ جَنْبُهُ وَأَضْلَاعُهُ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ، أَنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمٍ» رواه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٣٠٦١) وإسناده ضعيف.

(٢) زَمْزَمُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَائِهَا. انظر: النهاية (٢٨٢/٢).

(٣) لَا تُنَزِّفُ: بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الزَّايِ: أَيِ: لَا يَقْنَى مَاؤُهَا عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِقَاءِ. النهاية (٣٦/٥).

(٤) لَا تُذْمُ: أَيِ: لَا تُعَابُ. انظر: النهاية (١٥٦/٢).

(٥) الْفَرْتُ: الْكَرْشُ وَمَا فِيهَا. لسان العرب (٢٠٨/١٠).

(٦) الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ: الَّذِي فِي جَنَاحَيْهِ بَيَاضٌ. انظر: النهاية (٢٢٦/٣).

(٧) قال الإمام السهيلي في الرُّوضِ الْأَنْفِ (٢٦١/١): أَمَا قَرْيَةُ النَّمْلِ، فَفِيهَا مِنَ الْمَشَاكِلَةِ أَيْضًا وَالْمُنَاسَبَةِ: أَنَّ زَمْزَمَ هِيَ عَيْنُ مَكَّةَ الَّتِي يَرُدُّهَا الْحَجِيجُ، وَالْعُمَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَيَحْمِلُونَ إِلَيْهَا الْبُرَّ وَالشَّعِيرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ وَهِيَ لَا تُحَرِّثُ وَلَا تُزْرَعُ، وَقَرْيَةُ النَّمْلِ لَا تُحَرِّثُ وَلَا تُبْدَرُ وَتَجْلِبُ الْحُبُوبُ إِلَى قَرْيَتِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

الشَّامَ، فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، وَخَرَجَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ قِبَائِلِهَا فَلَمَّا كَانُوا بِالْفَقِيرِ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ أَوْ حَذْوِهِ فَنِي مَاءَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَصْحَابِهِ، فَظَمُوا حَتَّى أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ، فَاسْتَسْقَوْا مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا بِمَقَارَةٍ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ، وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبَعٌ لِرَأْيِكَ، فَمُرْنَا بِمَا شِئْتَ، قَالَ: فَإِنِّي أَرَى أَنْ يَحْفِرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ، فُكَلِّمًا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَتِهِ ثُمَّ وَارَوْهُ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا، فَضِيعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضِيعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا، فَحَفَرُوا الْقُبُورَ، ثُمَّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطَشًا، ثُمَّ إِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ الْإِقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ، لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا، لَعَجْزٌ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلَادِ، ارْتَحَلُوا، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكَبَهَا، فَلَمَّا انْبَعَثَ بِهِ، انْفَجَرَتْ مِنْ تَحْتِ حُفِّهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ، فَكَبَّرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ، وَشَرِبُوا جَمِيعًا، وَاسْتَقَوْا ثُمَّ دَعَا الْقِبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَالَ لَهُمْ: هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ، فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ، فَشَرِبُوا وَاسْتَقَوْا، وَعَرَفُوا فَضْلَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ وَاللَّهِ قُضِيَ لَكَ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، وَاللَّهِ لَا نُخَاصِمُكَ فِي زَمَرٍ أَبَدًا، إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَاةِ لَهُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمَرًا، فَارْجِعْ إِلَى سِقَايَتِكَ رَاشِدًا، فَارْجِعْ وَارْجِعُوا مَعَهُ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَمَرٍ^(١).

وَحِينَئِذٍ نَذَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَئِنْ آتَاهُ اللَّهُ عَشْرَةَ أَبْنَاءٍ وَبَلَغُوا أَنْ يَمْنَعُوهُ، لَيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

(١) أخرج قصة حفر زمزم على يد عبد المطلب: البيهقي في دلائل النبوة (١/٩٣).

❁ رَوَايَاتُ غَيْرِ صَحِيحَةٍ:

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»^(١): مِنْ أَنَّهُ لَمَّا حَفَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ زَمْزَمَ، وَجَدَ فِيهَا غَزَالًا، وَسِلَاحًا مِنْ ذَهَبٍ، فَكُلُّهَا رَوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ، لَمْ يَثْبُتْ مِنْهَا شَيْءٌ.



(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٨/١).

حَدِيثُ الْفِيلِ

وَأَمَّا حَادِثُ الْفِيلِ فَهُوَ حَادِثٌ عَظِيمٌ، لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ، وَكَانَ دَلِيلًا عَلَى ظُهُورِ حَادِثٍ أَكْبَرَ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ بِالْعَرَبِ خَيْرًا، وَأَنَّ لِلْكَعْبَةِ شَأْنًا لَيْسَ لِغَيْرِهَا مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا، وَمَرَكَزِ الْعِبَادَةِ، وَقَدْ نِيَّطَتْ بِهَا رِسَالَةٌ وَدَوْرٌ فِي تَارِيخِ الدِّيَانَاتِ، وَمَصِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ تُؤَدِّيَهُ، وَأَنْ تَقُومَ بِهِ^(١).

وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْحَادِثِ أَنَّ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمَ عَامِلُ النَّجَاشِيِّ عَلَى الْيَمَنِ بَنَى بِصَنْعَاءَ كَنِيسَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي زَمَانِهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، سَمَّاها الْقُلَيْسَ^(٢)، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ: إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ، وَلَسْتُ بِمُتَتِّهِ حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ.

فَلَمَّا تَحَدَّثَتِ الْعَرَبُ بِكِتَابِ أَبْرَهَةَ ذَلِكَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، سَمِعَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ فَعَزَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ رَضَعُوا بِلَبَانِ حُبِّ الْكَعْبَةِ وَتَعْظِيمِهَا، لَا يَعْدِلُونَ بِهَا بَيْتًا، وَلَا يَرَوْنَ عَنْهَا بَدِيلًا، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْكَنِيسَةَ فَدَخَلَهَا لَيْلًا فَلَطَخَ قَيْلَتَهَا بِالْعَدِرَةِ وَجَمَعَ جِيفًا فَأَلْقَاهَا فِيهَا.

(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٧٧).

(٢) قال الإمام السهيلي في الروض الأنف (١/١١٢): ... وكان أبرهته قد استدلَّ أهلَ الْيَمَنِ في بُنْيَانِ هذه الْكَنِيسَةِ الْحَسِيَسَةِ، وكان ينقلُ إليها العدد من الرُّخَامِ الْمُجَرَّعِ، وَالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ بِالذَّهَبِ مِنْ قَضَرِ بَلْقَيْسِ صَاحِبَةِ سُلَيْمَانَ ﷺ، وَنَصَبَ فِيهَا صُلْبَانًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وكان أراد أن يرفع في بُنَائِهَا حتى يُشرفَ منها على عَدَنَ، وكان حكمه في العامل إذا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ولم يُكْمَلْ عَمَلُهُ أَنْ يَقْطَعَ يَدَهُ.

فَعَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبْرَهُهُ وَحَلَفَ لَيَسِيرَنَّ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى يَهْدِمَهُ، ثُمَّ سَارَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ، وَخَرَجَ بِتِسْعَةِ فِيلَةٍ أَوْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ فِيلًا، وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ فِيلًا مِنْ أَكْبَرِ الْفِيلَةِ، وَكَانَ اسْمُهُ «مَحْمُودًا»، وَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْعَرَبُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ كَالصَّاعِقَةِ، وَأَعْظَمُوهُ، وَرَأَوْا جِهَادَهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ، حِينَ سَمِعُوا بِأَنَّهُ يُرِيدُ هَدْمَ الْكَعْبَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَمُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ: (ذُو نَفَرٍ)، فَدَعَا قَوْمَهُ، وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهُهُ، وَجِهَادِهِ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَمَا يُرِيدُ مِنْ هَدْمِهِ وَإِخْرَابِهِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فَقَاتَلَهُ، فَهَزِمَ (ذُو نَفَرٍ) وَأَصْحَابُهُ، وَأَخَذَ لَهُ (ذُو نَفَرٍ) فَاتِي بِهِ أَسِيرًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَبْرَهُهُ قَتْلَهُ قَالَ لَهُ (ذُو نَفَرٍ): أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَقْتُلْنِي فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَائِي مَعَكَ خَيْرًا لَكَ مِنْ قَتْلِي، فَفَرَّكَهُ مِنَ الْقَتْلِ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ فِي وَثَاقٍ، ثُمَّ مَضَى أَبْرَهُهُ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ يُرِيدُ مَا خَرَجَ لَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمٍ عَرَضَ لَهُ (نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبِ الْخَثْعَمِيِّ) فِي قَبِيلَتِي خَثْعَمٍ: شَهْرَانِ، وَنَاهِسٍ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ أَبْرَهُهُ، وَأَخَذَ لَهُ نُفَيْلٌ أَسِيرًا، فَاتِي بِهِ إِلَى أَبْرَهُهُ، فَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ، قَالَ لَهُ نُفَيْلٌ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَقْتُلْنِي فَإِنِّي دَلِيلُكَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَهَاتَانِ يَدَايَ لَكَ عَلَى قَبِيلَتِي خَثْعَمٍ: شَهْرَانِ وَنَاهِسٍ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، وَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ يَدُّهُ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالطَّائِفِ خَرَجَ إِلَيْهِ مَسْعُودُ بْنُ مُعْتَبِ الثَّقَفِيِّ فِي رِجَالٍ مِنْ ثَقِيفٍ، فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدُكَ سَامِعُونَ لَكَ مُطِيعُونَ، لَيْسَ عِنْدَنَا لَكَ خِلَافٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي تُرِيدُ - يَعْنُونَ اللَّاتَ، وَهُوَ بَيْتُ لَهُمْ بِالطَّائِفِ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ نَحْوَ تَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ -، إِنَّمَا تُرِيدُ الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ، وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، فَبَعَثُوا مَعَهُ رَجُلًا هُوَ: أَبُو رِغَالٍ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ أَبْرَهُهُ، وَمَعَهُ الدَّلِيلُ حَتَّى أَنْزَلَهُ الْمُعَمَّسُ^(١)، وَهُنَاكَ أَمَرَ أَبْرَهُهُ

(١) الْمُعَمَّسُ: مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ، فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ. انظر: معجم البلدان (١٨٨/٥).

أَصْحَابُهُ بِالْغَارَةِ عَلَى نَعَمِ النَّاسِ، فَبَعَثَ رَجُلًا مِّنَ الْحَبَشَةِ يَقَالُ لَهُ: (الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ) عَلَى خَيْلٍ لَهُ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ، فَسَاقَ إِلَيْهِ أَمْوَالَ قُرَيْشٍ، وَغَيْرَهُمْ، فَأَصَابَ مَائَتِي بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، فَهَمَّتْ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةٌ، وَهَذِيلٌ، وَمَنْ كَانَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ بِقِتَالِهِ، ثُمَّ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ.

وَبَعَثَ أَبْرَهَةَ (حُنَاطَةَ الْحِمَيْرِيَّ) إِلَى مَكَّةَ، وَقَالَ لَهُ: سَلْ عَن سَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَشَرِيفِهَا، ثُمَّ قُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكَ: إِنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِنْ لَمْ تَعْرِضُوا لَنَا دُونَهُ بِحَرْبٍ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي دِمَائِكُمْ، فَإِنْ هُوَ لَمْ يُرِدْ حَرْبِي فَأَتِنِي بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ (حُنَاطَةُ) مَكَّةَ، وَاجْتَمَعَ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَخْبَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ أَبْرَهَةُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُحَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ، فَقَالَ حُنَاطَةُ: فَاذْطَلِقْ مَعِيَ إِلَيْهِ؛ فَاذْطَلَقَ مَعَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَمَعَهُ بَعْضُ بَنِيهِ، حَتَّى أَتَى الْعَسْكَرَ فَسَأَلَ عَن ذِي نَفَرٍ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَحَبَسِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا ذَا نَفَرٍ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَنَاءٍ فِيمَا نَزَلَ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُ ذُو نَفَرٍ: وَمَا غَنَاءُ رَجُلٍ أَسِيرٍ بِيَدَيْ مَلِكٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ غَدُوًّا أَوْ عَشِيًّا؟ مَا عِنْدِي غَنَاءٌ فِي شَيْءٍ مِّمَّا نَزَلَ بِكَ، إِلَّا أَنْ (أُنَيْسًا) سَائِقَ الْفِيلِ صَدِيقٌ لِي، وَسَأُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأَوْصِيهِ بِكَ، وَأُعْظِمُ عَلَيْهِ حَقَّكَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَكَ عَلَى الْمَلِكِ، فَتُكَلِّمَهُ بِمَا بَدَأَ لَكَ، وَيَشْفَعُ لَكَ عِنْدَهُ بِخَيْرٍ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: حَسْبِي، فَبَعَثَ ذُو نَفَرٍ إِلَى (أُنَيْسٍ) فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، وَصَاحِبُ عِيرِ مَكَّةَ، يُطْعِمُ النَّاسَ بِالسَّهْلِ، وَالْوُحُوشَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَقَدْ أَصَابَ لَهُ الْمَلِكُ مَائَتِي بَعِيرٍ، فَاسْتَأْذِنَ لَهُ عَلَيْهِ، وَانْفَعَهُ عِنْدَهُ بِمَا اسْتَطَعْتَ.

❖ دُخُولُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيَّةِ:

فَفَعَلَ أُنَيْسٌ، وَأَذَنَ أَبْرَهَةَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَوْسَمَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَهُمْ، وَأَعْظَمَهُمْ، فَلَمَّا رَأَتْ أَبْرَهَةُ أَجَلَهُ، وَأَعْظَمَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يُجْلِسَهُ تَحْتَهُ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَرَاهُ الْحَبَشَةُ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، فَتَزَلَّ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطِهِ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ حَاجَتَكَ؟ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التَّرْجُمَانُ، فَقَالَ: حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَا تَنِي بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ أَبْرَهَةُ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: قَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مَا تَنِي بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ وَتَتْرُكُ بَيْنَنَا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ، قَدْ جِئْتُ لِأَهْدِمَهُ، لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِي بَيْتَ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ أَبْرَهَةُ: مَا كَانَ لِيَمْتَنَعَ مِنِّي، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

فَأَمَرَ أَبْرَهَةُ أَنْ يَرُدَّ إِبِلُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَبَضَهَا قَلَّدَهَا^(١) النَّعَالَ وَأَشْعَرَهَا^(٢) وَجَعَلَهَا هَدِيًّا، وَبَثَّهَا فِي الْحَرَمِ كَيْ يُصَابَ مِنْهَا شَيْءٌ فَيَغْضَبَ رَبُّ الْحَرَمِ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَدْعُو اللَّهَ وَيَسْتَنْصِرُهُ، وَهُوَ آخِذٌ بِحَلَقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ رِحَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ غَدُوا مَحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبَلْتَنَا فَأَمْرُ مَا بَدَا لَكَ

(١) تَقْلِيدُ الْبُذْنِ: أَنْ يُجْعَلَ فِي عُقْبِهَا شِعَارٌ يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهَا هَدِيَّةٌ. لسان العرب (٢٧٦/١١).

(٢) أَشْعَرَ الْبَدَنَةَ: أَعْلَمَهَا، وَهُوَ أَنْ يُشَقَّ جِلْدُهَا أَوْ يُطَعَنَ فِي أَسْمِئَتِهَا فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ حَتَّى يَظْهَرَ الدَّمُ وَيَعْرِفَ أَنَّهَا هَدِيَّةٌ. انظر: لسان العرب (١٣٥/٧).

وَأَشَارَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَلَى قَوْمِهِ بِالتَّفَرُّقِ فِي الشُّعَابِ، وَالتَّحَرُّزِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ^(١)؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِأَبْرَهَةَ وَجُنُودِهِ، وَأَنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَحْمِيهِ.

وَتَهَيَّأَ أَبْرَهَةُ لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَعَبَّأَ جَيْشَهُ^(٢)، وَهَيَّأَ فَيْلَهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَادِي (مُحَسَّرٍ) بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ وَمِنَى بَرَكَ الْفِيلُ، وَلَمْ يَقُمْ لِيَقْدَمَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَثْعَمِيُّ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِ الْفِيلِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ، فَقَالَ: ابْرُكْ مَحْمُودٌ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفِيلُ، وَخَرَجَ نُفَيْلٌ يَشْتَدُّ حَتَّى أَضْعَدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى، فَضَرَبُوا رَأْسَهُ لِيَقُومَ فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَامَ يُهْرَوُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ.

❁ وَصُولُ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ:

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ^(٣) مِنْ الْبَحْرِ، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا: ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ، حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجْمُ الْحِجَارَةِ كَحَجْمِ الْحُمْصِ أَوْ الْعَدَسِ، لَا يُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا صَارَ تَتَقَطَّعُ أَعْضَاؤُهُ وَيَهْلِكُ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ، وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَدَرُونَ الطَّرِيقَ الَّذِي مِنْهُ جَاءُوا، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلِ بْنِ حَبِيبٍ لِيَدْلَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ نُفَيْلٌ حِينَ رَأَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ:

أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

(١) مَعَرَّةُ الْجَيْشِ: أَي: أَدَّى الْجَيْشِ. انظر: النهاية (٢٩١/٤).

(٢) عَبَّأَ جَيْشَهُ: أَي: رَتَّبَهُمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ وَهَيَّأَهُمْ لِلْحَرْبِ. انظر: النهاية (١٥٣/٣).

(٣) أَبَابِيلُ: أَي: جَمَاعَاتٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا. تفسير ابن كثير (٤٨٧/٨).

وقال أيضًا:

أَلَا حُيِّتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَنَاكُم مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ، لَوْ رَأَيْتَ فَلَا تُرِيهِ طَلَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسِ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفِيلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا
فَخَرَجُوا يَتْسَاقُطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلِكُونَ بِكُلِّ مَهْلِكٍ.

❀ هَلَاكَ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَم:

وَأَمَّا أَبْرَهَةُ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ دَاءً تَسَاقَطَتْ بِسَبَبِهِ أَنَامِلُهُ^(١)، أُنْمَلَةٌ أُنْمَلَةٌ،
وَلَمْ يَصِلْ إِلَى صَنْعَاءَ إِلَّا وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، وَانْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ،
فَمَاتَ شَرًّا مِيتَةً.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤)
فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلٍ (٥)﴾ [الفيل: ١ - ٥].

فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْحَبَشَةَ عَنْ مَكَّةَ، وَأَصَابَهُمْ بِمَا أَصَابَهُمْ بِهِ مِنَ النِّقْمَةِ
أَعْظَمَتِ الْعَرَبُ قُرَيْشًا، وَقَالُوا: هُمْ أَهْلُ اللَّهِ، قَاتَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَفَّاهُمُ الْعَدُوَّ،
وَارْزَادُوا تَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَإِيمَانًا بِمَكَانِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالُوا فِي ذَلِكَ
أَشْعَارًا يَذْكُرُونَ فِيهَا مَا صَنَعَ اللَّهُ بِالْحَبَشَةِ، وَمَا رَدَّ عَنْ قُرَيْشٍ مِنْ كَيْدِهِمْ،
مِنْهَا مَا قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

تَنَگَلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا

(١) الْأَنَامِلُ: هِيَ رُؤُوسُ الْأَصَابِعِ. انظر: لسان العرب (٢٩٥/١٤).

لَمْ تُخْلَقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرِّمَتْ إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلُ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سِتُّونَ أَلْفًا لَمْ يَوْوَبُوا أَرْضَهُمْ بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
دَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمْ قَبْلَهُمْ وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا
وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الْحَادِثُ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ قَبْلَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِينَ أَوْ
بِخَمْسٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا، وَكَانَ ذَلِكَ آيَةً مِنَ اللَّهِ، وَمُقَدِّمَةً لِبَعْثَةِ نَبِيِّ يُبْعَثُ فِي
مَكَّةَ وَيُطَهِّرُ الْكَعْبَةَ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا كَانَ لَهَا مِنْ رِفْعَةٍ وَشَأْنٍ،
وَتَكُونُ لِدِينِهِ صَلََّةٌ عَمِيقَةٌ دَائِمَةٌ بِهَذَا الْبَيْتِ.

وَاسْتَغْظَمَ الْعَرَبُ هَذَا الْحَادِثَ فَأَرَّخُوا بِهِ، وَقَالُوا: وَقَعَ هَذَا فِي عَامِ
الْفِيلِ، وَوُلِدَ فَلَانٌ فِي عَامِ الْفِيلِ، وَوَقَعَ هَذَا بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِكَذَا مِنَ
السِّنِينَ^(١).



(١) تفاصيل قصّة أصحاب الفيل انظرها في: البداية والنهاية (٢/٥٦٥)، سيرة ابن هشام (١/٧٦)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/١١٧)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (١/١٤٤)، دلائل النبوة، للبيهقي (١/١١٥).

نَذَرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ذَبَحَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ

رَأَيْنَا مَا لَقِيَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ قُرَيْشٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْفَرَ بِئْرَ زَمْزَمَ، أَحْسَسَ بِالضَّعْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نَصِيرٌ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا ابْنُهُ الْحَارِثُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ تَعَالَى لَئِنْ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ بَنِينَ، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْنَعُوهُ لَيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

وَفِعَلًا يُقَدِّرُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، وَيُرْزَقُ عَشْرَةَ أَبْنَاءٍ غَيْرِ الْبَنَاتِ وَهُمْ:

- ١ - الْحَارِثُ وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ وَأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ جُنْدَبٍ.
- ٢ - الزُّبَيْرُ وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ الْمَخْزُومِيَّةُ.
- ٣ - أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى وَأُمُّهُ أَمْنَةُ بِنْتُ هَاجِرَ.
- ٤ - الْمُقَوِّمُ وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ وَهَيْبٍ.
- ٥ - ضِرَارٌ وَهُوَ شَقِيقُ الْعَبَّاسِ وَأُمُّهُ نَتْلَةُ.
- ٦ - أَبُو طَالِبٍ وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ الْمَخْزُومِيَّةُ.
- ٧ - جَحْلٌ، وَيُقَالُ: حَجَلٌ بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ عَلَى الْجِيمِ وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ وَهَيْبٍ.

٨ - عَبْدُ اللَّهِ وَالِدُ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ شَقِيقُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرِ.

٩ - حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ وَهَيْبٍ.

١٠ - الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأُمُّهُ نَتْلَةُ.

قُلْتُ: فَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَصْغَرُ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، خِلَافًا لِابْنِ

إِسْحَاقَ الَّذِي قَالَ فِي السَّيْرَةِ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ^(١).

وَتَعَقَّبَهُ الشَّهْلِيُّ فِي «الرَّوَضِ الْأَنْفِ» بِقَوْلِهِ: هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ، وَلَعَلَّ الرِّوَايَةَ: أَصْغَرَ بَنِي أُمِّهِ، وَإِلَّا فَحَمْزَةٌ كَانَتْ أَصْغَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْعَبَّاسُ أَصْغَرَ مِنْ حَمْزَةٍ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «أَسَدِ الْغَابَةِ»: وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَصْغَرَ وَلَدِ أَبِيهِ^(٣).

وَأَمَّا الْبَنَاتُ فَسِتٌّ وَهُنَّ: صَفِيَّةٌ، وَأُمُّ حَكِيمٍ وَهِيَ الْبَيْضَاءُ، وَعَاتِكَةُ، وَأُمَيْمَةُ، وَأَرْوَى، وَبَرَّةٌ^(٤).

فَلَمَّا بَلَغَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَشْرَةً، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَمْنَعُونَهُ جَمْعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ فَأَطَاعُوهُ، وَقَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا ثُمَّ يَكْتُبَ فِيهِ اسْمَهُ ثُمَّ اثْنُونِي، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَتَوْهُ، فَدَخَلَ عَلَى (هُبَلٍ) وَهُوَ صَنَمٌ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ لِصَاحِبِ الْقِدْحِ^(٥): اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدْحِهِمْ، وَأَخْبَرَهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرَ فَفَعَلَ الرَّجُلُ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/١٩٠). (٢) انظر: الروض الأنف (١/٢٧١).

(٣) انظر: أسد الغابة (٢/٥٤٦).

(٤) انظر: الطبقات، لابن سعد (١/٤١)، البداية والنهاية (٢/٦٥٠)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/٢٧١).

(٥) الْقِدْحُ: جمع قِدْحٍ بكسر القاف، ويقال لها أيضًا: الْأَزْلَامُ جمع زَلَمٍ، وزَلَمٌ وهو السهم قبل أن يُرَاشَ، ويوضع فيه النصل، وكانوا في الجاهلية يكتبون عليها الأمر والنهي، إفعَل، ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاءٍ له، فإذا أراد سَفَرًا أو زَوَاجًا أو أمرًا مهمًّا أدخل يده، فأخْرَجَ منها زَلَمًا، فإذا خرج الأمر مضى لشأنِهِ، وإن خرج النَّهْيُ كَفَّ عنه، ولم يفعله. انظر: النهاية (٢/٢٨١)، لسان العرب (٦/٧٥) (١١/٥١).

✽ خُرُوجُ الْقِدْحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ:

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَحَبَّ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَئِنْ صُرِفَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَنَا بِخَيْرٍ.

فَضْرَبَ بِالْقِدَاحِ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِيَدِهِ وَأَخَذَ الشَّفْرَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ لِيَذْبَحَهُ فَمَنَعَتْهُ قُرَيْشٌ، وَلَا سِيَّما إِخْوَتُهُ وَأُخْوَالَهُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ.

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: فَكَيْفَ أَضْنَعُ بِنَذْرِي؟ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ عَرَّافَةً بِالْحِجَازِ، فَيَسْتَأْمِرَهَا فَذَهَبَ إِلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا شَرَحَ لَهَا تَفَاصِيلَ الْقِصَّةِ، فَقَالَتْ: كَمْ الدِّيَّةُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: عَشْرَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، قَالَتْ: اضْرِبُوا الْقِدَاحَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فزِيدوها عَشْرًا حَتَّى يَرْضَى رَبُّهُ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا عَنْهُ.

✽ فِدَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ:

فَلَمَّا رَجَعُوا قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ، وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَخَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فزَادُوا عَشْرًا، فَخَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ مِنَ الْإِبِلِ عَشْرًا عَشْرًا، وَلَا تَقَعُ الْقُرْعَةُ إِلَّا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً^(١) فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: لَقَدْ رَضِيَ رَبُّكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: لَا حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ ثَلَاثًا، فَفَعَلَ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ تَخْرُجُ الْقِدَاحُ عَلَى الْإِبِلِ، ثُمَّ نُحِرَتْ وَتُرِكَتْ لَا يُصَدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ، وَلَا طَيْرٌ وَلَا سَبُعٌ^(٢).

(١) روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤١/١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت الدِّيَّةُ يومئذٍ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ، وعبد المطلب أول من سَنَّ دِيَّةَ النَّفْسِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، فَجَرَتْ فِي قُرَيْشٍ والعرب مائة من الإبل، وأقرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه.

(٢) انظر: الطبقات، لابن سعد (٤١/١)، البداية والنهاية (٦٥٠/٢)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢٧١/١).

❀ حَدِيثٌ وَاهٍ:

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ»، فَقَدْ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»^(١)، وَسَكَتَ عَلَيْهِ، وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: إِسْنَادُهُ وَاهٍ. وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ سَنَدَهُ لَا يَثْبُتُ^(٢).

وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَقَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا^(٣).

وَأُورِدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الْفَتَاوَى»، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَفِي إِسْنَادِهِ مَنْ لَا يُعْرَفُ^(٤).

وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ»، وَقَالَ: لَا أَضِلُّ لَهُ^(٥).



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین، باب ذکر من قال: إن الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ۚ، رقم الحديث (٤١٠٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨٢/١٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٥/٧).

(٤) أورده العجلوني في كشف الخفاء (١٩٩/١).

(٥) انظر: السلسلة الضعيفة، رقم الحديث (٣٣١) (١٦٧٧).

زَوَاجُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ شَابًا نَسِيًّا جَمِيلًا، وَسِيمًا غَضَّ الْإِهَابِ، قَوِيَ الْبُنْيَانِ أَرَادَ أَبُوهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَزَوَّجَهُ أَمَنَةً بِنْتَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بِنِ زُهْرَةَ، بِنِ كِلَابٍ، بِنِ مَرَّةٍ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا^(١)، وَأَبُوهَا سَيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا، فَبَنَى^(٢) بِهَا عَبْدُ اللَّهِ فِي مَكَّةَ^(٣).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْسَطَ قَوْمِهِ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُمْ شَرَفًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ^(٤).

❁ قِصَّةٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَمُنْكَرَةٌ:

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»: أَنَّ امْرَأَةً تَعَرَّضَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَرَادَتْ مِنْهُ أَنْ يَزْنِيَ بِهَا، وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهَا رَأَتْ فِي وَجْهِ عَبْدِ اللَّهِ نُورًا سَاطِعًا، فَلَمَّا تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ أَمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ أُمَّ الرَّسُولِ ﷺ، وَوَقَعَ بِهَا، ذَهَبَ ذَلِكَ النُّورُ الَّذِي كَانَ فِي وَجْهِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْمَرْأَةِ، وَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكَ فِي الَّذِي عَرَّضْتَ عَلَيَّ؟

(١) أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا مِنْ جِهَةِ الْأَبِ، وَمَوْضِعًا مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ. انظر: شرح الزرقاني على المواهب (١/١٠٣).

(٢) الْبِنَاءُ: هُوَ الدُّخُولُ بِالزَّوْجَةِ. انظر: النهاية (١/١٥٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/١٩٣). (٤) انظر: المرجع السابق (١/١٩٤).

فَقَالَتْ: لَا، مَرَزْتَ فِي وَجْهِكَ نُورٌ سَاطِعٌ، ثُمَّ رَجَعْتَ وَلَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ النُّورُ، فَلَيْسَ لِي بِكَ الْيَوْمَ حَاجَةٌ^(١).

وهذه الرواية منكّرة سندًا ومُتّنا، وَمَنْ يقرأ الرواياتِ الْمُخْتَلِفَةَ عَنْهَا يُدْرِكُ مَدَى الْإِخْتِلَافِ وَالِإِضْطِرَابِ فِي سَوْقِهَا سَوَاءً فِي تَعْيِينِ الْمَرْأَةِ، إِذْ مَرَّةً هِيَ خَشْعَمِيَّةٌ، وَأُخْرَى أَسَدِيَّةٌ قُرَشِيَّةٌ، اسْمُهَا قُتَيْلَةُ، وَثَالِثَةٌ عَدَوِيَّةٌ اسْمُهَا لَيْلَى، وَكَذَلِكَ فِي صِفَةِ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَمَا التَفَتَهُ، فَمَرَّةً هُوَ مُطَيَّنُ الثِّيَابِ، وَأُخْرَى هُوَ فِي زِينَتِهِ^(٢).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي الْحَقِّ أَنِّي فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْعَرَضِ^(٣)، ... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ^(٤).

❁ وَفَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى الشَّامِ فِي عِيرٍ^(٥) مِنْ عِيرَاتِ قُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ تِجَارَاتٍ، فَفَرَعُوا مِنْ تِجَارَاتِهِمْ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا، فَمَرُّوا بِالْمَدِينَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَئِذٍ مَرِيضٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَخَوَالِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا، وَمَضَى أَصْحَابُهُ فَقَدِمُوا مَكَّةَ، فَسَأَلَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالُوا: خَلَفْنَاهُ عِنْدَ أَخَوَالِهِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَكْبَرَ وَلَدِهِ الْحَارِثَ فَوَجَدَهُ قَدْ تُوُفِّيَ وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ،

(١) أخرج ذلك ابن سعد في طبقاته (٤٤/١)، وابن إسحاق في السيرة (١٩٢/١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٠٧/١).

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٩٥/١)، للدكتور أكرم العمري.

(٣) أي: عرض هذه المرأة نفسها على عبد الله والد الرسول ﷺ.

(٤) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١٦٤/١)، للدكتور محمد أبو شهبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) العير: هي الإبل التي كانوا يتاجرون عليها. انظر: النهاية (٢٩٧/٣).

فَرَجَعَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِيهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ تُوْفِّي، فَوَجَدَ^(١) عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَإِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ وَجَدًا شَدِيدًا^(٢).

❀ وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتِيمًا الْآبِ:

وَلَمَّا تُوْفِّي عَبْدُ اللَّهِ وَالِدَ الرَّسُولِ ﷺ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمَلًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ابْنُ شَهْرَيْنِ، فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ عَنْ قَيْسِ^(٣) بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تُوْفِّي أَبُوهُ وَأُمُّهُ حُبْلَى^(٤) بِهِ^(٥).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أُمَّهُ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ ﷺ، تُوْفِّي أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ عَلَى الْمَشْهُورِ^(٦).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: وَاخْتُلِفَ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ تُوْفِّي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمْلٌ، أَوْ تُوْفِّي بَعْدَ وَلَادَتِهِ؟

عَلَى قَوْلَيْنِ: أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ تُوْفِّي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمْلٌ^(٧).

قُلْتُ: يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَدَ يَتِيمًا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الضُّحَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى﴾ ❀ [٦].

(١) وَجَدَ: بكسر الجيم وفتحها؛ أي: حَزَنَ. لسان العرب (٢١٩/١٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٦/١)، زاد المعاد (٧٥/١)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/٢٨٣)، السيرة النبوية، للذهبي (١/٦٦٥).

(٣) هو: قَيْسُ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ الْمُطَّلِبِيُّ، وَلَدَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَامٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَكَانَ مِمَّنْ حَسَنَ إِسْلَامِهِ. انظر: الإصابة (٣٧٩/٥).

(٤) امْرَأَةٌ حُبْلَى: أي: حَامِلٌ. انظر: لسان العرب (٣١/٣).

(٥) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ زِيَارَتِهِ ﷺ قَبْرِ أُمِّهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٢٤٧)، وَقَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَأَقْرَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٦) انظر: البداية والنهاية (٢/٦٦٥).

(٧) انظر: زاد المعاد (٧٥/١).

❖ كَمْ كَانَ عُمَرُ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا تُوفِّيَ؟

وَتُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ وَالِدُ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً.
قَالَ الْوَاقِدِيُّ: هَذَا هُوَ أَثْبَتُ الْأَقَاوِيلِ^(١).

❖ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيهِ:

وَجَمِيعُ مَا خَلَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ، وَقِطْعَةٌ
غَنَمٍ، وَجَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ اسْمُهَا: «بِرْكَةُ» وَهِيَ أُمُّ أَيْمَنَ^(٢) ﷺ^(٣).



(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٦/١)، شرح المواهب (٢٠٤/١).

(٢) هي: أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَهَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَإِلَى الْمَدِينَةِ، زَوْجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرُزِقَتْ مِنْهُ ابْنُهَا أَسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتُوفِيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: الإصابة (٣٥٨/٨).

روى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧١): عن ابن شهاب الزهري قال: وكان من شأن أُمِّ أَيْمَنَ، أُمِّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً - أَي: أُمَةً - لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَمَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَمَا تُوْفِي أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ، حَتَّى كَبُرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَقَهَا.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٦/١).

مِنَ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ إِلَى نُزُولِ الْوَحْيِ وَلَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ

وَفِي نَهَارِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ الْفِيلِ وَلِدَ
سَيِّدُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي شُعْبِ بَنِي هَاشِمٍ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ^(١).

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ: «فِيهِ وَلِدْتُ وَفِيهِ أَنْزَلَ عَلَيَّ»^(٢).
وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ
قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ^(٣).
وَكُونُهُ ﷺ وَلِدَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ فِيهِ حَكَمٌ مِنْهَا:

١ - مَا فِي شَرْعِهِ ﷺ مِنْ شَبِّهِ زَمَنِ الرَّبِيعِ، فَإِنَّهُ أَعْدَلُ الْفُضُولِ، وَشَرْعُهُ
أَعْدَلُ الشَّرَائِعِ.

٢ - وَلِأَنَّ فِي طُهُورِهِ فِيهِ إِشَارَةٌ لِمَنْ تَقَطَّنَ لَهَا إِلَى اسْتِثْقَاكِ لَفْظَةِ رَبِيعٍ؛

(١) انظر: البداية والنهاية (١/٦٦٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصوم، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٨٩١)، والتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، رقم الحديث (٣٩٤٧)، وأورده الذهبي في السيرة النبوية (١/٣٣) وقال: إسناده حسن.

لَأَنَّ فِيهِ تَفَاوُلًا حَسَنًا بِبَشَارَةِ أُمَّتِهِ، فَالرَّبِيعُ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَمَّا فِي بَطْنِهَا مِنْ نَعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَوْلِدُهُ ﷺ فِي رَّبِيعٍ إِشَارَةٌ ظَاهِرَةٌ إِلَى التَّنْوِيهِ بِعَظِيمِ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ^(١).

✽ عِلَامَاتٌ ظَهَرَتْ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ﷺ:

ظَهَرَتْ بَعْضُ الْعِلَامَاتِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ﷺ، مِنْ ذَلِكَ:

* ظُهُورُ نُورٍ مِنْ أَمِّهِ ﷺ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدِلٌ^(٢) فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ^(٣)، وَبِشَارَةُ أَخِي عِيسَى^(٤)، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»^(٥).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟

(١) انظر: شرح المواهب (١/٢٤٩).

(٢) أي: مُلقًى على الجدالة، وهي الأرض. انظر: النهاية (١/٢٤٠).

(٣) قال الله تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةِ (١٢٩) عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُمَا بَيْنَانِ الْكَعْبَةِ: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(٤) قال الله تَعَالَى فِي سُورَةِ الْصَفِّ آيَةِ (٦) عَلَى لِسَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يُبَشِّرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبِعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنُو إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْكُتُبِ وَمُؤَيِّدًا لِمَا فِي رُسُلِهِ يَأْتِي مِنْ بَدَى أَمَمِهِمْ أَخَذْتُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٧١٦٣)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٤٠٤)، والحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٣٦١٩ - ٤٢٣٠).

فَقَالَ ﷺ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى، وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ ﷺ إِمَارَةً إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَتُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْبَيْضَاءِ مِنْهَا^(٢)، وَلِهَذَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ».

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ: هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ^(٤).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: إِنَّ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ^(٥).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٤٢٣٠)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧٣٠/٢)، وقال: إسناده جيد.

(٢) أخرج نزول عيسى ﷺ بدمشق عند المنارة البيضاء: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال، رقم الحديث (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ»، رقم الحديث (٧٣١١)، وأخرجه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النمل: ٤٠]، رقم الحديث (٧٤٥٩) (٧٤٦٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ»، رقم الحديث (١٩٢٠) (١٩٢١).

انظر كلام الحافظ ابن كثير في: تفسيره (٤٤٤/١).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ».

(٥) أخرجه الحاكم في علوم الحديث، فيما قاله الحافظ في الفتح (٢٢٧/١٥): وإسناده صحيح.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»: وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْهُمْ: شُجْعَانُ مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاءٌ، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ، وَمِنْهُمْ زُهَادٌ، وَأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا يَلَزُمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ^(١).

قُلْتُ: وَالَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

* ظُهُورُ النَّجْمِ:

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفْعَةُ^(٢) ابْنِ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ، أَغْقِلُ كُلَّ مَا سَمِعْتُ، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أُطَمٍ^(٣) بَيْثَرَبَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمٌ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ^(٤).

* وَقَعَ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ:

رَوَى ابْنُ جِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» بِسَنَدٍ مُنْقَطِعٍ عَنْ آمِنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ أُمِّ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: ... ثُمَّ وَضَعْتُهُ، فَمَا وَقَعَ كَمَا يَقَعُ الصَّبْيَانُ، وَقَعَ وَاضِعًا يَدَهُ بِالْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ^(٥).

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٥٧/١٣).

(٢) أَيْفَعُ الْغُلَامُ: إِذَا شَارَفَ الْاِخْتِلَامَ وَلَمَّا يَحْتَلِمُ. انظر: النهاية (٢٥٨/٥).

(٣) الْأُطَمُ: بضم الهمزة: بِنَاءٌ مُرْتَفِعٌ كَالْحُصُونِ. انظر: النهاية (٥٧/١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١٩٦/١).

(٥) أخرجه ابن جبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٣٣٥)، وابن إسحاق في السيرة (٢٠٢/١).

✽ عَلَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ لِكِنِّهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ:

وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ لَمْ تَثْبُتْ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ، لِكِنِّهَا مَشْهُورَةٌ، فَمِنْهَا:

١ - أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ ﷺ ارْتَجَّ إِيْوَانُ كِسْرَى.

٢ - سَقَطَتْ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ إِيْوَانِ كِسْرَى.

٣ - خَمَدَتِ النَّارُ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا الْمَجُوسُ.

٤ - غَاصَتْ بُحَيْرَةُ «سَاوَةَ».

٥ - انْهَدَمَتِ الْمَعَابِدُ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَهَا - أَيِ: حَوْلَ بُحَيْرَةِ «سَاوَةَ» - ^(١).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أُوْرِدَ هَذِهِ الْآثَارُ الضَّعِيفَةُ: وَهَذَا الْكَلَامُ تَغْيِيرٌ غَلَطٌ عَنْ فِكْرَةٍ صَحِيحَةٍ، فَإِنَّ مِيلَادَ الرَّسُولِ ﷺ كَانَ حَقًّا إِذَا نَا بَزَوَالِ الظُّلَمِ وَانْدِثَارِ ^(٢) عَهْدِهِ، وَانْدِكَالِكَ مَعَالِمِهِ... فَلَمَّا أَحَبَّ النَّاسُ - بَعْدَ انْطِلَاقِهِمْ مِنْ قُبُودِ الْعَسْفِ ^(٣) - تَصَوِّيرَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، تَخَيَّلُوا هَذِهِ الْإِرْهَاصَاتِ ^(٤)، وَأَخَذُوا لَهَا الرُّوَايَاتِ الْوَاهِيَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنَّ نَصِيبَهُ الضَّخَمَ مِنَ الْوَاقِعِ الْمُشْرِفِ يُزْهَدُنَا فِي هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَأَشْبَاهِهَا ^(٥).

قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) أخرج ذلك الإمام الذهبي في السيرة النبوية (٤٤/١) وقال: هذا حديث منكر غريب، والبيهقي في دلائل النبوة (١٢٦/١ - ١٢٧).

قال الدكتور عبد المعطي قلعه جي محقق دلائل النبوة، للبيهقي: «وهذا حديث ليس بصحيح».

(٢) اندثَرُ: أي: بلي. انظر: لسان العرب (٢٨٩/٤).

(٣) الْعَسْفُ: الظُّلْمُ. انظر: لسان العرب (٢٠٦/٩).

(٤) إِرْهَاصَاتٌ: أي: مُقَدِّمَات. انظر: لسان العرب (٣٤٣/٥).

(٥) انظر: فقه السيرة (ص ٥٨ - ٥٩)، للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وَعَمَّتْ بِشَائِرُهُ الْبَوَادِي وَالْقَصَابَا
وَأَسَدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ يَدًا بَيْضَاءَ طَوَّقَتْ الرِّقَابَا
لَقَدْ وَضَعْتُهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا كَمَا تَلِدُ السَّمَاوَاتُ الشُّهَابَا
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نُورًا يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنُّقَابَا

❀ فَرَحُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِوِلَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ:

وَلَمَّا وَضَعْتُهُ أُمُّهُ أَمِنَتْهُ، أَرْسَلَتْ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تُخْبِرُهُ بِوِلَادَةِ
حَفِيدِهِ، فَفَرِحَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَفِيدِهِ ﷺ وَاسْتَبَشَرَ بِهِ.

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١) ﷺ يَمْدَحُ الرَّسُولَ ﷺ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرُقُ



(١) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم عمُ النبي ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الرَّسُولِ ﷺ بسنتين، وكان ﷺ من أَطْوَلِ الرِّجَالِ، وَأَحْسَنِهِمْ صُورَةً، وَأَبْهَأَهُمْ، وَأَجْهَرَهُمْ صَوْتًا، مَعَ الْحِلْمِ الْوَافِرِ، وَالسُّؤْدَةِ، وَكَانَ قَدْ وَكَّلَ إِلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ السَّقَايَةَ وَالْعِمَارَةَ، وَحَضَرَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ مَعَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَأَسْلَمَ ﷺ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَمَاتَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٣٢ هـ. انظر: أسد الغابة (٥٤٣/٢).

خِتَانُ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَأَمَّا خِتَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَالصَّحِيحُ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ جَدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَتَنَهُ يَوْمَ سَابِعِهِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاسْتِيعَابِ»، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ خَتَنَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَجَعَلَ لَهُ مَادِبَةً^(٢).

وَمَالَ كَمَالَ الدِّينِ بْنِ الْعَدِيمِ^(٣)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٤) إِلَى هَذَا، مِنْ أَنَّهُ ﷺ خَتَنَ يَوْمَ سَابِعِهِ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ. وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وُلِدَ مَخْتُونًا، فَكُلُّهَا ضَعِيفَةٌ، فَمِنْهَا:

مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا وَلَمْ يَر أَحَدٌ سَوَاتِي»^(٥).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٣٠/١١): الخِتَانُ: بكسر الخاء وفتح التاء مصدر خَتَنَ: أي: قَطَعَ، وَالْخَتْنُ: بفتح الخاء قَطْعُ بَعْضِ مَخْصُوصٍ مِنْ غُضُو مَخْصُوصٍ. وقال الماوردي فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٥٣٠/١١): خِتَانُ الذَّكَرِ: قَطْعُ الْجِلْدَةِ الَّتِي تُغْطِي الْحَشْفَةَ.

(٢) انظر: الاستيعاب (١٥١/١). (٣) انظر: زاد المعاد (٨١/١).

(٤) انظر: الاستيعاب (١٥١/١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٥٤/١)، والحبلى، رقم الحديث (٣٠٢٦)، وانظر: ضعيف الجامع، للألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٥٣١٠)، والسلسلة الضعيفة، للألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٦٢٧٠).

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ مَخْتُونًا مَسْرُورًا»^(١)، قَالَ: فَأَعْجَبَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَحَظِي عِنْدَهُ، وَقَالَ: لِيَكُونَنَّ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ^(٢).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَيْسَ إِسْنَادُ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ هَذَا بِالْقَائِمِ^(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي صِحَّتِهِ نَظَرٌ...، وَقَدْ ادَّعَى بَعْضُهُمْ صِحَّتَهُ؛ لِمَا وَرَدَ لَهُ مِنَ الطَّرُقِ حَتَّى زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ، وَفِي هَذَا كُلُّهُ نَظَرٌ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَيُقَالُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وُلِدَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا، وَرُويَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ، ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فِي «الْمَوْضُوعَاتِ» وَلَيْسَ فِيهِ حَدِيثٌ ثَابِتٌ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُوَلِّدُ مَخْتُونًا^(٥)... وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَاضِلَيْنِ، صَنَّفَ أَحَدُهُمَا مُصَنَّفًا فِي أَنَّهُ ﷺ وُلِدَ مَخْتُونًا، وَأَجْلَبَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَا خِطَامَ لَهَا وَلَا زِمَامَ، وَهُوَ كَمَالُ الدِّينِ بْنِ طَلْحَةَ، فَتَقَضَّ عَلَيْهِ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْعَدِيمِ، وَبَيَّنَّ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خُتِنَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ، وَكَانَ عُمُومُ هَذِهِ السُّنَّةِ لِلْعَرَبِ قَاطِبَةً مُغْنِيًا عَنْ نَقْلِ مُعَيَّنٍ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٦).

(١) أي: مَقْطُوعُ الْحَبْلِ السَّرِيِّ.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٨/١)، وانظر: السلسلة الضعيفة، للألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٦٢٧٠).

(٣) انظر: الاستيعاب (١٥١/١). (٤) انظر: البداية والنهاية (٦٦٨/١).

(٥) قلتُ: ممن وُلِدَ مَخْتُونًا: ابن صياد، فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٣٨٦٨٣) بسند صحيح عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ولدت له أمه مسرورًا مختونًا؛ يعني: ابن صياد.

وروى عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، رقم الحديث (٢٠٨٣١) بسند صحيح عن عروة بن الزبير قال: وُلِدَ ابْنُ صَيَّادٍ أَعُورٌ مَخْتَنًا.

(٦) انظر: زاد المعاد (٨٠/١).

وَأَمَّا مَا قَالَهَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
وُلِدَ مَخْتُونًا، مَسْرُورًا^(١)، فَقَدْ تَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَلْخِيصِهِ» بِقَوْلِهِ: لَا أَعْلَمُ
صِحَّةَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُتَوَاتِرًا.

✽ خِتَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ وَتَسْمِيَّتُهُ مُحَمَّدًا:

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ مِنْ وَلَادَتِهِ ﷺ خَتَنَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَلَى عَادَةِ
الْعَرَبِ، وَعَقَّ عَنْهُ بِكَبْشٍ، وَجَعَلَ لَهُ مَادُبَةً، وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا^(٢) ﷺ وَلَمْ يَكُنِ
الْعَرَبُ يَأْلِفُونَ هَذَا الْإِسْمَ، فَاسْتَغْرَبَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَسَأَلُوا
عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فَقَالُوا: لِمَ رَغِبْتَ بِهِ عَنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ فَأَجَابَهُمْ: أَرَدْتُ أَنْ
يَحْمَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ وَخَلُقَهُ فِي الْأَرْضِ^(٣).

وَقِيلَ سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ مُحَمَّدًا: أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسَافِرًا إِلَى الشَّامِ مَعَ
ثَلَاثَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِلتَّجَارَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الشَّامِ التَّقَوَّاهِبِ، فَسَأَلَهُمْ: مِنْ
أَيْنَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ بِلَادَكُمْ سَيَخْرُجُ مِنْهَا نَبِيٌّ،
فَسَأَلُوهُ مَا اسْمُ النَّبِيِّ قَالَ: «اسْمُهُ مُحَمَّدٌ»، وَلَمْ يَكُنْ اسْمُ مُحَمَّدٍ مَعْرُوفًا عِنْدَ
الْعَرَبِ.

فَلَمَّا رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ عَزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ رَزَقَ بِمَوْلُودٍ يُسَمِّيهِ
مُحَمَّدًا.

(١) انظر: المستدرک، للحاکم (٤٩٨/٣).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦٦٩/١): قال بعض العلماء: ألهمهم الله ﷻ أن
سموه محمدًا؛ لما فيه من الصفات الحميدة؛ لِيَلْتَقِيَ الاسم والفعل، ويتطابق الاسم
والمسمى في الصورة والمعنى، كما قال حسان بن ثابت ؓ:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِجِلَّةِ فُذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

(٣) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (١١٣/١).

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَبْرَ، فَلَمَّا رَزَقَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَدًا سَمَّاهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَمَّا
الثَّلَاثَةُ فَهُمْ: سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ سَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا، وَأَحِيحَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ سَمَّى
ابْنَهُ مُحَمَّدًا، وَحِمْرَانُ بْنُ رَبِيعَةَ سَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا، هَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى
مُحَمَّدًا فِي الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّهْلِيُّ فِي «الرَّوْضِ الْأَنْفِ»^(١).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ
نَبِيِّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفْتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأُمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنْدُ
وَأَنْذَرَنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ
وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عَمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مَنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَمَجْدُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ^(٢)



(١) انظر: الروض الأنف (١/ ٨٢٠).

وتعقبه الحافظ في الفتح (٧/ ٢٤٧) بقوله: وهذا حَضْرُ مُرْدُودٍ، وقد جَمَعْتُ أَسْمَاءَ مَنْ
تسمى بذلك في جزءٍ مفردٍ، فبلغوا نحوَ العشرين لكنْ مع تَكَرُّرٍ في بعضهم ووهِمَ في بعض
فيتلَخَّصَ منهم خَمْسَةُ عَشَرَ نَفْسًا.

(٢) انظر: ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٥٤).

رَضَاعُ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أَرْضَعَتْهُ ﷺ هِيَ أُمُّهُ أَمِينَةُ، قِيلَ: أَرْضَعَتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: سَبْعًا، وَقِيلَ: تِسْعًا. ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ثُوبَةُ^(١) لَبَنَ ابْنِ لَهَا يُقَالُ لَهُ: «مَسْرُوحٌ»^(٢)، أَرْضَعَتْهُ أَيَّامًا، قَبْلَ أَنْ تَقْدُمَ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَكَانَتْ قَدْ أَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٣) ﷺ، وَأَرْضَعَتْ بَعْدَهُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ^(٤) ﷺ. فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ، وَعَمُّهُ حَمْزَةُ، وَأَبُو سَلَمَةَ إِخْوَةً مِنَ الرَّضَاعَةِ.

(١) قال الحافظ في الفتح (١٨١/١٠): ثوبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ، ذَكَرَهَا ابْنُ مِنْدَةَ فِي الصَّحَابَةِ، وَقَالَ: اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا.

وقال في الإصابة (٦٠/٨): وفي باب من أرضع النبي ﷺ من طبقات ابن سعد (٥١/١) ما يدلُّ على أنها لم تُسَلِّمْ، ولكن لا يدفع قول ابن مندة بهذا. وقال أبو نعيم: لا نعلم أحدًا ذكر إسلامها غيره.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣١/١): ولا نعلم أحدًا ذكر أنها أسلمت.

(٢) قال الحافظ في الإصابة (٦١/٨): لم أقف في شيء من الطرق على إسلام ابنها مسروح، وهو محتمل.

(٣) هو: حمزة بن عبد المطلب أبو عَمَارَةَ، الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُمَا ثُوبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ، وَلَدَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ بَسْنَتَيْنِ، وَقِيلَ: بِأَرْبَعٍ، وَأَسْلَمَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ وَلَا زَمَ نَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهَاجَرَ مَعَهُ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ ﷺ عَلَى يَدِ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَذَلِكَ فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ. انظر: الإصابة (١٠٥/٢).

(٤) هو: عبد الله بن عبد الأسد المخزومي السَّيِّدُ الْكَبِيرُ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ بَعْدَ عَشْرَةِ أَنْفُسٍ، وَكَانَ أَخُو النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ أُمُّ بَرَّةٍ =

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ... قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا نَحَدِّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: «بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ؟»^(١)، قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي»^(٢) فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَا بِنْتُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوْبَةً، فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ»^(٣).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تَتَزَوَّجُ ابْنَةَ حَمْزَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَيَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(٤).

✽ اسْتِرْضَاعُهُ ﷺ فِي بَنِي سَعْدِ:

ثُمَّ التَّمَسَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَرَاضِعَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْثِرُونَ إِذَا وُلِدَ لَهُمْ وَلَدٌ أَنْ يَلْتَمِسُوا لَهُ مَرْضِعَةً مِنَ الْبَادِيَةِ، وَسَبَبُ التَّمَاسِ الْمَرَاضِعَ لِأَوْلَادِهِمْ أُمُورٌ، ذَكَرَهَا الْإِمَامُ السَّهْلِيُّ؛ فَمِنْهَا:

= بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، شَهِدَ بَذْرًا وَأَحَدًا وَمَاتَ بَعْدَ أَحَدِ شَهْرٍ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٤ هَجْرِيَّةٍ. انْظُرْ: أَسَدُ الْغَابَةِ (٤/٤٧٥).

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٧٩/١٠): هُوَ اسْتِفْهَامُ اسْتِثْنَاءٍ لِرَفْعِ الْإِشْكَالِ، أَوْ اسْتِفْهَامُ انْكَارٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا إِنْ كَانَ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ، فَيَكُونُ تَحْرِيمُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهَا رَبِيبَتُهُ ﷺ، وَالثَّانِي: أَنَّهَا ابْنَةُ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ.

(٢) الرَّبِيبَةُ: بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (١٦٦/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ (٢١)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥١٠١).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ ...، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٦٤٥)، وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ، بَابُ (٢١)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥١٠٠)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ،

كِتَابُ الرِّضَاعَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ ابْنَةِ الْأَخِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٤٤٧) (١٢) (١٣).

١ - لِيَنْشَأَ الطُّفْلُ فِي الْأَعْرَابِ، فَيَكُونَ أَفْصَحَ لِّلْسَانِهِ.

٢ - لِيَكُونَ أَجْلَدَ^(١) لِحِسْمِهِ، وَأَجْدَرَ أَنْ لَا يُفَارِقَ الْهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: اخْشَوْشُوا، وَاخْشَوْشُوا^(٢)، وَاخْلَوْلُوا، وَتَمَعَّدُوا^(٣) كَأَنَّكُمْ مَعَدَّ^(٤)، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنْعَمَ^(٥).

٣ - حَتَّى يَكُونَ أَنْجَبَ لِلْوَلَدِ وَأَضْفَى لِلذُّهْنِ^(٦).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رحمته الله: وَتَنْشِئَةُ الْأَوْلَادِ فِي الْبَادِيَةِ لِيَمْرَحُوا فِي كَنْفِ الطَّبِيعَةِ، وَيَسْتَمْتِعُوا بِجَوْهَا الطَّلِقِ وَشُعَاعِهَا الْمُرْسَلِ، أَدْنَى إِلَى تَرْكِيزِ الْفِطْرَةِ، وَإِنْمَاءِ الْأَعْضَاءِ وَالْمَسَاعِرِ، وَإِطْلَاقِ الْأَفْكَارِ وَالْعَوَاطِفِ، ... وَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ يَوَدُّ لَوْ تَكُونُ الطَّبِيعَةُ هِيَ الْمَعْهَدُ الْأَوَّلُ لِلطُّفْلِ حَتَّى تَتَسَقَّ مَدَارِكُهُ مَعَ حَقَائِقِ الْكَوْنِ الَّذِي وَجَدَ فِيهِ^(٧).

قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رحمته الله:

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ
حُلِيَتْ مِنْ عُظْلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسْنٍ مُنْتَظَمٍ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهِمَمِ

(١) الْجَلْدُ: بفتح الجيم: القُوَّة. انظر: النهاية (٢٧٥/١).

(٢) اخْشَوْشَبَ الرجل: إذا كان ضَلْبًا خَشِنًا فِي دِينِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَطْعَمِهِ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ. انظر: النهاية (٣١/٢).

(٣) يُقَالُ: تَمَعَّدَ الْعُلَامُ: إِذَا سَبَّ وَغَلَطَ. انظر: النهاية (٢٩١/٤).

(٤) مَعَدَّ: بفتح الميم وتشديد الدال: هِيَ قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَكَانَ أَهْلُهَا أَهْلَ غِلَظٍ، وَقَشَفٍ. انظر: النهاية (٢٩١/٤).

(٥) أَخْرَجَ قَوْلَ عُمَرَ رضي الله عنه: الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٣٩/٥)، وإسناده صحيح.

(٦) انظر: الرَّوْضُ الْأَنْفَ (٢٨٧/١).

(٧) فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي (ص ٦٠).

✽ حَدِيثُ مَوْضُوعٍ:

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» بِسَنَدٍ تَالِفٍ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ، أَنَا مِنْ قُرَيْشٍ، وَلِسَانِي لِسَانُ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ»^(١).

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ»: مَوْضُوعٌ، وَهَذَا سَنَدٌ تَالِفٌ^(٢).

✽ إِقْبَالُ الْمَرَاضِعِ:

أُقْبِلَتِ الْمَرَاضِعُ مِنَ الْبَادِيَةِ يَلْتَمِسْنَ تَرْبِيَةَ أَوْلَادِ الْأَشْرَافِ؛ فَاسْتَرْضَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِحَفِيدِهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ قَبِيلَةِ سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ، وَهِيَ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ^(٣)، وَزَوَّجَهَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، الْمُكَنَّى بِأَبِي كَبْشَةَ مِنْ نَفْسِ الْقَبِيلَةِ.

✽ قِصَّةُ حَلِيمَةَ فِي اسْتِرْضَاعِهِ ﷺ:

تَذَكَّرُ حَلِيمَةُ قِصَّةَ رِضَاعِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَتَلَتْ: خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ، فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ بِمَكَّةَ، قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ^(٤)، لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا، قَالَتْ:

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (٥٣/١)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيْرَةِ (٢٠٤/١) بِدُونِ سَنَدٍ.

(٢) انْظُرْ: السَّلْسِلَةُ الضَّعِيفَةُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٨٩)، وَأَوْرَدَهُ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٣٠٣).

(٣) هِيَ: حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ مِنْ مُضَرَ، أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَدِمَتْ مَعَ زَوْجِهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقَبَ حَنِينٍ، فَقَامَ إِلَيْهَا، وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا الْحَارِثُ ﷺ. انْظُرْ: الْإِصَابَةُ (٨٧/٨).

(٤) سَنَةُ شَهْبَاءَ: أَيُّ: ذَاتُ قَحْطٍ، وَجَذْبٍ، وَالشَّهْبَاءُ: هِيَ الْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي لَا خُضْرَةَ فِيهَا لِقَلَّةِ الْمَطَرِ. النِّهَايَةُ (٤٥٧/٢).

فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ^(١) لِي قَمَرَاءَ^(٢)، مَعَنَا شَارِفٌ^(٣) لَنَا وَاللَّهُ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ^(٤)، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيئِنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَمَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْذِيهِ وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْعَيْثَ، وَالْفَرَجَ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ فَلَقَدْ أَدَمْتُ الرَّكْبَ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجْفًا^(٥)، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأَبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا أَنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ؟ فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمْتُ مَعِيَ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنْطِلَاقَ، وَالذَّهَابَ، قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي، وَلَمْ أَخْذُ رَضِيعًا، وَاللَّهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَا أَخْذَنَّهُ، قَالَ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَهً.

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ.

قَالَتْ: فَلَمَّا أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ^(٦) فَحَلَبَ مِنْهَا وَشَرِبَ، وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشَبْعًا،

(١) الْأَتَانُ: الْحِمَارَةُ الْأَنْثَى خَاصَّةً. النِّهَايَةُ (٢٥/١).

(٢) الْقَمَرَاءُ: أَيُّ: الشَّدِيدُ الْبَيَاضُ. النِّهَايَةُ (٩٣/٤).

(٣) الشَّارِفُ: هِيَ النَّاقَةُ الْمُسِنَّةُ. النِّهَايَةُ (٤١٥/٢).

(٤) مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ: أَيُّ: مَا يَقْطُرُ مِنْهَا لَبَنٌ. النِّهَايَةُ (١٣١/١).

(٥) الْعَجْفُ: أَيُّ: الْهَزَالُ. النِّهَايَةُ (١٦٩/٣).

(٦) نَاقَةٌ حَافِلٌ: أَيُّ: كَثِيرَةُ اللَّبَنِ. النِّهَايَةُ (٣٩٣/١).

فَبِتْنَا بِخَيْرٍ لَيْلَةً، قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعْلَمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةً، لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي، فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتُ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمْرِهِمْ حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلَنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوَيْبٍ، وَيَحَكِّ أُرْبِعِي عَلَيْنَا^(١)، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا؟

فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ، فَيَقْلَنَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا.

قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ^(٢) مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنًا، فَتَحْلِبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُغَيَانِهِمْ: وَيَلْكُمُ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةَ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبَّنًا^(٣).

(١) أُرْبِعِي: أَي: ارفقي واقتصري. النهاية (١٧٢/٢).

(٢) يُقَالُ أَرْضٌ جَدْبَاءُ: أَي: لَا نَبَاتَ بِهَا. انظر: النهاية (٢٣٥/١).

(٣) أَخْرَجَ قِصَّةَ اسْتِرْضَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ:

ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٣٣٥) بإسناد منقطع، وابن إسحاق في السيرة (١/ ١٩٩) وجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الذَّهَبِيُّ فِي سِيرَتِهِ (١/ ٥٢).

وَضَعَفَ الْأَلْبَانِيُّ هَذَا الْخَبَرَ فِي كِتَابِهِ «دِفَاعٌ عَنِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالسِّيَرَةِ».

قُلْتُ: وَهَنَ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدُلُّ عَلَى اسْتِرْضَاعِ الرَّسُولِ ﷺ فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ مِنْهَا: * مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٢) (٢٦١)، فِي قِصَّةِ شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ وَهُوَ غُلَامٌ، وَهِيَ تَتَّفَقُ مَعَ رَوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٦٤٨)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٢٨٨)، وَابْنُ إِسْحَاقَ (٢٠١/١) بِسَنَدٍ حَسَنٍ فِي شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ.

* وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ (٢٠٣/١)، وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (٦٧٩/٢) بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قَوِيٍّ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ =

فَهَذِهِ مِنْ بَرَكََةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، وَزَوْجِهَا الْحَارِثِ.
وَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ ﷺ وَفَطَمَتْهُ
وَكَانَ ﷺ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يُشَبِّهُ الْغُلَمَانَ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ عَلَامًا كَأَنَّهُ
ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ.

قَالَتْ حَلِيمَةُ ﷺ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يُرِينَا الْبَرَكََةَ وَنَتَعَرَّفُهَا، حَتَّى
بَلَغَ ﷺ سَنَتَيْنِ، فَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يُشَبِّهُ الْغُلَمَانَ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: فَكَانَ ﷺ يَشِبُّ فِي يَوْمِهِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي الشَّهْرِ
وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي سَنَةٍ^(٢).
قَالَ الْبَرْدُونِيُّ:

وَشَبَّ طِفْلُ الْهُدَى الْمَنْشُودِ مُتَزَرًّا بِالْحَقِّ مُتَشَحًّا^(٣) بِالنُّورِ وَالنَّارِ
فِي كَفِّهِ شُعْلَةٌ تَهْدِي وَفِي فَمِهِ بُشْرَى وَفِي عَيْنَيْهِ إِضْرَارُ أَقْدَارِ
وَفِي مَلَامِحِهِ وَعَدُّ وَفِي دَمِهِ بُطُولَةٌ تَتَحَدَّى كُلَّ جَبَّارٍ^(٤)

= قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا دعوة أبي إبراهيم،
وبُشْرَى عيسى عليه السلام، ورأيت أمي حيثُ حَمَلَتْ بي أنه خرج منها نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ
السَّامِ، وَاسْتَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ...».

* ومنها: ما رواه ابن إسحاق في السيرة (١٤١/٤) بسند حسن في قِصَّةِ قُدُومِ وَفْدِ هَوَازِنَ
إِلَى الرَّسُولِ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرِّفُهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَلَفْظُهُ: ... فقام رجل من هَوَازِنَ، ثُمَّ أَحَدُ
بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا فِي الْحَطَايِرِ - أَي: الْأَسْرِ - عَمَاتُكَ وَخَالَاتُكَ
وَحَوَاضَتُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلُنَّكَ.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب صفته ﷺ وأخباره، رقم الحديث
(٦٣٣٥)، وإسناده منقطع، لكن للقِصَّةِ شواهد كثيرة ثابتة صحيحة كما مرَّ قبل قليل.

(٢) انظر: السيرة النبوية، للذهبي (٥١/١).

(٣) تَوَشَّحَ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ: إِذَا لَبَسَهُ. انظر: لسان العرب (٣٠٦/١٥).

(٤) انظر: ديوان البردوني (ص ٥٠٧).

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ زَائِرِينَ لَهَا، وَنَحْنُ أَخْرَصُ شَيْءٍ عَلَى
 مُكُّهِ فِينَا، لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ، وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكَتِ بُنَيَّ
 عِنْدِي حَتَّى يَغْلَظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ.
 قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتهُ مَعَنَا^(١).
 وَهَكَذَا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ.



(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢٠١/١)، السيرة النبوية، للذهبي (٥١/١)، وجود الذهبي إسناده.



حَادِثَةُ شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ

وَقَعَتْ حَادِثَةُ شَقِّ صَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَالْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدٍ بِنْتُ بَكْرِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ^(١) لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي، اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمَّنَا^(٢)، فَانْطَلَقَ أَخِي، وَمَكَّثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ، كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهْوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَتَبَدَّرَانِي^(٣)، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا، فَشَقَّ بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءٍ ثَلَجٍ، فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرْدٍ، فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ، فَذَرَّاهَا^(٤) فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حُصِّهِ، فَحَاصَهُ^(٥)، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ... ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرَّقْتُ^(٦) فَرَقًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي

(١) الْبَهْمُ: بفتح الباء: جَمْعُ بَهْمَةٍ، وَهِيَ وَلَدُ الضَّأْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. انظر: النهاية (١/١٦٥).

(٢) هِيَ: حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) تَبَادَرُ الْقَوْمُ: أَسْرَعُوا. انظر: لسان العرب (١/٣٤٠).

(٤) ذَرَّاهَا: أَي: نَثَرَهَا.

(٥) حَاصَّهُ: خَاطَلَهُ. انظر: لسان العرب (٣/٣٩٤).

(٦) الْفَرَقُ: بِالتَّحْرِيكِ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ. انظر: النهاية (٣/٣٩٢).

فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ الْبَسَ (١) بِي، قَالَتْ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ، فَرَحَلْتُ بَعِيرًا لَهَا، وَحَمَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي حَتَّى بَلَّغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي؟ وَحَدَّثْتَهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ، وَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَاهُ جَبْرِيلُ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصْرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ (٣)، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظَهْرَهُ (٤)، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُتَتَفِعٌ (٥) اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ (٦).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَالْحِكْمَةُ مِنْ شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ وَهُوَ صَغِيرٌ: نَزَعُ الْعِلْقَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي مِنْ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْ كُلِّ بَشَرٍ، ثُمَّ إِخْرَاجُهَا بَعْدَ خَلْقِهَا كَرَامَةِ رَبَّانِيَّةٍ، فَهُوَ أَدْلُ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الرَّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَبِنَزْعِهَا مِنْهُ نَشَأَ ﷺ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ (٧).

(١) الْبَسَ: أَي: خُوِلِطْتُ فِي عَقْلِي. انظر: النهاية (١٩٦/٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٦٤٨)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٢٨٨)، وَأَوْرَدَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي سِيرَتِهِ (٥٢/١)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ (٢٠٣/١) عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (٦٧٩/٢)، وَقَالَ: وَهَذَا إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِي.

(٣) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٨٧/١): أَي: جَمَعَهُ وَضَمَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

(٤) الظُّنُّ: الْمُرْضِعَةُ غَيْرُ وَلَدِهَا. انظر: النهاية (١٤٠/٣).

(٥) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٨٧/١): مُتَتَفِعٌ اللَّوْنُ: أَي: مُتَغَيَّرُ اللَّوْنِ.

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٢) (٢٦١).

(٧) انظر: فتح الباري (٦٠٤/٧).

❖ عُمَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا شُقَّ صَدْرُهُ:

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ عُمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا شُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفُ، ابْنُ سَتَيْنِ، وَلَفْظُهُ: قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمْ يَبْلُغْ سَتَيْنِهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا^(١).
وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»: أَنَّ عُمَرَهُ ﷺ عِنْدَمَا شُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفُ، أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ، وَلَفْظُهُ: قَالَتْ حَلِيمَةُ: وَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعَ سِنِينَ كَانَ يَغْدُو مَعَ أَخِيهِ وَأُخْتِهِ فِي الْبَهْمِ...^(٢).

قَالَ الرَّزْقَانِيُّ فِي «شَرْحِ الْمَوَاهِبِ»: وَالرَّاجِحُ أَنَّ شُقَّ صَدْرِهِ ﷺ كَانَ فِي الرَّابِعَةِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي نَظْمِ السَّيْرَةِ^(٣)، وَتَلْمِيزُهُ الْحَافِظُ ابْنَ حَجَرٍ فِي سِيرَتِهِ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ مُفِيدَةٌ^(٤).

❖ تَكَرَّرَ شُقُّ الصَّدْرِ:

وَقَدْ تَكَرَّرَ شُقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ غَيْرَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، فَمِنْهَا:

الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ: وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ جَرِيئًا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَسْأَلُ عَنْهَا غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَوَّلُ مَا رَأَيْتَ مِنْ أَمْرِ النَّبُوَّةِ؟

(١) اسْتَجَفَرَ الصَّبِيُّ: إِذَا قَوِيَ عَلَى الْأَكْلِ، وَأَصْلُهُ فِي أَوْلَادِ الْمَعْرِ إِذَا بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَفُصِّلَ عَنْ أُمِّهِ، وَأَخَذَ فِي الرَّعْيِ، قِيلَ لَهُ: جَفْرًا. انظر: النهاية (٢٦٨/١).

انظر الخبر في: سيرة ابن هشام (٢٠١/١).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥٣/١).

(٣) وَلَفْظُهُ:

أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا أَرْبَعَةَ سِنِينَ تَجَنَّبَ سَعْدَهَا
وَحِينَ شُقَّ صَدْرُهُ جَبْرِيلُ خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَّثًا يَوْوُلُ

(٤) انظر: شرح المواهب (٢٨٢/١).

فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي لَفِي صَحْرَاءٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهَرٍ، وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهْوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهِ لَمْ أَرَهَا لِخَلْقٍ قَطُّ، وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْشِيَانِ، حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَعْضِي^(١)، لَا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضَجِّعُهُ، فَأَضَجَعَانِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: افْلُقْ^(٢) صَدْرَهُ، فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي، فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ، ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: ادْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ، ثُمَّ هَزَّ إِبْهَامَ رِجْلِي الْيُمْنَى، فَقَالَ: اغْدُ وَاسْلَمْ، فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو بِهِ رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ»^(٣).

المرَّةُ الثَّالِثَةُ: عِنْدَ الْمَبْعَثِ:

رَوَى الطَّبَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... هَبَطَ جِبْرِيلُ ﷺ إِلَى الْأَرْضِ، فَسَلَقَنِي لِحَلَاوَةِ الْقَفَا^(٤)، وَشَقَّ عَنْ بَطْنِي، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهِ، ثُمَّ كَفَّانِي كَمَا يَكْفَأُ الْإِنَاءُ، ثُمَّ خَتَمَ فِي ظَهْرِي حَتَّى وَجَدْتُ مَسَّ الْحَاثِمِ، ثُمَّ قَالَ لِي: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾، وَلَمْ أَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ»^(٥).

(١) الْعَضُدُ: مَا بَيْنَ الْكَتِفِ وَالْمَرْفِقِ. انظر: النهاية (٣/٢٢٨).

(٢) الْفَلْقُ: الشَّقُّ. انظر: النهاية (٣/٤٢٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢١٢٦١).

(٤) سَلَقَنِي لِحَلَاوَةِ الْقَفَا: أَي: أَضَجَعَنِي عَلَى وَسْطِ الْقَفَا، لَمْ يَمِلْ بِي إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ.

انظر: النهاية (١/٤١٨).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٤٣).

المرّة الرابعة: عند الإسراء والمعراج:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَعَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَقْرَعَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَقَرَعَ بِي إِلَى السَّمَاءِ...» وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ ^(٢).

وَيَتَرَجَّحُ لَدَيْنَا - بَعْدَ دِرَاسَةِ أَسَانِيدِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ - أَنَّ الَّذِي صَحَّ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ - أَيُّ: حَادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ - أَنَّهَا وَقَعَتْ لَهُ ﷺ مَرَّتَيْنِ:

الأولى: وَهُوَ صَغِيرٌ عِنْدَ ظُهُرِهِ فِي بَنِي سَعْدٍ، كَمَا فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثانية: فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَجَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْقَلْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ مِمَّا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ دُونَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فُرِضَتِ الصَّلَوَاتُ فِي الْإِسْرَاءِ؟ رقم الحديث (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، رقم الحديث (١٦٣).

ورواه البخاري في صحيحه من طريق مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، رقم الحديث (١٦٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/٦٠٤). (٣) انظر: الموسوعة الحديثية (١٩/٢٥٢).

التَّعَرُّضِ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِصَلَاحِيَةِ الْقُدْرَةِ، فَلَا يَسْتَحِيلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ^(١).
وَلَعَلَّ أَحَادِيثَ شَقِّ الصَّدْرِ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَصَانَاتِ الَّتِي أَضْفَاهَا اللَّهُ
عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَجَعَلَتْهُ مِنْ طُفُولَتِهِ بِنَجْوَةٍ قَصِيَّةٍ عَنْ مَزَالِقِ الطَّنَعِ الْإِنْسَانِيِّ،
وَمَفَاتِنِ الْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ^(٢).

❁ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ:

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةٍ لَحْمٍ نَاتِيَةٍ، عَلَيْهَا شَعْرٌ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ ﷺ،
حَجْمُهَا قَدْرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ^(٣).

وَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي يُعْرَفُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، هُوَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِهِ ﷺ
النَّبَوِيَّةِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ، وَقِصَّةُ
إِسْلَامِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ، كَمَا سَيَأْتِي.

وَهَذَا الْخَاتَمُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا حِينَ وُلِدَ ﷺ، وَإِنَّمَا تَكَوَّنَ بَعْدَ الْوِلَادَةِ،
وَأَنَّهُ عَلَى الْأَصَحِّ كَانَ بَعْدَ حَادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ، وَهُوَ صَغِيرٌ ﷺ^(٤).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالسَّرُّ فِي وَضْعِ الْخَاتَمِ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ ﷺ أَنَّ الْقَلْبَ
فِي تِلْكَ الْجِهَةِ؛ وَلَآئِذَا ﷺ مَعْصُومٌ مِنَ وَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ
يَدْخُلُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ^(٥).

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ الْعَوْقِيِّ،
قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ خَاتَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي: خَاتَمَ
النُّبُوَّةِ - فَقَالَ: كَانَ فِي ظَهْرِهِ بِضْعَةٌ نَاشِرَةٌ^(٦).

(١) انظر: فتح الباري (٧/٦٠٥).

(٢) انظر: فقه السيرة (ص ٦٣)، للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) انظر: فتح الباري (٧/٢٥٤). (٤) انظر: المرجع السابق (٧/٢٥٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (٧/٢٥٦)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/٢٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي (٨/٨٠).

(٦) بِضْعَةٌ نَاشِرَةٌ: أَي: قِطْعَةٌ لَحْمٍ مُرْتَفَعَةٌ عَنِ الْجِسْمِ. انظر: النهاية (٥/٤٨).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَهَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضْؤِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ^(٢).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا. أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا، ... قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاغِضٍ^(٣) كَتِفِهِ الْيُسْرَى، جُمُعًا^(٤) عَلَيْهِ خَيْلَانُ^(٥) كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ^(٦).

= الحديث أخرجه الترمذي في: الشمائل، رقم الحديث (٢٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة، للألباني رحمته الله، رقم الحديث (٢٠٩٣).

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٨/٨٠): الْحَجَلَةُ: واحدة الحِجَالِ، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعُرَى هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبوة، رقم الحديث (٣٥٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته، رقم الحديث (٢٣٤٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته، رقم الحديث (٢٣٤٥).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٨٠/١٥): النَاغِضُ: هو أعلى الْكَتِفِ.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٨٠/١٥): جُمُعًا: فمعناه: كجمع الْكَفِّ وهو صُورته بعد أن تُجَمَعَ الأصابع وتَضُمُّهَا.

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٨٠/١٥): الْخَيْلَانُ: جمع خَالٍ وهو الشَّامَةُ في الجسد.

(٦) الثَّالِيلُ: جمع ثُلُولٍ: وهو هذه الْحَبَّةُ التي تَظْهَرُ في الجلد كالحَمَصَةِ فما دونها. انظر: النهاية (٢٠٠/١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْتَرِبْ مِنِّي»، فَأَقْتَرَبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «أَدْخِلْ يَدَكَ، فَاْمْسَحْ ظَهْرِي».

قَالَ: فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي قَمِيصِهِ، فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ، فَوَقَعَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ بَيْنَ إِصْبَعَيَّ، قَالَ: فَسُئِلَ عَنْ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ؟ فَقَالَ: شَعْرَاتٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَعْرٌ مُجْتَمِعٌ عِنْدَ كَتِفَيْهِ^(١).

❁ رَوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ:

رَوَى ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الْبُنْدُوقَةِ مِنْ لَحْمٍ، عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهَا - الْخَاتَمَ - كَانَتْ كَأَثَرِ مِحْجَمٍ^(٣)، أَوْ كَالسَّامَةِ السَّوْدَاءِ، أَوْ الْخَضِرَاءِ، أَوْ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، أَوْ «سِرٌّ فَأَنْتَ مَنْصُورٌ»، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَثْبُتْ مِنْهَا

= والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته، رقم الحديث (٢٣٤٦)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٧٧٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٧٣٢)، والحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٤٢٥٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب صفة رسول الله ﷺ وأخباره، رقم الحديث (٦٣٠٢).

(٣) الْمِحْجَمُ: بكسر الميم: الآلة التي يجتمع فيها دُمُ الْحِجَامَةِ عِنْدَ الْمَصِّ. انظر: النهاية (١/٣٣٥).

شَيْءٌ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا وَقَعَ مِنْهَا فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»، فَإِنَّهُ عَقَلَ حَيْثُ صَحَّحَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

✽ عَوْدَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أُمِّهِ الْحُنُونِ آمَنَةَ:

وَبَعْدَ حَادِثِ شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ خَشِيتُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّتُهُ إِلَى أُمِّهِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ ﷺ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ سَنَوَاتٍ.

قَالَتْ حَلِيمَةُ: قَالَ لِي أَبُوهُ (أَيُّ: زَوْجُهَا الْحَارِثُ): يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعُلَامُ قَدْ أَصِيبَ، فَأَلْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ.

قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ آمَنَةُ لِحَلِيمَةَ: مَا أَقْدَمَكَ بِهِ، وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ، وَعَلَى مُكَيْتِهِ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ حَلِيمَةُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ، وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَأَدَيْتُهُ إِلَيْكَ كَمَا تُحِبُّ، فَقَالَتْ آمَنَةُ: مَا هَذَا شَأْنُكَ، فَأُصْدِقْنِي خَبْرَكَ.

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمْ تَدْعِنِي حَتَّى أَخْبَرْتُهَا، فَقَالَتْ آمَنَةُ: أَفَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟

قَالَتْ حَلِيمَةُ: نَعَمْ، فَقَالَتْ آمَنَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنَّ لَابْنِي لَشَأْنًا دَعِيهِ عَنْكَ^(٢).

✽ وَفَاةُ آمَنَةَ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ:

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ سِتَّ سِنِينَ تُوفِّيَتْ وَالِدَتُهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ بِالْأَبْوَاءِ^(٣)، وَهِيَ

(١) انظر: فتح الباري (٢٥٦/٧).

(٢) أخرج قصة استرضاع رسول الله ﷺ عند حليلة السعدية: ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٣٣٥)، وابن إسحاق في السيرة (٢٠٢/١)، وسندها منقطع، لكن للقصة شواهد صحيحة - كما ذكرنا - تدل على صحة القصة.

(٣) الْأَبْوَاءُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ: لَتَبَوُّءِ السُّيُولِ بِهَا، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْفُرْعِ مِنَ الْمَدِينَةِ، بَيْنَهَا =

رَاجِعَةً بِهِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ زِيَارَةِ قَامَتْ بِهَا مَعَهُ ﷺ إِلَى أَخْوَالِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،
بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ تُوفِّيتُ أُمُّهُ ﷺ أَمْنَةً بِنْتُ وَهْبٍ وَلَهُ مِنْ
الْعُمُرِ سِتُّ سِنِينَ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا خِلَافَ أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
«بِالْأَبْوَاءِ» مُنْصَرَفَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِهِ، وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ
سِنِينَ^(٣).

❁ زِيَارَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْرِ أُمِّهِ:

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ قَبْرَ أُمِّهِ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، ثُمَّ
قَالَ: «إِسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا،
فَأَذَنْ لِي»^(٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ
بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ بِنَا، وَنَحْنُ مَعَهُ قَرِيبٌ
مِنْ أَلْفِ رَاكِبٍ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ^(٥)،

= وَبَيْنَ الْجُحْفَةِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ مِيلًا، وَقِيلَ: الْأَبْوَاءُ جَبَلٌ عَلَى يَمِينِ آرَةَ،
وَيَمِينِ الطَّرِيقِ لِلْمَصْعَدِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهَنَّاكَ بَلَدٌ يُنْسَبُ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ. انظر:
معجم البلدان (٧٣/١).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢٠٤/١). (٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٦/٨).

(٣) انظر: زاد المعاد (٧٥/١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷺ في زيارة قبر
أمه، رقم الحديث (٩٧٦)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٩٦٨٨).

(٥) ذَرَفَتِ الْعَيْنُ: إِذَا جَرَى دَمْعُهَا. انظر: النهاية (١٤٧/٢).

فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَدَّاهُ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
مَا لَكَ؟

قَالَ ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي فِي الْإِسْتِغْفَارِ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَدَمَعَتْ
عَيْنَايَ رَحْمَةً لَهَا مِنَ النَّارِ»^(١).



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٠٠٣).



كَفَالَةُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

لَمَّا تُوفِّيتْ أَمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ أُمَّ النَّبِيِّ ﷺ رَجَعَتْ أُمُّ أَيْمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَضَمَّمَهُ، وَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَرَقَّ عَلَيْهِ رِقَّةٌ لَمْ يَرَقَّهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ، وَكَانَ يُقَرِّبُهُ مِنْهُ وَيُذْنِيهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ إِذَا خَلَا، وَإِذَا نَامَ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا قَالَ: عَلَيَّ بِابْنِي فَيُؤْتَى بِهِ ﷺ إِلَيْهِ^(١).

❁ قِصَّةٌ تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ مَحَبَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِلرَّسُولِ ﷺ:

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ عَنْ كُنْدِيرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَجَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَهُوَ يَرْتَجِرُ، وَيَقُولُ:

رَبِّ رُدِّ إِلَيَّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهُ إِلَيَّ وَاضْطَنِعْ عِنْدِي يَدًا
فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقَالُوا: عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، بَعَثَ بِابْنِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ، وَلَمْ يَبْعَثْهُ فِي حَاجَةٍ إِلَّا أَنْجَحَ^(٢) فِيهَا، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ مُحَمَّدٌ وَالْإِبِلُ، فَاعْتَنَقَهُ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَقَدْ جَزَعْتُ عَلَيْكَ جَزَعًا لَمْ أَجْزِعْهُ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لَا أَبْعَثُكَ فِي حَاجَةٍ أَبَدًا، وَلَا تُفَارِقُنِي بَعْدَ هَذَا أَبَدًا^(٣).

(١) انظر: الطبقات، لابن سعد (١/٥٥).

(٢) أَنْجَحَتْ حَاجَتَهُ: إِذَا قَضَيْتَهَا لَهُ. انظر: لسان العرب (٤٤/١٤).

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٢٤٠)، وَصَحَّحَهُ.

❖ جُلُوسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فِرَاشِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

وَكَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فِرَاشٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفَرٌ، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخِّرُوهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: دَعُوا ابْنِي يَجْلِسُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيَسْرُهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ^(١).

❖ وَفَاةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

وَلَمَّا بَلَغَ الرَّسُولُ ﷺ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ تُوفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ كَانَ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ﷺ ثَمَانِ سِنِينَ^(٢).
وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَتُوفِّيَ وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوُ ثَمَانِ سِنِينَ^(٣).

❖ كَفَالَةُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

أَوْصَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَلَدَهُ أَبَا طَالِبٍ بِكَفَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحِفْظِهِ، وَحَيَاطَتِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَالِدَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدٍ، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ بِحَقِّ ابْنِ أَخِيهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَضَمَّهُ إِلَى وَلَدِهِ؛ بَلْ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ^(٤).

(١) أخرج ذلك: البيهقي في دلائل النبوة (٢٢/٢)، وابن إسحاق في السيرة (٢٠٥/١)،

وإسناده حسن.

(٢) انظر: زاد المعاد (٧٥/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٦/٨).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢١٦/١).

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوَفِّي عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَبْضَ أَبُو طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَكَانَ يَكُونُ مَعَهُ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ لَا مَالَ لَهُ، وَكَانَ يُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حُبًّا شَدِيدًا لَا يُحِبُّهُ وَلَدُهُ، وَكَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا إِلَى جَنْبِهِ، وَيَخْرُجُ فَيَخْرُجُ مَعَهُ، وَكَانَ يَخْصُهُ بِالطَّعَامِ، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ جَمِيعًا، أَوْ فُرَادَى لَمْ يَشْبَعُوا، وَإِذَا أَكَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَبِعُوا، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُغْذِيَهُمْ قَالَ: كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى يَخْضَرَ ابْنِي، فَيَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ^(١).

✽ سَفَرُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الشَّامِ مَعَ عَمِّهِ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاحٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا^(٢) عَلَى الرَّاهِبِ^(٣) - يَعْنِي: بَحِيرًا^(٤) - هَبَطُوا^(٥)، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: وَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ

(١) انظر: الطبقات، لابن سعد (٥٦/١)، وسندها ضعيف، لكن لِحُبِّ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قصصًا صحيحة، منها: مَا ظَهَرَ فِي قِصَّةِ بَحِيرَا الرَّاهِبِ، كَمَا سَيَأْتِي.

(٢) شَارَفَ الشَّيْءُ: دَنَا مِنْهُ وَقَارَبَ أَنْ يَطْفَرَّ بِهِ. انظر: لسان العرب (٩١/٧).

(٣) قَالَ السَّهْلِيُّ فِي الرُّوْضِ الْأَنْفِ (٣١٣/١): وَقَعَ فِي سِيرَةِ الْإِمَامِ الزَّهْرِيِّ: أَنَّ بَحِيرَا كَانَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ تَيْمَاءَ.

وتعقبه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦٩١/٢) وقال: الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ سِيَاقِ الْقِصَّةِ، أَنَّهُ كَانَ رَاهِبًا نَصْرَانِيًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ (٤٠٥/١): بَحِيرَا بَفَتْحِ الْبَاءِ وَكسْرِ الْحَاءِ.

قلت: جَزَمَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الْاِعْتِدَالِ (٢٢٢/٣)، فِي تَرْجُمَةِ سَعِيدِ بْنِ عَقْبَةَ: بِأَنَّ بَحِيرَا لَمْ يُدْرِكِ الْبُعْتَةَ، وَأَقْرَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ (٢٨٣/٣).

(٥) هَبَطُوا: أَي: نَزَلُوا. انظر: لسان العرب (١٨/١٥).

فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عَلِمُكَ؟ قَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ^(١)، لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفٍ^(٢) كَتِفِهِ مِثْلَ الثُّفَاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ، وَكَانَ هُوَ - أَيُّ: الرَّسُولُ ﷺ - فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ - أَيُّ: إِلَى الرَّسُولِ ﷺ - فَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ، وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ^(٣) الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالَ فِيءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ بِحِيرًا: انْظُرُوا إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَمَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةِ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟

قَالُوا: جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأَنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبْرَهُ، فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟

قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبْرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ، وَأَقَامُوا مَعَهُ عِنْدَهُ.

قَالَ: فَقَالَ الرَّاهِبُ بِحِيرًا: أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟

(١) الْعَقَبَةُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ. انظر: لسان العرب (٣٠٦/٩).

(٢) غُضْرُوفُ الْكَتِفِ: هُوَ رَأْسُ لَوْحِهِ. انظر: النهاية (٣٣٣/٣).

(٣) الْفِيءُ: الظِّلُّ. انظر: لسان العرب (٣٦٠/١٠).

قال أَبُو طَالِبٍ: فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ وَبِلَالًا رضي الله عنهما، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ ^(١).

❖ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْحَدِيثِ:

اختلف العلماء في تصحيح هذا الحديث، فقد حسنه الترمذي، وصححه الحافظ في «الإصابة»، والحافظ ابن كثير ^(٢)، والحاكم ^(٣)، والألباني ^(٤).

قال الحافظ في «الإصابة»: الحديث رجاله ثقات، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة - وهي ذكر أبي بكر وبلال رضي الله عنهما - فتحمل على أنها مدرجة فيه مقطعة من حديث آخر، وهما من أحد روايته ^(٥).

وقال ابن القيم: وقع في كتاب الترمذي، وغيره أنه بعث معه بلالًا رضي الله عنه، وهو من الغلط الواضح، فإن بلالًا رضي الله عنه إذ ذاك لعله لم يكن موجودًا، وإن كان، فلم يكن مع عمه، ولا مع أبي بكر رضي الله عنه ^(٦).

❖ إنكار الإمام الذهبي لهذه القصة:

أما الإمام الذهبي فقد أنكر الحديث، فقال: وهو حديث منكر جدًا، وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بستين

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٩٤٨).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (٤٩/١): إسناده رجاله كلهم ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٤٢٨٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) انظر: كتاب دفاع عن الحديث النبوي والسيرة (ص ٦٢ - ٧٢).

(٥) انظر: الإصابة (٤٧٦/١). (٦) انظر: زاد المعاد (١/٧٥).

وَنَضْفِ، وَأَيْنَ كَانَ بِلَالٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَشْتَرِهِ إِلَّا بَعْدَ الْمَبْعَثِ، وَلَمْ يَكُنْ وُلْدَ بَعْدُ، وَأَيْضًا، فَإِذَا كَانَ عَلَيْهِ عَمَامَةٌ تُظْلُهُ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَمِيلَ فِيءُ الشَّجَرَةِ؟

لَأنَّ ظِلَّ الْعَمَامَةِ يَغْدُمُ فِيءَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَزَلَ تَحْتَهَا، وَلَمْ نَرَ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ أَبَا طَالِبٍ قَطُّ يَقُولُ الرَّاهِبِ، وَلَا تَذَاكُرُهُ قُرَيْشٌ، وَلَا حَكَنَهُ أَوْلِيَاكَ الْأَشْيَاخُ، مَعَ تَوْفُرِ هَمِيمِهِمْ وَدَوَاعِيهِمْ عَلَى حِكَايَةِ مِثْلِ ذَلِكَ، فَلَوْ وَقَعَ لَأَشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ أَيْمًا اشْتَهَارَ، وَلَبَقِيَ عِنْدَهُ ﷺ حِسُّ النُّبُوَّةِ، وَلَمَّا أَنْكَرَ مَجِيءَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ أَوَّلًا بِغَارِ حِرَاءٍ، وَأَتَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَائِفًا عَلَى عَقْلِهِ... وَأَيْضًا فَلَوْ أَثَّرَ هَذَا الْخَوْفُ فِي أَبِي طَالِبٍ وَرَدَّهُ، كَيْفَ كَانَتْ تَطْيِبُ نَفْسُهُ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنَ السَّفَرِ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا لِحَدِيجَةَ؟

وَفِي الْحَدِيثِ أَلْفَاظٌ مُنْكَرَةٌ، تُشَبِّهُ أَلْفَاظَ الطَّرِيقَةِ^(١)، مَعَ أَنَّ ابْنَ عَائِدٍ قَدْ رَوَى مَعْنَاهُ فِي مَعَاذِرِهِ دُونَ قَوْلِهِ: وَبَعَثَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ وَبِلَالًا^(٢).

قُلْتُ: وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ^(٣) بِنَحْوِ سِيَاقِ التِّرْمِذِيِّ، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَكِنَّهَا بِدُونِ سَنَدٍ، فَيُسْتَأْنَسُ بِرَوَايَتِهِ لِإِمَامَتِهِ فِي الْمَعَاذِرِ.

وَرَحِمَ اللَّهُ أَحْمَدَ شَوْقِي حَيْثُ قَالَ:

لَمَّا رَأَاهُ بَحِيرًا قَالَ نَعْرِفُهُ بِمَا حَفِظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسِّيمِ^(٤)

(١) الطَّرِيقَةُ: هُمُ الصُّوفِيَّةُ.

(٢) انظر: السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ، لِلإِمَامِ الذَّهَبِيِّ (٥٨/١).

(٣) انظر: سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٢١٧/١).

(٤) السِّيمُ: جَمْعُ سِيمَةٍ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ. انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ (٤٤١/٦).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَتْحِ آيَةُ (٢٩): ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

❀ رَعِيَهُ ﷺ لِلْغَنَمِ:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»: وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ لَا مَالَ لَهُ^(١).

فَلَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ بَدَأَ سَعِيَّهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَقَدْ اشْتَغَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صِبَاهُ بِرَعْيِ الْغَنَمِ، وَرَعَاَهَا لِبَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَبِذَلِكَ ضَرَبَ مَثَلًا عَالِيًا مِنْ صِغَرِهِ فِي اكْتِسَابِ الرِّزْقِ بِالْكَدِّ، وَالتَّعَبِ.

قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِي شَبَابِهِ لَا يَدْعُ الرِّزْقَ وَطَرَقَ بَابَهُ
أَيُّ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ قَبْلَهُ لَمْ يَطْلُبِ الرِّزْقَ وَيَبْنِغْ سُبُلَهُ؟
مُوسَى الْكَلِيمُ اسْتَوْجَرَ اسْتِئْجَارًا وَكَانَ عِيسَى^(٢) فِي الصَّبَا نَجَّارًا
رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟
فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ^(٣) لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ
صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِةَ بِنِ حَزْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ مُوسَى وَهُوَ رَاعِي
غَنَمٍ، وَبُعِثْتُ دَاوُدُ وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ، وَبُعِثْتُ أَنَا، وَأَنَا أَرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِي بِأَجْيَادٍ»^(٥).

(١) انظر: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، لابن سعد (٥٦/١).

(٢) لَمْ يَبْنِغْ أَنْ عِيسَى ﷺ كَانَ نَجَّارًا، وَإِنَّمَا كَانَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ عَنْهُ:
أَنَّهُ يَشْفِي الْمَرْضَى، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَتَبَيَّنَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٣٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا».

(٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٩٩/٥): الْقَيْرَاطُ: هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ الْإِجَارَةِ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٢٦٢).

(٥) أَجْيَادٌ: بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْجِيمِ، جَبَلٌ بِمَكَّةَ. انظر: النِّهَايَةُ (٣١/١).

❁ الْحِكْمَةُ فِي رَعْيِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ لِلْغَنَمِ:

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ أَمُورٌ، مِنْهَا:

١ - أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يَكْفُلُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ.

٢ - أَنَّ فِي مُحَالَظَتِهَا مَا يُحْصَلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمَعَهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى، وَنَقَلَهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ، وَدَفَعَ عَدْوَهَا مِنْ سَيْحٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ، وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا، وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا، وَاحْتِيَاجَهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلْفَوْا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا فَجَبَرُوا كَسْرَهَا، وَرَفَقُوا بِضَعْفِهَا، وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا، فَيَكُونُ تَحْمُلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلُ مِمَّا لَوْ كَلَّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَمِ.

٣ - خُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ؛ لِكُونِهَا أَوْضَعَفَ مِنْ غَيْرِهَا؛ وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ؛ لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ، وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا، فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا.

٤ - أَنَّ فِيهِ كَسْبًا مَادِّيًّا مِنْ عَمَلِ الْيَدِ، وَأَفْضَلَ الْكَسْبِ مَا كَانَ مِنْ عَمَلِ الْيَدِ.

فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبِ الْكِنْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلُ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا»^(١)

= والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٤٥٠)، والطيالسي في مسنده، رقم الحديث (١٤٠٧).

(١) قال الحافظ في الفتح (٢٦/٥): المراد بالخَيْرِيَّةِ مَا يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ بِالْيَدِ مِنَ الْغَنَى عَنِ النَّاسِ.

مَنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(١).

٥ - وفي ذكرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ عَظِيمِ التَّوَاضُّعِ لِرَبِّهِ، وَالتَّصَرُّحِ بِمَنْتِهِ عَلَيْهِ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ^(٢).

❀ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي الْحَدِيثِ:

١ - فَضْلُ الْعَمَلِ بِالْيَدِ، وَتَقْدِيمُ مَا يُبَاشِرُهُ الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ عَلَى مَا يُبَاشِرُهُ بغيره.

٢ - وَالْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالذِّكْرِ، أَنَّ اقْتِصَارَهُ فِي أَكْلِهِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ بِيَدِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣)، وَإِنَّمَا ابْتَنَى الْأَكْلَ مِنْ طَرِيقِ الْأَفْضَلِ، وَلِهَذَا أُوْرَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِصَّتَهُ فِي مَقَامِ الْإِحْتِجَاجِ بِهَا عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ أَنَّ خَيْرَ الْكَسْبِ عَمَلُ الْيَدِ، وَهَذَا بَعْدَ تَقْرِيرِ أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلُنَا شَرْعٌ لَنَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا وَرَدَ فِي شَرْعِنَا مَدْحُهُ وَتَحْسِينُهُ مَعَ عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيْهِدْهُمْ أَقْتَدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠].

٣ - وَفِيهِ أَنَّ التَّكْسِبَ لَا يَقْدَحُ فِي التَّوَكُّلِ.

٤ - وَفِيهِ أَنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ بِدَلِيلِهِ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ سَامِعِيهِ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث (٢٠٧٢).

(٢) انظر: فتح الباري (٢٠٠/٥).

(٣) في سورة (ص) آية (٢٦): ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾.

(٤) انظر: فتح الباري (٢٧/٥).

✽ شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حَرْبِ الْفَجَارِ (١):

وَلَمَّا بَلَغَ الرَّسُولُ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً، وَقِيلَ: عِشْرُونَ سَنَةً، هَاجَتْ حَرْبُ الْفَجَارِ، وَكَانَتْ بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَمَنْ مَعَهَا مِنْ كِنَانَةَ، وَبَيْنَ قَيْسٍ وَأُخْلَافِهَا، وَكَانَ قَائِدُ قُرَيْشٍ، وَكِانَةَ: حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لِقَيْسٍ عَلَى قُرَيْشٍ وَكِانَةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِقُرَيْشٍ وَكِانَةَ عَلَى قَيْسٍ، وَقَدْ شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ أَيَّامِهِ، وَكَانَ يَنْبُلُ عَلَى عُمُومَتِهِ؛ أَيُّ: يُجَهِّزُ لَهُمُ النَّبْلَ لِلرَّمْيِ، وَقِيلَ: يَرُدُّ عَنْهُمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ (٢).

✽ شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حِلْفِ الْفُضُولِ:

قَالَ الْإِمَامُ السَّهِيلِيُّ: كَانَ حِلْفُ الْفُضُولِ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ، وَأَشْرَفُهُ فِي الْعَرَبِ (٣).

وَكَانَ هَذَا الْحِلْفُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ، بَعْدَ حَرْبِ الْفَجَارِ بِشَهْرٍ وَقِيلَ: بِأَرْبَعِ أَشْهُرٍ.

وَسَبَبُ هَذَا الْحِلْفِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ (زُبَيْدٍ) بِالْيَمَنِ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ حَقَّهُ، فَاسْتَدْعَى عَلَيْهِ الزُّبَيْدِيُّ الْأَحْلَافَ: عَبْدَ الدَّارِ، وَمَخْزُومًا، وَجُمَحًا، وَسَهْمًا، وَعَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُوهُ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَانْتَهَرُوهُ.

فَلَمَّا رَأَى الزُّبَيْدِيُّ الشَّرَّ، صَعِدَ عَلَى جَبَلٍ أَبِي قُبَيْسٍ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقُرَيْشٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَنَادَى بِأَيَّامِهِ الْمَشْهُورَةِ، يَصِفُ فِيهَا ظِلَامَتَهُ، رَافِعًا صَوْتَهُ:

(١) الْفَجَارُ: بكسر الفاء على وزن قتال، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِوُقُوعِهَا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فِيهَا الْقِتَالَ. انظر: النهاية (٣/٣٧١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢١) بدون إسناد. وانظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٦٠).

(٣) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (١/٢٤٢).

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ
وَمُحْرِمٍ أَشَعَتْ لَمْ يَقْضِ عُمَرَتَهُ يَا لِلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَشُوبِ الْفَاجِرِ الْغَدِيرِ
فَقَامَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: مَا لِهَذَا مَتْرُوكٌ
فَاجْتَمَعَتْ بَنُو هَاشِمٍ، وَزُهْرَةُ، وَبَنُو تَيْمٍ بِنِ مُرَّةَ، فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ
وَتَعَاقَدُوا، وَتَحَالَفُوا بِاللَّهِ، لِيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ، حَتَّى
يُرَدَّ عَلَيْهِ حَقُّهُ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْحِلْفَ (حِلْفَ الْفُضُولِ) وَقَالُوا: لَقَدْ دَخَلَ
هَؤُلَاءِ فِي فَضْلِ مِنَ الْأَمْرِ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَانْتَزَعُوا مِنْهُ سِلْعَةً
الرُّيْدِيَّ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ.

وقيل: سُمِّيَ حِلْفُ الْفُضُولِ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ، ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ
اسْمُهُ الْفَضْلُ، وَهُمْ: الْفَضْلُ بْنُ فُضَالَةَ، وَالْفَضْلُ بْنُ وَدَاعَةَ، وَالْفَضْلُ بْنُ
الْحَارِثِ^(١).

وَقَدْ شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْحِلْفَ، فَقَدْ رَوَى الْحَمِيدِيُّ عَنْ مُحَمَّدٍ
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ أَبِي بَكْرٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ^(٢) حِلْفًا، لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»^(٣).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/١٦٩)، الروض الأنف (٢/٢٤٢).

(٢) عبد الله بن جُدْعَانَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مُرَّةَ، فِي قُرَيْشٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ ﷺ، وَكَانَ شَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِهَا، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجْوَادِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ
كَثِيرَ الطَّعَامِ، أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْبِعْثَةِ. انظر: كتاب الأعلام، للزركلي (٤/٧٦).

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٢١٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّجِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ يَنْفَعُهُ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَمِيدِيُّ فِيْمَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (٢/٦٩٦)، وَإِسْنَادُهُ
صَحِيحٌ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ^(١) مَعَ عُمُوْمَتِي، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ^(٢)، وَإِنِّي أَنْكُتُهُ^(٣)».



(١) قال البيهقي في دلائل النبوة (٣٩/٢): زعم بعض أهل السَّيَر أنه أراد حلف الفضول، فإن النبي ﷺ لم يُدْرِك حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ.

وعَلَّقَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (٦٩٦/٢) عَلَى كَلَامِ الْبَيْهَقِيِّ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا لَا شَكَّ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَرِيشًا تَحَالَفُوا بَعْدَ مَوْتِ قُصَيٍّ، وَتَنَازَعُوا فِي الَّذِي كَانَ جَعَلَهُ قُصَيٌّ لِابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ مِنَ السَّقَايَةِ، وَالرَّفَادَةِ، وَاللَّوَاءِ، وَالنَّدْوَةِ، وَالْحِجَابَةِ، وَقَامَتْ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ قَبَائِلِ قَرِيشَ، وَتَحَالَفُوا عَلَى النُّصْرَةِ لِحِزْبِهِمْ، فَأَحْضَرَ أَصْحَابُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ جَفْنَةً فِيهَا طِيبٌ، فَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا وَتَحَالَفُوا، فَلَمَّا قَامُوا مَسَحُوا أَيْدِيَهُمْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ، فَسُمُّوا الْمُطَيِّبِينَ، وَكَانَ هَذَا قَدِيمًا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ (٤٠٨/٣): وَإِنَّمَا سَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِلْفَ الْفُضُولِ بِالْمُطَيِّبِينَ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَبِيهًا بِهِ فِي التَّنَاصُحِ، وَالْأَخْذِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، وَلِلْغَرِيبِ مِنَ الْقَاطِنِ.

(٢) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (١٤٥/١٥): حُمْرُ النَّعَمِ: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْرُ، وَهِيَ أَنْفُسُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ يَضْرِبُونَ بِهَا الْمِثْلَ فِي نَفَاسَةِ الشَّيْءِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٦٥٥)، وَالبخاري في الأدب المفرد، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٤٤١)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٤٣٧٣).



خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ بِتِجَارَةِ خَدِيجَةَ

وفي الخامسة والعشرين من عمره المبارك خرج النبي ﷺ تاجراً إلى الشام في مالٍ خديجة رضي الله عنها.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف، ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم^(١) إياه، بشيء تجعله لهم.

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار، فقبله رسول الله ﷺ منها.

وفي رواية: أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه غير قومك وقد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجلاً من قومك في عيراتها^(٢)، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، لما يبلغها عنك من طهارتك، وفضلك على غيرك، فبلغ خديجة الخبر فأرسلت إليه في ذلك، وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أُعطي رجلاً من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك.

فخرج رسول الله ﷺ في مالها، وخرج معه غلامها «ميسرة»^(٣) وجعل

(١) المضاربة: هي أن تُعطي مالا لغيرك يتجر فيه فيكون له سهم معلوم من الربح، وهي مفاعلة من الضرب في الأرض، السير فيها للتجارة. انظر: النهاية (٣/٧٢).

(٢) عيراتها: جمع عير، وهي الإبل بأحمالها. انظر: النهاية (٣/٢٩٧).

(٣) قال الحافظ في الإصابة (١٨٩/٦): لم أقف على رواية صريحة بأنه بقي إلى البعثة.

عُمُومَتُهُ يُؤْصُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِيرِ، حَتَّى قَدِمَا «بُضْرَى» مِنَ الشَّامِ، فَنَزَلَا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنَ الرُّهْبَانِ يُقَالُ لَهُ: «نَسْطُورٌ» فَاطَّلَعَ الرَّاهِبُ إِلَى مَيْسَرَةٍ فَقَالَ لَهُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟

فَقَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ^(١).

ثُمَّ قَالَ لِمَيْسَرَةٍ: أَفِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا تُفَارِقُهُ، فَقَالَ: هُوَ نَبِيٌّ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ.

ثُمَّ بَاعَ النَّبِيُّ ﷺ سِلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ مُلَاحَاةً^(٢)، فَقَالَ لَهُ: احْلِفْ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لَأَمْرٌ فَأَعْرِضْ عَنْهُمَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: الْقَوْلُ قَوْلُكَ، ثُمَّ اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِي، وَأَقْبَلَ قَافِلًا إِلَى مَكَّةَ، وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ.

وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ ﷺ الْمَحَبَّةَ مِنْ مَيْسَرَةٍ، فَكَانَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لَهُ، فَلَمَّا كَانُوا بِمَرِّ الظُّهْرَانِ، قَالَ مَيْسَرَةُ: يَا مُحَمَّدُ انْطَلِقْ إِلَى خَدِيجَةَ فَأَخْبِرْهَا بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَهَا عَلَى وَجْهِكَ، فَإِنَّهَا تَعْرِفُ ذَلِكَ لَكَ، فَتَقْدِّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ فِي سَاعَةِ الظُّهَيْرَةِ، وَخَدِيجَةُ فِي عِلِّيَّةٍ^(٣) لَهَا فَرَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

(١) قال الإمام السهيلي في الرُّوض الأنف (٣٢٣/١): يُرِيدُ مَا نَزَلَ تَحْتَهَا هَذِهِ السَّاعَةُ إِلَّا نَبِيٌّ، وَلَمْ يُرِدْ مَا نَزَلَ تَحْتَهَا قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ، لُبْعِدِ الْعَهْدِ بِالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَالشَّجَرَةُ لَا تُعَمَّرُ فِي الْعَادَةِ هَذَا الْعُمُرَ الطَّوِيلَ حَتَّى يَذَرِي أَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ تَحْتَهَا إِلَّا عِيسَى ﷺ، أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

(٢) الْمُلَاحَاةُ: الْمُلَاوَمَةُ وَالْمُبَاغَضَةُ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلَتْ كُلُّ مِمَانَعَةٍ وَمُدَافَعَةٍ، مِلَاحَاةً. انظر: لسان العرب (٢٥٩/١٢).

(٣) الْعِلِّيَّةُ: الْعُرْفَةُ فِي الطَّابِقِ الثَّانِي مِنَ الدَّارِ فَوْقَهُ، وَجَمْعُهَا عَلَالِي. انظر: النهاية (٢٦٧/٣).

وَهُوَ عَلَى بَعِيرٍ، وَمَلَكَانِ يُظْلَانِيهِ، فَأَرْتُهُ نِسَاءَهَا فَعَجِبَنَ لِذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَبَّرَهَا بِمَا رَبِحُوا فِي وَجْهِهِمْ، فَسُرْتُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ مَيْسَرَةُ عَلَيْهَا أَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأْتُ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ هَذَا مُنْذُ خَرَجْنَا مِنَ الشَّامِ، وَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ «نَسْطُورُ»، ثُمَّ بَاعَتْ خَدِيجَةُ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ مِنْ تِجَارَةٍ فَرَبِحَتْ ضِعْفَ مَا كَانَتْ تَرْبِحُ، وَأَضْعَفَتْ لَهُ ضِعْفَ مَا كَانَتْ تُعْطِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ^(١).

❖ رَوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ لِاضْطِرَابِهَا:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ لِاضْطِرَابِهِ عَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ قَالَ: جِيءَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُعَلِّمُونِي بِهِ، قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ».

قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنِعَمَ الصَّاحِبُ كُنْتُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا سَائِبُ، انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ، أَقْرَ^(٢) الضَّيْفِ، وَأَكْرَمَ الْيَتِيمِ، وَأَحْسَنُ إِلَى جَارِكَ»^(٣).

(١) أخرج قصة خروج الرسول ﷺ في مالِ خديجة ؓ: ابن سعد في طبقاته (١/٦١ - ٦٢)، وابن إسحاق في السيرة (١/٢٢٤) بدون إسناد، وأوردها الإمام الذهبي في سيرته (١/٦٢) من طريق المحاملي، عن عبد الله بن شبيب، وهو واه، ثم قال بعد أن ساق القصة: وهو حديث منكر.

(٢) قَرَى الضَّيْفُ: أَصَافَهُ. انظر: لسان العرب (١١/١٤٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٥٠٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٨٣٦)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٢٨٧)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (٣٢١٦).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ»: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيْمَنْ كَانَ شَرِيكُهُ ﷺ مُضْطَرَبًّا جَدًّا^(١)، فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ لِلْسَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ لِأَبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ لِقَيْسِ بْنِ السَّائِبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ -، وَهَذَا اضْطِرَابٌ شَدِيدٌ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» أَنَّ السَّائِبَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ أَسْلَمَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ؛ فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).



(١) ممن أعلَّ هذا الحديث بالاضطراب: ابن عبد البر في الاستيعاب (١٤١/٢)، والسُّهيلي في الروض الأنف (١٧٢/٣).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٢٥/٢).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٦٨٢/١).



زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ (١)

كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُسَمَّى سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَتُسَمَّى الطَّاهِرَةَ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ عَفَافِهَا، وَكَانَتْ نَقِيَّةً ذَاتَ عَقْلٍ وَاسِعٍ، وَحَسَبٍ، وَمَالٍ.

لَمَّا سَمِعَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِعَظِيمِ أَمَانَةِ الرُّسُولِ ﷺ، وَحُسْنِ أَخْلَاقِهِ، وَصِدْقِ حَدِيثِهِ، أَحَسَّتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا وَجَدَتْ ضَالَّتَهَا الْمُنْشُودَةَ فِيهِ ﷺ، فَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهُ رَجُلٌ لَا تَسْتَهْوِيهِ حَاجَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَتَطَلَّعُ إِلَى مَالٍ، وَلَا إِلَى جَمَالٍ، فَحَدَّثَتْ

(١) قال الحافظ في الفتح (٥١٢/٧): خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِهَا أُمُّ الْقَاسِمِ الْقُرَشِيَّةِ الْأَسَدِيَّةِ، وَهِيَ مِمَّنْ كَمُلَ مِنَ النِّسَاءِ، وَكَانَتْ عَاقِلَةً جَلِيلَةً دَيِّنَةً مَصُونَةً كَرِيمَةً: مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَبِّي عَلَيْهَا، وَيُفَضِّلُهَا عَلَى سَائِرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُبَالِغُ فِي تَعْظِيمِهَا، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهِيَ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُصَيٍّ، تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُصَيٍّ، وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ دُرِّيَّةٍ قُصَيٍّ غَيْرِهَا إِلَّا أُمُّ حَبِيبَةَ، وَكَانَتْ تُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ الطَّاهِرَةَ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ بِخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَكَانَتْ مُوسِرَةً، وَوَلَدَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْلَادَهُ كُلَّهُمْ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ.

وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ، فِيرْجِعُ إِلَيْهَا إِلَّا ثَبَّتَهُ وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَبْوَابِ بَدِئِ الْوَحْيِ بَيَانُ تَضَدِّيْقِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَمِنْ ثَبَاتِهَا فِي الْأَمْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ يَقِينِهَا، وَوُفُورِ عَقْلِهَا، وَصِحَّةِ عَزْمِهَا، لَا جَرَمَ كَانَتْ أَفْضَلَ نِسَائِهِ عَلَى الرَّاجِحِ، رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

بِمَا فِي نَفْسِهَا إِلَى صَدِيقَتِهَا نَفِيسَةَ بِنْتِ مُنَيَّةَ، فَذَهَبَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ خَدِيجَةَ فَرَضِيَ ﷺ بِذَلِكَ.

وَسَأَدُعُ نَفِيسَةَ بِنْتِ مُنَيَّةَ تَرَوِي لَنَا قِصَّةَ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ نَفِيسَةُ: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ امْرَأَةً حَازِمَةً جَلْدَةً، شَرِيفَةً، مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْخَيْرِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، وَكُلُّ قَوْمِهَا حَرِيصٌ عَلَى نِكَاحِهَا لَوْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ، قَدْ طَلَبُوهَا وَبَذَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ، فَأَرْسَلْتَنِي دَسِيسًا^(١) إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ فِي عِيرِهَا مِنَ الشَّامِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قُلْتُ: فَإِنْ كُفَيْتَ ذَلِكَ، وَدُعِيتَ إِلَى الْجَمَالِ، وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ، وَالْكَفَاءَةِ أَلَا تُحِبُّ؟ قَالَ: فَمَنْ هِيَ؟ قُلْتُ: خَدِيجَةُ، قَالَ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ عَلَيْ، قَالَ: فَأَنَا أَفْعَلُ، قَالَتْ نَفِيسَةُ: فَذَهَبْتُ فَأَخْبَرْتُ خَدِيجَةَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ ائْتِ لِسَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَمِّهَا عَمْرِو بْنِ أَسَدٍ لِيُزَوِّجَهَا، فَحَضَرَ؛ لِأَنَّ أَبَاهَا مَاتَ قَبْلَ حَرْبِ الْفَجَارِ^(٢).

✽ خُطْبَةُ أَبِي طَالِبٍ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ، فَأَقْرَأُوا لَهُ ذَلِكَ، وَرَضَوْهَا زَوْجَةً لَهُ ﷺ، فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَعَمُّهُ حَمْزَةُ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عَمْرِو بْنِ أَسَدٍ^(٣) عَمِّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَخَطَبُوا إِلَيْهِ ابْنَةَ أَخِيهِ، وَحَضَرَ الْعَقْدَ

(١) الدَّسِيسُ: مَنْ يُرْسَلُ سِرًّا لِإِتْيَانِ الْأَخْبَارِ. انظر: لسان العرب (٤/٣٤٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٦٢).

(٣) هذا هو قول الجمهور، من أن ولي خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في زواجها من رسول الله ﷺ هو: عُمُّهَا

رُؤْسَاءُ مُضَرَ، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ فَخَطَبَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَزَرْعِ إِسْمَاعِيلَ، وَضِئُضِيِّ^(١) مَعْدٍ، وَجَعَلَنَا حَصْنَةَ بَيْتِهِ وَسُؤَاسَ^(٢) حَرَمِهِ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا، وَحَرَمًا آمِنًا، وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدًا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرْفًا، وَنُبْلًا، وَفَضْلًا، وَعَقْلًا، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ، فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ، وَمُحَمَّدٌ مِمَّنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ رَاغِبًا كَرِيمَتَكُمْ خَدِيجَةَ، وَقَدْ بَدَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا حَكَمَ عَاجِلُهُ، وَآجِلُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشًّا^(٣)، وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ جَسِيمٌ. فَكَانَ جَوَابُ وَلِيِّ خَدِيجَةَ: هَذَا الْبِضْعُ لَا يُقْرَعُ أَنْفُهُ^(٤).

وَبَنَى^(٥) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَدِيجَةَ رَضِيَ، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا وَنَحَرَ جَزُورًا أَوْ جَزُورَيْنِ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ، فَكَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

= قال الإمام السهيلي في الرُّوضِ الْأَنْفِ (١/٣٢٥): وهو الصحيح؛ لأن أباها خُوَيْلِدٌ كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ حَرْبِ الْفَجَارِ.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٧٠١): الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ أَنَّ عَمَّهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي زَوَّجَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) الضُّئُضِيُّ: الْأَضْلُ. انظر: النهاية (٣/٦٤).

(٢) السِّيَاسَةُ: هِيَ الْقِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا يَصْلَحُهُ. انظر: النهاية (٢/٣٧٨).

ومنه قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٥٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ».

أَي: تَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا تَفْعَلُ الْأَمْرَاءُ وَالْوَلَاةُ بِالرَّعِيَّةِ. انظر: النهاية (٢/٣٧٨).

(٣) النَّشُّ: نِصْفُ الْأُوقِيَّةِ، وَهُوَ عِشْرُونَ دِرْهَمًا. انظر: النهاية (٥/٤٨).

(٤) يُرِيدُ: أَنَّهُ كَفَّ كَرِيمًا لَا يُرَدُّ نِكَاحُهُ. انظر: النهاية (٤/٣٩).

(٥) الْبِنَاءُ: الدُّخُولُ بِالزَّوْجَةِ. انظر: النهاية (١/١٥٦).

وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا، حَتَّى مَاتَتْ ﷺ^(١).

قَالَ الْبُوصِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرَأَتْهُ خَدِيجَةُ وَالثَّقَفَى وَالزُّهْرُ
وَأَتَاهَا أَنَّ الْعَمَامَةَ وَالسَّرْحَ^(٢)
وَأَحَادِيثُ أَوْ وَعْدُ رَسُولِ اللَّهِ
فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْاجِ وَمَا
دُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ
أَظْلَلَتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ
بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ
أَحْسَنَ أَنْ يَبْلُغَ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ

❖ رَوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ^(٣)، فَصَنَعَتْ طَعَامًا
وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمَلُوا^(٤)، فَقَالَتْ
خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي، فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ
فَخَلَّقَتْهُ^(٥) وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَبَاءِ، فَلَمَّا سُرِّي^(٦) عَنْهُ
سُكْرُهُ، نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي، مَا هَذَا؟ قَالَتْ:
زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَنَا أَزْوَاجُ يَتِيمٍ أَبِي طَالِبٍ! لَا، لَعَمْرِي.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢٦).

(٢) السَّرْحُ: هِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي صَارَتْ أَغْصَانُهَا تَتَدَلَّى عَلَيْهِ. انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/١٩١).

(٣) قال السندي في شرح المسند (٣/٩٧): قوله: يرغب أن يزوجه: أي: عن أن يزوجه، لا في أن يزوجه كما يفيد النظر فيما بعد.

(٤) ثملوا: أي: سكروا. انظر: لسان العرب (٢/١٢٨).

(٥) فخلَّقَتْهُ: بتشديد اللام؛ أي: وضعت عليه الخلق، وهو نوع من الطيب. انظر: النهاية (٢/٦٨).

(٦) قال السندي في شرح المسند (٣/٩٧): سُرِّي عنه: بضم السين وتشديد الراء؛ أي: أزيل وكُشف عنه.

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحْيِي! تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ؟ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانٌ؟ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ^(١).

قُلْتُ: أَوْرَدَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ، ثُمَّ قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَنَا غَلَطٌ وَوَهْلٌ، وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا الْمَحْفُوظُ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَبَاهَا خُوَيْلِدَ بْنِ أَسَدٍ مَاتَ قَبْلَ الْفَجَارِ، وَأَنَّ عَمَّاهُ عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ زَوَّجَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٢).

قُلْتُ: وَبِهِ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَغَيْرُهُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ^(٣)، وَبِهِ قَالَ أَيْضًا الْمُبَرِّدُ وَطَائِفَةٌ مَعَهُ، ذَكَرَهُ السَّهْلِيُّ^(٤).

✽ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ:

وَكَانَ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ ﷺ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الشَّامِ بِشَهْرَيْنِ، وَكَانَ عُمَرُهَا ﷺ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٥).

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَجُلَيْنِ أُولَاهُمَا: عَتِيقُ بْنُ عَائِدٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَجَارِيَةً اسْمُهَا: هِنْدٌ، فَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا صَيْفِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا، وَثَانِيَهُمَا: أَبُو هَالَةَ بْنُ مَالِكٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَاسْمُهُ هِنْدٌ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدًا اسْمُهُ هَالَةُ، وَوَلَدًا اسْمُهُ هِنْدٌ أَيْضًا، وَجَارِيَةً اسْمُهَا زَيْنَبُ.

وَقَدْ ابْتَنَى النَّبِيُّ ﷺ بِخَدِيجَةَ ﷺ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ، وَفِيهِ وَلَدَتْ جَمِيعَ أَوْلَادِهَا، وَفِيهِ تُوفِّيَتْ، وَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ سَاكِنًا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٨٤٩).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦٣/١).

(٣) انظر: أسد الغابة (٢٦١/٥). (٤) انظر: الروض الأنف (٣٢٤/١).

(٥) روى ذلك ابن سعد في طبقاته (٢٥٠/٨) عن الواقدي، والواقدي متروك.

إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا فَأَخَذَهُ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ^(١).

✽ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ:

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي الْخَمِيرَةَ، وَالْبَسَنِي الْحَرِيرَ، وَزَوَّجَنِي خَدِيجَةَ، وَكُنْتُ
لَهَا عَاشِقًا» ^(٢).

فَهَذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ، لَا يَصِحُّ عَنِ الْمَعْصُومِ ﷺ.

✽ أَوْلَادُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ رضي الله عنها:

وَلَدَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْلَادَهُ جَمِيعًا عَدَا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ
مَارِيَةَ ^(٣) الْقُبَيْطِيَّةِ.

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ: الْقَاسِمُ، وَبِهِ
يُكْنَى ﷺ، رَوَى ابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ جَدًّا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِضَاعَهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ
إِتِمَامَ رِضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَتْ: لَوْ أَعْلَمْتُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرُهُ.

(١) انظر تفاصيل زواج الرسول ﷺ من خديجة رضي الله عنها في: سيرة ابن هشام (٢٢٤/١)، الروض
الأنف (٣٢٤/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٦٨/٢ - وما بعدها)، الطبقات الكبرى، لابن
سعد (٦٢/١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٤٨٩٣).

(٣) هِي: مَارِيَةُ بِنْتُ شَمْعُون، أَهْدَاهَا الْمُقَوْسُ صَاحِبُ الإسْكَندَرِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةِ
سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَطْوُهَا بِمِلْكِ الْيَمِينِ، وَضَرَبَ عَلَيْهَا مَعَ ذَلِكَ
الْحِجَابَ، فَحَمَلَتْ مِنْهُ، وَوَضَعَتْ ابْنَهُ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، وَتُوفِّيَتْ رضي الله عنها فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَذَلِكَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةِ ١٦ هـ. انظر: الإصابة (٣١٠/٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَسْمِعَكَ صَوْتَهُ».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بَلْ أَصَدَّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١).

ثُمَّ زَيْنَبُ^(٢)، ثُمَّ رُقَيْةُ^(٣)، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومُ^(٤)، ثُمَّ فَاطِمَةُ^(٥)، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُلَقَّبُ بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ وُلِدَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَهَلْ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَوْ قَبْلَهَا؟ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَصَحَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ؟ أَمْ هُمَا غَيْرُهُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا لَقَبَانِ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٦).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٥١٢).

(٢) هِيَ: زَيْنَبُ بِنْتُ الرَّسُولِ ﷺ، وَهِيَ أَكْبَرُ بَنَاتِهِ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْهُنَّ، تَزَوَّجَهَا ابْنُ خَالَتِهَا أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَبْسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ. أَسْلَمَتْ زَيْنَبُ، وَهَاجَرَتْ مَعَ أَبِيهَا ﷺ، وَمَاتَتْ سَنَةَ (هـ٨). انظر: الإصابة (١٥١/٨).

(٣) هِيَ: رُقَيْةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوُلِدَتْ رُقَيْةُ وَعُمَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ ابْنًا فَسَمَّاهُ: عَبْدُ اللَّهِ، فَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْنَى بِهِ، وَمَاتَتْ ﷺ يَوْمَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَدُفِنَتْ يَوْمَ جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَشِيرٍ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ. انظر: أسد الغابة (٢٨٥/٥).

(٤) هِيَ: أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ أَكْبَرُ مَنْ فَاطِمَةَ، وَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهَا رُقَيْةَ، وَهَذَا فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ (هـ٣)، وَلَمْ تَلِدْ مِنْ عُثْمَانَ وَلَدًا، وَتُوفِيَتْ سَنَةَ (هـ٩)، وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. انظر: الاستيعاب (٥٠٦/٤).

(٥) هِيَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِهَا، وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوُلِدَتْ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِأَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ سِنَاتٍ، وَتُوفِيَتْ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ أَهْلِهَا لُحُوقًا بِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ عُمُرُهَا لَمَّا تُوفِيَتْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٢٦٢/٨).

(٦) زاد المعاد (١٠١/١).

وَقَدْ مَاتَ بَنُوهُ ﷺ وَهُمْ صِبَاغٌ، فَمَاتَ الْقَاسِمُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ سِنًا تُمَكِّنُهُ مِنَ الْمَشْيِ، وَقِيلَ: سِنًا تُمَكِّنُهُ مِنْ رُكُوبِ الدَّابَّةِ، ثُمَّ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ.

وَأَمَّا بَنَاتُ الرَّسُولِ ﷺ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ، وَأَسْلَمْنَ، وَعِشْنَ حَتَّى تَزَوَّجْنَ، وَكُلُّهُنَّ مِتْنَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا عَدَا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ تُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ^(١).

❖ تَعْيِيرُ الْمُشْرِكِينَ بِانْقِطَاعِ نَسَبِ الرَّسُولِ ﷺ:

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَيِّرُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِانْقِطَاعِ أَثَرِهِ، لِيَوَاقَةَ أَوْلَادِهِ الذُّكُورِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَاتَ الْقَاسِمُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَيِّتٍ مِنْ وَلَدِهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثُمَّ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ: لَقَدْ انْقَطَعَ وَلَدُهُ فَهُوَ أَبْتَرُ^(٢)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]^(٣).

قَالَ الذُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ - أَنْ لَا يَعِيشَ لَهُ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الذُّكُورِ، حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِافْتِتَانِ بَعْضِ النَّاسِ بِهِمْ، وَادِّعَائِهِمْ لَهُمُ النَّبُوءَةُ، فَأَعْطَاهُ الذُّكُورَ تَكْمِيلًا لِفِطْرَتِهِ

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٦/١١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٦٩)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦٣/١).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٠٥/٨): حَاشَا وَكَلَّا؛ بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعُهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ. وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَعَزَّ عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتَمٌ
وَضَمَّ إِلَيْهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
مَنْ اللَّوْ مشهودٌ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
إِذَا قَالَ فِي الْحَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ

(٣) الخبر في الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦٣/١).

البَشَرِيَّةِ، وَقَضَاءَ لِحَاجَاتِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَيْلًا يَنْتَقِصُ النَّبِيُّ ﷺ فِي كَمَالِ رُجُولَتِهِ شَانِيٍّ، أَوْ يَتَقَوَّلَ عَلَيْهِ مُتَقَوِّلٌ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ فِي الصَّغَرِ، وَأَيْضًا لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ عَزَاءٌ وَسَلْوَى لِلَّذِينَ لَا يُرْزَقُونَ الْبَنِينَ، أَوْ يُرْزَقُونَهُمْ ثُمَّ يَمُوتُونَ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ مِنْ أَلْوَانِ الْإِبْتِلَاءِ، وَأَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَالْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ^(١).



(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة (١/٢٢٤)، للدكتور محمد أبو شهبة رَضِيَ

بِنَاءُ الْكَعْبَةِ وَدَرَّةُ فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ

الْكَعْبَةُ^(١) هِيَ أَوَّلُ بَيْتٍ بُنِيَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ فِي الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦). رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»^(٢).

وَقَدْ تَعَرَّضَتِ الْكَعْبَةُ لِلْعَوَادِي الَّتِي زَعَزَعَتْ بُنْيَانَهَا، وَصَدَّعَتْ جُذُرَانَهَا، وَقَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِ سِنِينَ^(٣) جَرَفَ مَكَّةَ سَيْلٌ عَرِمَ انْحَدَرَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَأَوْشَكَتِ الْكَعْبَةُ مِنْهُ عَلَى الْإِنْهِيَارِ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَهَا مِنْ قَبْلِ حَرِيقٍ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ كَانَتْ تُجَمِّرُهَا، وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ رَضْمًا^(٤) فَوْقَ الْقَامَةِ، فَاضْطُرَّتْ

(١) كُلُّ شَيْءٍ عَلَا وَارْتَفَعَ فَهُوَ كَعْبٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ، لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِهِ لَتَكُعُّبِهَا؛ أَي: تَرْبِيعِهَا. انظر: النهاية (١٥٥/٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٣٦٦)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥٢٠).

(٣) اختلف في وقتِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فروى عبد الرزاق في «مصنفه» رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩١٠٣) عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: .. حَتَّى إِذَا كَانَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسَةِ عَشْرِ سَنَةً، بَنَتْهُ قَرِيشٌ ..

وَبِهِ جَزَمَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي مَغَازِيهِ، وَالَّذِي جَزَمَ بِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ كَانَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٢٣٣/٤): وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَشْهَرُ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ الْحَرِيقُ تَقْدِمَ وَقْتِهِ عَلَى الشُّرُوعِ فِي الْبِنَاءِ.

(٤) الرَّضْمُ: أَنْ تُنْضَدَ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ. انظر: الرَّوْضُ الْأَنْفُ (١/٣٣٦).

قُرَيْشٌ إِلَى تَجْدِيدِ بِنَائِهَا حِرْصًا عَلَى مَكَانَتِهَا، وَحِفَاطًا عَلَى حُرْمَتِهَا، وَقَدْ اتَّفَقَتْ قُرَيْشٌ عَلَى أَنْ لَا يُدْخِلُوا فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ مِنْ كَسْبِهِمْ إِلَّا طَيِّبًا، فَلَا يُدْخِلُوا فِيهَا مَهْرَ بَغِيٍّ^(١) وَلَا بَيْعَ رِبَاً، وَلَا مَظْلَمَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ^(٢).

فَلَمَّا أَرَادَتْ قُرَيْشٌ هَدْمَهَا تَهَيَّأُوا، وَخَافُوا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ أذى؛ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ شَاهِدٌ مَا الَّذِي حَدَّثَ لِأَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ، فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ: أَتُرِيدُونَ بِهَدْمِهَا الْإِصْلَاحَ، أَمْ الْإِسَاءَةَ؟ قَالُوا: بَلِ الْإِصْلَاحَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْلِكُ الْمُصْلِحِينَ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَشَرَعَ يَهْدِمُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: قُومُوا سَاعِدُونِي، فَقَالُوا: لَا، نَتَنَظَّرُ إِلَى الْغَدِ، فَإِنْ أَصِيبَ الْوَلِيدُ لَنْ نَهْدِمَ مِنْهَا شَيْئًا، وَرَدَدْنَاهَا كَمَا كَانَتْ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ صُنْعَنَا فَهَدَمْنَا.

فَأَصْبَحَ الْوَلِيدُ مِنْ لَيْلَتِهِ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ، فَهَدَمُوا مَعَهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نُرِيدُ إِلَّا خَيْرًا، حَتَّى إِذَا انْتَهَى الْهَدْمُ بِهِمْ إِلَى الْأَسَاسِ، أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضُوا إِلَى حِجَارَةِ خُضِرٍ كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ^(٣) أَخَذُوا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ كَانَ يَهْدِمُهَا، وَأَدْخَلَ عَتَلَةً^(٤) بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْهَا لِيَقْلَعَ بِهَا أَحَدَهُمَا، فَلَمَّا تَحَرَّكَ الْحَجَرُ تَنَقَّصَتْ^(٥) مَكَّةُ بِأَسْرِهَا، فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ الْأَسَاسِ.

(١) الْبَغِيُّ: هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ بِالزُّنَا. انظر: النهاية (١/١٤٣).

(٢) قال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه السيرة النبوية (١/٢٢٧): هذا يدلُّ على أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الْمَكَاسِبَ الْحَلَالَ، وَأَنَّ الرُّبَا كَانَ طَارِئًا عَلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ.

(٣) الْأَسْنِمَةُ: جَمْعُ سَنَامٍ وَهُوَ أَعْلَى الظَّهْرِ، وَأَرَادَ أَنَّ الْحِجَارَةَ دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ كَمَا تَدْخُلُ عِظَامُ السَّنَامِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، فَشَبَّهَهَا بِهَا. انظر: النهاية (٢/٣٦٧).

(٤) الْعَتَلَةُ: حَدِيدَةٌ كَبِيرَةٌ يُقْلَعُ بِهَا الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ. النهاية (٣/١٦٣).

(٥) تَنَقَّصَتْ: اهْتَزَّتْ.

وقد اشترك سادة مكة، ورجالؤها في أعمال الهدم والبناء، فقسّموا الكعبة وجعلوا لكل قبيلة جزءاً منها، فكان شق الباب^(١) لبني عبد مناف، وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود، والركن اليماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح، وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن العزى بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي، وهو الحطيم^(٢).

وقد شارك رسول الله ﷺ مع أعمامه في البناء، ونقل الحجارة، وكان عمره ﷺ إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة^(٣).

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله ﷺ يحدث: أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة، قال: فحلله، فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رأيي بعد ذلك عرياناً ﷺ^(٤).

وفي لفظ: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعبّاس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخر إلى الأرض،

(١) الشق: الناحية والجانب. انظر: لسان العرب (١٦٦/٧).

(٢) الحطيم: على خلاف فيه، لكن أشهرها أنه حجر إسماعيل ﷺ، وسمي الحطيم لإزدحام الناس فيه حتى يحطم بعضهم بعضاً، وقيل: لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف فيها، وتركها حتى تتحطم وتفسد بطول الزمان. انظر: النهاية (٣٨٨/١).

(٣) هذا هو الصحيح في عمر الرسول ﷺ حين بُنيت الكعبة، وقد ثبت ذلك في مصنف عبد الرزاق الصنعاني، رقم الحديث (٩١٠٦)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة، رقم الحديث (٣٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، رقم الحديث (٣٤٠) (٧٧).

وَطَمَحَتْ^(١) عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

فَلَمَّا بَلَغَتْ الْقَبَائِلُ فِي الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ^(٣) تَنَازَعُوا فِيمَنْ يَضَعُهُ، فَكُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَحْطِيَ بِهَذَا الشَّرَفِ، حَتَّى كَادَتْ الْحَرْبُ أَنْ تَشْتَعَلَ بَيْنَهُمْ فِي أَرْضِ الْحَرَمِ، فَهُنَا قَامَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَقَرَّبُوا جَفَنَةً مَمْلُوءَةً بِالْدَّمِ وَتَعَاقَدَتْ هِيَ وَبَنُو عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ عَلَى الْمَوْتِ، وَأَدْخَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي تِلْكَ الْجَفَنَةِ فَسُمُوا (لَعَقَةُ الدَّمِ).

فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ، أَوْ خَمْسًا، حَتَّى أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدَ عُقَلَائِهِمْ وَهُوَ (أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيَّ)، وَالِدُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَ عَامِئِدٍ أَسَنَّ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَحْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ^(٤) فَرَضُوا وَقَبِلُوا هَذَا الرَّأْيَ جَمِيعًا.

(١) طَمَحَ: أَي: امْتَدَّ وَعَلَا. انظر: النهاية (١٢٥/٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٢٥/٢): وفي الحديث أنه ﷺ كان مَضُونًا عَمَّا يُسْتَفْتَحُ قَبْلَ الْبُعْثَةِ وبعدها، وفيه النهي عن التَّعَرِّيِّ بِحَضْرَةِ النَّاسِ.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم الحديث (١٥٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، رقم الحديث (٣٤٠).

(٣) الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ: هُوَ أَفْضَلُ وَأَظْهَرُ الْأَحْجَارِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ تَقْيِيلِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

ما رواه ابن حبان في صحيحه بسند صحيح، رقم الحديث (٣٧١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقٍّ».

وروى ابن حبان في صحيحه بسند قوي، رقم الحديث (٣٦٩٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَسُحُ الْحَجَرِ وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا».

(٤) المعروف اليوم ببابِ السَّلام.

❖ صَاحِبُ الْعَقْلِ الْكَبِيرِ:

فَأَشْخَصُوا أَبْصَارَهُمْ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَاشْرَأَبَتْ^(١) الْأَعْنَاقُ إِلَى مَنْ يَأْتِي بِكَوْنِ هَذَا الدَّاحِلِ، فَإِذَا بِهِ الصَّادِقُ الْأَمِينُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَانَ اللَّهُ ﷻ أَرْسَلَهُ لِيُخَلِّصَ قُرَيْشًا مِنْ هَذَا الشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمَّدٌ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَلَمْ يَلْبَثْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَعْطَاهُمُ الْحَلَ الْعَظِيمَ، فَقَالَ ﷺ: «هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا»، فَأَتِي بِهِ فَأَخَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا»، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ، وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ^(٢).

وَهَكَذَا دَرَأَ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَرْبَ عَنْ قُرَيْشٍ، بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ فَوْقَهَا حِكْمَةٌ، وَكَانَتْ مُقَدِّمَةً دَرِئَهُ لِلْحُرُوبِ، وَالشُّرُورِ عَنِ الشُّعُوبِ، وَالْأُمَمِ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، بِحِكْمَتِهِ وَتَعَالِيهِمْ وَرِفْقِهِ، وَتَلَطُّفِهِ فِي الْأُمُورِ، وَالْإِضْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَكُونُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، كَمَا كَانَ رَحْمَةً لِلْمُتَخَاصِمِينَ، وَالْمُتَحَارِبِينَ فِي قَوْمٍ بُسْطَاءَ أُمِّيْنٍ^(٤).

(١) اشْرَأَبَتْ: أي: ارتفعت. انظر: النهاية (٤٠٨/٢).

(٢) أخرج تفاصيل تحكيم رسول الله ﷺ في وضع الحجر الأسود: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٥٠٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٥٥٩٦)، والطياي في مسنده، رقم الحديث (١١٥)، والحاكم في المستدرک رقم الحديث (١٧٢٦) (١٧٢٧)، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، رقم الحديث (٩١٠٦)، وإسناده صحيح.

(٣) دَرَأَ: دَفَعَ. انظر: لسان العرب (٣١٤/٤).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي ﷺ (ص ١١٢).

❁ ضَيْقُ النَّفَقَةِ الْحَلَالِ:

وَمَعَ جُهْدِ قُرَيْشٍ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ الطَّيِّبَةُ عَنْ إِتِمَامِ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَاضْطُرُّوا إِلَى أَنْ يَفْتَتِعُوا مِنْهُ قِطْعَةً مِنْ جِهَتِهِ الشَّمَالِيَّةِ، وَيَبْنُوا عَلَى هَذَا الْجُزْءِ الَّذِي اخْتَجَزُوهُ جِدَارًا قَصِيرًا لِلْإِعْلَامِ أَنَّهُ مِنَ الْبَيْتِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالْحَجَرِ^(١).

وَكَانَ ارْتِفَاعُ الْكَعْبَةِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عليهما السلام، وَكَانَ لَهَا بَابَانِ: بَابٌ شَرْقِيٌّ، وَبَابٌ غَرْبِيٌّ لِيَدْخُلَ النَّاسُ مِنْ بَابٍ وَيَخْرُجُوا مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ، فَلَمَّا بَنَتْهَا قُرَيْشٌ زَادُوا فِي ارْتِفَاعِهَا تِسْعَةَ أَذْرُعٍ أُخْرَى، وَاقْتَصَرُوا عَلَى بَابٍ وَاحِدٍ، وَرَفَعُوا بَابَهَا عَنِ الْأَرْضِ، فَصَارَ لَا يُصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا عَلَى سُلَّمٍ لِيَدْخُلُوا مِنْ يَسَاوُونَ، وَيَمْنَعُوا مَنْ يَسَاوُونَ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ! لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدَمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلَزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا فَلَبَعْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ»^(٢).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْجَدْرِ^(٣) أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَلِمَ لَمْ

(١) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (٧٨/٩): وَهُوَ مِنَ الْبَيْتِ، وَلِذَلِكَ لَا يَصِحُّ الطَّوَافُ إِلَّا مِنْ وَرَائِهِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حُجْرٌ؛ أَي: اقْطُوعٌ مِنَ الْكَعْبَةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبَنِيانِهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٥٨٦)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ نَقْضِ الْكَعْبَةِ وَبَنَائِهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٣٣٣).

(٣) الْجَدْرُ: بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الدَّالِ، هُوَ الْحِجْرُ لِمَا فِيهِ مِنْ أَصُولِ حَائِطِ الْبَيْتِ، وَهُوَ اسْمُ الْحَائِطِ الْمُسْتَدِيرِ إِلَى جَانِبِ الْكَعْبَةِ الْغَرْبِيِّ. انْظُرْ: النِّهَايَةَ (٢٣٩/١)، فَتْحُ الْبَارِي (٢٣٥/٤).

يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكَ قَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ»، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاؤُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ»^(١).

❀ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي حَدِيثِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

- ١ - اجْتِنَابُ وَلِيِّ الْأَمْرِ مَا يَتَسَرَّعُ النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ، وَمَا يَخْشَى مِنْهُ تَوَلَّدَ الضَّرَرُ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا.
- ٢ - وَفِيهِ تَأَلَّفُ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرَكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ.
- ٣ - وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَلَأَهَمِّ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ، وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأَنْهُمَا إِذَا تَعَارَصَا بُدِئَ بِدَفْعِ الْمَفْسَدَةِ.
- ٤ - وَفِيهِ أَنَّ الْمَفْسَدَةَ إِذَا أَمِنَ وَقُوعُهَا عَادَ اسْتِحْبَابُ عَمَلِ الْمَصْلَحَةِ.
- ٥ - وَفِيهِ حَدِيثُ الرَّجُلِ مَعَ أَهْلِهِ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ.
- ٦ - وَفِيهِ حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم الحديث (١٥٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، رقم الحديث (١٣٣٣) (٤٠٥).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/٢٤٢).



حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَذْرَانِ ^(١) الْجَاهِلِيَّةِ

ظَلَّتْ حَيَاةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْبُعْثَةِ حَيَاةً فَاضِلَةً شَرِيفَةً، لَمْ تُعْرِفْ لَهُ فِيهَا هَفْوَةٌ، وَلَمْ تُحْصَ عَلَيْهِ فِيهَا زَلَّةٌ، لَقَدْ شَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحُوطُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِنَايَتِهِ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، لِمَا يُرِيدُهُ لَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأُبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدَنِّسُ الرِّجَالَ، حَتَّى صَارَ مَعْرُوفًا «بِالْأَمِينِ» ﷺ ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى...﴾ ^(١) وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوَفِّي، وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ﷺ، ثُمَّ تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ أَمْنَةً بِنْتُ وَهَبٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوَفِّي، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ وَيُوقِّرُهُ، وَيَكْفُ عَنْهُ أَدَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ

(١) الدَّرَنُ: الْوَسْخُ. انظر: النهاية (١٠٨/٢).

ومنه حديثُ الرَّسُولِ ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٦٧)، ولفظه: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟».

قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ.

قال رسول الله ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا».

(٢) انظر: السيرة النبوية، للدكتور محمد أبو شهبه رَحِمَهُ اللَّهُ (١/٢٣٥).

تَعَالَى عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُسْنِ تَذْيِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُؤَفِّيَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سَفَهَاءُ فُرَيْشٍ وَجُهَّالُهُمْ، فَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْهَجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى سُنَّتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوْهُ، وَنَصَرُوهُ، وَحَاطَوْهُ، وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَكَلاَئَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ ﷺ^(١).

❁ بُغِضَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَضْنَامُ:

وَنَشَأَ ﷺ سَلِيمَ الْعَقِيدَةِ، صَادِقَ الْإِيمَانِ، عَمِيقَ التَّفَكُّرِ، غَيْرَ خَاضِعٍ لِتَرْهَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَا عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ سَجَدَ لِصَنَمٍ قَطُّ، أَوْ تَمَسَّحَ بِهِ، أَوْ ذَهَبَ إِلَى عَرَافٍ أَوْ كَاهِنٍ؛ بَلْ بُغِضَ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الْأَضْنَامِ، وَالتَّمَسُّحُ بِهَا، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَارٌ لِحَدِيدَجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لِحَدِيدَجَةَ: «أَيُّ خَدِيدَجَةٍ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا». قَالَ: فَتَقُولُ خَدِيدَجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خَلَّ اللَّاتُ، خَلَّ الْعُزَّى^(٢).

وَلَمَّا لَقِيَ بَحِيرَا الرَّاهِبِ، قَالَ لَهُ بَحِيرَا: أَسْأَلُكَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، وَكَانَ بَحِيرَا سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسْأَلْنِي بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا؛ فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضِي لَهُمَا»^(٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٦/٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٩٤٧).

(٣) قصة بَحِيرَا الرَّاهِبِ صحيحة وتقدم ذكرها، وهذا اللفظ أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه قَالَ: ... كَانَ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُمَا: إِسَافٌ، وَنَائِلَةٌ يَتَمَسَّحُ بِهِمَا الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا^(١)، فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَطُفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ، مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمَسَّهُ»، قَالَ زَيْدٌ: فَطُفْنَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَأَمْسَنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ، فَمَسَحْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمَسَّهُ، أَلَمْ تَنْهَ؟».

قَالَ زَيْدٌ: فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا قَطُّ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّذِي أَكْرَمَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ^(٢).

✽ بُغْضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشُّعْرُ:

وكَذَلِكَ بُغْضَ إِلَيْهِ ﷺ قَوْلُ الشُّعْرِ^(٣) فَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ شِعْرًا، أَوْ أَنْشَاءً قَصِيدَةً، أَوْ حَاوَلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتْلَأَمُ وَمَقَامَ النُّبُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنِ الشُّعْرَاءُ بِذَوِي الْأَخْلَاقِ، وَالسِّيَرَةِ الْمَرْضِيَّةِ، فَلَا عَجَبَ أَنْ نَزَّهَهُ اللَّهُ ﷻ عَنِ الشُّعْرِ، وَالرِّسَالَةِ تَقْتَضِي انْطِلَاقًا فِي الْأُسْلُوبِ وَالتَّعْيِيرِ، وَالشُّعْرُ تَقْيُّدٌ وَالتَّزَامُ، وَصَدَّقَ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ ﷺ يَتَذَوَّقُ مَا فِي الشُّعْرِ مِنْ جَمَالٍ، وَحِكْمَةٍ،

(١) يعني: حَوْلَ الْكَعْبَةِ.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب زيد بن عمرو بن نفيل، رقم الحديث (٨١٣٢)، والذهبي في السيرة النبوية (٧٣/١) وقال: هذا حديث حسن، وأورده الحافظ في الفتح (٣٠٨/٤)، وقوى إسناده.

(٣) روى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٢٠)، والطيالسي في مسنده، رقم الحديث (١٥٩٣) بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: سألت عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يَسْمَعُ عِنْدَهُ الشُّعْرُ؟ قالت ﷺ: كَانَ أَبْغَضَ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ.

ورَوْعَةٍ، وَيَسْتَنْشِدُهُ أَصْحَابُهُ أَحْيَانًا^(١)، وَلَا عَجَبَ فَهُوَ الْقَائِلُ ﷺ: «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حَكْمَةً»^(٢).

وَهُوَ الْقَائِلُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «أُفْحِجِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ»^(٤).

✽ لَمْ يَشْرَبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْرًا، وَلَا قَرُبَ مِنْ فَاحِشَةٍ:

وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا قَطُّ ﷺ، وَلَا افْتَرَفَ فَاحِشَةً، وَلَا انْعَمَسَ فِيمَا كَانَ يَنْعَمُسُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حِينَئِذٍ مِنَ اللَّهْوِ، وَاللَّعِبِ، وَالْمَيْسِرِ، وَمُصَاحَبَةِ

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٥٥) عن الشريد بن سويد الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَوَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيَ» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٠/١٥): ومقصود الحديث أن النبي ﷺ استحسن شعر أُمِّيَّةَ، واستزاد من إنشاده؛ لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيرهم، وأن المذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه، وكونه غالبًا على الإنسان، فأما يسيره فلا بأس بإنشاده، وسماعه، وحفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح باب الخطبة، رقم الحديث (٥١٤٦)، وأخرجه في كتاب الأدب، باب (٩٠)، رقم الحديث (٦١٤٥).

(٣) هو: حسان بن ثابت بن المُنْذِرِ الأنصاري الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شاعر النبي ﷺ وسيد الشعراء المؤمنين، والمؤيد بروح القدس، كان يضع له النبي ﷺ منبرًا في المسجد يقوم عليه يتأفح عنه، عاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام، ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين من الهجرة. انظر: الإصابة (٥٥/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، رقم الحديث (٤١٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٢٤٨٦).

الأشرارِ ومُعاشَرَةُ الْقِيَانِ^(١)، ... عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ فُتُوَّةٍ وَشَبَابٍ، وَشَرَفٍ وَنَسَبٍ، وَعِزَّةٍ قَبِيلَةٍ، وَكَمَالٍ، وَجَمَالٍ، وَغَيْرَهَا مِنْ وَسَائِلِ الْإِغْرَاءِ.

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ ذَلِكَ، وَهُوَ كَبِيرٌ، وَيَعُدُّهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَعِصْمَتِهِ لَهُ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتَى كَانَ مَعِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَزَعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أُسْمِرَ^(٢) هَذِهِ اللَّيْلَةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَذْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ، سَمِعْتُ غِنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَمَزَامِيرَ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟

قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةً، لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَاهْوَتْ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟
فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ»^(٣).

(١) الْقِيَانُ: الْإِمَاءُ الْمُغَنِّيَاتُ. انظر: النهاية (١١٨/٤).

(٢) السَّمَرُ: هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَسْمُرُونَ بِاللَّيْلِ؛ أَيْ: يَتَحَدَّثُونَ. انظر: النهاية (٣٥٩/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ بَدَأَ الْخَلْقَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٢٧٢)، =

❖ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقِفُ بِعَرَفَةَ مَعَ النَّاسِ:

وكان رسول الله ﷺ يقف مع الناس بعرفات قبل أن يوحى إليه، وذلك من توفيق الله تعالى له ﷺ، ولا يصنع ما تصنع قريش من عدم وقوفها مع الناس بعرفات، ووقوفها بالمزدلفة، فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أضللت بعيرا لي، فدخلت أطلبه يوم عرفة، فرأيت رسول الله ﷺ واقفا مع الناس بعرفة... (١).

❖ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرُوفًا بِالْأَمَانَةِ:

وكان ﷺ محل ثقة الناس وأماناتهم، لا يأتينه أحد على ودية من الودائع إلا أداها له، ولا يأتينه أحد على سر أو كلام إلا وجدّه عند حسن الظن به، فلا عجب أن كان معروفا في قريش قبل النبوة بالأمين.

❖ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ:

وكان الصّدق من صفاته ﷺ البارزة، شهد له بذلك العدو والصديق، ولما بعثه الله تعالى إلى الناس جميعا، وأمره أن يندّر عشيرته الأقربين، صار ينادي بظنون قريش، فلما حضروا قال لهم: «أرأيتمكم لو أخبرتكم، أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط (٢).

= والحاكم في المستدرک، کتاب التوبة والإنابة، باب عصمة النبي ﷺ من عمل الجاهلية قبل النبوة، رقم الحديث (٧٦٩٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، رقم الحديث (١٦٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في الوقوف...، رقم الحديث (١٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

[الشعراء: ٢١٤]، رقم الحديث (٤٧٧٠)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب سورة =

وَلَمَّا قَالَ هِرْقُلُ مَلِكُ الرُّومِ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ - وَكَانَ لَمْ يَزَلْ مُشْرِكًا -: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ هِرْقُلُ: فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ^(١).
قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسَوَى الْأَمَانَةِ فِي الصَّبَا وَالصَّدَقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمْنَاءِ
يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهْوَى الْعُلَا مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكُبَرَاءُ
لَوْ لَمْ تَقُمْ دِينًا لَقَامَتْ وَحْدَهَا دِينًا تُضِيءُ بِنُورِهِ الْآنَاءُ
زَانَتُكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلٌ يُغْرَى بِهِنَّ وَيُولَعُ الْكِرْمَاءُ
❀ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصُولًا لِلرَّحِمِ:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَصُولًا لِلرَّحِمِ، عَطُوفًا عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَذَوِي الْحَاجَةِ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ الضَّعِيفَ، وَيَمْسَحُ بِيَدَيْهِ بُؤْسَ الْبَائِسِينَ، وَيُفَرِّجُ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَقَدْ وَصَفَتْهُ بِهِذَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي بَدْءِ الْوَحْيِ، فَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ^(٢)، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٣).

= ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، رقم الحديث (٤٩٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث (٢٠٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، رقم الحديث (٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل...، رقم الحديث (١٧٧٣).

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٤/٢): الْكَلُّ: بفتح الكاف، وأصله الثَّقْلُ، ويدخل في حَمْلِ الْكَلِّ الإنفاق على الضَّعِيفِ، واليَتِيمِ وَالْعِيَالِ، وغير ذلك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب رقم (٣)، رقم الحديث (٣)، =

وَمِنْ هَذَا الْعَرَضِ الْمُوجِزِ نَرَى أَنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ كَانَتْ أُمْتَلَ حَيَاةٍ وَأَكْرَمَهَا، وَأَخْفَلَهَا بِمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالشَّرَفِ، وَالْكَرَامَةِ، وَعَظَمَةِ النَّفْسِ، ثُمَّ نَبَّأَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَبَعَثَهُ، فَنَمَتْ هَذِهِ الْفَضَائِلُ وَتَرَعَرَعَتْ، وَمَا زَالَتْ تَسْمُو فُرُوعَهَا، وَتَرْسُخُ أَصُولَهَا، وَتَتَّسِعُ أَفْيَاؤُهَا حَتَّى أَضَحَتْ فَرِيدَةً فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

إِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْفَاضِلَةَ الْمُثَلَّى لِمَنْ أَكْبَرَ الدَّلَائِلِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوتِهِ ﷺ، فَمَا سَمِعْنَا فِي تَارِيخِ الدُّنْيَا قَدِيمَهَا، وَحَدِيثَهَا أَنَّ حَيَاةَ كُلِّهَا فَضْلٌ وَكَمَالٌ، وَهُدًى وَنُورٌ، وَحَقٌّ وَخَيْرٌ؛ كَحَيَاةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يُعْهَدْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ شَخْصًا يَسْمُو عَلَى كُلِّ مُجْتَمَعِهِ وَهُوَ يَعِيشُ فِيهِ، وَيَنْشَأُ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ نَقَائِصِهِ وَمَثَالِبِهِ، وَهُوَ نَابِعٌ مِنْهُ، وَلَا أَنَّ نُورًا يَنْبَعُثُ مِنْ وَسْطِ ظُلُمَاتٍ، وَلَا طَهَارَةً تَنْبُعُ مِنْ وَسْطِ أَذْنَسٍ، وَأَرْجَاسٍ، وَلَا أَنَّ عِلْمًا يَكُونُ مِنْ بَيْنِ جَهَالَاتٍ وَخُرَافَاتٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِحُكْمَةٍ، وَأَمْرًا جَرَى عَلَى غَيْرِ الْمَعْهُودِ وَالْمَأْلُوفِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِعْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنَّبُوءَةِ^(١).

قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتِمِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»: فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ أَفْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا، وَأَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً،

= ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٠).

(١) انظر: السيرة النبوية، للدكتور محمد أبو شهبة (١/٢٣٩).

وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدْنِسُ الرِّجَالَ، تَنْزُّهَا وَتَكْرُمُهَا، حَتَّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إِلَّا «الْأَمِينُ»، لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ^(١).

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: وَكَانَ ﷺ مَجْبُولًا عَلَيْهَا - أَيِ: الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ - فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِ وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ، لَمْ تَحْصُلْ لَهُ بِاِكْتِسَابٍ وَلَا رِيَاضَةٍ إِلَّا بِجُودِ إِلَهِيٍّ وَخُصُوصِيَّةِ رَبَّانِيَّةِ^(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ: أَنَّ الْمُصْطَفَى ﷺ كَانَ مَعْصُومًا قَبْلَ الرُّوحِيِّ، وَبَعْدَهُ، وَقَبْلَ التَّشْرِيعِ مِنَ الزَّنَى قَطْعًا، وَمِنَ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ، وَالسُّكْرِ، وَالسُّجُودِ لِبُتْنٍ، وَالِاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ، وَمِنَ الرَّدَائِلِ، وَالسَّفْهِ وَبَذَاءِ اللِّسَانِ، وَكَشَفِ الْعَوْرَةِ، فَلَمْ يَكُنْ يَطُوفُ عُريَانًا، وَلَا كَانَ يَقِفُ يَوْمَ عَرَفَةَ مَعَ قَوْمِهِ بِمُزْدَلِفَةٍ؛ بَلْ كَانَ يَقِفُ بِعَرَفَةَ، وَبِكُلِّ حَالٍ لَوْ بَدَأَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمَا كَانَ عَلَيْهِ تَبِعَةٌ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْرِفُ، وَلَكِنْ رُبُّهُ الْكَمَالِ تَأَبَّى وَفُوعَ ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ^(٣).

وَقَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَقَدْ قَرَأْنَا سِيرَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ، وَالْعَبَاقِرَةِ، وَالْمُصْلِحِينَ، وَأَصْحَابَ النَّحْلِ، وَالْمَذَاهِبِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَمَا وَجَدْنَا حَيَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ تَخْلُو مِنَ الشَّدُوذِ عَنِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَالتَّفَكِيرِ الصَّحِيحِ، وَالْخُلُقِ الرَّضِيِّ، إِمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّفَكِيرِ، وَإِمَّا مِنْ نَاحِيَةِ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي أَسْمَائِهِمْ وَأَرْكَانِهِمْ: كَفَى الْمَرْءَ نُبَلَاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ! حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَقَدْ نَشَأَهُمُ اللَّهُ ﷻ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ، وَعَظِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَقَدْ بَلَغَ الذُّرْوَةَ فِي الْكَمَالِ خَاتَمُهُمْ وَسَيِّدُ الْبَشَرِ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢٠).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٨٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٣٠، ١٣١).

كُلُّهُمْ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ^(١).

❖ قَلَقٌ غَامِضٌ وَعَدَمٌ تَرْقُبُ لِنُبُوءَةٍ أَوْ رِسَالَةٍ:

وكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ قَلَقًا غَامِضًا لَا يَعْرِفُ مَصْدَرَهُ وَلَا مَصِيرَهُ، وَمَا كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِهِ لَحْظَةً، مَا اللَّهُ مُكْرِمُهُ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَلَا يَحْلُمُ بِذَلِكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْتَشْرِفُ لِلنُّبُوءَةِ، وَلَا يَحْلُمُ بِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ يُلْهِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى الْخُلُوعَ لِلْعِبَادَةِ تَظْهِيرًا، وَإِعْدَادًا رُّوحِيًّا لَتَحْمِلِ أَعْبَاءَ الرِّسَالَةِ، وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَشْرِفُ لِلنُّبُوءَةِ لَمَا فَرَعَ مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَلَمَا نَزَلَ إِلَى خَدِيجَةَ يَسْتَفْسِرُهَا عَنْ سِرِّ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ الَّتِي رَأَاهَا فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَلَمْ يَتَأَكَّدْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَّا بَعْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ^(٢).

وكانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَرْبِيَّتِهِ، أَنْ نَشَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، فَكَانَ أَبْعَدَ عَنْ تُهْمَةِ الْأَعْدَاءِ، وَظَنَّةِ الْمُفْتَرِينَ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكَ إِذَا أَتَاكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وَقَدْ لَقَبَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْأُمِّيِّ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَحْدُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) انظر: السيرة النبوية، للدكتور محمد أبو شهبه (١/٢٤٠).

(٢) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر (ص٤٨)، للدكتور مصطفى السباعي.

إِرْهَاصَاتُ ^(١) الْبِغْثَةِ

✽ حَجَبُ الشَّيَاطِينِ عَنِ اسْتِرَاقِ ^(٢) السَّمْعِ عِنْدَ قُرْبِ مَبْعَثِهِ ﷺ:

قال ابنُ إسحاق: فَلَمَّا تَقَارَبَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَضَرَ مَبْعَثُهُ، حُجِبَتِ الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمْعِ، وَحِيلَ ^(٣) بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَقَاعِدِ الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِيهَا، فَرُمُوا بِالنُّجُومِ، فَعَرَفَتِ الْجِنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِأَمْرِ حَدَثَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ، وَهُوَ يَقْصُصُ عَلَيْهِ خَبَرَ الْجِنِّ إِذْ حُجِبُوا عَنِ السَّمْعِ، فَعَرَفُوا مَا عَرَفُوا، وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ حِينَ رَأَوْا مَا رَأَوْا: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ (٤) وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَ نقُولُ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ (٦)﴾ [الجن: ١ - ٦] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَهُمْ شَهَابًا مِّصَدًا ۝ (٩) وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمُنُ فِي الْأَرْضِ أَمْرَ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ (١٠)﴾ [الجن: ٩، ١٠].

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْجِنُّ الْقُرْآنَ عَرَفَتْ أَنَّهَا إِنَّمَا مُنِعَتْ مِنَ السَّمْعِ قَبْلَ ذَلِكَ،

(١) الإِرْهَاصَاتُ: أي: المُقَدِّمَاتُ. انظر: لسان العرب (٣٤٣/٥).

(٢) تَسْتَرِيقُ السَّمْعِ: من السَّرِيقَةِ؛ أي: أنها تَسْتَمِعُ الخبرَ مِنَ السَّمَاءِ مُخْتَفِيَةً كَمَا يَفْعَلُ السَّارِقُ. انظر: النهاية (٣٢٦/٢).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦٧٤/٩): حِيلَ: بكسر الحاء؛ أي: حُجِرَ وَمُنِعَ.

لئَلَّا يَشْكُلَ الْوَحْيُ بِشَيْءٍ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَيَلْتَبَسَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، لِيُفُوعَ الْحُجَّةُ، وَقَطَعَ الشُّبْهَةُ، فَأَمَّنُوا وَصَدَّقُوا، ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، ﴿قَالُوا يَلْفَمُونَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠] (١).

✽ مَتَى حَدَثَ هَذَا الرَّصْدُ (٢)؟

اِخْتَلَفَ فِي هَذَا الرَّصْدِ هَلْ كَانَ قَبْلَ الْبُعْثَةِ أَمْ بَعْدَهَا؟ وَهَلْ كَانَ مُسْتَمِرًّا أَمْ عَلَى فتراتٍ؟

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَهُمْ (٣)، انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ (٤) إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّبْهُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا

(١) انظر الخبر في: سيرة ابن هشام (١/٢٤١ - ٢٤٢).

(٢) التَّرْصُدُ: التَّرْقُبُ. انظر: لسان العرب (٥/٢٢٣).

(٣) قال البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٢٧): وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي ﷺ، وعلمت بحالِهِ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يَرَهُمْ، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورأى آثارَهُمْ، وآثَرَ نيرانِهِمْ، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٥٦٢): فيُجْمَعُ بَيْنَ مَا نَفَاهُ، وَمَا أَثْبَتَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ بَتَعْدُ وَفُودَ الْجِنِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَّا مَا وَقَعَ بِمَكَّةَ فَكَانَ لِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، وَأَمَّا فِي الْمَدِينَةِ فَلِلسُّؤَالِ عَنِ الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ بَيْنَ فِي الْحَدِيثَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقُدُومُ الثَّانِي كَانَ أَيْضًا بِمَكَّةَ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فَلَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنْ ذَلِكَ وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ، وَيَحْتَمِلُ تَعَدُّ الْقُدُومِ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، وَبِالْمَدِينَةِ أَيْضًا.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/٦٧٤): عَامِدِينَ: أَي: قَاصِدِينَ.

وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ؛ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِنَخْلَةٍ^(١) عَامِدًا إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ^(٢)، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ، اسْتَمِعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَهَنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١، ٢]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ...﴾ [الجن: ١]، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ^(٣).

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الْجِنُّ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فَيَسْتَمِعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَرِيدُونَ فِيهَا عَشْرًا، فَيَكُونُ مَا سَمِعُوا حَقًّا، وَمَا زَادُوهُ بَاطِلًا، وَكَانَتِ النُّجُومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَأْتِي مَفْعَدَهُ إِلَّا رُمِيَ بِشِهَابٍ يُحْرِقُ مَا أَصَابَ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرِ قَدْ حَدَثَ. فَبَثَّ جُنُودَهُ، فَإِذَا هُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ نَخْلَةٍ، فَأَتَوْهُ

(١) نخلة: هو موضع بالحجاز قريب من مكة، فيه نخل وزرع. انظر: معجم البلدان (٨/ ٣٨١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦٧٥/٩): وَلَا يُعَكَّرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ: إِنَّهُمْ رَأَوْهُ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ... فَيَكُونُ إِطْلَاقُ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ بَاعْتِبَارِ الزَّمَانِ، لَا لَكُونِهَا إِحْدَى الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، فَتَكُونُ قِصَّةُ الْجِنِّ مُتَقَدِّمَةً مِنْ أَوَّلِ الْمَبْعُثِ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم الحديث (٧٧٣)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قال ابن عباس: لَبَدًا أَعْوَانًا، رقم الحديث (٤٩٢١)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم الحديث (٤٤٩).

فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض^(١).

قال الإمام السهيلي: ذكر عبد الرزاق، في «تفسيره» عن معمر عن ابن شهاب الزهري رحمه الله أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَحَالٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ [الجن: ٨]، ولم يقل: حُرست، دليل على أنه كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ مُلئت حرسًا شديدًا وشهبًا، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع، وإن وُجد اليوم كاهن، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع، فإن ذلك التعليل والتشديد كان زمن النبوة، ثم بقيت منه، أعني: من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الدور في بعض الأزمنة، وفي بعض البلاد^(٣).

وقال الحافظ في «الفتح»: وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سَهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩] فمعناه: الشهب كانت ترمي فتصيب تارة ولا تُصيب تارة أخرى، وبعد البعثة أصابتهم إصابة مُستمرة فوصفوها لذلك بالرصد؛ لأن الذي يرصد الشيء لا يخطئه، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أضلها، وأما قول السهيلي: لولا أن الشهاب قد يخطئ الشيطان لم يتعرض له مرة أخرى، فجوابه يجوز أن يقع التعرض مع تحقق الإصابة لرجاء اختطاف الكلمة، وإلقائها قبل إصابة الشهاب، ثم لا يُبالي المختطف

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الجن، رقم الحديث

(٣٦١٣)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٢٤٨٢).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦٧٦/٩): وهذا جمع حسن.

(٣) انظر: الروض الأنف (٣٥٦/١).

بِالْإِصَابَةِ لِمَا طُعِنَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ^(١).

❀ هَلْ انْقَطَعَ هَذَا الرَّمْيُ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْ لَا؟

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ الرَّمْيُ غُلْظًا وَشُدَّدَ بِسَبَبِ نُزُولِ الْوَحْيِ، فَهَلْ انْقَطَعَ بِانْقِطَاعِ الْوَحْيِ - أَيْ: بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ - أَمْ لَا...؟

فَالْجَوَابُ: يُؤْخَذُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ الْمُتَقَدِّمِ، فِيهِ: قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ... قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ...»^(٢).

فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ التَّغْلِيظِ وَالْحِفْظِ لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُلْقَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ مَعَ شِدَّةِ التَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ لَمْ يَنْقَطِعْ طَمَعُهُمْ فِي اسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَيْفَ بِمَا بَعْدَهُ.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعِيسَى بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا طَلَّقَ نِسَاءَهُ: إِنِّي لَا أَظُنُّ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ، فَقَذَفَهُ فِي نَفْسِكَ...^(٣).

فَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اسْتِرَاقَهُمُ السَّمْعَ اسْتَمَرَّ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا

(١) انظر: فتح الباري (٦٧٧/٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (٢٢٢٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٦٣١)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤١٥٦)، وإسناده صحيح.

يَقْصِدُونَ اسْتِمَاعَ الشَّيْءِ مِمَّا يَحْدُثُ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ، إِلَّا إِنْ اخْتَطَفَ أَحَدُهُمْ بِخَفَّةِ حَرَكَتِهِ خَطْفَةً، فَيَتَّبِعُهُ الشَّهَابُ، فَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا لِأَصْحَابِهِ فَأَتَتْ وَإِلَّا سَمِعُوهَا، وَتَدَاوَلُوهَا، وَهَذَا يَرِدُ عَلَى قَوْلِ الْإِمَامِ السُّهَيْلِيِّ الْمُقَدِّمِ ذِكْرُهُ^(١).

❀ وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ:

قُلْتُ: ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٢)، وَابْنُ سَعْدٍ^(٣): أَنَّ إِسْلَامَ الْجِنِّ وَالتَّقَائِمُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - كَانَ بَعْدَ رُجُوعِهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيَرَةِ قِصَّةَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِبَائِهِمْ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطُولِهَا، وَأوردَ ذَلِكَ الدُّعَاءَ الْحَسَنَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي..» إِلَى آخِرِهِ. قَالَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بَاتَ بِنَخْلَةٍ، فَقَرَأَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاسْتَمَعَهُ الْجِنُّ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ.

وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَكِنْ قَوْلُهُ: إِنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ فِي ابْتِدَاءِ الْإِيحَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثِ^(٥) الَّذِي فِيهِ الْمُبَالَغَةُ فِي رَمِي الشُّهْبِ لِحِرَاسَةِ السَّمَاءِ مِنْ اسْتِرَاقِ الْجِنِّ السَّمْعَ ذَالًا عَلَى أَنَّ

(١) انظر: فتح الباري (٦٧٧/٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥/٢).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (١٠٢/١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٩٠/٧).

(٥) هو: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ قَلِيلٍ مِنْ أَمْرِ التَّبَاسِ الْأَمْرِ عَلَى الْجِنِّ، وَبَسَبَ إِرْسَالِ الشُّهْبِ عَلَيْهِمْ.

ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ النَّبِيِّ، وَإِنزَالِ الْوَحْيِ إِلَى الْأَرْضِ، فَكَشَفُوا ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَقَفُوا عَلَى السَّبَبِ، ثُمَّ لَمَّا انْتَشَرَتِ الدَّعْوَةُ، وَأُسْلِمَ مَنْ أُسْلِمَ، قَدِمُوا فَسَمِعُوا، فَأُسْلِمُوا، ثُمَّ تَعَدَّدَ مَجِيئُهُمْ حَتَّى فِي الْمَدِينَةِ^(١).

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي «الْفَتْحِ»: وَالَّذِي تَصَافَرْتُ بِهِ الْأَخْبَارُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ فِي أَوَّلِ الْبُعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ... فَتَكُونُ قِصَّةُ الْجِنِّ مُتَقَدِّمَةً مِنْ أَوَّلِ الْمَبْعَثِ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا لَمْ يُنَبَّهْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِمَّنْ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِهِمْ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ^(٢).

✽ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ:

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ: «مَا فِي إِدَاوَتِكَ»^(٣)؟ أَوْ رَكَوَتِكَ؟^(٤).

قُلْتُ: نَبِيذٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَمْرَةٌ طَيِّبَةٌ، وَمَاءٌ طَهُورٌ»، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ^(٥). فَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ لَيْلَةَ لِقَائِهِ بِالْجِنِّ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: هَذَا الْحَدِيثُ أَطْبَقَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ عَلَى تَضْعِيفِهِ^(٦).

(١) انظر: فتح الباري (٥٦٣/٧). (٢) انظر: المرجع السابق (٦٧٤/٩).

(٣) الإِدَاوَةُ: بَكْسِرُ الْهَمْزَةِ إِنَاءً صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُتَّخَذُ لِلْمَاءِ. انظر: النهاية (٣٦/١).

(٤) الرُّكُوءَةُ: بَفَتْحِ الرَّاءِ إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُشْرَبُ فِيهِ الْمَاءُ. انظر: النهاية (٢٣٧/٢).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ، رقم الحديث (٨٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ، رقم الحديث (٨٤)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٧٨٢) (٣٨١٠)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (٥٠٤٧).

(٦) انظر: المرجع السابق (٤٧١/١).

قُلْتُ: وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ لَيْلَةَ الْجَنِّ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ - أَوَّلَ مَرَّةٍ -، وَلَفْظُهُ: قَالَ عَلَقَمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: هَلْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجَنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ^(١)، وَلَكِنَّا قَدْ فَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُلْنَا: أُغْتِيلَ؟ اسْتَطِيرَ^(٢)؟ مَا فَعَلَ؟

قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ - أَوْ قَالَ: فِي السَّحَرِ - إِذَا نَحْنُ بِهِ مِنْ قَبْلِ حِرَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَّرُوا الَّذِي كَانُوا فِيهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجَنِّ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ». قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: فَانْطَلَقَ بِنَا، فَأَرَانِي آثَارَهُمْ، وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ^(٣).

✽ تَعَدُّدُ وَفُودِ الْجَنِّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ:

تَبَّتْ تَعَدُّدُ وَفُودِ الْجَنِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا أَوَّلًا كَانَ سَبَبُ مَجِيئِهِمْ مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ إِرْسَالِ الشُّهْبِ، وَسَبَبُ مَجِيئِ الَّذِينَ فِي قِصَّةِ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٤) أَنَّهُمْ جَاؤُوا لِقَصْدِ الْإِسْلَامِ، وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَالسُّؤَالِ عَنْ

(١) قال النووي في شرح مسلم (٤/١٤١): هذا صريح في إبطال الحديث المروي في سنن أبي داود وغيره المذكور فيه الوضوء بالنيبذ، وحضور ابن مسعود رضي الله عنه معه ﷺ ليلة الجن، ... وحديث النيبذ ضعيف باتفاق المحدثين.

(٢) قال النووي في شرح مسلم (٤/١٤١): معنى اسْتَطِيرَ: أَي: طارت به الجن.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقرآن في الصبح والقراءة على الجن، رقم الحديث (٤٥٠)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤١٤٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم الحديث (٤٥٠) (١٥٠)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤١٤٩).

أَحْكَامِ الدِّينِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(١)، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى
الْأَدِلَّةِ عَلَى تَعَدُّدِ الْقِصَّةِ، فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَالْقِصَّةُ
الْأُولَى كَانَتْ عَقِبَ الْمَبْعَثِ^(٢).



(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر
الجن، رقم الحديث (٣٨٦٠).
(٢) انظر: فتح الباري (٦٧٨/٩).



مُقَدِّمَاتُ نُزُولِ الْوَحْيِ

فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بَدَأَتْ تَلُوحُ آثَارُ النُّبُوَّةِ عَلَيْهِ ﷺ، فَمِنْ هَذِهِ
الْعَلَامَاتِ وَالْآثَارِ:

❖ أَوَّلًا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ:

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النُّبُوَّةِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ^(١)، فَكَانَ لَا
يَرَى رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَقَلَقِ الصُّبْحِ^(٢)، حَتَّى مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ سِتَّةُ
أَشْهُرٍ، ثُمَّ بُدِئَ بِالْوَحْيِ ﷺ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا
بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى
رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ قَلَقِ الصُّبْحِ^(٣).

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٤/١): بُدِئَ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ لِيَكُونَ تَمْهِيدًا وَتَوَظُّعًا لِلْيَقَظَةِ.

وفي رواية أخرى في الصحيح: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ.

قال الحافظ في الفتح (٣٧٧/١٤): وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمُورِ الْآخِرَةِ فِي حَقِّ
الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمُورِ الدُّنْيَا فَالصَّالِحَةُ فِي الْأَصْلِ أَخْصَرُ، فَرُؤْيَا النَّبِيِّ كُلِّهَا صَادِقَةٌ
وَقَدْ تَكُونُ صَالِحَةً وَهِيَ الْأَكْثَرُ، وَغَيْرُ صَالِحَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلدُّنْيَا كَمَا وَقَعَ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٤/١): الْمُرَادُ بِقَلَقِ الصُّبْحِ ضَيَاؤُهُ، وَخُصَّ بِالتَّشْبِيهِ لِظُهُورِهِ
الْوَاضِحِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب رقم (٣)، رقم الحديث (٣)،
وأخرجه في كتاب التفسير، باب (١)، رقم الحديث (٤٩٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب
الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٠).

❀ ثَانِيًا: حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِلْخُلُوةِ:

وَلَمَّا تَقَارَبَتْ سِنُّ النَّبِيِّ ﷺ الْأَرْبَعِينَ حَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوةَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَخَدَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْجُرُ مَكَّةَ كُلَّ عَامٍ لِيَقْضِيَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي غَارِ حِرَاءٍ^(١)، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّنُ^(٢) بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّدُ لِحَلْوَتِهِ لِبَعْضِ لَيَالِي الشَّهْرِ، فَإِذَا نَفَدَ ذَلِكَ الزَّادُ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَزَوَّدُ قَدَرِ ذَلِكَ، فَيَقِيمُ فِي حِرَاءٍ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، وَيَقْضِي وَقْتَهُ فِي التَّفَكِيرِ فِيمَا حَوْلَهُ مِنْ مَشَاهِدِ الْكَوْنِ، وَفِيمَا وَرَاءَهَا مِنْ قُدْرَةِ مُبْدِعَةٍ، حَتَّى وَصَلَ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْإِشْرَاقِ إِلَى مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ انْعَكَسَتْ فِيهَا أَشِعَّةُ الْغُيُوبِ

(١) حِرَاءٌ: بكسر الحاء، غارٌ صَغِيرٌ في جَبَلٍ من جِبَالِ مَكَّةَ، يُعرف بِجَبَلِ النُّورِ. انظر: النهاية (٣٦٢/١).

قال ابن أبي جَمْرَةَ فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٣٧٧/١٤): الْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِهِ ﷺ بِاللَّحْلِ فِي غَارِ حِرَاءٍ أَنَّ الْمُقِيمَ فِيهِ كَانَ يُمَكِّنُهُ رُؤْيَا الْكَعْبَةِ، فَيَجْتَمِعُ لِمَنْ يَخْلُو فِيهِ ثَلَاثُ عِبَادَاتٍ: الْخُلُوةُ، وَالتَّعَبُّدُ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَيْتِ.

(٢) يَتَحَنَّنُ: أَي: يَتَعَبَّدُ. انظر: النهاية (٤٣٢/١).

قال الحافظ في الفتح (٧٣٦/٩): ... وهذا يلتفت إلى مَسْأَلَةِ أَصُولِيَّةٍ، وهو أَنَّهُ ﷺ هَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ مُتَعَبِّدًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّ قَبْلَهُ؟

قال الجمهور: لا؛ لأنه لو كان تَابِعًا لَاسْتَبَعَدَ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا، ولأنَّهُ لو كَانَ لِنُقُلٍ مَنْ كَانَ يَنْسَبُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: نَعَمْ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِهِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: آدَمُ ﷺ، وَالثَّانِي: نُوحٌ ﷺ، وَالثَّالِثُ: إِبْرَاهِيمُ ﷺ ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ آيَةِ (١٢٣): ﴿أَنْ أَتَيْعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، وَالرَّابِعُ: مُوسَى ﷺ، وَالخَامِسُ: عِيسَى ﷺ، وَالسَّادِسُ: بِكُلِّ شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْ شَرْعِ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَحِجَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ آيَةِ (٩٠): ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْهُمْ أَقْدَرَهُ﴾، وَالسَّابِعُ: الْوَقْفُ، وَلَا تَخْفَى قُوَّةُ الثَّالِثِ، وَلَا سِيَمَا مَعَ مَا نُقِلَ مِنْ مَلَازِمَتِهِ ﷺ الْحَجَّ وَالطَّوَافَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا بَقِيَ عَنْهُمْ مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

عَلَى صَفْحَةٍ قَلْبِهِ الْمَجْلُوءَةِ، فَأُضْبِحَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَتْكَ الصُّبْحُ^(١).
 رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ... ثُمَّ حُبِّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ،
 وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ^(٢).
 وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَضَى جَوَارَهُ^(٣) مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ
 إِذَا انْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ الْكُعْبَةَ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ.
 وَظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْوَحْيُ وَهُوَ فِي
 إِحْدَى خَلَوَاتِهِ تِلْكَ^(٤).

❁ ثَالِثًا: تَسْلِيمُ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي
 لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»^(٥).

-
- (١) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي (ص ٨٥).
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب (٣)، رقم الحديث (٣)، وأخرجه في
 كتاب التعبير، باب أول ما بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، رقم الحديث (٦٩٨٢)، ومسلم
 في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٠).
 (٣) الْجَوَارُ: الاغْتِكَافُ. انظر: النهاية (٣٠٢/١).
 قال الإمام السهيلي في الروض الأنف (٤٠٠/١): والفرق بين الْجَوَارِ وَالْإِعْتِكَافِ، أَنْ
 الْإِعْتِكَافَ لَا يَكُونُ إِلَّا دَاخِلَ الْمَسْجِدِ، وَأَمَّا الْجَوَارُ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ خَارِجَهُ.
 (٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب رقم (٣)، رقم الحديث (٣)، ومسلم
 في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٠).
 (٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه
 قبل النبوة، رقم الحديث (٢٢٧٧).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ - وَلَهُ شَوَاهِدٌ يَتَقَوَّى بِهَا إِلَى الْحَسَنِ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِمَكَّةَ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ، وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١).

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حِينَ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَامَتِهِ، وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحَسَّرَ ^(٢) عَنْهُ الْبُيُوتُ، وَيُقْضَى إِلَى شِعَابٍ ^(٣) مَكَّةَ وَبُطُونٍ أَوْدِيَّتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٤)، قَالَ: فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَوْلَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، وَخَلْفِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ، وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ^(٥).

❁ رَابِعًا: سَمَاعُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الصَّوْتِ وَرُؤْيَاهُ الضُّوْءَ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقَامَ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب ما جاء في آيات نبوة النبي صلى الله عليه وآله، رقم الحديث (٣٩٥٤)، والحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٤٢٩٦)، وأورده الألباني في الصحيحة، رقم الحديث (٢٦٧٠) وحسنه.

(٢) حَسَرَ: انْكَشَفَ. انظر: لسان العرب (١٦٨/٣).

(٣) الشُّعْبُ: مَا انْفَرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ. انظر: لسان العرب (١٢٦/٧).

(٤) قال الإمام السهيلي في الرُّوضِ الْأَنْفِ (٣٩٩/١): وَهَذَا التَّسْلِيمُ الْأَظْهَرُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْطَقَهُ إِنْطَاقًا كَمَا خَلَقَ الْحَيَّيْنِ فِي الْجِذْعِ.

أخرج قصة حنين الجذع: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٥٨٣) (٣٥٨٤) (٣٥٨٥).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢٧١/١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، يَسْمَعُ الصَّوْتِ، وَيَرَى الضَّوْءَ^(١) سَبْعَ سِنِينَ، وَلَا يَرَى شَيْئًا، وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «إِنِّي أَرَى ضَوْءًا وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جُنُنٌ»^(٣)، فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ! ثُمَّ أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ يَكُ صَادِقًا، فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ^(٤) مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَى، فَإِنْ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَأَعِزُّهُ^(٥)، وَأَنْصُرُهُ، وَأُؤَمِّنُ بِهِ^(٦).



(١) قال القاضي عياض في شرح مسلم (٨/٨٥): أي: صَوْتُ الهَاتِفِ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَرَى الضَّوْءَ؛ أي: نُورَ الْمَلَائِكَةِ، وَنُورَ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى رَأَى الْمَلَكَ بَعِيْنِهِ، وَشَافَهُهُ بِوَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، رقم الحديث (٢٣٥٣) (١٢٣).

(٣) قال السندي في شرح المسند (٣/٩٦): جُنُنٌ: هَكَذَا فِي النِّسْخِ وَالظَّاهِرِ: جُنُونٌ، فَإِنْ الْجُنُنُ؛ بَفَتْحَتَيْنِ: الْقَبْرِ، وَالْمَيْتِ، وَالْكَفَنِ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ، وَلَا شَيْءَ مِنْهَا يَنْبَغُ الْمَقْصُودُ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَبَا الْبَقَاءِ قَالَ: أَصْلُهُ: جُنُونٌ - بِالْوَاوِ - فَحُذِفَتْ تَخْفِيفًا، وَلِدَلَالَةِ الْضَمَةِ عَلَيْهَا، وَعَلَى هَذَا فَهُوَ - بَضْمَتَيْنِ -.

(٤) النَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، أَرَادَ بِهِ جِبْرِيلَ ﷺ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهُ بِالْوَحْيِ وَالْغَيْبِ اللَّذَيْنِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا غَيْرُهُ. انظر: النهاية (٥/١٠٤).

(٥) التَّعْزِيرُ: هَاهُنَا مَعْنَاهُ: الْإِعَانَةُ، وَالتَّوْقِيرُ، وَالنَّصْرُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. انظر: النهاية (٣/٢٠٦).
ومنه قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ آيَةِ (١٥٧): ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٨٤٥).



الْأَحْدَاثُ مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ إِلَى الْهَجْرَةِ نُزُولُ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَلَمَّا تَكَامَلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَخَرَجَ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، بِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ، وَبَعَثَهُ ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ^(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ، أَشْرَقَ عَلَيْهِ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ، وَبَعَثَهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَاخْتَصَّه بِكَرَامَتِهِ، وَجَعَلَهُ أَمِينَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ^(٣).

وَقَالَ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ الصَّرْصَرِيُّ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٨١/١٥).

(٣) انظر: زاد المعاد (٧٦/١).

(٤) هو: الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرْصَرِيُّ نسبة إلى صَرْصَر قرية على =

وَأَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ النُّبُوءَةِ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ
وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ:
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «فِيهِ وَلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ»^(١).
✽ حَدِيثُ عَائِشَةَ رضي الله عنها:

وَلَنَسْتَمِعَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَرْوِي لَنَا قِصَّةَ بَدْءِ الْوَحْيِ،
قَالَتْ رضي الله عنها: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ^(٢) فِي
النُّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ... حَتَّى جَاءَهُ
الْحَقُّ^(٣) وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ ﷺ: «مَا
أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: «فَاخْذَنِي فَنُطِّنِي»^(٤) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ

= فرسخين من بغداد، العلامة الحافظ اللُّغَوِي، كان إليه الْمُنتَهَى في معرفة اللُّغة، وحُسن
الشُّعر، وديوانه ومدايحُه سائرة، يُشَبَّهُ في عصره بحُسان بن ثابت رضي الله عنه، وكان صالحاً قُدُوةً
كثيرَ التلاوة، عظيمَ الاجتهادِ صَبُورًا قَنُوعًا، قَتَلَهُ النَّارُ يَوْمَ دَخَلُوا بَغْدَادَ سَنَةَ (٦٥٦هـ).
انظر: شذرات الذهب (٢٨٦/٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل
شهر...، رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٨).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧٣٥/٩): أي: في أوَّلِ الْمُبْتَدَاتِ مِنْ إِبْجَادِ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا، وَأَمَا
مُطْلَقٌ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوتِهِ، فَتَقَدَّمَ لَهُ أَشْيَاءُ مِثْلُ: تَسْلِيمِ الْحَجَرِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٥/١): أي: الْأَمْرُ الْحَقُّ، وَسُمِّيَ حَقًّا؛ لِأَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢٧٣/١): فَغَنَّنِي.

قال ابن الأثير في النهاية (٣٠٨/٣): الْغَتُّ وَالْغَطُّ سَوَاءٌ، كَأَنَّهُ أَرَادَ عَصْرَنِي عَصْرًا شَدِيدًا
حَتَّى وَجَدْتُ مِنْهُ الْمَسَقَّةَ.

أَرْسَلَنِي»^(١)، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»^(٢) فَأَخَذَنِي، فَعَطَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَنِي»^(٣) الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾.

فَرَجَعَ بِهَا^(٥) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ^(٦)، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»^(٧)، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ

- (١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٢/٢): أَرْسَلَنِي: أي: أَطْلَقَنِي.
- (٢) قال الحافظ في الفتح (٣٥/١): أي: ما أَحْسِنُ الْقِرَاءَةَ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا قِيلَ لَهُ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لا تَقْرُؤُهُ بِقَوَّتِكَ وَلَا بِمَعْرِفَتِكَ، لَكِنْ بِحَوْلِ رَبِّكَ وَإِعَانَتِهِ، فَهُوَ يُعَلِّمُكَ، كَمَا خَلَقَكَ، وَكَمَا نَزَعَ عَنْكَ عِلْقَ الدَّمِ، وَغَمَزَ الشَّيْطَانُ فِي الصَّغَرِ، وَعَلَّمَ أُمَّتَكَ حَتَّى صَارَتْ تَكْتُبُ بِالْقَلَمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أُمِّيَّةً...، والتقدير: لَسْتُ بِقَارِيٍّ الْبَتَّةَ.
- (٣) قال الحافظ في الفتح (٧٣٨/٩): والحكمة في هذا الغَطُّ لإظهارِ الشَّدَّةِ، والجِدِّ في الأمرِ تَنْبِيْهَا عَلَى ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي سَيَلْقَى إِلَيْهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَنَّهُ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ أُقْبِيَ إِلَيْهِ. وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي تَكْرِيرِ الْإِقْرَاءِ الْإِشَارَةُ إِلَى انْحِصَارِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَنْشَأُ الْوَحْيُ بِسَبَبِهِ فِي ثَلَاثٍ: الْقَوْلُ، وَالْعَمَلُ، وَالنِّيَّةُ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثٍ: التَّوْحِيدُ، وَالْأَحْكَامُ وَالْقَصَصُ، وَفِي تَكْرِيرِ الْغَطِّ الْإِشَارَةُ إِلَى الشَّدَائِدِ الثَّلَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ لَهُ ﷺ وَهِيَ: الْحَضَرُ فِي الشُّعْبِ، وَخُرُوجُهُ فِي الْهَجْرَةِ، وَمَا وَقَعَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَفِي الْإِرْسَالِ الثَّلَاثِ إِشَارَةً إِلَى حَصُولِ التَّيْسِيرِ لَهُ عَقِبَ الثَّلَاثِ الْمَذْكُورَةِ: فِي الدُّنْيَا، وَالْبَرَزَخِ، وَالْآخِرَةِ.
- (٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٢/٢): هَذَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ اقْرَأْ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاهِيرُ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.
- (٥) قال الحافظ في الفتح (٣٦/١): أي: بِالْآيَاتِ أَوْ بِالْقِصَّةِ.
- (٦) قال الحافظ في الفتح (٣٨١/١٤): الْحِكْمَةُ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْقَلْبِ إِلَى الْفُؤَادِ أَنَّ الْفُؤَادَ وَغَاءُ الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ، فَإِذَا حَصَلَ لِلْوَعَاءِ الرَّجْفَانُ حَصَلَ لِمَا فِيهِ، فَيَكُونُ فِي ذِكْرِهِ مِنْ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ مَا لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْقَلْبِ.
- (٧) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٣/١): مَعْنَى زَمِّلُونِي أَي: غَطُّوْنِي بِالثِّيَابِ، وَلُغَوْنِي بِهَا.

الرَّوْعُ^(١)، فَقَالَ لِحَدِيَجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرُ: «لَقَدْ خَشِيتُ^(٢) عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيَجَةُ: كَلَّا^(٣) وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا^(٤)، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ^(٥)، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ^(٦)، وَتُقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٧)، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيَجَةُ حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى - ابْنِ عَمِّ خَدِيَجَةَ -، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ

وقال الحافظ في الفتح (٧٣٩/٩): قال ﷺ ذلك لشدة ما لحقه من هول الأمر، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفيف.

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٦/١): الرَّوْعُ: أي: الفزع.
(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٦/١): والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً... وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأسلمها من الارتياح هو الموت من شدة الرعب أو المرض.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٦/١): معناها: النفي والإبعاد.
(٤) قال ابن القيم في زاد المعاد (١٧/٣): انظر: كيف استدلّت ﷺ بما فيه ﷺ من الصفات الفاضلة، والأخلاق والشميم، على أن من كان كذلك لا يخزي أبداً، فعلمت ﷺ بكمال عقلها وفطرتها، أن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة والشميم الشريفة، تناسب أشكالها من كرامة الله، وتأييده، وإحسانه، ولا تناسب الخزي والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها، فمن رغبه الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه.

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٤/٢): الكَلُّ: بفتح الكاف وأصله الثقل، ومنه قول الله تعالى في سورة النحل آية (٧٦): ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾، ويدخل في حمل الكَلِّ الإنفاق على الضعيف، واليتيم، والعيال وغير ذلك.

(٦) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٥/٢): أي: تُعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد، ومكارم الأخلاق، أو تُكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك، ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم.

(٧) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٦/٢): النَّوَائِبُ: جمع نائبة وهي الحادثة، وإنما قالت: نوائب الحق؛ لأن النائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشر.

الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ^(١) مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمٍّ! اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُوسَى^(٢)، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا^(٣)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخِرْجِي»^(٤) هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٥)، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ^(٦) وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ^(٧).

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٩٨٢): «... وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل».

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٨/١): قال على موسى ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانيًا: لأن كتاب موسى ﷺ مُشْتَمِلٌ على أكثر الأحكام، بخلاف عيسى؛ ولأن موسى ﷺ بُعِثَ بِالنُّقْمَةِ على فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ، بخلاف عيسى، أو قاله تَحْقِيقًا لِلرَّسَالَةِ؛ لأن نُزُولَ جِبْرِيلَ على موسى مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، بخلاف عيسى فإن كثيرًا من اليهود يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٩/١): الْجَدْعُ: هو الصَّغِيرُ مِنَ الْبَهَائِمِ، كَأَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظُهورِ الدُّعَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ شَابًّا لِيَكُونَ أَمَكْنَ لِنَصْرِهِ، وبهذا يَتَبَيَّنُ سِرُّ وَضْفِهِ بِكَوْنِهِ كَانَ كَبِيرًا أَعْمَى.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٩/١) (٣٨٢/١٤): استبعد النبي ﷺ أَنْ يُخْرِجُوهُ؛ لأنه لم يكن فيه سببٌ يَقْتَضِي الإِخْرَاجَ، لما اشتملَ عليه مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ التي تَقَدَّمُ مِنْ خَدِيجَةَ وَضَفْهًا. ويحتملُ أَنْ يَكُونَ انزعاجُهُ كان مِنْ جِهَةِ خَشْيَةِ قَوَاتِ مَا أَمَلَهُ مِنْ إِيْمَانِ قَوْمِهِ بِاللَّهِ، وَإِنْقَادِهِمْ مِنْ ضَرِّ الشُّرُكِ، وَأَذْنَابِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وَلَيْتَمَ لَهُ الْمَرَادُ مِنْ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ انزعاجُ مَنْ الْأُمُورِ مَعًا.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٣٩/١): أَي: قَوِيًّا، مَأْخُودٌ مِنَ الْأَزْرِ: وَهُوَ الْقُوَّةُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِزَارِ، أَشَارَ بِذلِكَ إِلَى تَشْمِيرِهِ فِي نُصْرَتِهِ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٤٠/١): أَي: لَمْ يَلْبَثْ، وَأَصْلُ النُّشُوبِ: التَّعَلُّقُ؛ أَي: لَمْ يَتَعَلَّقْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ حَتَّى مَاتَ.

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣)، وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ التَّعْبِيرِ، بَابُ أَوَّلِ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ =

قَالَ أَحْمَدُ شَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنُودِيَ أَقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلَهَا
هُنَاكَ أَذُنٌ لِلرَّحْمَنِ فَاْمْتَلَأْتُ
فَلَا تَسْلُ عَنْ فُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتُهَا
تَسَاءَلُوا عَنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَ بِهِمْ
يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمٍ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّعْمِ
وَكَيْفَ نُفَرَّتْهَا فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ^(١)
رَمَى الْمَشَايخَ وَالْوَالِدَانَ بِاللَّمَمِ^(٢)
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ

❖ رَوَايَةٌ مُرْسَلَةٌ ضَعِيفَةٌ:

قُلْتُ: وَقَعَ فِي رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاءَنِي جِبْرِيلُ، وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ،
فَقَالَ: اقْرَأْ...»^(٣).

وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ مَعَ ضَعْفِهَا مُخَالَفَةً لِرَوَايَةِ «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ أَنَّ نُزُولَ جِبْرِيلَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ لَا فِي الْمَنَامِ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ مَا فِي
«الصَّحِيحَيْنِ»، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ لَا فِي الْمَنَامِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

❖ فَتَوْرُ الْوَحْيِ^(٤):

فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَوَّلِ مَرَّةٍ رَأَى جِبْرِيلَ ﷺ فِيهَا، مُدَّةً

= (٦٩٨٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم
الحديث (١٦٠).

(١) الْعَلَمُ: الْجَبَلُ. انظر: لسان العرب (٣٧٣/٩).

(٢) اللَّمَمُ: هِيَ صِغَارُ الذُّنُوبِ. انظر: لسان العرب (٣٣٢/١٢).

ومنه قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ آيَةُ (٣٢): ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَى وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا
اللَّيْمَ...﴾.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢٧٣/١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤٠/١): فتور الوحي: عبارة عن تأخره مُدَّةً مِنَ الزَّمانِ.

يَسِيرَةً، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: حُبِسَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، وَحُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَجَعَلَ يَخْلُو فِي حِرَاءٍ ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَكَانَ ذَلِكَ - أَي: فَتُورُ الْوَحْيِ - لِيَذْهَبَ مَا كَانَ ﷺ وَجَدَهُ مِنَ الرُّوعِ، وَلِيَحْضَلَ لَهُ التَّشَوُّفُ إِلَى الْعُودِ ^(٢).

❀ رَوَايَةُ مُرْسَلَةٍ ضَعِيفَةٍ:

قُلْتُ: وَقَعَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنِ الزُّهْرِيِّ قَوْلُهُ: ... حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَلَّمَا أَوْفَى ^(٣) بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنْ لِدَلِكِ جَأْشُهُ ^(٤)، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ^(٥).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَهِيَ مِنْ بَلَاغَاتِ الزُّهْرِيِّ، وَلَيْسَ مَوْصُولًا ^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٥٠٣٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٤٠/١).

(٣) أَوْفَى: أَي: أَشْرَفَ وَطَلَعَ. انظر: النهاية (١٨٤/٥).

(٤) الْجَأْشُ: الْقَلْبُ، يُقَالُ: فَلَانٌ رَابِطُ الْجَأْشِ: أَي: ثَابِتُ الْقَلْبِ لَا يَزْتَاغُ، وَلَا يَنْزَعُجُ لِلْعِظَائِمِ وَالشَّدَائِدِ. انظر: النهاية (٢٢٥/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب أول ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، رقم الحديث (٦٩٨٢).

(٦) انظر: فتح الباري (٣٨٣/١٤)، وانظر: السُّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ، لِلْأَلْبَانِيِّ رحمته الله، رقم الحديث (٤٨٥٨).

قُلْتُ: وَلِذَلِكَ لَمْ يَرَوْا الْإِمَامَ الْبُخَارِيَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ فِي كِتَابِ بَدْءِ الْوَحْيِ، وَإِنَّمَا رَوَاهَا فِي كِتَابِ التَّعْبِيرِ، لِيُبَيِّنَ ضَعْفَهَا.

❖ مُدَّةُ فُتُورِ الْوَحْيِ:

أَمَّا مُدَّةُ فُتُورِ الْوَحْيِ فَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهَا كَانَتْ أَيَّامًا^(١)، وَهَذَا الَّذِي يَتَرَجَّحُ بَلْ يَتَعَيَّنُ، وَأَمَّا مَا اشْتَهَرَ مِنْ أَنَّهَا دَامَتْ سِتِّينَ وَنِصْفَ أَوْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فَلَا يَصِحُّ بِحَالٍ بَعْدَ إِدَارَةِ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ الرَّوَايَاتِ^(٢).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رحمته الله: وَالَّذِي أَرْجَحُهُ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا كَانَتْ أَيَّامًا، وَأَنَّ أَقْصَاهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا، أَمَّا أَنْ يَقْضِيَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه ثَلَاثَ سَنِينَ أَوْ سِتِّينَ وَنِصْفَ مِنْ عُمُرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ وَدَعْوَةٍ فَهَذَا مَا لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ نَقْلٌ صَحِيحٌ^(٣).

❖ نَزُولُ الْوَحْيِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَالْأَمْرُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

لَمَّا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه مَعْرِفَةً الْيَقِينِ أَنَّهُ أَضْحَى نَبِيًّا لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَهُ هُوَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ تعالى، وَصَارَ تَشَوُّفُهُ وَارْتِقَابُهُ لِمَجِيءِ الْوَحْيِ سَبَبًا فِي ثَبَاتِهِ، وَاحْتِمَالِهِ عِنْدَمَا يَعُودُ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه أَثْنَاءَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ يَذْهَبُ إِلَى غَارٍ حَرَاءٍ، فَيَخْلُو فِيهِ، وَبَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا جِبْرِيلُ عليه السلام فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ، فَرُعِبَ مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَقَالَ صلوات الله عليه: «زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي»، فَرَمَلُوهُ،

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٩٤).

(٢) انظر: الرحيق المختوم (ص ٦٩).

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور محمد أبو شهبة (١/٢٦٤).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ①﴾ فَرَّ فَاذْدَرَّ ② وَرَبَّكَ فَكَذَّبَ ③ وَثَبَّكَ فَطَهَّرَ ④ وَالرَّجَزَ فَاهْجُرَ ⑤ [المدثر: ١ - ٥].

إِنَّهُ النَّدَاءُ الْعُلُويُّ الْجَلِيلُ، لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ الثَّقِيلِ... نَذَارَةٌ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةُ وَإِيقَاطُهَا، وَتَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَوْجِيهُهَا إِلَى طَرِيقِ الْخَلَاصِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ... وَهُوَ وَاجِبٌ ثَقِيلٌ شَاقٌّ، حِينَ يُنَاطُ بِفَرْدٍ مِنَ الْبَشَرِ - مَهْمَا يَكُنْ نَبِيًّا رَسُولًا - فَالْبَشَرِيَّةُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْعُصْيَانِ، وَالتَّمَرُّدِ، وَالْعُتُوِّ، وَالْعِنَادِ، وَالْإِضْرَارِ، وَالْإِلْتَوَاءِ، وَالتَّقْصِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، بِحَيْثُ تَجْعَلُ مِنَ الدَّعْوَةِ أَضْعَبَ وَأَثْقَلَ مَا يُكَلِّفُهُ إِنْسَانٌ مِنَ الْمَهَامِّ فِي هَذَا الْوُجُودِ^(١).

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ^(٢) مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ^(٣) إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ①﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجُرَ ⑤﴾ قَالَ: ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ^(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «الصَّحِيحِ» قَالَ ﷺ: «فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ:

(١) فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ، لِسَيِّدِ قُطُب (٦/٣٧٥٤).

(٢) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (٢/١٧٩): أَيُّ: فَزِعْتُ وَرُعَيْتُ.

(٣) هَوَيْتُ: أَيُّ: سَقَطْتُ. انْظُرْ: صَحِيحُ مُسْلِمَ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ (٢/١٧٩).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْمَدَثَرِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٩٢٦)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمُ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦١).

دَثُرُونِي وَصُبُّوا^(١) عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا.

قَالَ: فَدَثُرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، فَنَزَلَتْ: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِرِينَ ۖ﴾ قُرْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٢﴾ [المذثر: ١ - ٣]^(٢).

كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ آيَاتِ نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَوَامِرُ الْمُتَتَابِعَةُ الْقَاطِعَةُ إِيدَانًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ الْمَاضِيَ قَدْ انْتَهَى بِمَنَامِهِ وَهُدُوءِهِ وَسَلَامِهِ، وَأَنَّهُ أَمَامَ عَمَلٍ جَدِيدٍ يَسْتَدْعِي الْيَقْظَةَ، وَالتَّشْمِيرَ، وَالْإِنْذَارَ، وَالْإِعْذَارَ، فَلْيَحْمِلِ الرِّسَالَةَ، وَيُنْذِرِ النَّاسَ، وَلْيَأْنَسْ بِالْوَحْيِ، وَلْيَضْبِرْ عَلَى عَنَائِهِ، فَإِنَّهُ مَصْدَرُ رِسَالَتِهِ وَمَدَدُ دَعْوَتِهِ^(٣).

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَظَلَّ قَائِمًا بَعْدَهَا أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا! لَمْ يَسْتَرْخِ، وَلَمْ يَسْكُنْ، وَلَمْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ وَلَا لِأَهْلِهِ، قَامَ وَظَلَّ قَائِمًا عَلَى دَعْوَةِ اللَّهِ... يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ الْعِبَّ الثَّقِيلَ الْبَاهِظَ، وَلَا يَنْوُءُ بِهِ، عِبُّ الْأَمَانَةِ الْكُبْرَى فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، عِبُّ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، عِبُّ الْعَقِيدَةِ كُلِّهَا، وَعِبُّ الْكِفَاحِ وَالْجِهَادِ فِي مَيَادِينِ شَتَّى... عَاشَ فِي الْمَعْرَكَةِ الدَّائِبَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا، لَا يُلْهِيه شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ فِي خِلَالِ هَذَا الْأَمَدِ، مُنْذُ أَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ الْعُلُويَّ الْجَلِيلَ، وَتَلَقَّى مِنْهُ التَّكْلِيفَ الرَّهيبَ.. جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا وَعَنْ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ^(٤).

(١) قال الحافظ في الفتح (٧٤٣/٩): كَانَ الْحِكْمَةُ فِي الصَّبِّ بَعْدَ التَّدَثُّرِ طَلَبُ حُصُولِ السُّكُونِ لِمَا وَقَعَ فِي الْبَاطِنِ مِنَ الْانْزِعَاجِ، أَوْ أَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الرُّعْدَةَ تَعْقِبُهَا الْحُمَّى، وَقَدْ عُرِفَ مِنَ الطَّبِّ النَّبَوِيِّ مَعَالِجُهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب وربك فكبّر، رقم الحديث (٤٩٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦١) (٢٥٧).

(٣) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله (ص ٩٠).

(٤) في ظلال القرآن (٦/٣٧٤٢ - ٣٧٤٣)، لسيد قطب رحمه الله.

❖ نُزُولُ سُورَةِ الْمَزْمَلِ:

ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ مُبَاشَرَةً سُورَةُ الْمَزْمَلِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فِرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ، أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّلْ
 الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمّل: ١ - ٤].

وَالسُّورَةُ تَعْرِضُ صَفْحَةً مِنْ تَارِيخِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ... تَبْدَأُ بِالنِّدَاءِ الْعُلُويِّ
 الْكَرِيمِ بِالتَّكْلِيفِ الْعَظِيمِ... وَتُصَوِّرُ الْإِعْدَادَ لَهُ وَالتَّهَيُّتَةَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ،
 وَالصَّلَاةِ، وَتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ، وَالذِّكْرِ الْخَاشِعِ الْمُتَبَتِّلِ، وَالِاتِّكَالِ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ،
 وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ لِلْمُكَذِّبِينَ.

قُمْ.. قُمْ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْتَظِرُكَ، وَالْعِبَاءِ الثَّقِيلِ الْمُهِيًّا لَكَ. قُمْ
 لِلْجَهْدِ وَالنَّصَبِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ. قُمْ فَقَدْ مَضَى وَقْتُ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ.. قُمْ فَتَهَيَّأْ
 لِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتَعِدَّ..

أَجَلْ مَضَى عَهْدُ النَّوْمِ وَمَا عَادَ مُنْذُ الْيَوْمِ إِلَّا السَّهَرُ وَالتَّعَبُ وَالْجِهَادُ
 الطَّوِيلُ الشَّاقُّ^(١).

❖ اقْتِرَاضُ قِيَامِ اللَّيْلِ:

وَكَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ فُرْضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
 فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا كَامِلًا حَتَّى وَرِمَتْ أَقْدَامُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿فَاقرءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى...﴾ [المزمّل: ٢٠].
 فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرَضِيَّتِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
 أَنْبِئْنِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾؟

(١) فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ (٦/٣٧٤٤)، لِسَيِّدِ قُطُب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا^(١) اِثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ، فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا، ظَاهِرُهُ أَنَّهُ صَارَ تَطَوُّعًا فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأُمَّةِ، فَأَمَّا الْأُمَّةُ فَهُوَ تَطَوُّعٌ فِي حَقِّهِمْ بِالْإِجْمَاعِ، وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَاخْتَلَفُوا فِي نَسْخِهِ فِي حَقِّهِ، وَالْأَصَحُّ عِنْدَنَا نَسْخُهُ^(٣).

قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى	نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ
مُحْيِي اللَّيَالِي صَلَاةً لَا يُقْطَعُهَا	إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمٍ
مُسَبِّحًا لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلًا	ضُرًّا ^(٤) مِنْ الشُّهْدِ ^(٥) أَوْ ضُرًّا مِنَ الْوَرَمِ
رَضِيَّةً نَفْسُهُ لَا تَشْتَكِي سَأَمًا	وَمَا مَعَ الْحُبِّ إِنْ أَخْلَصَتْ مِنْ سَأَمٍ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى آلٍ لَهُ نُحْبُ	جَعَلَتْ فِيهِمْ لَوَاءَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
بَيْضُ الْوُجُوهِ وَوَجْهُ الدَّهْرِ دُو حَلِكٍ	شُمُّ الْأَنْوِفِ وَأَنْفُ الْحَادِثَاتِ حَمِي

❀ وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي نُزُولِ سُورَةِ الضُّحَى:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَرَةً مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى

(١) قَوْلُهَا ﷺ: وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا: تعني: أنها مُتَأَخَّرَةُ النُّزُولِ عَمَّا قَبْلُهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ رَيْكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ...﴾ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْمَزْمَلِ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمِنْ نَامٍ عَنْهُ أَوْ مَرَضٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٧٤٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢٣/٦).

(٤) الضَّرَّةُ: شِدَّةُ الْحَالِ. انظر: لسان العرب (٤٥/٨).

(٥) الشُّهْدُ: الْقَلِيلُ مِنَ النَّوْمِ. انظر: المرجع السابق (٤٠٨/٦).

شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى، يُقْسِمُ لَهُ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ، مَا وَدَّعَهُ، وَمَا قَلَّاهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾ [الضحى: ١ - ٥] (١).

❖ رَوَايَةُ الشَّيْحَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» أَصَحُّ:

رَوَى الشَّيْحَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ (٢) فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرُبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾... (٣).

وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ سُورَةُ الضُّحَى نَزَلَتْ فِي فِتْرَةٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ الْفِتْرَةِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ، فَإِنَّ تِلْكَ دَامَتْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرْتُ فِي فِتْرَةِ الْوَحْيِ، وَأَمَّا هَذِهِ فَلَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَاخْتَلَطَتَا وَاشْتَبَهَتَا

(١) الخبر في: سيرة ابن هشام (٢٧٨/١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣١٣/٣): هي أم جميل العوزاء بنت حَرْبٍ، وهي أخت أبي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وامرأة أبي لَهَبٍ، وكانت هذه المرأة تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وكانت تُعَيِّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْفَقْرِ، ثم كانت مع كثرة مالها تَحْمِلُ الْحَطَبَ عَلَى ظَهْرِهَا، لِشِدَّةِ بُخْلِهَا، وكانت تَطْرَحُ الشُّوكَ بِاللَّيْلِ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ، وقد بَشَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّارِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَسَدِ آيَةَ (٥): ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾؛ أي: فِي عُقْفِهَا حَبْلٌ مِّن نَّارٍ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ترك القيام للمريض، رقم الحديث (١١٢٤)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب سورة الضحى، رقم الحديث (٤٩٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، رقم الحديث (١٧٩٧) (١٥).

على بعض العلماء^(١).

وروى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي ﷻ مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: أي رب قد كانت قبلي الأنبياء، منهم من سخرت له الريح، ثم ذكر سليمان بن داود ﷺ، ومنهم من كان يحيي الموتى، ثم ذكر عيسى ابن مريم ﷺ، ومنهم ومنهم يذكر ما أعطوا.

قال: ألم أجذك بيتاً فأويت؟ قلت: بلى، أي رب.

قال: ألم أجذك ضالاً فهديت؟ قلت: بلى، أي رب.

قال: ألم أجذك عائلاً^(٢) فأغنيت؟ قلت: بلى، أي رب.

قال: ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟

قلت: بلى، أي رب^(٣).

✽ مراتب الوحي وشدة نزوله:

للوحي مراتب شتى بعضها أيسر من بعض:

أحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأً وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما ذكرنا آنفاً.

ثانيها: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا

(١) وانظر: فتح الباري (٧٢٧/٩)، والبداية والنهاية (٢١/٣).

(٢) العائل: الفقير. انظر: لسان العرب (٥٠٢/٩).

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٣٩٦٦).

يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلِكُ رَجُلًا، فَيُخَاطِبُهُ حَتَّى يَعِيَ عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أحيانًا^(٢).

رَابِعُهَا: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلَاحَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدُّ عَلَيْهِ، فَيَتَلَبَّسُ بِهِ الْمَلِكُ حَتَّى إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ^(٣) عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَحَتَّى إِنَّ نَاقَتَهُ لَتَبْرُكُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا، وَلَقَدْ جَاءَهُ ﷺ الْوَحْيُ كَذَلِكَ، وَفَخِذَهُ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ فَقُلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ تَرُضُّهَا^(٤).

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أحيانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاحَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُنْفِصُمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأحيانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»^(٥).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب البیوع، باب إن الله لا ینال فضلہ بمعصیة، رقم الحدیث (٢١٨١)، وأبو نعیم فی الحلیة (١٠/٢٦)، وهو حدیث صحیح بشواهدہ.

(٢) انظر: حدیث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فی: صحیح مسلم، کتاب الإیمان، باب بیان الإیمان والإسلام والإحسان، رقم الحدیث (٨)، وفیه أن النبی ﷺ قال: «یا عُمَرُ أُنَدِرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبریل أتاکم یُعَلِّمُکُمْ دینکم».

(٣) یتفصّد: أي: یسیل. انظر: النہایة (٣/٤٠٣).

(٤) قال الحافظ فی الفتح (٩/١٣٨): تَرُضُّهَا: أي: تَدُقُّهَا.

(٥) أخرجه البخاری فی صحیحہ، کتاب بدء الوحی إلى رسول الله ﷺ، رقم الحدیث (٢)، ومسلم فی صحیحہ، کتاب الفضائل، باب عرق النبی ﷺ فی البرد، وحين یأتیه الوحی، رقم الحدیث (٢٣٣٣) (٨٧).

وَعَنْهَا ﷺ قَالَتْ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ ^(١) الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَقَصَّدُ عَرَقًا ^(٢).

وفي رواية أخرى عنها أيضًا أنها قالت: ... فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ ^(٣) عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ ^(٤) مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ^(٥).

خَامِسُهَا: أَنَّهُ يَرَى الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ ﷺ مَرَّتَيْنِ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ ^(٦).

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٢/١): وفي هذا دلالة على كثرة مُعَانَاةِ التَّعَبِ، وَالْكَرْبِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَادَةِ، وَهُوَ كَثْرَةُ الْعَرَقِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَإِنَّهُ يَشْعُرُ بِوُجُودِ أَمْرِ طَارِئٍ زَائِدٍ عَلَى الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، رقم الحديث (٢٣٣٣).

(٣) تَأْخُذُهُ الْبُرْحَاءُ: أَي: شِدَّةُ الْكَرْبِ مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ. انظر: النهاية (١١٣/١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤١٨/٩): الْجُمَانُ: هُوَ اللَّؤْلُؤُ، فَشَبَّهَتْ قَطْرَاتُ عَرَفِهِ ﷺ بِالْجُمَانِ لِمُشَابَهَتِهَا فِي الصِّفَاتِ وَالْحُسْنِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تَعَالَى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ... [النور: ١٢]، رقم الحديث (٤٧٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، رقم الحديث (٢٧٧٠).

(٦) أخرج الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُفْرَقًا﴾ [النجم: ١٣]، رقم الحديث (١٧٧) عن عائشة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمْ أَرَهُ - يَعْنِي: جَبْرِيلَ ﷺ - عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتَهُ مُنْهَبَطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عَظَمَ خَلْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ».

وروى الترمذي في جامعه بسند صحيح، كتاب التفسير، باب ومن سورة والنجم، رقم الحديث (٣٥٦٢) عن مسروق قال: عن عائشة ﷺ قالت: ... لَمْ يَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ =

سَادِسُهَا: مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرَهَا^(١).

سَابِعُهَا: كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ مَلَكٍ، كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةٌ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطْعًا بِنَصِّ الْقُرْآنِ^(٢)، وَتُبُوْثُهَا لِنَبِيِّنَا ﷺ هُوَ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ^(٣).

وَقَدْ زَادَ بَعْضُهُمْ مَرْتَبَةً ثَامِنَةً، وَهِيَ: تَكْلِيمُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ، وَهَذَا عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ ﷺ رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ خِلَافٍ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ^(٤).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﷺ عَلَى أَنْوَاعٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ:

= جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين: مرة عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، ومرة في جِوَادٍ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ.

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ الْمِعْرَاجِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٢).

(٢) قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ آيَةَ (١٤٣): ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَجَلَّ رَبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْفًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ الْمِعْرَاجِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٨٨٧)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٢).

(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (٧٩/١).

الوحي الأول: مَا أَرَاهُمْ فِي الْمَنَامِ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَوَحْيٍ وَقَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى ﷺ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ حَتَّى قَالَ: ﴿أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ فَهُوَ إِرْسَالُ الرُّوحِ الْأَمِينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وقد كان لنبيينا ﷺ جميع هذه الأنواع، فقال الله ﷻ في رؤياه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨] ^(١).

✽ خَوْفُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ:

وكان رسول الله ﷺ يَخَافُ مِنْ نِسْيَانِ الْوَحْيِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(١) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ ^(٢) مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(٣) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. ^(٤) [القيامة: ١٦، ١٧] قَالَ: جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ،.. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ ^(٥) [القيامة: ١٨]. قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ^(٦) [القيامة: ١٩]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ ^(٣).

(١) انظر كلام الإمام البغوي في: شرح السنة (٣٢٤/١٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٣/١): المعالجة: هي محاولة الشيء بمشقة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث (٥)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ ^(٥)، رقم الحديث (٤٩٢٩)، ومسلم في صحيحه، =

❁ أدوار الدعوة في حياة النبي ﷺ ومراحلها:

مُنْذُ أَنْ تَلَقَى النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ①
فُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ③ وَبَابَكَ فَطَعِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ⑥
وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ [المدر: ١ - ٧] قَامَ مِنْ فَوْرِهِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحْدَهُ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْأَخْذَ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَقَدْ
مَرَّتِ الدَّعْوَةُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مُنْذُ بَعَثْتِهِ إِلَى وَقَاتِهِ بِفَتْرَتَيْنِ، تَمْتَازُ إِحْدَاهُمَا
عَنِ الْأُخْرَى تَمَامَ الْاِمْتِيَازِ، وَهُمَا:

١ - الْفَتْرَةُ الْمَكِّيَّةُ: اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً تَقْرِيْبًا.

٢ - الْفَتْرَةُ الْمَدِينِيَّةُ: اسْتَمَرَّتْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً.

وَتَشْتَمِلُ كُلُّ مَنِ الْفَتْرَتَيْنِ عَلَى مَرَاكِحَ، لِكُلِّ مِنْهَا خِصَائِصُ تَمْتَازُ بِهَا عَنْ
غَيْرِهَا، وَيُظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا بَعْدَ النَّظَرِ فِي الطُّرُوفِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الدَّعْوَةُ خِلَالَ
الدَّوْرَيْنِ.

يُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْفَتْرَةِ الْمَكِّيَّةِ إِلَى مَرَحَلَتَيْنِ:

١ - الْمَرَحَلَةُ الْأُولَى: الدَّعْوَةُ السَّرِيَّةُ، وَاسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ.

٢ - الْمَرَحَلَةُ الثَّانِيَّةُ: الدَّعْوَةُ جَهْرًا، وَبِاللِّسَانِ فَقَطْ، دُونَ قِتَالٍ، مِنْ

بِدَايَةِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْبُعْثَةِ، حَتَّى الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

أَمَّا الْفَتْرَةُ الْمَدِينِيَّةُ فَيُمْكِنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى ثَلَاثِ مَرَاكِحَ:

* الْمَرَحَلَةُ الْأُولَى:

مَرَحَلَةٌ أُثِيرَتْ فِيهَا الْقَلَاقِلُ وَالْفِتَنُ، وَأُقِيمَتْ فِيهَا الْعَرَاقِيلُ مِنَ الدَّاخِلِ،

وَزَحَفَ فِيهَا الْأَعْدَاءُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِاسْتِئْصَالِ خَضْرَائِهَا مِنَ الْخَارِجِ. وَاسْتَمَرَّتْ

هَذِهِ الْمَرَحَلَةُ إِلَى عَامِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ سَنَةً سِتًّا مِنَ الْهِجْرَةِ.

* المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ:

مَرْحَلَةُ الْهُدْنَةِ مَعَ الزَّعَامَةِ الْوَثْنِيَّةِ، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى فَتْحِ مَكَّةَ، فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهِيَ مَرْحَلَةُ دَعْوَةِ الْمُلُوكِ، وَالْأَمْرَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

* المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ:

مَرْحَلَةُ دُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَهِيَ مَرْحَلَةُ تَوَافُدِ الْقَبَائِلِ وَالْأَقْوَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى انْتِهَاءِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ^(١).



(١) انظر: الرحيق المختوم (ص ٧٤).

الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ

بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا^(١) لِيَلَّا يُفَاجِئَ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا يُهَيِّجُهُمْ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَعْزِضُ الْإِسْلَامَ عَلَى أَلْصَقِ النَّاسِ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَيَعْرِضُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِ خَيْرًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُمْ بِحُبِّ الْحَقِّ، وَالْخَيْرِ، وَيَعْرِفُونَهُ بِالصَّدَقِ وَالصَّلَاحِ^(٢).

❁ إِسْلَامُ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

كَانَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ النِّسَاءِ؛ بَلْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَدِيجَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ أَسْلَمَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَتَقَدَّمَهَا رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ^(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ»: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ صَدَّقَتْ بِبِعْثِهِ مُطْلَقًا^(٤).

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَمَنْتُ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ، وَوَارَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا

(١) قلتُ: ممَّا يدلُّ على أن الدَّعوة أول ما بدأت كانت سِرِّيَّة، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨٣٢) عن عمرو بن عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ... سَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا....

(٢) انظر: أسد الغابة (٥/٢٦٠).

(٣) الرحيق المختوم (ص ٧٥).

(٤) انظر: الإصابة (٨/٩٩).

جَاءَ مِنْهُ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تُبَيِّنُهُ وَتُخَفِّفُ عَلَيْهِ، وَتُصَدِّقُهُ وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى^(١).

❁ إِسْلَامُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ^(٢)؛

ثُمَّ أَسْلَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ حِينَ أَسْلَمَ، وَكَانَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ^(٣)، وَلَمْ يَعْبُدِ الْأَوْثَانَ قَطُّ لِصِغَرِهِ، وَكَانَ فِي حِجْرِ^(٤) النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ^(٥).

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَمِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ، وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ: أَنْ قُرِيشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ، وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ: «يَا

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢٧٧/١).

(٢) هو: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ، وَوُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، فَرُبِّيَ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُقَارَفْ، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، مَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَمْ يُقْلَ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا نُقِلَ لِعَلِيِّ، قُتِلَ ﷺ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: الإصابة (٤٦٤/٤).

(٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥٦٦/٧): الْأَصْحُ فِي سِنِّ عَلِيٍّ ﷺ حِينَ الْمَبْعَثِ كَانَ عَشْرَ سِنِينَ.

(٤) يُقَالُ: نَشَأَ فُلَانٌ فِي حِجْرِ فُلَانٍ: أَي: حَفِظَهُ وَسَيَّرَهُ. انظر: لسان العرب (٥٩/٣).

(٥) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (٤٢٦/١)، وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ، لِلْبَيْهَقِيِّ (١٦١/٢ - ١٦٥)، سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٢٨٢/١).

أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَاذْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخُذْ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذْ أَنْتَ رَجُلًا فَتَكْفُلُهُمَا عَنْهُ.

فَقَالَ الْعَبَّاسُ ﷺ: نَعَمْ، فَاذْطَلَقَا حَتَّى أَتِيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى تَتَكَشَّفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ ﷺ جَعْفَرًا ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ ﷺ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ ﷺ وَآمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَهُ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ ﷺ جَعْفَرًا ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ ﷺ مَعَ الْعَبَّاسِ ﷺ حَتَّى أَسْلَمَ، وَاسْتَعْنَى عَنْهُ^(١).

❀ إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ^(٢):

ثُمَّ أَسْلَمَ مَوْلَاهُ^(٣) زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْكَلْبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي، وَيُقَالُ لَهُ: حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي آثَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى وَالِدِهِ وَأَهْلِهِ.

(١) أخرج ذلك: الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب كفالة النبي ﷺ لعیال أبي طالب، رقم الحديث (٦٥٢٢)، وابن إسحاق في السيرة (٢٨٢/١).

(٢) هو: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَحْبِيلَ، أَبُو أَسَامَةَ، وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ لَخْدِيجَةَ أَوَّلًا، فَوَهَبَتْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ النَّبُوَّةِ، فَتَبَنَّاها، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وَهَاجَرَ وَشَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، إِلَى أَنْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ ثَمَانٍ لِلْهَجْرَةِ أَمِيرًا عَلَى جَيْشِ مُؤَتَّةَ، فَلَقُوا الرُّومَ هُنَاكَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ فِي مَعْرَكَةِ مُؤَتَّةَ، فَقُتِلَ هُنَاكَ ﷺ، وَعُغْرُهُ خَمْسَ وَخَمْسُونَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٤٩٤/٢).

(٣) الْمَوْلَى: هُوَ الْمَمْلُوكُ الَّذِي أُعْتِقَ. انظر: النهاية (١٩٨/٥).

وَسَبَبُ وُجُودِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَحَسَنُهُ،
وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»: أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ^(١) قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بِرَقِيقٍ، فِيهِمْ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي
أَيَّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ شِئْتَ، فَهُوَ لَكَ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ
أَعْجَبَهُ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لَهُ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّأَهُ، فَكَانَ يُدْعَى
زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزَعَ عَلَيْهِ
جَزَعًا شَدِيدًا، وَبَكَى عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَهُ، وَقَالَ فِيهِ:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذِرْ مَا فَعَلَ أَحْيِي فَيَرْجَى أُمُّ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلَ
فَوَ اللَّهُ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ أَغَالِكَ بَغْدِي السَّهْلُ أُمُّ غَالِكَ الْجَبَلَ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةً^(٢) فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلٍ^(٣)
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرُبَهَا أَفَلٌ^(٤)
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ فَيَا طُولَ مَا حُزْنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
سَأْغَمِلُ نَصَّ^(٥) الْعَيْشِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسْأَمُ التَّطَوَّافَ أَوْ تَسْأَمُ الْإِبِلَ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي فَكُلُّ امْرِئٍ فَنَانٍ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلُ

(١) هو: حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ بن خُوَيْلِدٍ، ابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وُلِدَ فِي
جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ حَتَّى أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ.
وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُتَيْنٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، ثُمَّ حَسَنَ إِسْلَامُهُ.
مَاتَ ﷺ سَنَةَ (٦٠ هـ)، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. انظر: أسد الغابة (٤٤/٢).

(٢) الأوب: الرجوع. انظر: لسان العرب (٢٥٨/١).

(٣) البجل: الحسب. انظر: لسان العرب (٣١٩/١).

(٤) أفلت الشمس: غابت. انظر: لسان العرب (١٦٧/١).

ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام آية (٧٦) على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَفْلَقَ قَالَ لَا
أُجِبُّ الْآفِلِينَ﴾.

(٥) النص: منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها. انظر: لسان العرب (١٦٣/١٤).

فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ بِمَكَّةَ قَدِمَهَا لِيَفْدِيَهُ، فَدَخَلَ حَارِثَةُ وَأَخُوهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ! يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا ابْنَ هَاشِمٍ! يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ! أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ، وَجِيرَانُهُ وَعِنْدَ بَيْتِهِ، تَفْكُونُ الْعَانِي، وَتُطْعِمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُوَ؟» قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَدَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي، وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ»، فَقَالَ زَيْدٌ: بَلْ أَقِيمْ عِنْدَكَ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الْأَبِ وَالْأُمِّ، فَقَالَا: وَيَحَكَ يَا زَيْدُ أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، وَعَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا، فَلَمْ يَزَلْ زَيْدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَصَدَّقَهُ، وَأَسْلَمَ، وَصَلَّى مَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قَالَ: أَنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ^(١).

✽ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ:

كَذَلِكَ سَارَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَأَنَّهُ لَا شَكَّ فِي تَمَسُّكِهِنَّ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُنَّ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ، وَالتَّنْزِهِ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ، وَفِي اقْتِدَائِهِنَّ بِأُمَّهِنَّ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْإِيمَانِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَمَّا بَنَاتُهُ ﷺ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ مَعَهُ ﷺ^(٢).

(١) أخرج ذلك: الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة ﷺ، رقم الحديث (٤١٤٩)، وابن إسحاق في السيرة (١/٢٨٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢٧).

❖ إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ (١):

أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ﷺ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ الْأَحْرَارِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بِسِتَيْنِ وَنُصْفٍ تَقْرِيبًا، وَكَانَ يَعْلَمُ مِنْ صَدِيقِهِ، وَأَمَانَتِهِ، وَحُسْنِ سَجِيَّتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى الْخَلْقِ، وَلِهَذَا مَا إِنَّ ذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ بِأَدَرٍ إِلَى تَصْدِيقِهِ، وَلَمْ يَتَلَعَّمْ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْهُ: «مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كِبُوءٌ» (٢)، وَنَظَرٌ، وَتَرَدَّدٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، مَا عَكَمَ (٣) عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ، وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ» (٤).

❖ الْأَدِلَّةُ عَلَى تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ:

قُلْتُ: الْأَدِلَّةُ كَثِيرَةٌ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ

(١) هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الْقُرَشِيُّ النَّيْمِيُّ، صَدِيقُ هَذِهِ الْأَمَةِ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلَدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِسِتَيْنِ وَأَشْهُرَ، صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَسَبَقَ إِلَى الْإِيمَانِ، وَاسْتَمَرَ مَعَهُ طَوْلَ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ، وَرَافَقَهُ فِي الْهَجْرَةِ، وَفِي الْغَارِ، وَفِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ﷺ، كَانَ لَقَبُهُ عَتِيقًا، وَاشْتَهَرَ بِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، وَمُنَاقِبُهُ تَفُوقُ الْحَضَرَ.

تُوفِيَ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِينَ سَنَةً. انْظُرْ: الْإِصَابَةُ (٤/١٤٥).

(٢) الْكِبُوءُ: هِيَ الْوَقْفَةُ كَوَقْفَةِ الْعَاثِرِ، أَوِ الْوَقْفَةُ عِنْدَ الشَّيْءِ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٤/١٢٧).

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ (١/٢٨٨): عَكَمَ: أَيُ: تَلَبَّثَ.

(٤) أورد هذا الحديث ابن الأثير في جامع الأصول (٨/٥٨٥)، وعزاه إلى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/٢٨٨) وإسناده منقطع.

الرِّجَالِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عِنْدَمَا بُويعَ بِالْخِلَافَةِ: أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟^(١).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الْبَغَوِيِّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» وَسَنَدُهُ حَسَنٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: مَنْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟، فَقَالَ رضي الله عنه: أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَ حَسَّانٍ رضي الله عنه:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا^(٢) مِنْ أَخِي ثِقَةً فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التَّالِيَّ الثَّانِيَّ الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
وَالثَّانِيَّ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُئِنِّ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الْجَبَلَا
وَكَانَ حَبًّا^(٣) رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنْ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَرَأَفُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا^(٤)

قَالَ الْإِمَامُ السُّهَيْلِيُّ رضي الله عنه: وَفِي مَدْحِ حَسَّانَ الَّذِي قَالَ فِيهِ، وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يُنْكِرْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ^(٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم الحديث (٣٩٩٧)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (٦٤٢٢).

(٢) الشَّجْوُ: الْحُزْنُ. انظر: النهاية (٤٠١/٢).

(٣) الْحَبُّ: أَي: مَحْبُوبُهُ. انظر: النهاية (٣١٦/١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب استنشاده صلى الله عليه وسلم في مدح الصديق، رقم الحديث (٤٤٧٠)، وأخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم الحديث (١٠٣)، وأخرجه البغوي في معجم الصحابة عن ابن عباس رضي الله عنه - بسند حسن - وانظر: الأبيات في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (ص ١٧٩).

(٥) الرُّوضُ الْأَنْفُ (٤٣١/١).

النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟» مَرَّتَيْنِ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا كَالنَّصِّ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ ﷺ^(٢).

✽ مَنَزِلَتُهُ ﷺ فِي قُرَيْشٍ وَدَعْوَتُهُ لِلْإِسْلَامِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، ... وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مُؤَلَّفًا^(٣) لِقَوْمِهِ، مُحِبًّا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ^(٤) قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ، وَيَأْلَفُونَهُ لِعَظِيمِ الْأَمْرِ، لِعِلْمِهِ، وَتِجَارَتِهِ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ^(٥).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم الحديث (٣٦٦١).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/٣٢).

(٣) قال الإمام السندي في شرح المسند (١٥/١٠٧): أَي: هُوَ مَحَلٌّ وَمَظَنَّةٌ لِلْإِلْفِ، لِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ طَبْعِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لغيرِهِ، مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

(٤) يُقَالُ: رَجُلٌ نَسَابَةٌ: أَي: بَلِيغُ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ. انظر: النهاية (٥/٣٩).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٨٦).



ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ

فَأَسْلَمَ بِدُعَائِهِ ﷺ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ^(١)، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ^(٢)، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ^(٣)، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ^(٤)، وَطَلْحَةُ بْنُ

(١) هو: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، أميرُ المؤمنينَ، وَلَدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَيْهِ رُقَيْيَةَ، وَأُمَّ كُلثُومَ ﷺ، فَلِذَلِكَ كَانَ يُلقَّبُ ذَا التَّوَرَيْنِ. وهو أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَشْهُرَ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ. انظر: الإصابة (٣٧٧/٤).

(٢) هو: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ، حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، قُتِلَ ﷺ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ أَوْ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ قَبَّحَهُ اللَّهُ. انظر: أسد الغابة (٢٠٩/٢).

(٣) هو: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزَّهْرِيُّ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَذْرًا، وَأَحَدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَمَنَاقِبَهُ ﷺ كَثِيرَةً، تَوَفَّى سَنَةَ ثَنَيْنِ وَثَلَاثِينَ عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. انظر: الإصابة (٢٩٠/٤).

(٤) هو: سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، أَبُو إِسْحَاقَ، أَسْلَمَ قَدِيمًا سَابِعَ سَبْعَةٍ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ عَشْرَةِ سَنَةً. وهو أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ مَشْهُورًا بِذَلِكَ.

تَوَفَّى ﷺ بِقَضْرِهِ بِالْعَقِيقِ قُرْبَ الْمَدِينَةِ، فَحُوِّلَ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى =

عُبَيْدُ اللَّهِ^(١). فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ هُمْ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ، وَطَلِيعَةُ الْإِسْلَامِ.

فَجَاءَ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَسْلَمُوا وَأَضْبَحُوا مِنْ جُنُودِ الْإِسْلَامِ الْمُخْلِصِينَ لِدَعْوَتِهِ.

ثُمَّ تَلَاهُمْ جَمْعٌ آخَرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ وَهُمْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ^(٢)، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ^(٣)، وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ^(٤)،

= وخمسين، وقيل: ست، وقيل: سبع، وعمره ثلاث وثمانون سنة، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة. انظر: أسد الغابة (٣٠٧/٢).

(١) هو: طلحة بن عبيد الله، القرشي التيمي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بقوله: توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

قُتِلَ ﷺ يَوْمَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سِتٍ وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ اسْتَكْمَلَ مِنَ الْعُمُرِ يَوْمئِذٍ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٤٣٠/٣).

(٢) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمين هذه الأمة. أسلم قديمًا وشهد المشاهد كلها، توفي ﷺ بطاعون عمّاس سنة ثمانٍ عشرة، وله ثمان وخمسون سنة ﷺ. انظر: أسد الغابة (٥١٨/٢).

(٣) هو: عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي، يكنى أبا سلمة، وهو ابن عمّة رسول الله ﷺ، أمه برة بنت عبد المطلب، وهو أخو النبي ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب من الرضاعة، أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب. من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد بدرًا وأحُدًا، ومات في جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة. انظر: أسد الغابة (١١/٣).

(٤) هو: الأرقم بن أبي الأرقم، القرشي المخزومي، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد بدرًا، وهو الذي استخفى رسول الله ﷺ في داره، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين.

توفي ﷺ سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن ثلاثٍ وثمانين سنة، ودُفِنَ بالبقيع ﷺ. انظر: الإصابة (١٩٦/١).

وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ^(١)، وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ^(٢) وَعَبْدُ اللَّهِ^(٣)، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ^(٤)، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ^(٥)، وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَطَّابِ^(٦)، وَأَسْمَاءُ^(٧) بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ الْفَضْلِ، وَهِيَ: لُبَابَةُ الْكُبَرَى بِنْتُ

(١) هو: عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، مِنْ سَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ.

أَسْلَمَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَعْتَزُّ النِّسَاءَ.

تُوفِيَ ﷺ بَعْدَ شَهْرِهِ بَدْرًا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ مِنْهُمْ. انظر: الإصابة (٤/٣٨١).

(٢) هو: قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، وَهُوَ خَالَ حَفْصَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَيْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحْدًا، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

تُوفِيَ ﷺ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَسِتِينَ سَنَةً. انظر: أسد الغابة (٤٧٨/٣).

(٣) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَتُوفِيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً. انظر: أسد الغابة (٨١/٣).

(٤) هو: عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ عُبَيْدَةً بَدْرًا، وَقُتِلَ فِيهَا ﷺ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: الإصابة (٤/٣٥٣).

(٥) هو: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَكَانَ صِهْرَ عُمَرَ زَوْجِ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ. أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ.

تُوفِيَ ﷺ بِالْعَقِيقِ، فَحُجِّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَقِيلَ: إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَسَبْعِينَ. انظر: أسد الغابة (٢/٣٢٥).

(٦) هي: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَدَوِيَّةُ، أُخْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدٍ، قَبْلَ إِسْلَامِ أُخِيهَا عُمَرَ ﷺ. انظر: الإصابة (٨/٢١٨).

(٧) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، زَوْجِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ، وَوَالِدَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ لِأَبِيهَا، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ، وَهِيَ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ، بَلَغَتْ ﷺ =

الْحَارِثُ^(١)، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ^(٢)، وَعُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ^(٣)، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ^(٤) أَخُو سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ^(٥) حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

= مائة سنة لم يَسْقُطْ لها سِنَّ، ولم يُنْكَرْ لها عَقْلٌ.

تُوفِيَتْ ﷺ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ بِأَيَّامٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ. انظر: أسد الغابة (٢٠٩/٥).

تنبيه مهم جدًا: ذكر ابن إسحاق في السيرة (٢٩٠/١) وغيره إسلامَ عَائِشَةَ ﷺ، في السنة الأولى للبعثة، وهو وَهْمٌ؛ لأنَّ عَائِشَةَ ﷺ لم تكن وُلِدَتْ، فكيف تكونَ أَسْلَمَتْ؟ وكان مولدَها ﷺ سنة أربع، وقيل: سنة خمس بعد النبوة.

(١) هي: لُبَابَةُ بنت الحارث، الهَلَالِيَّةُ، زوجةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ﷺ، وهي أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ، وخالةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وأختُ أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ لِأُمِّهَا.

تُوفِيَتْ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَبْلَ زَوْجِهَا الْعَبَّاسِ. انظر: الإصابة (٢٩٩/٨).

(٢) هو: خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ، حَلِيفُ لَبْنِي زُهْرَةَ، كان حَدَادًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَصَابَهُ سَيْفٌ فَبِيعَ بِمَكَّةَ.

كان ﷺ من السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ عَذَّبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأَحَدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

نَزَلَ الْكُوفَةَ وَمَاتَ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْكُوفَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً ﷺ. انظر: أسد الغابة (١٠٣/٢).

(٣) هو: عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، أَسْلَمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَقْرَاهُ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَاسْتَعْفَى عُمَرَ عَنْ وِلَايَتِهَا، فَأَبَى أَنْ يُعْفِيَهُ، فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَيْهَا، فَسَقَطَ عَنْ راحِلَتِهِ، فَمَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ عَشْرَةَ، وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: مَعْدُنُ بَنِي سُلَيْمٍ. انظر: أسد الغابة (٢٠١/٣).

(٤) هو: عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْقُرَشِيُّ الزَّهْرِيُّ، أَخُو سَعْدٍ، قَدِيمُ الْإِسْلَامِ، مُهَاجِرِيٌّ، شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقُتِلَ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ. انظر: أسد الغابة (٦٠٢/٤).

(٥) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، الْإِمَامُ الْحَبَرِيُّ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ.

من السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، هَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَإِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ، وَأَخَذَ مِنْ قَمِ الرَّسُولِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً، مَا يَنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَشَهِدَ بَدْرًا، =

❖ تَسَامُعُ النَّاسِ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ:

ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يَتَسَامَعُونَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَسَارَعَ الْفُقَرَاءُ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ مَسْعُودُ بْنُ رَبِيعَةَ الْقَارِي^(١)، وَسَلِيطُ بْنُ عَمْرِو^(٢)، وَأَخُوهُ حَاطِبُ^(٣)، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ^(٤)، وَامْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ^(٥)، وَخُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ^(٦)، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ^(٧)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

= وَأُحْدَا، وَالْحَنْدَقُ، وَبِعَةَ الرُّضَوَانِ، وَسَائِرُ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُنَاقِبُهُ غَرِيبَةٌ. توفي ﷺ بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وذُفِنَ بِالْبَقِيعِ وعمره ثلاث وستون سنة. انظر: أسد الغابة (٧٤/٣).

(١) هو: مَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ الْقَارِي، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عَلَى الْمَعَانِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَامْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَخْبِسَ السَّبَايَا وَالْأَمْوَالَ بِالْجِعْرَانَةِ. انظر: الإصابة (٨٠/٦).

(٢) هو: سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَمِنْ هَاجَرِ الْهَجْرَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ مَلِكِ الْيَمَامَةِ، وَذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: أسد الغابة (٣٦٦/٢).

(٣) هو: حَاطِبُ بْنُ عَمْرِو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. انظر: الإصابة (٦/٢).

(٤) هو: عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، أَخُو أَبِي جَهْلٍ لِأُمِّهِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَدَعَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، فَرَجَعَ مَعَهُمَا، فَأَوْثَقَاهُ وَخَبَسَاهُ بِمَكَّةَ، وَلَمَّا مُنِعَ عِيَّاشُ مِنَ الْهَجْرَةِ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِلْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، وَيُسَمِّي مِنْهُمْ: الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ.

وَقَتَلَ عِيَّاشُ ﷺ فِي مَعْرَكَةِ الْيَزْمُوكِ. انظر: الإصابة (٦٢٣/٣).

(٥) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ، كَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا عِيَّاشَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاشٍ، ثُمَّ هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ. انظر: أسد الغابة (٢١٠/٥).

(٦) هو: خُنَيْسُ - بِالتَّصْغِيرِ - بْنُ حُذَافَةَ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مِنْهَا، وَكَانَ زَوْجَ حَفْصَةَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. انظر: الإصابة (٢٩٠/٢).

(٧) هو: عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، كَانَ أَحَدَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى =

جَحْشٍ^(١)، وأُخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ^(٢)، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٣)،
وَأَمْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ^(٤)، وَحَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ^(٥)، وَأَمْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ

= بنت أبي حثمة، وهاجر إلى المدينة، وشَهِدَ بَدْرًا وما بعدها.
توفي ﷺ سنة اثنين وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين بعد قَتْلِ عُثْمَانَ بِأَيَّامٍ. انظر: الإصابة (٤٦٩/٣).

(١) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، أُمُّهُ أَمِيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ.
أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، وَهَاجَرَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ ﷺ فِي أُحُدٍ.
وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَ قُتِلَ فِي أُحُدٍ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. انظر: أسد الغابة (٥٦٥/٢).

(٢) هو: عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ، يُكْنَى عَبْدًا هَذَا أَبُو أَحْمَدَ، وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَكَانَ ﷺ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَعْمَى، وَكَانَ شَاعِرًا، وَهُوَ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مَعَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوفِيَ بَعْدَ وَفَاةٍ أُخْتِهِ زَيْنَبُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ هَجْرِيَّةً. انظر: الإصابة (٥/٧).

(٣) هو: جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، كَانَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِرَسُولِ ﷺ خَلْقًا وَخُلُقًا، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

هَاجَرَ إِلَى الْحَبْشَةِ، فَأَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ، وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ هَاجَرَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَ وَالنَّبِيَّ ﷺ بِخَيْبَرٍ، فَتَلَقَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ وَاعْتَنَقَهُ.

ثُمَّ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَيْشٍ غَزَاةٍ مُؤْتَةً إِنْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﷺ، وَاسْتَشْهَدَ ﷺ فِي مُؤْتَةٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ ﷺ حِينَ قُتِلَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٣٢٧/١).

(٤) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ الْخُثْعَمِيَّةُ. أَسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَهَاجَرَتْ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مَعَ زَوْجِهَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا اسْتَشْهَدَ زَوْجُهَا جَعْفَرُ فِي غَزَاةٍ مُؤْتَةٍ، زَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا وَقَتَ الْإِحْرَامِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، ثُمَّ تُوفِيَ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَغَسَلَتْهُ.

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَحْيَى، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ.

كَانَتْ ﷺ تُفَسِّرُ الْأَحْلَامَ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَسْأَلُهَا عَنْ تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ. انظر: الإصابة (١٤/٨).

(٥) هو: حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ الْجُمَحِيُّ، هَاجَرَ هُوَ وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيَّةِ الْعَامِرِيَّةِ =

المُجَلَّلِ^(١)، وأخوه حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ^(٢)، وامرأته فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ^(٣)، ومَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ^(٤)، والسَّائِبُ بْنُ مَطْعُونٍ^(٥)، والمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ^(٦)، وامرأته رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ^(٧)، ونُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ^(٨)، وعَامِرُ بْنُ

= إلى أرض الحبشة، فولدت له ابنته محمدًا والحارث، ومات ﷺ بأرض الحبشة. انظر: أسد الغابة (٤١١/١).

(١) هي: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، أمُ جَمِيلٍ، كانت من السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر إلى الحبشة هي وزوجها حاطب بن الحارث، وتوفي زوجها بالحبشة، وقدمت هي وابناها إلى المدينة. انظر: الإصابة (٢٧٧/٨).

(٢) هو: حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، هاجر ﷺ إلى أرض الحبشة مع أخيه حاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار، ومات حطاب في الطريق إلى أرض الحبشة، لم يصل إليها. انظر: أسد الغابة (٣٣/٢).

(٣) هي: فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ امْرَأَةُ حَطَّابِ بْنِ الْحَارِثِ الْجُمَحِيِّ، ذكرها ابن إسحاق فيمن أسلم قديمًا من المهاجرات، وقال ابن سعد: أسلمت قديمًا بمكة وبايعت وهاجرت الهجرتين. انظر: الإصابة (٢٨٢/٨).

(٤) هو: مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ أَخُو حَاطِبٍ وَحَطَّابٍ، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأُخذًا والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. انظر: أسد الغابة (١٧٢/٤).

(٥) هو: السَّائِبُ بْنُ مَطْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، أسلم في أول الإسلام، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها، وقتل ﷺ في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، وعمره بضع وثلاثون سنة. انظر: الإصابة (٢٠/٣).

(٦) هو: الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الْقُرَشِيُّ، من السابقين إلى الإسلام، ومن مهاجرة الحبشة، وبها مات. انظر: أسد الغابة (١٣٩/٤).

(٧) هي: رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ سَهْمٍ، أسلمت بمكة قديمًا، وبايعت وهاجرت مع زوجها المطلب بن أزهري إلى الحبشة، وولدت له ابنة عبد الله. انظر: الإصابة (١٤٣/٨).

(٨) هو: نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامِ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ.

أسلم ﷺ قديمًا أول الإسلام.

ولم يهاجر إلى المدينة إلا بعد ست سنين للهجرة عام الحديبية، وذلك بسبب إنفاقه على أراذل قومه، ثم شهد ما بعدها من المشاهد، فلما قديم المدينة كان معه أربعون من أهل =

فُهَيْرَةُ^(١) مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ^(٢)، وَامْرَأَتُهُ أُمَيْمَةُ
بِنْتُ خَلْفٍ^(٣)، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ عُثْبَةَ^(٤)، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٥)، وَخَالِدُ^(٦)،

= بَيْتُهُ، فَاعْتَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبْلَهُ، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ شَهِيدًا سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةٍ فِي خِلَافَةِ
عمر ﷺ، وَقِيلَ: اسْتُشْهِدَ بِأَجْنَادَيْنِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ. انظر: أسد
الغابة (٢٤٦/٤).

(١) هو: عامرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِلطُّفَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ،
فَأَسْلَمَ، وَهُوَ مَمْلُوكٌ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ مِنَ الطُّفَيْلِ، فَاعْتَقَهُ، وَأَسْلَمَ ﷺ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ النَّبِيُّ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، وَعُذِّبَ فِي اللَّهِ ﷺ، وَشَهِدَ عَامِرٌ غَزْوَةَ
بَدْرٍ، وَأُحْدٍ، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ يَثْرِ مَعُونَةَ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً.
انظر: الإصابة (٤٨٢/٣).

(٢) هو: خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ ﷺ إِلَى
الْحَبْشَةِ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتُ خَالِدِ الْخَزَاعِيَّةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنُهُ سَعِيدًا، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ
جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى جَيْشٍ مِنْ جِيوشِ
الْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثَهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَقُتِلَ بِمَرْجِ الصُّفْرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةٍ فِي صَدْرِ خِلَافَةِ
عمر بن الخطاب ﷺ. انظر: الإصابة (٢٠٢/٢).

(٣) هي: أُمَيْمَةُ بِنْتُ خَلْفٍ الْخَزَاعِيَّةِ، وَهِيَ زَوْجُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، مِنَ السَّابِقَاتِ إِلَى
الْإِسْلَامِ، هَاجَرَتْ إِلَى الْحَبْشَةِ وَوَلَدَتْ لَهُ سَعِيدٌ. انظر: أسد الغابة (٢٢٠/٥).

(٤) هو: أَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَاسْمُهُ مِهْشَمٌ، وَقِيلَ: هُشَيْمٌ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ،
وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعًا، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحْدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ الْيَمَامَةِ
شَهِيدًا وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٧٤/٧).

(٥) هو: وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَافٍ الْيَرْمُوعِيُّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ كَافِرًا فِي الْإِسْلَامِ، قَتَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ مَقْتُولٍ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فِي
الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحْدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تُوفِيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ
عمر بن الخطاب. انظر: أسد الغابة (٣٠٣/٤).

(٦) هو: خَالِدُ بْنُ الْبَكِّيرِ اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ ﷺ
يَوْمَ الرَّجِيعِ فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ عُمُرُهُ ﷺ لَمَّا قُتِلَ: ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ
سَنَةً ﷺ. انظر: الإصابة (١٩٤/٢).

وَعَامِرٌ^(١)، وَعَاقِلٌ^(٢)، وَإِيَّاسٌ^(٣) بَنُو الْبُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ^(٤)،
وَضُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ^(٥) حَلِيفُ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ، وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ الْحَبَشِيُّ^(٦)،
وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ^(٧)،

(١) هو: عامر بن البكير، من السابقين الأولين، وشهد بدرًا هو وأخوته: إيَّاس، وعَاقِل،
وخالد، وقُتِلَ عامرٌ ﷺ في معركة اليمامة شهيدًا. انظر: أسد الغابة (٥١١/٢).

(٢) هو: عاقل بن البكير، كان ﷺ من السابقين إلى الإسلام هو وأخوته: خالد، وإيَّاس،
وعامر، وشهد هو وإخوته بدرًا. انظر: الإصابة (٤٦٦/٣).

(٣) هو: إيَّاس بن البكير، من السابقين إلى الإسلام، أسلم ﷺ ورسول الله ﷺ في دار
الأرقم، وكان ﷺ من المهاجرين الأولين، وشهد هو وأخوته بدرًا، وشهد ﷺ أحدًا،
والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي ﷺ سنة أربع وثلاثين. انظر: أسد
الغابة (١٧٨/١).

(٤) هو: عمَّار بن ياسر المذحجي ثم العنسي، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين، وأمه
سُمَيَّةُ، وهي أول من استشهد في سبيل الله ﷺ، واختلِف في هجرته إلى الحبشة، وهاجرَ
إلى المدينة، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ.

قُتِلَ ﷺ مع علي بن أبي طالب بصقن في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث
وتسعون سنة، ودَفَنَهُ علي في ثيابه، ولم يُغَسَّلْهُ. انظر: الإصابة (٤٧٣/٤).

(٥) هو: ضُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ التَّمُرِيُّ، ويُعرف بالرُّومِيّ؛ لأنه أقام في الرُّومِ مُدَّةً، وهو من أهل
الجزيرة، سُبَيٍّ من قَرْيَةِ زَيْنَوَى في العراق، ثم إنه جُلِبَ إلى مكة، فاشترَاهُ عبد الله بن
جَدْعَانَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، وكان ﷺ من السابقين الأولين، وكان ﷺ من المُسْتَضْعَفِينَ
بِمَكَّةَ الَّذِينَ عَذَّبُوا.

وهاجر إلى المدينة، وكان ﷺ في لسانه عُجْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وتوفي ﷺ بالمدينة سنة ثمان
وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: وهو ابن
سبعين سنة ودُفِنَ بالمدينة. انظر: أسد الغابة (٤٦١/٢).

(٦) هو: بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، من السابقين الأولين.
اشترَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، ثم أَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَدَّنَ لَهُ، وكان ﷺ ممن عَذَّبَ
في الله ﷻ، وشهد ﷺ بدرًا والمشاهد كلها، ومات في دمشق، وذلك في سنة عشرين من
الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. انظر: الإصابة (٤٥٥/١).

(٧) هو: مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، الْبَذَرِيُّ الْقُرَشِيُّ، كان ﷺ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، أَسْلَمَ قَدِيمًا =

وَعَمَرُو بْنُ عَبْسَةَ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

أُسْلِمَ هَؤُلَاءِ سِرًّا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَمِعُ بِهِمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الدِّينِ مُسْتَخْفِيًّا؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ فَرْدِيَّةً وَسِرِّيَّةً، وَكَانَ الْوَحْيُ قَدْ تَتَابَعَ وَحَمِي بَعْدَ نُزُولِ أَوَائِلِ سُورَةِ الْمُذْتَرِّ، وَكَانَتْ الْآيَاتُ وَقِطْعُ السُّورِ الَّتِي تَنْزِلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ آيَاتٍ قَصِيرَةً، ذَاتَ فَوَاصِلَ رَائِعَةٍ مَنِيعَةٍ، وَإِقَاعَاتٍ هَادِيَةٍ خَلَابِيَةٍ تَتَنَاسَقُ مَعَ ذَلِكَ الْجَوْ الْهَامِسِ الرَّفِيقِ، تَشْتَمِلُ عَلَى تَحْسِينِ تَرْكِيزَةِ النَّفْسِ، وَتَقْبِيحِ تَلْوِيْهِهَا بِالشَّهَوَاتِ، تَصِفُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَانَهُمَا رَأْيَ عَيْنٍ، تَسِيرُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي جَوْ آخَرَ غَيْرِ الَّذِي فِيهِ الْمُجْتَمَعُ الْبَشَرِيُّ آنَذَاكَ^(٢).



= والنبي ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَعَلِمَهُ عَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، فَأَعْلَمَ أَهْلَهُ فَأَوْثَقُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ مُحْبُوسًا إِلَى أَنْ هَرَبَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى لِيُعْلَمَ النَّاسُ الْقُرْآنَ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَشَهِدَ مُضْعَبُ بَدْرًا، ثُمَّ أَحْدَا، وَاسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ، قَتَلَهُ ابْنُ قَمَيْةَ اللَّيْثِيُّ لَعْنَهُ اللَّهُ. وَكَانَ عَمْرُه ﷺ عِنْدَمَا اسْتَشْهَدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا. انظر: أسد الغابة (١٣٤/٤).

(١) هو: عَمَرُو بْنُ عَبْسَةَ، أَبُو نَجِيحِ السُّلَمِيِّ الْبَجَلِيُّ، أُسْلِمَ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ. وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ قُدُومُهُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ مُضِيِّ بَدْرٍ، وَأَحَدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَنَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالشَّامِ.

قال الحافظ: وَأُظْهِرَ مَا تَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ لَهُ ذِكْرًا فِي الْفِتْنَةِ، وَلَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ؓ. انظر: الإصابة (٥٤٥/٤).

(٢) الرحيق المختوم (ص ٧٦).

بِدَايَةُ فَرَضِ الْوُضُوءِ^(١) وَالصَّلَاةِ

كَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ: الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ... دَخَلْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّةُ، ائْتِنِي بِوُضُوءٍ»، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَهَذَا الْحَدِيثُ يَصْلُحُ رَدًّا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وُجُودَ الْوُضُوءِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، لَا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وُجُوبَهُ حِينَئِذٍ^(٤).

❀ أَمَّا أَمْرُ الصَّلَاةِ:

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣١٣/١): الْوُضُوءُ: بِالضَّمِّ هُوَ الْفِعْلُ، وَبِالْفَتْحِ الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ عَلَى الْمَشْهُورِ فِيهِمَا، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَضَاءَةِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يَتَنَظَّفُ فَيَصِيرُ وَضِيئًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٧٤٨٠).

(٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (٢٧٦٢)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ الْمَعْجَزَاتِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٦٥٠٢)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ يَغْتَسِلُ مِنْ أَرْبَعِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٦٠٠).

(٤) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي (٣١٤/١).

الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [ق: ٣٩]: كَانَتِ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ
ثِنْتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ،
وَقِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا، ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ
الْأُمَّةِ وَجُوبُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ
صَلَوَاتٍ^(١).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَارِ﴾ ﴿٥٥﴾ [غافر: ٥٥]، قَالَ: هِيَ صَلَاةٌ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ
الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ رَكَعَتَانِ غُدُوَّةً، وَرَكَعَتَانِ عَشِيَّةً، فَيَكُونُ هَذَا مِمَّا نُسِخَ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا،
وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ هَلْ افْتُرِضَ قَبْلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنْ
الصَّلَوَاتِ أَمْ لَا؟ فَيَصِحُّ عَلَى هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْفَرَضَ أَوَّلًا كَانَ صَلَاةً
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّحَ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا...﴾ [طه: ١٣٠]^(٣).



(١) تفسير ابن كثير (٤٠٩/٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٧٢/١٨).

(٣) انظر كلام الحافظ في: فتح الباري (٦٧٥/٩).



اسْتِخْفَاءُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّزَامِ الْحَيْطَةِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّخْفِي، وَعَدَمِ الْإِعْلَانِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرَهُ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ خَرَجُوا إِلَى الشُّعَابِ، فَاسْتَخْفَوْا فِيهَا بِصَلَاتِهِمْ عَنْ أَنْظَارِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ بَقُوا عَلَى ذَلِكَ طِيلَةً مُدَّةَ الدَّعْوَةِ السَّرِيَّةِ.

❁ أَوَّلُ دَمٍ أَهْرِيَقَ فِي الْإِسْلَامِ:

وَبَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شُعْبٍ مِنْ شُعَابِ مَكَّةَ، إِذَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَاسْتَنَكَّرُوا عَمَلَهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ، فَلَمْ يَتْرُكْهُمْ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، وَاضْطَرَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدَ الْمُشْرِكِينَ بِلُحْيٍ^(١) بَعِيرٍ فَشَجَّهُ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ دَمٍ أَهْرِيَقَ فِي الْإِسْلَامِ^(٢).

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ أَهْرَاقَ دَمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٣).

(١) لُحْيُ الْبَعِيرِ: هُمَا الْعِظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الْأَسْنَانُ مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ، وَيَكُونُ لِلْإِنْسَانِ وَالْدَّابَّةِ. انظر: لسان العرب (٢٥٩/١٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠٠/١)، والكمال في التاريخ (٦٥٨/١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب كان سعد رضي الله عنه أول من أهرق دمًا في سبيل الله، رقم الحديث (٦١٦٩).

هَذَا الْحَادِثُ مِنْ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِلَالَ صَلَاتِهِمْ فِي الشُّعَابِ،
حَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نُصْحِ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّحْقِي، وَالتَّزَامِ الْبُيُوتِ مُدَّةً مِنْ
الرَّزْمِ حَتَّى تَسْتَقِرَّ الْأَحْوَالُ، وَخَاصَّةً أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا
يُوجِبُونَ بِهِ قُرَيْشًا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ
الْمَخْزُومِيِّ عَلَى الصَّفَا، وَكَانَتْ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَغْيَنِ الْمُشْرِكِينَ وَمَجَالِسِهِمْ،
فَاتَّخَذَهَا مَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاجْتِمَاعِهِ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ الْإِرْشَادِ
والتَّعْلِيمِ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ حَتَّى كَوَّنَ ﷺ مِنْهُمْ أَنَاسًا يَسْتَهِينُونَ بِكُلِّ الْأَلَامِ
وَالْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ، وَعَقِيدَتِهِمْ، وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَيْهَا
مُسْتَخْفِيًا خَشِيَةً أَنْ يَنَالَهُ أَدَى مِنْ قُرَيْشٍ.

وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ إِلَى أَنْ
صَدَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاللَّدْعَةِ كَمَا سَيَأْتِي.

مَرَّتْ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ، وَالدَّعْوَةُ لَمْ تَزَلْ سِرِّيَّةً فَرْدِيَّةً، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ
تَكَوَّنَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ عَلَى الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ
وَتَمْكِينِهَا مِنْ مَقَامِهَا، ثُمَّ تَنْزَلُ الْوَحْيُ يُكَلِّفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمُعَالَئَتِهِ قَوْمَهُ،
وَمُجَابَهَةِ بَاطِلِهِمْ، وَمُهَاجَمَةِ أَصْنَائِهِمْ جَهَارًا^(١).



(١) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله (ص ٩٦).

الْجَهْرُ بِالدَّعْوَةِ

وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ بِهَذَا الصَّدَدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٦].

وَالسُّورَةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الْآيَةُ - وَهِيَ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ - ذُكِرَتْ فِيهَا أَوَّلًا قِصَّةُ مُوسَى ﷺ مِنْ بَدَايَةِ نُبُوَّتِهِ إِلَى هِجْرَتِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَجَاتِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَإِغْرَاقِ آلِ فِرْعَوْنَ مَعَهُ، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْمَرَاحِلِ الَّتِي مَرَّ بِهَا مُوسَى ﷺ خِلَالَ دَعْوَةِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ إِنَّمَا جِيءَ بِهِ حِينَ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى اللَّهِ، لِيَكُونَ أَمَامَهُ، وَأَمَامَ أَصْحَابِهِ نُمُودَجًا لِمَا سَيَلْقَوْنَهُ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَالِاضْطِهَادِ حِينَمَا يَجْهَرُونَ بِالدَّعْوَةِ، وَلِيَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ مِنْذُ بَدَايَةِ دَعْوَتِهِمْ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى ذِكْرِ مَالِ الْمُكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ - عِلَاوَةً عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ - لِيَعْلَمَ الَّذِينَ سَيَقُومُونَ بِالتَّكْذِيبِ بِمَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَبِمَا سَيَلْقَوْنَ مِنْ مُوَاخَذَةِ اللَّهِ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى التَّكْذِيبِ، وَلِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ لَا لِلْمُكْذِبِينَ^(١).

ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص ٧٨).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَيْهِ، وَكَانَ بَيْنَ مَا أَخْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرُهُ، وَاسْتَتَرَ بِهِ إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِ دِينِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ - فِيمَا بَلَغَنِي - مِنْ مَبْعَثِهِ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١١٤) وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٥) (١).

رَوَى الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ (٢).

❀ الدَّعْوَةُ فِي الْأَقْرَبِينَ:

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَنْفِيزِ أَمْرِ رَبِّهِ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ أَنْ دَعَا جَمِيعَ ذَوِيهِ وَأَهْلَ قَرَابَتِهِ، وَعَشِيرَتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فَاجْتَمَعَ أَرْبَعُونَ أَوْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا، فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ عَلَيْهِ رِجْلُ شَاةٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، ثُمَّ دَعَا بِعُمَرَ (٣) مِنْ لَبَنِ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَوَرَّادَ ﷺ أَنَّ يُكْمِلَ كَلَامَهُ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَابْتَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ الْكَلَامَ، وَقَالَ:

هَؤُلَاءِ هُمْ عُمُومَتُكَ وَبَنُو عُمُومَتِكَ فَتَكَلِّمْ بِمَا تُرِيدُ وَدَع

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٩٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/٥٤٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٥٥١).

(٣) الْعُمَرُ: بضم العين وفتح الميم، هُوَ الْقَدْحُ الصَّغِيرُ. انظر: النهاية (٣/٣٤٥).

الصُّبَاةُ^(١)، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِقَوْمِكَ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةً طَاقَةً، وَأَنَّ أَحَقَّ مَنْ أَخَذَكَ فَحَبَسَكَ بَنُو أَبِيكَ، إِنَّ أَقَمْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَهُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَتَبَّ عَلَيْكَ بَطُونُ قُرَيْشٍ وَتُمَدَّهَا الْعَرَبُ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا جَاءَ عَلَى بَنِي أَبِيهِ بِشَرٍّ مِمَّا جِئْتُهُمْ بِهِ.

فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ، وَلَمْ يُكَلِّمُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ.

ثُمَّ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَانِيَةً، وَصَنَعَ لَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، ثُمَّ خَطَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ، وَأَوْمِنُ بِهِ، وَاتَّوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّائِدَ^(٢) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ عَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا عَرَزْتُكُمْ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا، وَاللَّهُ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا أَعْلَمُ شَأْبًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جِئْتُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيْكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ، وَأَقْبَلَنَا لِنَصِيحَتِكَ، وَأَشَدُّ تَصَدِيقًا لِحَدِيثِكَ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا أَحَدُهُمْ غَيْرَ أَنِّي أَسْرَعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ، فَامْضِ لِمَا أُمِرْتُ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَحُوْطُكَ،

(١) يُقَالُ: صَبَأَ فُلَانٌ: إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِيَّ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. انظر: النهاية (٣/٣).

(٢) أَضْلُ الرَّائِدِ: الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ يُبَصِّرُ لَهُمُ الْكَلَاءَ وَمَسَاقِطَ الْغَيْثِ. انظر: النهاية (٢/٢٥٠).

وَأَمْنُكَ غَيْرَ أَنْ نَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي عَلَى فِرَاقِ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١).

ثُمَّ تَكَلَّمَ سَائِرُ الْقَوْمِ كَلَامًا لَيْنًا غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ فَإِنَّهُ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! هَذِهِ وَاللَّهِ السَّوْأَةُ، خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى يَدَيْهِ غَيْرُكُمْ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمُوهُ حَيْثُ زِلْتُمْ، وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قَتَلْتُمْ.

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ عَمَّةُ الرَّسُولِ ﷺ لِأَبِي لَهَبٍ: أَيُّ أُخَيٍّ! أَيَحْسُنُ بِكَ خُذْلَانُ ابْنِ أَخِيكَ؟ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ الْعُلَمَاءُ يُخْبِرُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَبِيٌّ فَهُوَ هُوَ.

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذَا وَاللَّهِ الْبَاطِلُ وَالْأَمَانِيُّ، وَكَلَامُ النِّسَاءِ فِي الْحِجَالِ^(٢)، إِذَا قَامَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ، وَقَامَتْ مَعَهَا الْعَرَبُ فَمَا قُوتُنَا بِهِمْ؟ فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ عَنْدهُمْ إِلَّا أَكْلَةُ رَأْسِ^(٣)، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعَنَّهُ مَا بَقِينَا^(٤).

❖ الدَّعْوَةُ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا^(٥):

بَعْدَمَا تَأَكَّدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَعَهُدِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ بِحِمَايَتِهِ، أَخَذَ ﷺ يُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ جَدِيدَةٍ يُبَلِّغُ فِيهَا قَوْمَهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَصَعِدَ ﷺ جَبَلَ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ

(١) أخرج ذلك كله: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٧١) وأخرجه في فضائل الصحابة، رقم الحديث (١٢٢٠)، وإسناده صحيح.

(٢) الْحَجَلَةُ: بَيْتٌ كَالْقَبَةِ يُسْتَرُّ بِالثِّيَابِ، وَتُجْمَعُ عَلَى حِجَالٍ. انظر: النهاية (١/٣٣٤).

(٣) مَا هُمْ إِلَّا أَكْلَةُ رَأْسٍ: أَي: قَلِيلٌ، قَدَرٌ مَا يُشْبِعُهُمْ رَأْسٌ وَاحِدٌ. انظر: لسان العرب (١/١٧١).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ (١/٦٦٠)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/٣٢٢).

(٥) الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ: هُمَا جَبَلَانِ بَيْنَ بَطْحَاءِ مَكَّةَ وَالْمَسْجِدِ، أَمَا الصَّفَا فَمَكَانٌ مُرْتَفِعٌ مِنْ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَرْضُ الْوَادِي، وَمِنْ وَقَفَ عَلَى الصَّفَا كَانَ بِحِذَاءِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ. انظر: معجم البلدان (٥/١٩٢).

فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»^(١)، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ^(٢)؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»^(٣)، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟، فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ^(٤) وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝...﴾^(٥).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ^(٦) لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي

(١) هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما يُغيرون عند الصُّبَاح، ويسمون يوم الغارة يوم الصُّبَاح، فكان القائل: يا صَبَاحَاهُ، يقول: قد غَشِيَنَا الْعَدُوُّ. انظر: لسان العرب (٧/٢٧٣).

(٢) يَهْتِفُ: يَنَادِي. انظر: النهاية (٥/٢١١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٩/٤٥١): أَرَادَ بِذَلِكَ تَقْرِيرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ إِذَا أَخْبَرَ عَنِ الْأَمْرِ الْغَائِبِ.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/٧٦٣): أَبُو لَهَبٍ هُوَ: ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ واسمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى، وَكُنِيَ أَبَا لَهَبٍ إِمَّا بِابْنِهِ لَهَبٍ، وَإِمَّا بِشَدَّةِ حُمْرَةِ وَجْنَتِهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْفَاكِهِي مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ أَبَا لَهَبٍ؛ لِأَن وَجْهَهُ كَانَ يَتَلَهَّبُ مِنْ حَسَنِهِ. وَوَافَقَ ذَلِكَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنْ أَنَّهُ سَيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ بِكُنْيَتِهِ دُونَ اسْمِهِ، وَلَكُونَهُ بِهَا أَشْهَرُ.

(٥) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَفْسِيرِ، بَابُ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٧٧٠)، وَبَابُ سُورَةِ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٩٧١) (٤٩٧٢)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝﴾، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٠٨).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٩/٤٥٢): بِاعْتِبَارِ تَخْلِيصِهَا مِنَ النَّارِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَسْلَمُوا تَسْلَمُوا مِنْ =

عَبْدِ مَنْافٍ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابَلُهَا بِلَالِهَا»^(٢).

❁ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي الْحَدِيثِ:

= الْعَذَابُ، فَكَانَ ذَلِكَ كَالشَّرَاءِ، كَانَهُمْ جَعَلُوا الطَّاعَةَ ثَمَنَ النَّجَاةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النُّفُوسَ كُلَّهَا مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ مَنْ أَطَاعَهُ حَقَّ طَاعَتِهِ فِي امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَفَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الثَّمَنِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٧٧١)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٠٦).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٠٤).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣٠/١٢): وَالْبَلَالُ: بِمَعْنَى: الْبَلَلِ وَهُوَ النَّدَاوَةُ، وَأُظْلِقَ ذَلِكَ عَلَى الصَّلَاةِ كَمَا أُظْلِقَ الْيَسُّ عَلَى الْقَطِيعَةِ؛ لِأَنَّ النَّدَاوَةَ مِنْ شَأْنِهَا تَجْمِيعُ مَا يَحْصُلُ فِيهَا وَتَأْلِيفُهُ، بِخِلَافِ الْيَسِّ فَمِنْ شَأْنِهِ التَّفْرِيقُ.

١ - أَنْ الْأَقْرَبَ لِلرَّجُلِ مَنْ كَانَ يَجْمَعُهُ هُوَ وَجَدُّ أَعْلَى، وَكُلُّ مَنْ اجْتَمَعَ مَعَهُ فِي جَدِّ دُونَ ذَلِكَ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ.

٢ - وَفِيهِ السِّرُّ فِي الْأَمْرِ بِإِنذارِ الْأَقْرَبِينَ أَوَّلًا أَنَّ الْحُجَّةَ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَإِلَّا فَكَانُوا عِلَّةً لِلْأَبْعَدِينَ فِي الْإِمْتِنَاعِ، وَأَنْ لَا يَأْخُذَهُ مَا يَأْخُذُهُ الْقَرِيبُ لِلْقَرِيبِ مِنَ الْعَطْفِ وَالرَّافَةِ فَيَحَابِيَهُمْ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّخْوِيفِ، فَلِذَلِكَ نَصَّ لَهُ عَلَى إِنذارِهِمْ^(١).

هَذِهِ الصَّيْحَةُ الْعَالِيَةُ هِيَ غَايَةُ الْبَلَاغِ، فَقَدْ فَاصَلَ الرَّسُولُ ﷺ قَوْمَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ، وَأَوْضَحَ لِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّ التَّصَدِيقَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ هُوَ حَيَاةُ الصَّلَاةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَنَّ عَصِيَّةَ الْغَرَابَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْعَرَبُ ذَابَتْ فِي حَرَارَةِ هَذَا الْإِنذارِ الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَبِيرَ الْمَنْزِلَةِ فِي بَلَدِهِ مَرْمُوقًا بِالثِّقَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَهَذَا هُوَ ذَا يُوَاجِهُهُ مَكَّةَ بِمَا تَكَرَّرَ، وَيَتَعَرَّضُ لِخِصَامِ السُّفَهَاءِ وَالْكِبَرَاءِ، وَأَوَّلُ قَوْمٍ يُغَامِرُ بِخُسْرَانٍ مَوَدَّتِهِمْ هُمْ عَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ، لَكِنْ هَذِهِ الْأَلَامُ تَهُونُ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ الَّذِي شَرَحَ اللَّهُ بِهِ صَدْرَهُ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَبِيتَ بَعْدَ هَذَا الْإِنذارِ وَمَكَّةُ تَمُوجُ بِالْغَرَابَةِ وَالْإِسْتِنْكَارِ، وَتَسْتَعِدُّ لِحَسْمِ هَذِهِ الثُّورَةِ الَّتِي انْدَلَعَتْ بَعْتَةً، وَتَخْشَى أَنْ تَأْتِيَ عَلَى تَقَالِيدِهَا وَمُورُوثَاتِهَا^(٢).

❀ الصَّدْعُ بِالْدَّعْوَةِ وَرُدُّودُ فِعْلٍ قُرَيْشٍ:

لَمَّا أَظْهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّعْوَةَ لِلْإِسْلَامِ، وَصَدَعَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا

(١) انظر: فتح الباري (٩/٤٥٢).

(٢) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٩٧).

فَعَلَ ذَلِكَ، أَعْظَمُوهُ وَنَاكَرُوهُ^(١)، وَأَجْمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ، إِلَّا عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ الَّذِي حَدَبَ عَلَيْهِ^(٢)، وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ^(٣).

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ مُظْهِرًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَمُعَكِّرًا عَلَى خُرَافَاتِ الشُّرْكِ وَثُرَّاهَاتِهِ^(٤)، وَيَذْكُرُ حَقَائِقَ الْأَصْنَامِ، وَمَا لَهَا مِنْ قِيَمَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ، يَضْرِبُ بِعَجْزِهَا الْأَمْثَالَ، وَيُبَيِّنُ بِالْبَيِّنَاتِ أَنَّ مَنْ عَبَدَهَا وَجَعَلَهَا وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٥).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ فَاجَأَ الْعَرَبَ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَأْلَفُونَهُ، وَقَدْ اسْتَنَكَرُوا دَعْوَتَهُ أَشَدَّ الْإِسْتِنكَارِ، وَكَانَ كُلُّ هَمِّهِمُ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ رَدًّا تَارِيخِيًّا عَلَى بَعْضِ دُعَاةِ الْقَوْمِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إِنَّمَا كَانَ يُمَثِّلُ فِي رَسُولِيهِ آمَالَ الْعَرَبِ وَمَطَامِحَهُمْ حِينَئِذٍ، وَهُوَ زَعَمٌ مُضْحِكٌ تَرُدُّهُ وَقَائِعُ التَّارِيخِ الثَّابِتَةُ كَمَا رَأَيْنَا، وَمَا حَمَلَ هَذَا الْقَائِلَ وَأَمْثَالَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا الْغُلُوُّ فِي دَعْوَى الْقَوْمِيَّةِ وَجَعْلِ الْإِسْلَامِ أَمْرًا مُنْبِثِقًا مِنْ ذَاتِيَةِ الْعَرَبِ وَتَفْكِيرِهِمْ، وَهَذَا إِنكَارٌ وَاضِحٌ لِنُبُوءَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخَفْضُ عَظِيمٍ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ^(٦).

❀ وَقَدْ قَرِيشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ:

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ وَرَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُعْتَبِرُهُمْ^(٧) مِنْ شَيْءٍ

(١) الْمُنَاكَرَةُ: أَي: الْمُحَارَبَةُ. انظر: النهاية (١٠٠/٥).

(٢) حَدَبَ عَلَيْهِ: أَي: عَطَفَ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ. انظر: النهاية (٣٣٧/١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠١/١).

(٤) الثُّرَّاهَاتُ: هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ، وَاجِدُهَا ثُرَّةٌ بضم التاء وفتح الراء المشددة، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ الطَّرِيقُ الصَّغَارُ الْمُتَشَعِّبَةُ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ. انظر: النهاية (١٨٤/١).

(٥) انظر: الرحيق المختوم (ص ٨٠).

(٦) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله (ص ٤٩).

(٧) لَا يُعْتَبِرُهُمْ: أَي: لَا يُرْضِيهِمْ. انظر: لسان العرب (٣٠/٩).

أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدَبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسَلِّمْهُ إِلَيْهِمْ، مَشَى رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، وَهُمْ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ^(١)، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ^(٢)، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ^(٣)، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ^(٤)، وَأَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ^(٥)، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(٦)، وَنُبَيْهَةُ وَمُتَبِّهَةُ ابْنَاتُ الْحَجَّاجِ^(٧)، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ^(٨)، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُتَنَا وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا^(٩)، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُمَهُ عَنَّا، وَإِنَّمَا أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، فَتَكْفِيكَهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ^(١٠).

❀ مَوْقِفُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ:

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ! إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطَوْكَ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهِ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ، وَلَا

(١) قَتَلَ كَافِرِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى. (٢) أَسْلَمَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَحَسَنَ إِسْلَامِهِ.

(٣) قُتِلَ كَافِرًا فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٤) الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٥) قُتِلَ كَافِرًا فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى. (٦) مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٧) قُتِلَا كَافِرِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى. (٨) مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٩) الْأَحْلَامُ: الْعُقُولُ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (١/٤١٦).

(١٠) انْظُرْ: سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (١/٣٠١ - ٣٠٢).

بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهُ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا،
وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً^(١)، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ،
مُعْدِقٌ^(٢) أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعَلَى، وَإِنَّهُ لَيَحِطُّ مَا تَحْتَهُ، قَالَ: لَا يَرْضَى
عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أَفْكُرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثُرُهُ^(٣) عَنْ غَيْرِهِ^(٤).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِدًا ۝
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَيْنَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ
۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۝ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقِيلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝
فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝﴾ [المدرثر: ١١ - ٢٥].

قَالَ أَحْمَدُ شَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكُبْرَى الَّتِي فِيهَا لِبَاغِي الْمُعْجَزَاتِ غِنَاءٌ
صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا التَّقَتِ اللَّغَى وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفُصْحَاءُ
نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ ذِكَاةٌ
لَمَّا تَمَشَّى فِي الْحِجَازِ حَكِيمُهُ فَضَّتْ عُكَازَ بِهِ وَقَامَ حِرَاءُ

(١) الطَّلَاوَةُ: أَي: رَوْنَقًا وَحُسْنًا. انظر: النهاية (٣/١٢٥).

(٢) الْعَدْقُ: الْمَطَرُ الْكَثِيرُ. انظر: لسان العرب (١٠/٢٤).

ومنه قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجِنِّ آيَةِ (١٦): ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْنُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ۝﴾. وأراد الوليد: أَنَّ الْقُرْآنَ نَدِيٌّ وَطَرِيٌّ.

(٣) يُؤْثَرُ: أَي: يُرْوَى وَيُحْكَى عَنْهُ. انظر: النهاية (١/٢٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٣٩٢٦)، وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٨ - ١٩٩) من هذا الطريق، ومن طرق أخرى مرسله، ثم قال بعد إيراد جميع الطرق: وكل ذلك يؤكِّد بعضه بعضًا.

أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وَبَيَانِهِمْ وَحَيِّ يُقْصِرُ دُونَهُ الْبُلْغَاءُ
حَسَدُوا فَقَالُوا شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ وَمِنَ الْحَسُودِ يَكُونُ الْإِسْتِهْزَاءُ
قَدْ نَالَ بِالْهَادِي الْكَرِيمِ وَبِالْهُدَى مَا لَمْ تَنْلُ مِنْ سُودِدِ سَيْنَاءَ
أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جَلَالِكَ أُمَّةٌ وَكَأَنَّهُ مِنْ إِنْسِهِ بَيْدَاءُ
يُوحِي إِلَيْكَ الْفُوزَ فِي ظُلُمَاتِهِ مُتَتَبِعًا تُجَلَّى بِهِ الظُّلُمَاءُ
دِينٌ يُشَيِّدُ آيَةً فِي آيَةٍ لِبِنَاتِهِ السُّورَاتِ وَالْأَضْوَاءُ
الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ وَكَيْفَ لَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْبَنَاءُ

❁ تَشَاوُرُ قُرَيْشٍ لِمَصَدِّ الْحُجَّاجِ عَنِ اسْتِمَاعِ الدَّعْوَةِ:

اسْتَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّى اقْتَرَبَ مَوْسِمَ الْحَجِّ، وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتَارُوا فِي أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيْفَ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُجَّاجِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ صَادِقٌ أَمِينٌ، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَصِفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَهُوَ رَأْيُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ لَعَنَهُ اللَّهُ.

وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقَتْ قُرَيْشٌ عَلَى هَذَا الْقَرَارِ بَاشَرُوا فِي تَفْيِيزِهِ، فَجَلَسُوا بِسُبُلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَرُوهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرُوا لَهُ أَمْرَهُ.

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ ذَلِكَ هُوَ أَبُو لَهَبٍ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ النَّاسَ إِذَا وَافَى الْمَوْسِمَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَفِي عُكَاظٍ^(١) وَمِجَنَّةٍ^(٢) وَذِي الْمَجَازِ^(٣)

(١) عُكَاظٌ: مَوْضِعٌ بِقُرْبِ مَكَّةَ، كَانَتْ تُقَامُ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَوْقٌ يُقِيمُونَ فِيهِ أَيَّامًا. انظر: النهاية (٢٥٧/٣).

(٢) مِجَنَّةٌ: هُوَ مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّيَالٍ، وَكَانَ يَقَامُ بِهَا لِلْعَرَبِ سَوْقٌ. انظر: النهاية (٢٥٧/٤).

(٣) ذِي الْمَجَازِ: هُوَ مَوْضِعٌ سَوْقٍ عَلَى مَسَافَةٍ فَرَسَخٍ مِنْ عَرَفَةَ كَانَتْ تَقُومُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. انظر: معجم البلدان (٦٦/٥).

يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَبُو لَهُبٍ خَلَفَهُ يَقُولُ: لَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ عَبَادٍ الدَّيْلِيِّ^(١) وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا^(٢)، وَالنَّاسُ مُقْتَضُونَ^(٣) عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيئَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ^(٤) يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ^(٥) كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهُبٍ^(٦).

❖ قَصِيدَةُ أَبِي طَالِبٍ الشَّهِيرَةُ:

وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَدَرَتْ^(٧) الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَاَنْتَشَرَ ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَخَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ

(١) هو: رِبِيعَةُ بْنُ عَبَادٍ الدَّيْلِيُّ يُعَدُّ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَعُمَرُ عُمَرَا طَوِيلًا.

قال الحافظ في الإصابة (٢/٣٩٠): مَاتَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ.

(٢) الْفِجَاجُ: جَمْعُ فَجٍّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ. انظر: النهاية (٣/٣٧٠).

(٣) قال السُّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ (٩/١٧٦): مُقْتَضُونَ عَلَيْهِ: أَي: مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ تَعَجُّبًا مِمَّا يَقُولُ.

(٤) غَدِيرَتَيْنِ: هِيَ صَفَائِرُ، وَهِيَ كَذَلِكَ الذَّوَائِبُ. انظر: النهاية (٣/٣١٠).

(٥) كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِئَ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَيُسَمُّونَ مَنْ يَدْخُلُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَضْبُوءًا. انظر: النهاية (٣/٣).

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٠٢٣)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٥٦٢).

(٧) صَدَرَتْ: رَجَعَ. انظر: النهاية (٣/١٥).

العَرَبِ^(١) أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسَلِّمٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تَارِكَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّى يَهْلِكَ دُونَهُ. فَقَالَ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَدَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ^(٢)
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظَنَّةً^(٣) يَعِضُّونَ عَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ^(٤)
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ^(٥) وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ^(٦)
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
وَمِنْهَا:

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلٍ
وَمِنْ كَاشِحٍ^(٧) يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ
وَتَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا^(٨) مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِالْبَيْتِ حَقُّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمَسِّحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَمَوْطِي إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلٍ

(١) الدَّهْمَاءُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ. انظر: لسان العرب (٤/٤٣١).

(٢) الْمُزَايِلُ: أَي: التَّبَائِنُ وَالتَّفَرُّقُ. انظر: لسان العرب (٦/١٢٨).

(٣) أَظَنَّةٌ: أَي: مُتَّهِمِينَ. انظر: لسان العرب (٨/٢٧١).

(٤) الْأَنَامِلُ: جَمْعُ أُنْمَلَةٍ وَهِيَ رُؤُوسُ الْأَصَابِعِ. انظر: لسان العرب (١٤/٢٩٥).

(٥) سَمَرَاءَ سَمْحَةٍ: أَي: فَرَسٍ سَرِيعَةٍ. انظر: لسان العرب (٦/٣٥٦).

(٦) الْأَبْيَضُ: أَي: السِّيفُ، وَالْعَضْبُ: أَي: الْقَاطِعُ. انظر: لسان العرب (٩/٢٥٢).

الْمَقَاوِلُ: الْمُلُوكُ. انظر: لسان العرب (١١/٣٥٣).

(٧) الْكَاشِحُ: هُوَ الْعَدُوُّ الْمُبْغِضُ. انظر: لسان العرب (١٢/٩٩).

(٨) تَوْرٍ وَثَبِيرٍ وَحِرَاءٍ: جِبَالٌ بِمَكَّةَ. انظر: النهاية (١/٢٠٢ - ٢٢٣ - ٣٦٢).

ومِنَهَا :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نَثْرَكَ مَكَّةَ وَنَطْعَنُ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بَلَابِلٍ^(١)
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نُبْزَى^(٢) مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنُذْهِلَ عَنِ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِيلِ^(٣)
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ نُهَوِّضُ الرِّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الضُّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ^(٤) مِنْ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ^(٥) الْمُتَحَامِلِ
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبَسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ^(٦)
بِكَفِّي فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدَعٍ^(٧) أَخِي ثِقَّةَ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ

ومِنَهَا :

وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ لَا أَبَا لَكَ سَيِّدًا يَحُوطُ الذُّمَارَ غَيْرَ ذَرِبٍ مُوَائِلِ^(٨)
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ^(٩) الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاضِلِ

(١) بَلَابِلٌ: هي وَسْوَاسُ الصَّدْرِ. انظر: لسان العرب (١/٤٩٣).

(٢) نُبْزَى مُحَمَّدًا: أي: نَسْلُهُ وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ. انظر: سيرة ابن هشام (١/٣١٢).

(٣) الْحَلَالِيلُ: الزُّوجَاتُ، وَاجِدَتْهَا: حَلِيلَةً. انظر: لسان العرب (٣/٢٩٦).

(٤) الضُّغْنُ: الحَقْد. انظر: لسان العرب (٨/٦٨).

يقال للقتيل: ركب رَدْعَهُ: إِذَا خَرَّ لَوَجْهِهِ عَلَى دَمِهِ. انظر: لسان العرب (٥/١٨٨).

(٥) الْأَنْكَبُ: الْمَائِلُ. انظر: لسان العرب (١٤/٢٧٥).

(٦) أَمَائِلُ الْقَوْمِ: خِيَارُهُمْ. انظر: لسان العرب (١٣/٢٣).

(٧) السَّمِيدَعُ: الْكَرِيمُ السَّيِّدُ. انظر: لسان العرب (٦/٣٥٧).

(٨) الذُّمَارُ: مَا يَلْزُمُكَ حِمَايَتُهُ. انظر: لسان العرب (٥/٥٧).

ذَرِبٌ: هُوَ الْفَاجِشُ الْبِذِيءُ. انظر: لسان العرب (٥/٣١).

مَوَاكِلُ: عَاجِزٌ كَثِيرُ الْإِتْكَالِ عَلَى غَيْرِهِ. انظر: لسان العرب (١٥/٣٨٧).

(٩) الثِّمَالُ: الْمَلْجَأُ وَالْغِيَاثُ وَالْمَطْعَمُ فِي الشَّدَةِ. انظر: لسان العرب (٢/١٣٠).

ومنها:

وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ
شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيِّبِينَ وَهَاشِمٍ
وَنَحْنُ الْكَدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ
كَيْضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصِّاقِلِ^(١)

ومنها:

لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤْمِلٍ
حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُنَّةٍ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذِّبَ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمَةٍ^(٢)
حَدِثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ
وَزَيْنًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
يُؤَالِي إِلَّاهَا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ
تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَارُلِ
لَدَيْنَا وَلَا يَغْنِي بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
تَقْصَرُ عَنْهُ سُورَةٌ^(٣) الْمُتَطَاوِلِ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا^(٤) وَالْكَلاكِيلِ^(٥)
وَأُظْهِرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلٍ^(٦)
إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا.

قَالَ فِيهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ قَصِيدَةٌ عَظِيمَةٌ بَلِيغَةٌ جِدًّا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ

(١) الصياقل: السيوف اللامعة. انظر: لسان العرب (٣٧٧/٧).

(٢) الأرومة: بفتح الهمزة: الأضل. انظر: النهاية (٤٤/١).

(٣) السورة: بضم السين هي المَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ. انظر: لسان العرب (٤٢٧/٦).

(٤) الذُّرَا: جمع دُرْوَةٍ، وهي أَعْلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ. انظر: لسان العرب (٤١/٥).

(٥) الْكَلاكِيلُ: جمع كَلَكَلٍ، وهو الصَّدْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. انظر: لسان العرب (١٤٦/١٢).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠٩/١).

فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى فِيهَا جَمِيعًا^(١).

❖ مَا نَزَلَ بِشَأْنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ^(٢) ﷺ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو أَشْرَافَ قُرَيْشٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَأْلُو^(٣) جُهْدًا فِي نَصْحِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَكِبَرَائِهِمْ، فِيهِمْ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى ﷺ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَسْتَقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَشَقَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَضْجَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَغَلَهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا طَمَعَ فِيهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ خَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ التِّفَاتُهُ إِلَى ذَلِكَ الْمِسْكِينِ الْأَعْمَى يُنْفِرُ عَنْهُ قُلُوبَ أَوْلِيكَ الزُّعَمَاءِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِينَ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۖ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ ﴿١٤﴾ [عبس: ١ - ١٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيُّ يَقُولُ لَهُ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، لَمْ أُخْصَّ بِكَ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، فَلَا تَمْنَعُهُ مِمَّنْ ابْتِغَاهُ، وَلَا تَتَصَدَّقَنَّ بِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ^(٤).

(١) انظر: البداية والنهاية (٦٣/٣).

(٢) مختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله، وأهل العراق يقولون: عمرو بن أم مكتوم القُرَشِيُّ، وهو ابنُ خَالِ حَدِيجَةَ أم المؤمنين ﷺ، أسلم قديمًا، كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي عَامَةِ غَزْوَاتِهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، خَرَجَ ﷺ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ، فَشَهِدَ الْقِتَالَ، وَاسْتَشْهِدَ هُنَاكَ، وَكَانَ مَعَهُ اللَّوَاءُ حِينَئِذٍ. انظر: الإصابة (٤٩٤/٤).

(٣) لَا يَأْلُو: أَي: لَا يُقْصِرُ. انظر: النهاية (٦٤/١).

(٤) أَخْرَجَ قِصَّةَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ: ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ =

رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ مُسْلِمٍ بْنِ صُبَيْحٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا رَجُلٌ مَكْفُوفٌ، وَهِيَ تَقْطَعُ لَهُ الْأُتْرُجَ ^(١) وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعِنْدَهُ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمَا، فَنَزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾... ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْلِيفَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، ثِقَةً بِمَا كَانَ فِي قَلْبِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةً أَنْ يُكَبِّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ» ^(٣).

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَبِيبَهُ وَنَبِيَّهُ ﷺ حَتَّى لَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ أَهْلِ الصُّفَّةِ ^(٤)، أَوْ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ الْكَافِرِ، وَكَانَ

= البر والإحسان، رقم الحديث (٥٣٥)، والترمذي في جامعه، باب ومن سورة عبس، رقم الحديث (٣٦٢١)، وإسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر: سيرة ابن هشام (٤٠١/١)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٢٢/٤).

(١) الْأُتْرُجُ: هِيَ فَاكِهَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَاحِدَتُهُ تُرْجَةٌ، وَأُتْرُجَةٌ. انظر: فتح الباري (٨٢/١٠)، ولسان العرب (٢٥/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، باب تعظيم أهل بيت النبي ﷺ، لابن أُمِّ مَكْتُومٍ، رقم الحديث (٦٧٣٠).

(٣) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، رقم الحديث (٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، رقم الحديث (١٥٠).

(٤) أَهْلُ الصُّفَّةِ: هُمْ قُرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُمْ مَنْزِلٌ يَسْكُنُهُ، فَكَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مُظَلَّلٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ يَسْكُنُونَهُ. انظر: النهاية (٣٥/٣).

النَّظَرُ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُولَى، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَصْلَحَ وَأُولَى مِنَ الْأَمْرِ الْآخِرِ، وَهُوَ
الْإِقْبَالُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ طَمَعًا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا نَوْعًا مِنَ
الْمَصْلَحَةِ^(١).

❀ حَدِيثٌ لَا أَصْلَ لَهُ:

قُلْتُ: وَأَمَّا مَا اشْتَهَرَ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ
أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: «أَهْلًا أَوْ مَرْحَبًا بِالَّذِي عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»^(٢).
قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رحمته الله فِي «السُّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ»: لَا أَعْلَمُ لِهَذَا الْحَدِيثِ أَصْلًا
يُمْكِنُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ^(٣).



(١) انظر: تفسير القرطبي (٧٢/٢٢).

(٢) أورد هذا الحديث: الواحدي في أسباب النزول (ص ٤٧٩) بدون إسناد، وعلقه القرطبي في
تفسيره (٧١/٢٢) عن سفيان الثوري.

(٣) انظر: السلسلة الضعيفة، للألباني رحمته الله (٣/٦٣٥).

إِسْلَامُ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ ﷺ

الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِسْلَامَ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، وَاسْمُهُ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ﷺ، تَأَخَّرَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِعِدَّةِ سَنَوَاتٍ كَمَا سَأَبَيْنُ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»^(١) مِنْ أَنَّهُ ﷺ أَسْلَمَ فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ السَّرِّيَّةِ، فَفِيهِ نَظَرٌ.

وَكَانَ ﷺ يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ ﷺ أَخْرَجَهَا الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» مَعَ تَغَايُرٍ بَيْنَهُمَا.

❁ رَوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ^(٢) وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ:

قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ... أَنَا وَأَخِي أَنَيْسُ، وَأُمْنَا،... فَقَالَ أَنَيْسُ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ، فَكُفِّنِي حَتَّى آتِيكَ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ فَرَأَتْ^(٣) عَلَيَّ، ثُمَّ أَتَانِي، فَقُلْتُ: مَا حَبَسَكَ؟

قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ عَلَيَّ دِينِكَ.

فَقُلْتُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ لَهُ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ - وَكَانَ أَنَيْسُ شَاعِرًا..

فَقَالَ أَنَيْسُ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُفَّانِ، فَمَا يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَقَدْ وَضَعْتُ

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/٤٣١).

(٢) قَدِّمْتُ رواية الإمام مسلم والإمام أحمد على رواية البخاري؛ لأن فيها تفصيلاً أكثر.

(٣) رَأَتْ: أي: أَبْطَأَ. انظر: النهاية (٢/٢٦١).

قَوْلُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ^(١)، فَوَاللَّهِ مَا يَلْتَمِمْ لِسَانُ أَحَدٍ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: هَلْ أَنْتَ كَافِيٌّ حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَنْظُرَ؟^(٢).

قَالَ: نَعَمْ، فَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَذَرٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنِفُوا لَهُ^(٣)، وَتَجَهَّمُوا^(٤) لَهُ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَعْتُ^(٥) رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِيَّ؟

فَأَشَارَ إِلَيَّ، وَقَالَ: الصَّابِيُّ، فَمَالَ أَهْلُ الْوَادِي عَلَيَّ بِكُلِّ مَدْرَةٍ^(٦)، وَعَظُمَ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصْبٌ أَحْمَرُ^(٧)، فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَغَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ ثَلَاثِينَ، بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ^(٨) بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كِبْدِي سَخْفَةً^(٩) جُوعٍ.

(١) أَقْرَاءُ الشُّعْرِ: أَي: طُرُقُ الشُّعْرِ وَأَنْوَاعُهُ وَبُحُورُهُ. انظر: النهاية (٢٨/٤).

(٢) فِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ قَالَ رضي الله عنه: فَكَفَّنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ.

(٣) شَنِفُوا لَهُ: أَي: أَبْغَضُوهُ. انظر: النهاية (٤٥١/٢).

(٤) تَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ: إِذَا لَقَوْنِي بِالْغُلْظَةِ، وَالْوَجْهَ الْكَرِيهَ. انظر: النهاية (٣١١/١).

(٥) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٢٤/١٦): يَعْنِي: نَظَرْتُ إِلَى أَضْعَفِهِمْ، فَسَأَلْتُهُ؛ لِأَنَّ الضَّعِيفَ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ غَالِبًا.

(٦) الْمَدْرَةُ: هُوَ الطَّيْنُ الْمُتَمَاسِكُ. انظر: النهاية (٢٦٤/٤).

(٧) النَّصْبُ: بَضْمُ النَّوْنِ هُوَ الصَّنَمُ، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْصُبُونَ الصَّنَمَ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهُ، فَيَحْمَرُّ بِالْدَمِ، وَيَقْصِدُ رضي الله عنه: أَنَّ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمَاءِ الَّتِي سَالَتْ مِنْهُ صَارَ كَأَنَّهُ الصَّنَمُ الْمُمْتَلِئُ بِالدَّمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ مَا يُذْبَحُ عِنْدَهُ. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢٤/١٦)، النهاية (٥٢/٥).

(٨) الْعُكْنُ: بَضْمُ الْعَيْنِ: الْأَطْوَاءُ فِي الْبَطْنِ مِنَ السَّمَنِ. انظر: لسان العرب (٣٤٥/٩).

(٩) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٢٤/١٦): سَخْفَةُ الْجُوعِ: بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا، وَهِيَ رِقَّةُ الْجُوعِ وَضَعْفُهُ وَهَزَالُهُ.

قَالَ ﷺ: فَيِنَّا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءَ إِضْحِيَّانَ^(١)، إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أَصْمَحَةَ^(٢) أَهْلِ مَكَّةَ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ غَيْرُ امْرَأَتَيْنِ، فَأَتَتَا عَلِيَّ، وَهُمَا تَدْعُوَانِ إِسَافَ وَنَائِلَةَ^(٣)، فَقُلْتُ: أَنْكِحُوا أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، فَمَا ثَنَاهُمَا ذَلِكَ، فَأَتَتَا عَلِيَّ، فَقُلْتُ: وَهَنْ^(٤) مِثْلُ الْخَشْبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ^(٥)، فَاَنْطَلَقْنَا تَوَلَّوْلَانِ، وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا!

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُمَا هَابِطَانِ مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَا: «مَا لَكُمَا؟».

قَالَتَا: الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأُسْتَارِهَا.

قَالَا: «مَا قَالَ لَكُمَا؟».

قَالَتَا: قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ^(٦).

قال أبو ذرٍّ ﷺ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ وَصَاحِبُهُ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَتَيْتُهُ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) قال النووي في شرح مسلم (٢٤/١٦): الإِضْحِيَّانِ: بكسر الهمزة والحاء؛ أي: مُضِيَّةٌ.

(٢) قال النووي في شرح مسلم (٢٥/١٦): أَصْمَحَتُهُمْ: جمع صِمَاحٍ، وهو الخَرْقُ الذي في الأُذُنِ يُفْضِي إلى الرَّأْسِ، والمراد بأصمحتهم هنا: آذَانُهُمْ؛ أي: نَامُوا.

(٣) إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ: هما صَنَمَانِ تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهُمَا كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً زَنِيَا فِي الْكَعْبَةِ فَمُسِحَا، وَإِسَافٌ بِكسر الهمزة وقد تُفْتَح. انظر: النهاية (٥١/١).

(٤) قال النووي في شرح مسلم (٢٥/١٦): وَهَنْ: بفتح الهاء، هو كِنَايَةٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ كِنَايَةً عَنِ الْفَرْجِ وَالذَّكْرِ، وَمِثْلُ الْخَشْبَةِ بِالْفَرْجِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ سَبَّ إِسَافٍ وَنَائِلَةَ، وَغِيظَ الْكُفَّارِ.

(٥) قال السندي في شرح المسند (٤٥٨/١٢): لَمْ أَكُنْ: مِنَ الْكِنَايَةِ، أَوْ التَّكْنِيَةِ؛ أي: صرحت بذلك.

(٦) قال النووي في شرح مسلم (٢٥/١٦): أي: عَظِيمَةٌ لَا شَيْءَ أَقْبَحَ مِنْهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟».

قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ، فَوَضَعَهَا عَلَى جَبْهَتِهِ.
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«وَمَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟».

قُلْتُ: كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟».
قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكْنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَيْدِي سَخْفَةً جُوعٍ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِمَ».
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، قَالَ:
فَفَعَلَ.

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، حَتَّى فَتَحَ أَبُو
بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ.
قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، فَلَبِثْتُ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ، وَلَا
أَحْسِبُهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ
فِيهِمْ؟».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَخِي أَنَيْسًا، فَقَالَ لِي: مَا
صَنَعْتَ؟

قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

قَالَ أَنَيْسٌ: فَمَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ^(١)، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، ثُمَّ أَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: فَمَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارٍ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يُؤْمُهُمْ إِيْمَاءُ بْنُ رَخْصَةَ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

ثُمَّ قَدِمَتْ قَبِيلَةُ غِفَارٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَأُحْدٍ، وَصَادَفَ قُدُومُهُمْ قُدُومَ قَبِيلَةِ أَسْلَمَ، فَلَمَّا أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ»^(٢).

❁ رَوَايَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ:

وَفِي رَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ ﷺ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ اتَّبِعْنِي، فَاَنْطَلِقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَذْتُ، فَتَزَوَّدَ، وَحَمَلَ شَنَّةً^(٣) لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَذْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَأَاهُ عَلِيٌّ ﷺ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى

(١) قَالَ النَّوَوِي فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (٢٦/١٦): أَي: لَا أَكْرَهُهُ، بَلْ أَدْخُلُ فِيهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مَنْ فُضِّلَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٤٧٣)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢١٥٢٥).

(٣) الشَّنَّةُ: الْقَرْبَةُ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢/٤٥٣).

المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أُمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجِعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَمَا نَالَ^(١) لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟

فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ فَعَادَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قَالَ: إِنَّ أُعْطِيتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلْتُ، فَأَخْبَرَهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي... فَاذْطَلَقَ يَقْفُوهُ^(٢)، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي»^(٣).

❖ الأدلة على تأخير إسلام أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١ - ضيافته عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِصَّةَ أَبِي ذَرٍّ وَقَعَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِأَكْثَرِ مِنْ سِتِّينَ بَحِثُ يَتَهَيَّأُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَسْتَقِيلَ بِمُخَاطَبَةِ الْغَرِيبِ وَيُضِيفُهُ، فَإِنَّ الْأَصَحَّ فِي سِنِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ الْمَبْعَثِ كَانَ عَشْرَ سِنِينَ^(٤).

٢ - قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرَبُ».

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥٦٦/٧): نَالَ: أَي: حَانَ.

(٢) يَقْفُوهُ: أَي: يَتَّبِعُهُ، وَقَفَاءً وَرَاءَهُ وَخَلْفَهُ. انظر: النهاية (٨٣/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٣٨٦١).

(٤) انظر: فتح الباري (٥٦٦/٧).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: فَإِنَّ ذَلِكَ يُشْعِرُ بِأَنَّ وَقُوعَ ذَلِكَ كَانَ قُرْبَ
الْهَجْرَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

٣ - قَوْلُ أَنَسٍ ﷺ لِأَخِيهِ أَبِي ذَرٍّ ﷺ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ
أَرْسَلَهُ عَلَى دِينِكَ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ لِقَائِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ
يَنْتَشِرْ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَزِيرَةِ إِلَّا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنْ بَعْثِهِ ﷺ، مِمَّا
يَدُلُّ عَلَى تَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ ﷺ.

✽ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ:

رَوَى ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رُبْعَ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ، وَأَنَا الرَّابِعُ، أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ،
فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتُ الْإِسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ
أَنْتَ؟».

فَقُلْتُ: إِنِّي جُنْدُبٌ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ^(٢).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: لَقَدْ
رَأَيْتُنِي رُبْعَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يُسَلِّمْ قَبْلِي إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ^(٣).

(١) انظر: فتح الباري (٥٦٨/٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر أبي ذر
الغفاري ﷺ، رقم الحديث (٧١٣٤)، والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة،
باب ضرب قريش أبا ذرٍّ ﷺ، رقم الحديث (٥٥١٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب ضرب قريش أبا ذرٍّ ﷺ، رقم
الحديث (٥٥٠٩).



أَسَالِيبُ قُرَيْشٍ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَمِرٌّ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ، لَا يَضُرُّهُ عَنْ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ، فَكَّرُوا مَرَّةً أُخْرَى، وَاخْتَارُوا لِقَمْعِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَسَالِيبَ مِنْهَا:

١ - إِثَارَةُ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَتْ الدَّعَايَاتِ الْكَاذِبَةُ، وَنَشْرُ الْإِيرَادَاتِ الْوَاهِيَةِ حَوْلَ تَعَالِيهِ، وَحَوْلَ شَخْصِيَّتِهِ ﷺ، وَالْإِكْثَارُ مِنْ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لِلْعَامَّةِ مَجَالٌ فِي تَدْبِيرِ دَعْوَتِهِ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكٌ أَفْتَرْتَهُ وَآعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِلَى مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَضْرَانِيٍّ يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ، عَبْدٌ لَابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا يُعْلَمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِمَّا يَأْتِي بِهِ إِلَّا جَبْرُ النَّضْرَانِيِّ، غُلَامُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلِمُهُ بَشَرٌ لِسَاتِ الْأَذَى يُلْحِذُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ^(١).

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (٦/٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب

تفسیر سورة النحل، رقم الحديث (٣٤١٤) عن ابن عباس ؓ، وإسناده صحيح.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ: أَي: يَمِيلُونَ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَادُ: الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ^(١).

٢ - من أساليبهم أيضًا: مُعَارَضَةُ الْقُرْآنِ بِأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ لِإِشْعَالِ النَّاسِ بِهَا عَنْهُ، فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ^(٢) وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَنْصُبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، كَانَ قَدِيمَ الْحَيَرَةِ^(٣)، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرْسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتَمٍ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا فَذَكَرَ فِيهِ بِاللَّهِ، وَحَذَّرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا، فَهَلُمَّ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتَمٍ، ثُمَّ يَقُولُ: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهُوَ الَّذِي قَالَ - فِيمَا بَلَغَنِي -: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ^(٤).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٧/٢).

(٢) هذا الرجلُ مِنْ أَشَدِّ مَنْ عَانَدَ الرَّسُولَ ﷺ، ثُمَّ أُسِرَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى، فَقُتِلَ كَافِرًا، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَمْرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) الْحَيَرَةُ: بِكسر الحاء، مَدِينَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: النَّجْفُ، كَانَتْ مَسْكَنَ مُلُوكِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ زَمَنِ نَضَرَ بْنِ هَارِثٍ ثُمَّ لَحْمِ النُّعْمَانِ وَأَبَائِهِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْحَيَرَةُ لِأَنَّ ثُبْعًا لَمَّا أَقْبَلَ بِجِيُوشِهِ فَبَلَغَ مَوْضِعَ الْحَيَرَةِ ضَلَّ دَلِيلُهُ، وَتَحَيَّرَ فَسُمِّيَتْ الْحَيَرَةُ. انظر: معجم البلدان (٢٠١/٣).

(٤) الخبرُ فِي سيرة ابن هشام (٣٣٧/١).

اِخْتَلَفَ فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقِيلَ: فِي مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ، وَقِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، وَقِيلَ: النَّضَرَ بْنُ الْحَارِثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَانْظُرْ: تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ (٣٠٢/٣)، تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ (٤٥٧/٨).

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ثَمَانُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ ^(١) مِنَ الْقُرْآنِ ^(٢).

وَنَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجن: ٧] يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿الجن: ٧، ٨﴾.

٣ - وَمِنْ أَسَالِيْبِهِمُ: السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالتَّكْذِيبُ، وَقَدْ لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ لِتَحْذِيلِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوْهِينِ قَوَاهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَرَمَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِالْجُنُونِ: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وَوَصَّمُوهُ ^(٣) بِالسُّخْرِ وَالْكَذِبِ وَقَوْلِ الشُّعْرِ: ﴿وَعَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله تعالى، قالوا يَهْزُؤُونَ بِهِ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ ^(٤) وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءِءَاذَانِنَا وَقَرْءٌ ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]،

(١) قال الإمام السهيلي في الرُّوض الأُنْف (٥٣/٢): واحدُ الأساطيرِ أُسْطُورَةٌ كَأُخْذُونَةٌ وأُحَادِيث، وهو ما سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٣٧/١).

(٣) وصم الشيء: عابه. انظر: لسان العرب (٣٢٠/١٥).

(٤) قال الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ (ص ٤٤٤): الْكِتَانُ: الْغِطَاءُ الَّذِي يُكْنَى فِيهِ الشَّيْءُ، وَالْجَمْعُ أَكِنَّةٌ نَحْوُ غِطَاءٍ وَأَعْطِيَّةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: فِي غِطَاءٍ عَنْ تَفْهَمِ مَا تُورِدُهُ عَلَيْنَا....

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^(١) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُوا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦) [الإسراء: ٤٥].

أَيُّ: كَيْفَ فَهَمُّوا تَوْحِيدَكَ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ جَعَلْتَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا يَزْعِمُهُمْ؛ أَيُّ: إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَعْمُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَعْمُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧)؛ أَيُّ: ذَلِكَ مَا تَوَاصَوْا بِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَعَثْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨)؛ أَيُّ: أَخْطَرُوا الْمَثَلَ الَّذِي ضَرَبُوا لَكَ، فَلَا يُصِيبُونَ بِهِ هُدًى، وَلَا يَغْتَدِلُ لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا أَوَّارًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩)؛ أَيُّ: قَدْ جِئْتَ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنُبْعُثُ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا، وَذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٥١]؛ أَيُّ: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِمَّا تَعْرِفُونَ، فَلَيْسَ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ بِأَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ^(٢).

٤ - وَمِنْ أَسَالِيبِهِمْ: مُسَاوَمَاتٌ حَاوَلُوا بِهَا أَنْ يَلْتَقِيَ الْإِسْلَامُ وَالْجَاهِلِيَّةُ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَأَنْ يَتْرَكَ الْمُشْرِكُونَ بَعْضَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَيَتْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ^(٣) فَيُدْهِنُونَ﴾ (٦١) [القلم: ٩].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ لَوْ تَلَيْنُ لَهُمْ فِي دِينِكَ بِإِجَابَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى الرُّكُونِ إِلَى آلِهَتِهِمْ، فَيَلِينُونَ

(١) قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي فِي مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ (ص ٥٤٤): الْوَقْرُ: الثَّقُلُ فِي السَّمْعِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦١/٧): أَيُّ: آذَانُنَا صَمَمَ عَمَّا جِئْنَا بِهِ.

(٢) انْظُرْ: سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٣٥٣/١).

(٣) قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٤٧/٢١): الْإِدْهَانُ: هُوَ اللَّيْنُ وَالْمُصَانَعَةُ.

لَكَ فِي عِبَادَتِكَ إِلَهَكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَبًّا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴿[الإسراء: ٧٤، ٧٥] وَإِنَّمَا هُوَ مَاخُذٌ مِنَ الدُّهْنِ شَبَّهُ التَّلِينِ فِي الْقَوْلِ بِتَلْيِينِ الدُّهْنِ^(١).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: اعْتَرَضَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ - فِيمَا بَلَغْنِي - الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى^(٢)، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ^(٣) فِي قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، فَنَشْتَرِكَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ، كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ، كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَابِعَهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

أَيُّ: إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ، إِلَّا أَنْ أَعْبُدَ مَا تَعْبُدُونَ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ مِنْكُمْ، لَكُمْ دِينُكُمْ جَمِيعًا وَلِيَ دِينِ^(٤).

وَحَسَمَ اللَّهُ مُفَاوَضَاتِهِمُ الْمُضْحِكَةَ بِهَذِهِ الْمَفَاصِلَةِ الْجَازِمَةِ^(٥).

... لَعَلَّ اخْتِلَاطَ تَصَوُّرَاتِهِمْ، وَاعْتِرَافِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مَعَ عِبَادَةِ آلِهَةِ أُخْرَى مَعَهُ... لَعَلَّ هَذَا كَانَ يُشْعِرُهُمْ أَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٨٢/١٢).

(٢) الأسود بن المطلب من أشد الناس عداوةً للرسول ﷺ، ومات كافرًا قبل غزوة بدر الكبرى.

(٣) ذَوِي الْأَسْنَانِ: هُمُ الْأَكَابِرُ وَالْأَشْرَافُ. انظر: النهاية (٣٧١/٢).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤٠٠/١).

(٥) انظر: الرحيق المختوم (ص ٨٥).

قَرِيبَةً، يُمَكِّنُ التَّفَاهُماً عَلَيْهَا، بِقِسْمَةِ الْبَلَدِ بِلَدَيْنِ، وَالِاتِّقَاءِ فِي مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ، مَعَ بَعْضِ التَّرَضِيَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ!.

وَلِحَسْمِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُحَاوَلَةِ، وَالْمُفَاصَلَةِ الْحَاسِمَةِ بَيْنَ عِبَادَةِ وَعِبَادَةٍ، وَمَنْهَجٍ وَمَنْهَجٍ، وَتَصَوُّرٍ وَتَصَوُّرٍ، وَطَّرِيقٍ وَطَّرِيقٍ.. نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ^(١)، بِهَذَا الْجُزْمِ، وَبِهَذَا التَّوَكُّيدِ. وَبِهَذَا التَّكْرَارِ. لِتُنْهِيَ كُلَّ قَوْلٍ، وَتَقْطَعَ كُلَّ مُسَاوَمَةٍ، وَتُفَرِّقَ نِهَائِيًّا بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالشُّرْكِ، وَتُقِيمَ الْمَعَالِمَ وَاضِحَةً، لَا تَقْبَلُ الْمُسَاوَمَةَ وَالْجَدَلَ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ^(٢).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: خُبَّابٌ، وَعَمَّارٌ، وَأَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَضَهَيْبٌ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَزَأَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ، أَهْؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهَدَى الْحَقِّ؟ لَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، وَمَا خَصَّهُمْ اللَّهُ بِهِ دُونَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفِ وَالْعَمِيقِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٤]^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤْنَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفِ وَالْعَمِيقِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٤).

(١) سورة الكافرون بكاملها. (٢) انظر: في ظلال القرآن (٦/٣٩٩١).

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام (٦/٢).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي =

تَعَذِيبُ قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ

مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْتُ قُرَيْشٌ مِنْهُ، وَأَذْرَكَتْ
أَلَّا جَدَوَى مِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي سَلَكَتْهَا مَعَهُ فِي كَفِّ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَالْفَضَاءِ عَلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ رُؤُوسُ الْمُشْرِكِينَ وَقَرَّرُوا اللُّجُوءَ إِلَى الْعُنْفِ، وَالْقُوَّةِ
فِي مُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُنْتَمِينَ إِلَيْهِ، وَأَصْدَرُوا أَوَامِرَهُمْ إِلَى الْقَبَائِلِ لِيَصُوبُوا
الْعَذَابَ وَالْأَذَى عَلَى كُلِّ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَوُثِّتَ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا
يَحْسِبُونَهُمْ، وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ، وَالْجُوعِ، وَالْعَطَشِ، وَبِرَمَضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ
الْحَرُّ^(١).

فَكَانَتْ فِتْنَةً شَدِيدَةً الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ، فَافْتَتِنَ مَنْ افْتَتِنَ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ، وَمَنَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ
مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمه الله: ... فَحَمَى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ شَرِيفًا مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ، مُطَاعًا فِي أَهْلِهِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ لَا يَتَجَاسَرُونَ عَلَى
مُكَاشَفَتِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﷺ بَقَاؤُهُ عَلَى

= وَقَاصَ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٤١٣) (٤٦)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ
التَّارِيخِ، بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرْدَ الْفُقَرَاءِ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ
(٦٥٧٣).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥٤/١).

دِينِ قَوْمِهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَبْدُو لِمَنْ تَأَمَّلَهَا^(١).

✽ الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

وَكَانَ الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ:

- ١ - عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ^(٢).
- ٢ - ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ^(٣).
- ٣ - عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ^(٤).
- ٤ - شَيْبَةُ بْنُ رِيعَةَ^(٥).
- ٥ - عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ^(٦).
- ٦ - أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ^(٧).
- ٧ - الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ^(٨).
- ٨ - النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ^(٩).
- ٩ - أَبُو الْبَخَرِيِّ بْنُ الْعَاصِي بْنِ هِشَامٍ^(١٠).
- ١٠ - أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ^(١١).
- ١١ - الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(١٢).

-
- (١) انظر: زاد المعاد (١٩/٣ - ٢٠). (٢) مات بعد غزوة بدر الكبرى كافراً.
- (٣) أسلم قبل فتح مكة وحسن إسلامه. (٤) قُتِلَ كافراً في غزوة بدر الكبرى.
- (٥) قُتِلَ كافراً في غزوة بدر الكبرى.
- (٦) أُسِرَ في غزوة بدر الكبرى، ثم أمر الرسول ﷺ بقتله، فقتل كافراً.
- (٧) أسلم في فتح مكة وحسن إسلامه. (٨) أسلم في فتح مكة وحسن إسلامه.
- (٩) أُسِرَ في غزوة بدر الكبرى، وأمر النبي ﷺ بقتله، فقتل كافراً.
- (١٠) قُتِلَ في غزوة بدر الكبرى كافراً.
- (١١) هُوَ: فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُتِلَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى كَافِرًا لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
- (١٢) مات قبل غزوة بدر الكبرى كافراً.

١٢ - العاصُ بنُ وائلٍ^(١).

١٣ - أُمَيَّةُ بنُ خَلْفٍ^(٢).

١٤ - أَبِي بنُ خَلْفٍ^(٣).

١٥ - الْأَسْوَدُ بنُ الْمُطَّلِبِ بنِ أَسَدٍ^(٤).

١٦ - الْأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَعُوثَ^(٥).

فَهُؤُلَاءِ كَانُوا أَشَدَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مُثَابَرَةً بِالْأَدَى، وَمَعَهُمْ سَائِرُ قُرَيْشٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعَذِّبُونَ مَنْ لَا مَنَعَةَ لَهُ، وَلَا جِوَارَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْذُونَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ الْفَاسِقُ الَّذِي يُغَرِّي بِهِمْ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ، لَهُ شَرَفٌ وَمَنَعَةٌ، أَنْبَهُ وَأَخْزَاهُ، وَقَالَ: تَرَكْتُ دِينَ أَبِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، لَنَسْفَهَنَ حِلْمَكَ، وَلَنُفِيلَنَّ^(٦) رَأْيَكَ، وَلَنَضَعَنَّ شَرَفَكَ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاللَّهِ لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ^(٧).

❁ صُورٌ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالْإِيذَاءِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ مَاجَهٍ بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ ﷻ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ

(١) مَاتَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى كَافِرًا.

(٢) قُتِلَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى كَافِرًا قَتَلَهُ بِلَالٌ رضي الله عنه.

(٣) قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ كَافِرًا، وَهُوَ الْوَجِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

(٤) مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى. (٥) مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٦) قِيلَ رَأْيُهُ: أَي: ضَعْفُهُ وَخَطَأُهُ. انظر: الوسيط (٢/٧١٥).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٧).

فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْبُسُوهُ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ^(١) عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ^(٢).

✽ تَعْذِيبُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَيُوثِقُهُ رِبَاطًا وَيَقُولُ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُحَدَّثٍ؟
وَاللَّهِ لَا أَحُلِّكَ أَبَدًا حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَيَقُولُ
عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَا أَدَعُهُ أَبَدًا وَلَا أَفَارِقُهُ، فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ^(٣).

✽ تَعْذِيبُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُهُ عَمُّهُ وَيُلْفُهُ فِي حَصِيرٍ، وَيُدْخِنُ عَلَيْهِ
بِالنَّارِ، وَيَقُولُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا^(٤).

✽ تَعْذِيبُ زَيْنَرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

مِنْ الَّذِينَ عَذَّبُوا: امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَعْتَقَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ

(١) وَاتَاهُمْ: أَي: وَافَقَهُمْ. انظر: لسان العرب (٦٧/١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٨٣٢)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ فِي الْمَقْدِمَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٥٠).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٣/٣١).

(٤) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَابُ كَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥٦٠١)، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ (١/١٣١)، وَهُوَ مُرْسَلٌ صَحِيحٌ.

فَذَهَبَ بَصَرُهَا حِينَ أَعْتَقَهَا، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا أَذْهَبَ بَصَرَهَا إِلَّا اللَّاتُ وَالْعُزَى، فَقَالَتْ: كَذَبُوا وَبَيْتَ اللَّهِ، مَا تَضُرُّ اللَّاتُ وَالْعُزَى وَمَا تَنْفَعَانِ، فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرَهَا^(١).

✽ تَعْدِيبُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه:

أَمَّا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه فَقَدْ رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»: أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ كَانَ فَتًى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرْقَهُ، وَكَانَ أَغْطَرَ أَهْلَ مَكَّةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ وَيَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَةً^(٢)، وَلَا أَرْقَ حُلَةً وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ»، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَاسْتَلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمُّهُ وَقَوْمُهُ، فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ قَدْ حَرَجَ - يَعْنِي: غَلَطَ - فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ^(٣).

✽ تَعْدِيبُ النَّهْدِيَّةِ وَبَنَاتِهَا:

مِنْ الَّذِينَ عَذَّبُوا امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: النَّهْدِيَّةُ وَبَنَاتُهَا، وَكَانَتَا لِمَرْأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَدْ بَعَثْتُهُمَا سَيِّدَتُهُمَا بِطَحِينٍ لَهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُعْتِقُكُمَا أَبَدًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: حِلْ يَا أُمَّ فُلَانٍ^(٤)،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٥)، البداية والنهاية (٣/٦٤)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٢٨٣).

(٢) اللَّيْمَةُ: بكسر اللام، شَعْرُ الرَّأْسِ، إِذَا كَانَ قَوْقُ الْوَفْرَةِ. انظر: لسان العرب (١٢/٣٣٣).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/٦٢).

(٤) حِلْ يَا أُمَّ فُلَانٍ: أَي: تَحْلِي مِنْ يَمِينِكَ. انظر: لسان العرب (٣/٣٠٠).

فَقَالَتْ: حِلٌّ، أَنْتَ أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتِقْتَهُمَا، قَالَ: قَدْ ابْتَعْتُهُمَا^(١)، وَهُمَا حُرَّتَانِ^(٢).

✽ تَعْذِيبُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ - يُوثِقُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُعَذِّبُهُ عَلَى إِسْلَامِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي^(٣) وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي^(٤) عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ^(٥).

✽ تَعْذِيبُ جَارِيَةِ بَنِي مُؤَمِّلٍ:

مِنَ الَّذِينَ عَذَّبُوا جَارِيَةً لِبَنِي مُؤَمِّلٍ - وَهُمْ حَيٌّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ - وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ عَلَى الشُّرْكِ، فَيُعَذِّبُهَا حَتَّى يَمَلَّ، فَيَقُولُ لَهَا: إِنِّي اعْتَذِرُ إِلَيْكَ، إِنِّي لَمْ أَتْرُكْكِ إِلَّا مَلَالَةً، فَتَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ^(٦).

✽ تَعْذِيبُ بِلَالٍ بْنِ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَكَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَوْلَى لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ، يُخْرِجُهُ سَيِّدُهُ أُمَيَّةُ بْنُ

(١) ابتاع الشيء: اشتراه. انظر: لسان العرب (١/٥٥٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٥)، البداية والنهاية (٣/٦٤)، سبل الهدى والرشاد (٢/٣٦١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٦٩): والمعنى: رأيت نفسي.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٦٩): أي: رَبَطَهُ بِسَبَبِ إِسْلَامِهِ إِهَانَةً لَهُ وَإِلْزَامًا بِالرُّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٣٨٦٢).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٦)، البداية والنهاية (٣/٦٤)، سبل الهدى والرشاد (٢/٣٦١).

حَلَفَ - لَعَنَهُ اللهُ - إِذَا حَمَيْتِ الشَّمْسُ وَقَتَ الظَّهِيرَةِ، فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ، فَيُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ^(١).

قَالَ الشَّيْخُ عَلِي الطَّنْطَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَتَشَعَّلُهُ لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ، عَنْ لَذَّةِ الْعَذَابِ، وَنَشْوَةُ الْأَمَلِ بِالْجَنَّةِ، عَنْ شِفْوَةِ الْأَلَمِ فِي الدُّنْيَا^(٢).

❀ رَوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ:

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ - أَيُّ: عَلَى بِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ يُعَذِّبُ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، ... فَقَالَ وَرَقَةُ لِأُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ: لَيْنَ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا - أَيُّ: عَلَى الْإِسْلَامِ - لَا تَتَّخِذْنَهُ حَنَانًا^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ سَاقَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ: وَفِيهِ نَظَرٌ^(٤).

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: هَذَا مُرْسَلٌ، وَوَرَقَةُ لَوْ أَدْرَكَ هَذَا لَعُدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا مَاتَ الرَّجُلُ فِي فِتْرَةِ الْوَحْيِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَبْلَ الرِّسَالَةِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»^(٥).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥٤/١)، زاد المعاد (٢٠/٣).

(٢) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٤).

(٣) الْحَنَانُ: الرَّحْمَةُ وَالْعَطْفُ، أَرَادَ: لِأَجْعَلَ قَبْرَهُ مَوْضِعَ حَنَانٍ؛ أَيُّ: مَظْنَةً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَاتَّسَحَ بِهِ مُتَبَرِّكًا، فِيرْجِعُ ذَلِكَ عَارًا عَلَيْكُمْ، وَسُبَّةً عِنْدَ النَّاسِ. انظر: النهاية (٤٣٥/١).

وانظر الخبر في: سيرة ابن هشام (٣٥٥/١).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٦٤/٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٩/١).

❀ تَغْذِيبُ آلِ يَاسِرٍ ﷺ :

كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأُمُّهُ وَأَبُوهُ ﷺ، مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ بِمَكَّةَ لِيَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ يَخْرُجُونَ بِهِمْ إِلَى الْأَبْطَحِ إِذَا حَمِيَتِ الرَّمْضَاءُ، فَيُعَذَّبُونَهُمْ بِحَرِّهَا، فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»^(١).

فَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ، وَأَمَّا سُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ فَطَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ، وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ^(٢).

وَأَمَّا عَمَّارٌ ﷺ فَنَزَلَ عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ بِالْحَرْقِ تَارَةً، وَبِالتَّغْرِيقِ تَارَةً أُخْرَى، وَلَمْ يَزَلِ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَذَكَرَ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ فَتَرَكُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُ: «مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُرِكَتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة ﷺ، باب إيداء الكفار آل ياسر، رقم الحديث (٥٦٩٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٨٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/٦٥)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٢٨٢)، سيرة ابن هشام (١/٣٥٧).

(٣) الخبر أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسير، باب تفسير سورة النحل، رقم الحديث (٣٤١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وأورده الحافظ في الفتح (١٢/٢٧٨) وقال: هو مُرْسَلٌ ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مُرسلة، وقال: وهذه المراسيل يُقوي بعضها ببعض.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُوَالِيَ الْمُكْرَهُ عَلَى الْكُفْرِ، إِنْقَاءً لِمُهْجَتِهِ^(١)، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِلَ، كَمَا كَانَ بِلَالٌ رضي الله عنه يَأْبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِهِ الْأَفَاعِيلَ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَيَأْبَى عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ كَلِمَةً هِيَ أَغِيظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَكَذَلِكَ حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه^(٢) لَمَّا قَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْطَعُهُ إِرْبًا إِرْبًا^(٣) وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ.

ثُمَّ قَالَ رحمته الله: وَالْأَفْضَلُ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَثْبَتَ الْمُسْلِمُ عَلَى دِينِهِ، وَلَوْ أَفْضَى إِلَى قَتْلِهِ^(٤).

✽ تَعْذِيبُ أَبِي فُكَيْهَةَ رضي الله عنه^(٥)

وَكَانَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُخْرِجُونَ أَبَا فُكَيْهَةَ رضي الله عنه نِصْفَ النَّهَارِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ، فَيَبْطَحُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ، وَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ عَلَى

(١) الْمُهْجَةُ: الرُّوحُ. انظر: لسان العرب (٢٠٦/١٣).

(٢) هُوَ: حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه، أَرْسَلَهُ الرَّسُولُ صلوات الله وسلاماته عليه إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، صَاحِبِ الْيَمَامَةِ، فَكَانَ مُسَيْلِمَةُ إِذَا قَالَ لَهُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِذَا قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَا أَصَمُّ لَا أَسْمَعُ، فَقَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَطَّعَهُ مُسَيْلِمَةُ غُضُوءًا غُضُوءًا حَتَّى مَاتَ رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٤٢١/١).

(٣) الْإِرْبُ: الْعُضْوُ. انظر: النهاية (٣٩/١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦٠٦/٤).

(٥) اسْمُهُ يَسَارٌ رضي الله عنه، وَكَانَ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَأَعْتَقَهُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَمَاتَ رضي الله عنه قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى. انظر: الإصابة (٢٦٨/٧).

ظَهْرِهِ حَتَّى لَا يَعْقِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ^(١).

❖ تَعْذِيبُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ الَّذِينَ عُذِّبُوا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيُصَلِّي فِي نَوَاحِي مَكَّةَ خَالِيًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا أُحِيحَةَ فَدَعَاهُ فَكَلَّمَهُ أَنْ يَدَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَقَالَ خَالِدٌ: لَا أَدْعُ دِينَ مُحَمَّدٍ حَتَّى أَمُوتَ عَلَيْهِ، فَضْرَبَهُ أَبُو أُحِيحَةَ بِقَرَّاعَةٍ^(٢) فِي يَدِهِ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ، حَتَّى لَقَدْ مَكَثَ فِي حَرٍّ مَكَّةَ ثَلَاثًا مَا يَذُوقُ مَاءً، فَرَأَى خَالِدٌ فُرْجَةً فَخَرَجَ، فَتَعَيَّبَ عَنْ أَبِيهِ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ^(٣).

❖ تَعْذِيبُ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ الصَّحَابَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ عُذِّبُوا فِي مَكَّةَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ بِمَكَّةَ^(٤).

❖ حِمْنَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أُمِّهِ:

أَمَّا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ أُمَّهُ^(٥) حَلَفَتْ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٤/٣٨٠).

(٢) الْقَرَّاعُ: التَّرْسُ. انظر: لسان العرب (١١/١٢١).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/٣٦٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/١٢١).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/١٢): اسْمُ أُمِّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حِمْنَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ =

يَكْفُرُ بِدِينِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَوْصَاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أَمْرُكَ
بِهَذَا، لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ، فَتُعَيِّرُ بِي فَيُقَالُ:
يَا قَاتِلَ أُمِّهِ. فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: لَا تَفْعَلِي يَا أُمُّهُ! فَإِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا
لِشَيْءٍ، فَمَكَّثَتْ ثَلَاثًا لَمْ تَأْكُلْ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
سَعْدٌ رضي الله عنه، قَالَ: يَا أُمُّهُ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِائَةٌ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا،
مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي. فَلَمَّا رَأَتْ
مِنْهُ الْجِدَّ أَكَلَتْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهَدَاكَ
لِتَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] ^(١).

✽ تَعَذِيبُ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ رضي الله عنه:

أَمَّا أَشَدُّ مَنْ عَذِبَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَهُوَ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ رضي الله عنه، وَكَانَ رضي الله عنه
مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، قَالَ عَنْ نَفْسِهِ رضي الله عنه: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمًا أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا
لِي نَارًا ثُمَّ سَلَقُونِي ^(٢) فِيهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي، فَمَا اتَّقَيْتُ
الْأَرْضَ إِلَّا بِظَهْرِي، قَالَ: ثُمَّ كُشِفَ عَنْ ظَهْرِهِ إِذَا هُوَ قَدْ بَرَصَ ^(٣).
وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يُوقِدُونَ لَهُ نَارًا فَمَا يُطْفِئُهَا إِلَّا وَدَكٌ ^(٤) ظَهْرِهِ ^(٥).

= الميم، بنتُ سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ
الْأَخْبَارِ أَنَّهَا أَسْلَمَتْ.

(١) الْخَبْرُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنه، بَابُ فَضْلِ سَعْدِ بْنِ
أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٤٨).

(٢) سَلَقَهُ: أَخْرَقَهُ. انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ (٦/٣٣٥).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سَنَنِهِ، الْمَقْدِمَةُ، بَابُ فُضَائِلِ خَبَابٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٥٣)، وَإِسْنَادُهُ
صَحِيحٌ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (٣/٨٨).

(٤) الْوَدَكُ: هُوَ دَسَمُ اللَّحْمِ، وَدُهْنُهُ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْهُ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٥/١٤٨).

(٥) انْظُرْ: حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ، لِأَبِي نَعِيمٍ (١/١٩٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى خَبَّابٍ، وَقَدْ اكْتَوَى فِي بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَقِيتُ^(١).

وَلَمَّا مَرَّ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى قَبْرِهِ، وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ صِفِّينَ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ خَبَّابًا أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابْتُلِيَ فِي جَسْمِهِ أَحْوَالًا، وَلَنْ يُضِيعَ اللَّهُ أَجْرَهُ^(٢).

وَقَائِمَةُ الْمُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ طَوِيلَةٌ وَمُؤَلِّمَةٌ جَدًّا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ عَلِمُوا بِإِسْلَامِهِ إِلَّا تَصَدَّقُوا لَهُ وَآذَوْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الطَّنْظَاوِيُّ ﷺ: اخْتَمَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ الضَّرْبِ، وَالْجَرْحِ، وَالْحَرْقِ، وَالْجُوعِ، وَالسَّهَرِ، وَاسْتَحْلَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَرَاتِرَ، وَاسْتَحَبُّوا بَعْضَ الْمَكَارِهِ إِلَى النُّفُوسِ إِنْ كَانَ فِيهَا رِضَا اللَّهِ تَعَالَى^(٣).

فَلَمْ تَلَقْ قُرَيْشٌ نَجَاحًا فِي صَرْفِ الصَّحَابَةِ ﷺ عَنْ دِينِهِمْ.

وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَا قَدْ يَخْطُرُ فِي بَالِ الْمُتَأَمِّلِ، حِينَمَا يَرَى قِصَّةَ مَا لَقِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ صُنُوفِ الْإِذَاءِ وَالْعَذَابِ، هُوَ أَنْ يَتَسَاءَلَ: فِيمَ هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ عَلَى حَقٍّ؟

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن التمني للموت، رقم الحديث (٩٧٠)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (١٠٣٠)، وأصل الحديث في صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، رقم الحديث (٥٦٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب تمنى كراهة الموت، رقم الحديث (٢٦٨١).

(٢) انظر: تحفة الأحوذى (١٣/٤).

(٣) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي ﷺ (ص ١٤).

وَلَمَّاذَا لَمْ يَعِصْنَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ، وَهُمْ جُنُودُهُ وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ إِلَى دِينِهِ، وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ؟.

وَالْجَوَابُ: مِنْ أَجْلِ إظهارِ صِدْقِ الصَّادِقِينَ، وَكَذِبِ الْكَاذِبِينَ، فَلَوْ تَرِكَ النَّاسُ لِدَعْوَى الْإِسْلَامِ، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَقَطْ، لاسْتَوَى الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ، وَلَكِنَّ الْفِتْنَةَ وَالْإِبْتِلَاءَ، هُمَا الْمِيزَانُ الَّذِي يُمَيِّزُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ.





إِعْتَاقُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ

أَمَّا وَاهِبُ الْحُرِّيَّاتِ وَمُحَرِّرُ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(١)، لَمْ يَنْغَمِسْ فِي إِثْمٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ، مَأْلُوفٌ فِي قَوْمِهِ، يَسِيلُ قَلْبُهُ رِقَّةً وَرَحْمَةً عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْأَرْقَاءِ، أَنْفَقَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ مَالِهِ فِي شِرَاءِ الْعَبِيدِ، وَعَتَقَهُمْ لِلَّهِ، وَفِي اللَّهِ، ذَلِكَمُ الْمُحَرَّرُ لِلْعَبِيدِ هُوَ صِدِّيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ^(٢).

❀ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ الَّذِينَ أَعْتَقَهُمُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ:

١ - بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ﷺ:

فَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ مَرَّ عَلَى أُمَيَّةَ بِنِ خَلَفٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَهُوَ يُعَذِّبُ بِلَالَ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟ حَتَّى مَتَى؟

قال: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَفْعَلُ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجَلْدُ^(٣) مِنْهُ وَأَقْوَى، عَلَى دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ.

قال أُمَيَّةُ: قَدْ قَبِلْتُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: هُوَ لَكَ، فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ

(١) انظر شهرة أبي بكر الصديق ﷺ بهذه الصفات في: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٢) انظر: السيرة النبوية (١/٣٤٥)، للدكتور محمد أبو شهبه رحمه الله.

(٣) الْجَلْدُ: الْقُوَّةُ وَالصَّبْرُ. انظر: النهاية (١/٢٧٥).

الصَّدِيقُ ﷺ غَلَامُهُ ذَلِكَ، وَأَخَذَ بِلَالًا ﷺ، فَأَعْتَقَهُ^(١).

وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى في مُسْنَدِ مُسَدِّدٍ^(٢) عَنْ مَعْمَرِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ:

كَانَ بِلَالٌ ﷺ لِأَيَّتَامِ أَبِي جَهْلٍ، فَعَذَّبَهُ، فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا، فَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ بِلَالًا، فَأَعْتَقَهُ^(٣).

وفي رِوَايَةٍ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ في «مُصَنَّفِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا بِخُمْسِ أَوَاقٍ، قَالُوا: لَوْ أُبَيَّتَ إِلَّا أُوقِيَّةٌ لِبِعْنَاكُهُ، فَقَالَ ﷺ: لَوْ أُبَيَّتُمْ إِلَّا مِائَةٌ أُوقِيَّةٌ لَأَخَذْتُهُ^(٤).

قَالَ الْحَافِظُ في «الْفَتْحِ»: وَيُجْمَعُ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ بِأَنَّ كُلًّا مِنْ أُمِّيَّةٍ بِنِ خَلْفٍ، وَأَبِي جَهْلٍ كَانَ يُعَذِّبُ بِلَالًا، وَلَهُمَا نَصِيبٌ فِيهِ^(٥).

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَعْنِي: بِلَالًا^(٦).

٢ - أَبُو فُكَيْهَةَ ﷺ اشْتَرَاهُ، وَأَعْتَقَهُ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٥).

(٢) هو: الإمام الحافظُ الْحُجَّةُ مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدٍ، أَحَدُ أَعْلَامِ الْحَدِيثِ، وُلِدَ في حُدُودِ الْخَمْسِينَ وَمِئَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَتُوفِيَ في سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ شَيْخُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَأَبِي زُرْعَةَ، وَغَيْرِهِمْ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٥٩١).

(٣) أوردته الحافظ في الفتح (٥/١٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٣٧٧٤٤)، وأوردته الحافظ في الفتح (٧/٤٧٠)، وصحح إسناده.

الْأُوقِيَّةُ: بِضَمِّ الْهَمْزَةِ: تُسَاوِي أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا؛ يَعْنِي: اشْتَرَاهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ بِمِائَتَيْنِ دِرْهَمٍ. انظر: النهاية (١/٨٠).

(٥) انظر: فتح الباري (٥/١٦٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب بلال بن رباح ﷺ، رقم الحديث (٣٧٥٤).

٣ - عَامِرُ بْنُ فَهْمِرَةَ ﷺ اشْتَرَاهُ، وَأَعْتَقَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَقَدْ شَهِدَ عَامِرُ بْنُ فَهْمِرَةَ غَزْوَةَ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَقُتِلَ فِي فَاجِعَةٍ بِثُرٍ مَعُونَةٍ شَهِيدًا سَنَةَ أَرْبَعٍ لِلْهِجْرَةِ.

٤ - زَنْبِرَةُ اشْتَرَاهَا، وَأَعْتَقَهَا.

٥ - جَارِيَةُ بَنِي مُؤَمِّلٍ، وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، فَاشْتَرَاهَا، وَأَعْتَقَهَا.

٦ - النَّهْدِيَّةُ وَابْنَتُهَا، وَكَانَتَا لِمَرْأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا، فَاشْتَرَاهُمَا، وَأَعْتَقَهُمَا^(١).

❁ إِنَّمَا أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ:

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ يَقْصِدُ بِعَمَلِهِ مَحَمَدَةً، وَلَا جَاهًا، وَلَا دُنْيَا، وَإِنَّمَا كَانَ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَمْتَ رَجُلًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ، وَيَقُومُونَ دُونَكَ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: يَا أَبَتِ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ، اللَّهُ ﷻ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٦﴾ فَنَسِيْرُهُ لِّلْسَرَى ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ۖ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٩﴾ فَنَسِيْرُهُ لِّلْعُسَى ۖ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۖ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۖ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۖ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۖ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۖ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۖ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۖ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۖ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ٥ - ٢١]^(٢).

(١) انظر: تفاصيل تحرير أبي بكر الصديق ﷺ للعبيد في: سيرة ابن هشام (١/٣٥٥)،

والبداية والنهاية (٣/٦٤)، زاد المعاد (٣/٢١).

(٢) الخبر أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَفْسُخُوا﴾، =

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأُولَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ [الليل: ١٧ - ١٩]، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ، وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُزْرَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ رضي الله عنه (١) - وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، يَوْمَ صَلَحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَكَانَ عَلَى الْكُفْرِ مَا أَسْلَمَ بَعْدُ -: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتُكَ (٢)، وَكَانَ الصَّدِيقُ رضي الله عنه قَدْ أَعْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟

= رقم الحديث (٣٩٩٧)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٦٦)، وابن إسحاق في السيرة (٣٥٦/١).

(١) هو: عُزْرَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، أَحَدُ الْأَكَابِرِ فِي قَوْمِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ الْكَفَّارِ فِي سُورَةِ الزَّخْرَفِ آيَةُ (٣١): ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾. وَالْمَقْصُودُ بِالرَّجُلَيْنِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فِي مَكَّةَ، وَعُزْرَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فِي الطَّائِفِ، وَأَسْلَمَ رضي الله عنه بَعْدَ غَزْوَةِ الطَّائِفِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهَجْرَةِ، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ»، فَخَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَتَلُوهُ رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٤٠٦/٤).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمُصَالَحَةِ مع أهل الحروب، رقم الحديث (٢٧٣١)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٨٩٢٨)، (١٨٩١٠).

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ (١٦) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (١٧) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (١٨)﴾ (١).

❖ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ:

وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْابْتِلَاءَاتِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا الصَّحَابَةُ ﷺ، إِلَّا أَنَّ الْحَمَاسَ فِيهِمْ كَانَ عَظِيمًا لِدَعْوَةِ اللَّهِ ﷻ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَجْرُؤُونَ عَلَى الْجَهْرِ بِالْقُرْآنِ أَمَامَ قُرَيْشٍ، وَأَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، وَكَانَ رَجُلًا ضَعِيفًا رَقِيقًا، وَلَكِنَّهُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ (٢).

وَكَانَ ﷺ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَسْلَمَ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَادِسَ سِتَّةٍ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُنَا (٣).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ مُرْسَلٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمْ؟.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٢/٨).

(٢) روى الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٣٩٩١)، وأبو داود الطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٣٥٣)، بسند صحيح عن ابن مسعود ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ ذَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم الحديث (٧٠٦٢)، والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب ذِكرِ مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم الحديث (٥٤١٩).

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَحْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَعَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى، وَفُرِشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا، فَقَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ، ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَافِعًا صَوْتَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ١، ٢]، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَأُ فِيهَا، قَالَ: وَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَدْ أَثَرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لِأُعَادِيَتِهِمْ بِمِثْلِهَا، قَالُوا: حَسْبُكَ فَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا^(٢) وَهَدْيًا^(٣) وَدَلًّا^(٤) بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ^(٥).

❁ اسْتِدَادُ أَدَى قُرَيْشٍ:

وَاشْتَدَّتْ ضَرَاوَةُ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى سَامَوْهُمْ

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (١٥٣٥)، وابن إسحاق في السيرة (٣٥١/١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٧٤/٧): سَمْتًا: أَي: خُشُوعًا.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٧٤/٧): هَدْيًا: أَي: طَرِيقَةً.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤٧٤/٧): دَلًّا: أَي: سِيرَةً وَحَالَةً وَهَيْئَةً، وَكَأَنَّهُ مَأْخُودٌ مِمَّا يَدُلُّ ظَاهِرُ حَالِهِ عَلَى حُسْنِ فِعَالِهِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم الحديث (٣٧٦٢)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٢٣٣٠٨).

أَلَوَانًا مِّنَ الْعَذَابِ فَكَانُوا يَأْخُذُونَهُمْ، وَيُلْبِسُونَهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، ثُمَّ يَصْهَرُونَهُمْ فِي الشَّمْسِ^(١).

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعَذَّرُونَ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟

قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ، وَيُجِيعُونَهُ، وَيُعْطِشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: اللَّاتُ وَالْعُزَّى إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، حَتَّى إِنَّ الْجُعْلَ^(٢) لَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجُعْلُ إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ^(٣).

✽ شَكَاوَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

فَلَمَّا طَالَ الْعَذَابُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ذَهَبَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَنْجِدُ بِهِ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ، فَيَضْرِبُ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ الْأَمْثَالَ، وَيَعْظُمُهُمْ وَيَذْكُرُهُمْ، فَيَرْجِعُونَ رَاضِينَ مُطْمَئِنِّينَ صَابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا^(٤)؟

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٨٣٢)، ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٥٠) وإسناده حسن.

(٢) الْجُعْلُ: هُوَ حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ كَالْحُنْفَسَاءِ. انظر: النهاية (٢٦٨/١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥٧/١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٢٧/١٤): طَلَبَ خَبَّابُ الدُّعَاءَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْكِفَّارِ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اعْتَدَوْا عَلَيْهِ بِالْأَذَى ظُلْمًا وَعُدْوَانًا.

فَقَالَ ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ^(١) يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاِثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ^(٢) حَتَّى يَسِيرَ الرَّكُوبُ مِنْ صَنْعَاءَ^(٣) إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٤).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ يَجْمَعْ أَصْحَابَهُ عَلَى مَغْنَمٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، إِنَّهُ أَزَاحَ الْغَشَاوَةَ عَنِ الْأَعْيُنِ، فَأَبْصَرَتِ الْحَقَّ الَّذِي حُجِبَتْ عَنْهُ دَهْرًا، وَمَسَحَ الرَّانَ عَنِ الْقُلُوبِ، فَعَرَفَتْ الْيَقِينَ الَّذِي فُطِرَتْ عَلَيْهِ، وَحَرَمَتْهَا الْجَاهِلِيَّةُ مِنْهُ.

إِنَّهُ وَصَلَ الْبَشَرَ بِرَبِّهِمْ، فَرَبَطَهُمْ بِنَسَبِهِمُ الْعَرِيقِ، وَسَبَّهَهُمُ الْوَثِيقِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ حَيَارَى مَحْسُورِينَ، إِنَّهُ وَازَنَ لِلنَّاسِ بَيْنَ الْخُلُودِ وَالْفَنَاءِ، فَأَثَرُوا الدَّارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدَّارِ الزَّائِلَةِ، وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَضْنَامٍ حَقِيرَةٍ وَإِلِهِ عَظِيمٍ، فَازْدَرَوْا الْأَوْتَانَ الْمَنْحُوتَةَ، وَتَوَجَّهُوا لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٢٨/١٤): فِيهِ تَسْلِيَةٌ لَهُمْ وَإِشَارَةٌ إِلَى الصَّبْرِ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ الْمَقْدُورَةُ، وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٥٦/٧): الْمَرَادُ بِالْأَمْرِ الْإِسْلَامَ.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٢٦/٧): يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ صَنْعَاءَ الْيَمَنِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ حَضْرَمَوْتَ وَهِيَ مِنَ الْيَمَنِ أَيْضًا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ نَحْوَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ صَنْعَاءَ الشَّامِ وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهَا أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦١٢)، وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمَشْرُكِينَ بِمَكَّةَ، رقم الحديث (٣٨٥٢)، وأخرجه في كتاب الإكراه، باب من اختار الضَّرْبَ وَالْقِتَالَ وَالْهَوَانَ عَلَى الْكُفْرِ، رقم الحديث (٦٩٤٣)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٢١٠٥٧).

وكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبُثُّ عَنَاصِرَ الثِّقَةِ فِي قُلُوبِ رِجَالِهِ، وَيُفِيضُ عَلَيْهِمْ
 مَا أَفَاضَهُ اللَّهُ عَلَى فُؤَادِهِ مِنْ أَمَلٍ رَحِيْبٍ فِي انْتِصَارِ الْإِسْلَامِ، وَانْتِشَارِ مَبَادِيئِهِ
 وَزَوَالِ سُلْطَانِ الطُّغَاةِ أَمَامَ طَلَائِعِهِ الْمُظْفَرَةِ فِي الْمَسَارِقِ وَالْمَغَارِبِ^(١).



(١) انظر: فقه السيرة (ص ١٠٥)، للشيخ محمد الغزالي.

استهزاء المشركين بالنبي ﷺ

كَانَتْ تِلْكَ الْاِعْتِدَاءَاتُ بِالنُّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا سِيَّمَا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ،
أَمَّا بِالنُّسْبَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا شَهْمًا وَقُورًا، ذَا شَخْصِيَّةٍ فَذَّةٍ
تَتَعَاطَمُهُ نُفُوسُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ بِحَيْثُ لَا يُقَابَلُ مِثْلُهَا إِلَّا بِالْإِجْلَالِ
وَالْتَشْرِيفِ مِنْ قِبَلِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ فِي مَنَعَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

لِذَلِكَ لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ - بِادِي الْأَمْرِ - أَنْ تَبْطِشَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْتَدِيَ
عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَهْمُزُونَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيُخَاصِمُونَهُ، وَكَانَ
عَلَى رَأْسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: أَبُو لَهَبٍ عَمُّهُ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي
الْعَاصِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُظَلِّبِ أَبُو زَمْعَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ
الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ^(١).

✽ عَدَاوَةٌ أُمَّ جَمِيلٍ زَوْجَةِ أَبِي لَهَبٍ:

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أُنَى لَهَبٍ﴾، أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمَّ
جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلَوْلةٌ، وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ^(٢)، وَهِيَ تَقُولُ:

مُذَمَّمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا^(٣)

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٦٨/١)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١٣٤/٢).

(٢) الْفَهْرُ: هُوَ الْحَجَرُ مِلْءُ الْكَفِّ، وَقِيلَ: هُوَ الْحَجَرُ مُطْلَقًا. انظر: لسان العرب (٣٤١/١٠).

(٣) قَلِينُهُ: أَبْغَضْتُهُ وَكَرِهْتُهُ. انظر: لسان العرب (٢٩٣/١١).

ومنه قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ الضُّحَى آيَةَ (٣): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

وَأَمْرُهُ عَصَيْنَا

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَقْبَلْتُ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي»، وَقَرَأَ قُرْآنًا فَأَعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

فَوَقَفْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ ﷺ: وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ، فَوَلْتُ، وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشُ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا^(١).

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِشَوَاهِدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ﴾، جَاءَتْ امْرَأَةٌ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ^(٢)، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيكَ، فَلَوْ قُمْتُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» فَجَاءَتْ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا، وَمَا يَقُولُ الشَّعْرُ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدِّقٌ، وَانْصَرَفْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَرَكَ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرْنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ»^(٣).

وَكَانَتْ قُرَيْشُ تُسَمِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُذَمَّمًا ثُمَّ يَسُبُّونَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب أم جميل عمت عن رؤية رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣٤٢٨).

(٢) البذیة: الفاحش من الرجال، والأنثی: بذیئة. انظر: لسان العرب (١/٣٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، کتاب التاريخ، باب المعجزات، رقم الحديث (٦٥١١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، کتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، =

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: كَانَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهِيَّتِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ الدَّالُّ عَلَى الْمَدْحِ فَيَعْدِلُونَ إِلَى ضِدِّهِ، فَيَقُولُونَ: مُذَمِّمٌ، وَإِذَا ذَكَرُوهُ بِسُوءٍ قَالُوا: فَعَلَ اللَّهُ بِمُذَمِّمٍ، وَمُذَمِّمٌ لَيْسَ هُوَ اسْمُهُ، وَلَا يُعْرَفُ بِهِ فَكَانَ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَضْرُوفًا إِلَى غَيْرِهِ^(١).

✽ شِدَّةُ عِدَاوَةِ أَبِي لَهَبٍ لِلرَّسُولِ ﷺ:

أَمَّا زَوْجُهَا أَبُو لَهَبٍ فَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَسْوَاقِ، وَالْمَجَامِعِ، وَمَوَاسِمِ الْحَجِّ، وَيُكَذِّبُهُ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا^(٢)، وَالنَّاسُ مُقْتَضُونَ^(٣) عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ^(٤).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، قَالَ: وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَذْمَى عُرْقُوبِيَّهِ^(٥) وَكَعْبِيَّهِ^(٦).

= رقم الحديث (٣٥٣٣)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٧٣٣١).

(١) انظر: فتح الباري (٢٥٠/٧).

(٢) الفج: الطريق الواسع. انظر: لسان العرب (١٨٥/١٠).

(٣) قال السندي في شرح المسند (١٧٦/٩): مُقْتَضُونَ: مجتمعون.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٢٣)، وابن حبان في صحيحه، كتاب

التاريخ، باب كتب النبي ﷺ، رقم الحديث (٦٥٦٢).

(٥) العُرْقُوبُ: هُوَ الْوَتَرُ الَّذِي خَلَفَ الْكَعْبَيْنِ بَيْنَ مَفْصَلِ الْقَدَمِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ، وَهُوَ

مِنَ الْإِنْسَانِ فَوْقَ الْعَقَبِ. انظر: النهاية (٢٠٠/٣).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب ذكر مَقَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ يُقَاسِي =

❖ شِدَّةُ عِدَاوَةِ عُتَيْبَةَ ^(١) بِنِ أَبِي لَهَبٍ:

وَتَسَلَّطَ عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْأَذَى، وَشَقَّ قَمِيصَهُ،
فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا» ^(٢) مِنْ كِلَابِكَ.

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ رَسُولِهِ ﷺ، فَخَرَجَ عُتَيْبَةُ فِي قَافِلَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَنَزَلَ
مَنْزِلًا، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا
مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ، وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ ^(٣).

❖ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَهَمَزُهُ لِلرَّسُولِ ﷺ:

وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ إِذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَزَهُ ^(٤) وَلَمَزَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُحْمَةً﴾ ^(١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ^(٢) يَحْسَبُ أَنَّ
مَالَهُ أَخْلَدَهُ ^(٣) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي الْخُطْمَةِ ^(٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ^(٥) نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَةُ ^(٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ^(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ^(٨) فِي عَمْدٍ مُّمدَّدَةٍ ^(٩) ❖
[الهمزة: ١ - ٩] ^(٥).

تَعَكِّسُ هَذِهِ السُّورَةُ صُورَةً مِنَ الصُّوَرِ الْوَاقِعِيَّةِ فِي حَيَاةِ الدَّعْوَةِ فِي
عَهْدِهَا الْأَوَّلِ، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ نَمُودَجٌ يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ بَيْئَةٍ... صُورَةُ
اللَّيِّمِ الصَّغِيرِ النَّفْسِ، الَّذِي يُؤْتَى الْمَالُ فَتُسَيِّطِرُ نَفْسُهُ بِهِ، حَتَّى مَا يُطِيقُ نَفْسَهُ!

= من قومه في إظهار الإسلام، رقم الحديث (٦٥٦٢).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٠٨/٥): عُتَيْبَةُ بِالتَّضْعِيرِ مَاتَ كَافِرًا.

(٢) الْكَلْبُ فِي اللُّغَةِ: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ سَبْعٍ عَقُورٍ. انظر: لسان العرب (١٣٤/١٢).

(٣) أخرج ذلك الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب سورة أبي لهب، رقم الحديث

(٤٠٣٧)، وقال: صحيح الإسناد، وأورده الحافظ في الفتح (٥١٢/٤): وحسن إسناده

وأورده الشوكاني في نيل الأوطار (٢٣٤/٩): وحسن إسناده.

(٤) قال ابن هشام في السيرة (٣٩٤/١): الْهُمَزَةُ: هُوَ الَّذِي يَشْتُمُّ الرَّجُلَ عَلَانِيَةً.

(٥) انظر الخبر في: سيرة ابن هشام (٣٩٤/١)، سبل الهدى والرشاد (٤٦٤/٢).

وَيَرُوحُ يَشْعُرُ أَنَّ الْمَالَ هُوَ الْقِيَمَةُ الْعُلْيَا فِي الْحَيَاةِ. الْقِيَمَةُ الَّتِي نَهُونُ أَمَامَهَا جَمِيعُ الْقِيَمِ وَجَمِيعُ الْأَقْدَارِ. أَقْدَارُ النَّاسِ، وَأَقْدَارُ الْمَعَانِي. وَأَقْدَارُ الْحَقَائِقِ. وَأَنَّهُ وَقَدْ مَلَكَ الْمَالَ فَقَدْ مَلَكَ كَرَامَاتِ النَّاسِ وَأَقْدَارَهُمْ بِلَا حِسَابٍ.

وَمِنْ ثَمَّ يَنْطَلِقُ فِي هَوَسٍ^(١) بِهَذَا الْمَالِ يَعُدُّهُ وَيَسْتَلِذُّ تَعْدَادَهُ، وَتَنْطَلِقُ فِي كَيْانِهِ نَفْخَةٌ فَاجِرَةٌ، تَدْفَعُهُ إِلَى الْاِسْتِهَانَةِ بِأَقْدَارِ النَّاسِ وَكَرَامَتِهِمْ، وَلَمَزِهِمْ وَهَمَزِهِمْ... يَعِيبُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ بِحَرَكَاتِهِ. سَوَاءٌ بِحِكَايَةِ حَرَكَاتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ، أَوْ بِتَحْقِيرِ صِفَاتِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ... وَبِالْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ، بِالْغَمَزِ وَاللَّمَزِ، بِاللَّفْتَةِ السَّاحِرَةِ وَالْحَرَكََةِ الْهَازِرَةِ!

وَهِيَ صُورَةٌ لَيْسَمَةٌ حَقِيرَةٌ مِنْ صُورِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ حِينَ تَخْلُو مِنَ الْمُرُوءَةِ وَتَعْرِى مِنَ الْإِيمَانِ. وَالْإِسْلَامُ يَكْرَهُ هَذِهِ الصُّورَةَ الْهَابِطَةَ مِنْ صُورِ النُّفُوسِ بِحُكْمِ تَرْفُعِهِ الْأَخْلَاقِي، وَقَدْ نَهَى عَنِ السُّخْرِيَّةِ وَاللَّمَزِ وَالْعَيْبِ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى. إِلَّا أَنَّ ذِكْرَهَا هُنَا بِهَذَا التَّشْنِيعِ وَالتَّقْبِيحِ مَعَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، يُوجِي بِأَنَّهُ كَانَ يُوَاجِهُهُ حَالَةٌ وَاقِعِيَّةٌ مِنْ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ تَجَاهَ الرَّسُولِ ﷺ وَتَجَاهَ الْمُؤْمِنِينَ.. فَجَاءَ الرَّدُّ عَلَيْهَا فِي صُورَةِ الرَّدْعِ الشَّدِيدِ، وَالتَّهْدِيدِ الرَّعِيبِ^(٢).

❀ مُجَادَلَةُ أَبِي بِنِ خَلَفٍ:

أَمَّا أَخُوهُ أَبِي بِنِ خَلَفٍ^(٣) فَجَاءَ يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمٍ بَالٍ،

(١) الْهَوَسُ: طَرَفٌ مِنَ الْجُنُونِ. انظر: لسان العرب (١٥/١٥٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٦/٣٩٧٢).

(٣) أَبِي بِنِ خَلَفٍ قَتَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ، فَلَمَّا قَتَلَهُ: قَالَ ﷺ: «اِسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٠٧٣)، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ اِسْتِدَادِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ ﷺ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٩٣).

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ^(١)، ثُمَّ فَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٧٨ - ٨٣] (٢).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْأَثَارِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَقَارُونَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ صَاحِبِ الْعِظَامِ» (٣).

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي: الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ.

فَأُخْرِجَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعِظَمٍ حَائِلٍ^(٤) فَفَتَنَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيُبْعَثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَمَا أَرَمَ؟

(١) أَرَمَ: أَي: بَلَى. انظر: النهاية (٤٣/١).

(٢) الخبر في: سيرة ابن هشام (٣٩٩/١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٦٥٧٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٣١٨٠).

(٤) حَائِلٌ: أَي: مُتَغَيِّرٌ قَدْ غَيَّرَهُ الْبَلَى. انظر: النهاية (٤٤٥/١).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ».

قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] (١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَلَى كُلِّ تَفْدِيرٍ سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بِنِ خَلْفٍ، أَوْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ، أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ، وَالْأَلْفَ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾ لِلْجِنْسِ، يَعُمُّ كُلَّ مُنْكَرٍ لِلْبَعْثِ (٢).

❖ أَشَقَى الْقَوْمِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللَّهُ:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ صَنَعَ طَعَامًا، ثُمَّ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِالَّذِي أَكُلُ مِنْ طَعَامِكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ عُقْبَةُ: اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ ﷺ: «مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ»، فَتَشَهَّدَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِذَلِكَ، فَطَعِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ طَعَامِهِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ - وَكَانَ صَاحِبَهُ - فَأَتَاهُ فَقَالَ: صَبَوْتَ يَا عُقْبَةُ؟ فَقَالَ عُقْبَةُ: لَا، وَاللَّهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنْ دَخَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ فَأَبَى أَنْ يَطْعَمَ مِنْ طَعَامِي إِلَّا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ، فَشَهِدْتُ لَهُ، فَطَعِمَ، فَقَالَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ: مَا أَنَا الَّذِي أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ، فَذَهَبَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة یس، رقم الحدیث (٣٦٥٩).

(٢) انظر: تفسیر ابن کثیر (٥٩٤/٦).

النَّبِيِّ ﷺ، فَبَزَقَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ۖ﴾ (٢٧) يَوَلِّئَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] (١).

هَذَا يَعْزِضُ الْقُرْآنُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يُصَوِّرُ نَدَمَ الظَّالِمِينَ الضَّالِّينَ. يَعْزِضُ عَرْضًا طَوِيلًا مَدِيدًا، يُخَيِّلُ لِلسَّمْعِ أَنَّهُ لَنْ يَنْتَهِيَ وَلَنْ يَبْرَحَ. مَشْهَدُ الظَّالِمِ يَعْضُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ النَّدَمِ، وَالْأَسْفِ، وَالْأَسَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ۖ﴾ (٢٧) يَوَلِّئَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾.

وَيَضُمُّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِهِ، وَيَرُوحُ يَمُدُّ فِي صَوْتِهِ الْمُتَحَسِّرِ، وَنَبْرَاتِهِ الْأَسِيفَةِ، وَالْإِيقَاعِ الْمَمْدُودِ يَزِيدُ الْمَوْقِفَ طَوْلًا وَيَزِيدُ أَثَرَهُ عُمُقًا. حَتَّى لَيْكَادُ الْقَارِئُ لِلآيَاتِ، وَالسَّامِعُ يُشَارِكَانِ فِي النَّدَمِ وَالْأَسْفِ وَالْأَسَى! (٢).

✽ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ (٣):

وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ، وَمِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٤٧٠/٢)، سيرة ابن هشام (٣٩٩/١)، البداية والنهاية (٩٧/٣).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٢٥٦٠/٥).

(٣) هو: الْأَخْنَسُ الثَّقَفِيُّ، خَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، اسْمُهُ أَبِي، وَإِنَّمَا لُقِّبَ الْأَخْنَسَ؛ لِأَنَّهُ رَجَعَ بِبَنِي زُهْرَةَ مِنْ بَدْرٍ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَبْرُ أَنْ أَبَا سُفْيَانَ نَجَا بِالْعِيرِ، فَقِيلَ: خَنَسَ الْأَخْنَسُ بِبَنِي زُهْرَةَ، فَسُمِيَ بِذَلِكَ، ثُمَّ أَسْلَمَ الْأَخْنَسُ فَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَشَهِدَ حُنَيْنًا، وَمَاتَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عطية: مَا ثَبَتَ قَطُّ أَنَّ الْأَخْنَسَ أَسْلَمَ، وَتَعَقَّبَهُ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ (١٩٢/١) بِقَوْلِهِ: قَدْ أَثْبَتَهُ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، وَلَا مَانِعَ أَنْ يُسْلِمَ ثُمَّ يَرْتَدَّ ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيُصِيبُ مِنْهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وَنَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ (١٠) هَمَازٍ (١) مَشْلَمٍ بِنَمِيمٍ (٢) ﴿مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢) عَتَلٍ (٣) بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) ﴿[القلم: ١٣]﴾ (٤).

✽ الوليدُ بنُ المُغيرة:

وكانَ الوليدُ بنُ المُغيرةَ مِمَّنْ يُجَادِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَنَالُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأُتْرِكَ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا؟ وَيُتْرَكَ أَبُو مَسْعُودٍ عُروَةٌ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، فَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرَيْتَيْنِ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَيْتَيْنِ﴾ (٥) عَظِيمٍ (٦) أَهْمَرٍ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ (٦) نَحْنُ

(١) الهمز: الغيبة والوقيعة في الناس، وذكر عيوبهم. انظر: النهاية (٢٣٦/٥).

(٢) يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة. انظر: النهاية (١٠٥/٥).

(٣) العتل: هو الفظ الغليظ. انظر: لسان العرب (٣٩/٩).

روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩١٨)، والإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٥٣) عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عتلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ».

والجَوَاطُ: هو المُخْتَالُ في مَسَيِّتِهِ. انظر: النهاية (٣٠٤/١).

(٤) الزنيم: هو المُلصِقُ في القوم، وليس منهم. انظر: تفسير ابن كثير (١٩٣/٨)، وانظر: النهاية (٢٨٥/٢).

الخبر في: سيرة ابن هشام (٣٩٨/١)، والروض الأُنْف (١٤٦/٢).

(٥) قال ابن عباس، وعكرمة، ومحمد بن كعب، وقتادة، والسدي: المرادُ بالقرَيتَينِ مَكَّةَ والطائف، واختلفوا في تعيين الرجل المراد، فعن قتادة: أرادوا الوليد بن المُغيرة من أهل مَكَّةَ، وعُروَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ من أهل الطائف. انظر: الإصابة (٤٠٦/٤).

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٢٦/٧): أي: ليس الأمرُ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ؛ بل إلى الله تَعَالَى، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا يُنزلُها إلا على أَزْكَى الخلقِ قَلْبًا ونَفْسًا، وأشرفِهِمْ بَيِّنًا، وأظهرِهِمْ أَضَلًا.

فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] ^(١).

❁ تَهَكُّمُ ^(٢) الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ^(٣) بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

أَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَإِنَّهُ كَانَ أَيْضًا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ،
فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ: لَقَدْ
انْقَطَعَ نَسْلُهُ، وَكَانَ إِذَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا
عَقَبَ لَهُ، لَوْ قَدْ مَاتَ لَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ ^(٤) وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ
وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ^(٥).

(١) انظر الخبر في: سيرة ابن هشام (٣٩٨/١)، البداية والنهاية (٩٧/٣)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/١٤٧)، سبل الهدى والرشاد (٤٦٧/٢).

(٢) التهكم: التكبر. انظر: لسان العرب (١١١/١٥).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٥٦/٩): هُوَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَهُوَ وَالِدُ عَمْرِو بْنِ
الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّحَابِيُّ الْمَشْهُورُ، وَكَانَ لَهُ قَدْرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يُؤَفَّقْ لِلإِسْلَامِ، وَكَانَ
مَوْتُهُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُسْتَهْزَئِينَ.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: عَاشَ أَبِي خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً،
وَإِنَّهُ لَيَرْكَبُ حِمَارًا إِلَى الطَّائِفِ فَيَمْشِي عَنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَرْكَبُ، وَيُقَالُ: إِنَّ حِمَارَهُ رَمَاهُ عَلَى
شَوْكَةٍ أَصَابَتْ رِجْلَهُ، فَانْتَفَخَتْ فَمَاتَ مِنْهَا.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٠٥/٨): حَاشَا وَكَأَلَا، بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعُهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ
وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَغْرَّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِجِلَّةِ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

(٥) الخبر في: سيرة ابن هشام (٧/٢).

❖ قِصَّةُ تَبَيُّنِ شِدَّةِ كُفْرِ الْعَاصِ بْنِ وَاِئِلَ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا^(١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَاِئِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ.

قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأَوْتَنِي مَا لَا وَوَلَدًا فَأَفْضَيْكَ.

فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ ائْتَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ كَلَّا سَكَتَ مِمَّا يَقُولُ ۚ وَمَنْذُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا ۖ وَنَرَيْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَركًا﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٠]^(٢).

❖ الْكَافِرُ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ

= قَالَ الْإِمَامُ السَّهْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ (١٨٢/٢): الْأَبْتَرُ: هُوَ الَّذِي لَا عَقَبَ لَهُ يَتَّبَعُهُ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَاِئِلٍ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ، وَكَانَ ذَا وَلَدٍ وَعَقَبٍ، وَوَلَدُهُ عَمْرُو وَهْشَامُ ابْنَا الْعَاصِ بْنِ وَاِئِلٍ، فَكَيْفَ يَثْبُتُ لَهُ الْبَتْرُ، وَانْقِطَاعُ الْوَلَدِ، وَهُوَ ذُو وَلَدٍ وَنَسْلِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْعَاصَ وَإِنْ كَانَ ذَا وَلَدٍ فَقَدْ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَلَيْسُوا بِأَتْبَاعٍ لَهُ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ حَجَزَهُمْ عَنْهُ، فَلَا يَرِثُهُمْ وَلَا يَرِثُونَهُ، وَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه، وَأَزْوَاجِهِ صلوات الله عليهم أُمَّهَاتُهُمْ، فَهُمْ وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي الدُّنْيَا، وَأَتْبَاعُهُ فِي الْآخِرَةِ لَيْسَقِيَّتُهُمْ مِنْ حَوْضِهِ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا عَدُوُّ اللَّهِ الْعَاصُ بْنُ وَاِئِلٍ عَلَى هَذَا هُوَ الْأَبْتَرُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِذْ قَدْ انْقَطَعَ ذَنْبُهُ وَأَتْبَاعُهُ، وَصَارُوا تَبَعًا لِمُحَمَّدٍ صلوات الله عليه.

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٤٢/٥): الْقَيْنُ: بَفَتْحِ الْقَافِ هُوَ الْحَدَّادُ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ صَائِفٍ عِنْدَ الْعَرَبِ قَيْنًا.

(٢) الْخَبَرُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْبَيُوعِ، بَابُ ذِكْرِ الْقَيْنِ وَالْحَدَّادِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٠٩١)، وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ ﴿كَلَّا سَكَتَ مِمَّا يَقُولُ وَنَمْنَدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا﴾ [٧٦]، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٧٣٤)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، بَابُ سَوْالِ الْيَهُودِ الرَّسُولَ صلوات الله عليه عَنِ الرُّوحِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٩٥).

جَدُّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ أَوْصَى أَنْ يُعْتَقَ عَنْهُ مِائَةُ رَقَبَةٍ، فَأَعْتَقَ ابْنُهُ هِشَامٌ خَمْسِينَ رَقَبَةً، فَأَرَادَ ابْنُهُ عَمْرُو أَنْ يُعْتَقَ عَنْهُ الْخَمْسِينَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبِي أَوْصَى أَنْ يُعْتَقَ عَنْهُ مِائَةُ رَقَبَةٍ، وَإِنْ هِشَامًا أَعْتَقَ عَنْهُ خَمْسِينَ، وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ رَقَبَةً، أَفَأَعْتِقُ عَنْهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَبَجْتُمْ عَنْهُ: بَلَغَهُ ذَلِكَ»^(١).

❁ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ^(٢) مِمَّنْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْأَثَارِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠].

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء في وصية الحربي يُسلم، رقم الحديث (٢٨٨٣)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (٩٢٦٠).

(٢) هو: عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ القُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِلِسَانِهِ وَنَفْسِهِ، وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ وَأَبْلَغِهِمْ، حَتَّى قَالُوا: أَنَّهُ أَشْعَرُ قُرَيْشٍ قَاطِبَةً.

ثُمَّ أَسْلَمَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُذْرَهُ. انظر: الإصابة (٧٦/٤).

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آتِفًا وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُّوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟.

فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ اخْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرْتَهُمْ بِعِبَادَتِهِ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٧١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

يَعْنِي: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرٌ ﷺ، وَمَنْ عُبِدُوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، أُولَٰئِكَ عَنِ النَّارِ مُبْعَدُونَ لَا يَدْخُلُونَهَا أَبَدًا.

وَنَزَلَ فِيمَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَعَجِبَ الْوَلِيدُ، وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وَخُصُومَتِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ وَقَالُوا ءِالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٧، ٥٨].

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ

أَنَعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَوَلِمَ لِّلْسَاعَةِ ^(١) فَلَا تَمُوتُ ^(٢) بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ [الزخرف: ٥٩ - ٦١] ^(٣).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: ... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ»، وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَيْتَ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: «يَضْحَكُونَ»، ﴿وَإِنَّهُمْ لَوَلِمَ لِّلْسَاعَةِ﴾ قَالَ: «هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٤).

(١) قال ابن إسحاق في السيرة (٣٩٨/١) في تفسير هذه الآية: أي: ما وُضعت على يديه من الآيات، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على عِلْمِ السَّاعَةِ.

وتعقبه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٧) فقال: وفي هذا نَظَرٌ... والمراد بذلك نَزُولُهُ ﷺ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؛ أي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عليه السلام، ثم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ ﴿١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى «وإنه لَعَلِمَ لِلْسَاعَةِ»؛ أي: أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى وَفُوعِ السَّاعَةِ.

وقد تَوَاتَرَتِ الأحاديثُ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أنه أَخْبَرَ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٧): أي: لا تَشْكُو فيها، إنها واقعةٌ وكائنةٌ لا مَحَالَةَ.

(٣) الخبر أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٩٨٦) (٩٨٨)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب مذاكرة الساعة، رقم الحديث (٣٥٠١)، وابن إسحاق في السيرة (٣٩٧/١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٩١٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب =

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»^(١)، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]^(٢).

❀ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أَمَّا أَبُو جَهْلٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَيُؤْذِيهِ بِالْقَوْلِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - يَوْمًا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ، يَزْعُمُ أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي النَّارِ يُقَالُ لَهَا: شَجَرَةُ الرَّقُومِ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، إِنَّمَا الرَّقُومُ التَّمْرُ وَالزُّبْدُ، هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا وَتَرْقُمُوا^(٣)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتِ الرَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ ﴿٤٥﴾ فِي الْبُطُونِ ﴿٤٦﴾ كَعَلَى الْخَمِيرِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦]^(٥).

= التاريخ، باب ذكر البيان بأن عيسى ابن مريم ﷺ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ، رقم الحديث (٦٨١٧).
(١) قال المباركفوري رحمته الله في تحفة الأحوذى (١٢٤/٩): والمعنى: ما كَانَ ضَلَالَتُهُمْ وَوُقُوعُهُمْ فِي الْكُفْرِ إِلَّا بِسَبَبِ الْجِدَالِ، وَهُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ مَعَ نَبِيِّهِمْ، وَطَلَبُ الْمُعْجَزَةِ مِنْهُ عِنَادًا أَوْ جُحُودًا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢١٦٤)، والترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، رقم الحديث (٣٥٣٥).

(٣) الرَّقُومُ: من الرَّقْمِ: أي: اللَّقْمِ الشَّدِيدِ. انظر: النهاية (٢٧٧/٢).

(٤) الْمُهْلُ: هُوَ الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ الَّذِي يَذُوبُ فَيَسِيلُ مِنَ الْجَسَدِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلنُّحَاسِ الذَّائِبِ: مُهْلٌ. انظر: النهاية (٣١٩/٤).

(٥) الخبر أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٥٤٦)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (١١٤٢٠).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّقُومِ قُطِرَتْ لَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الرَّقُومُ»^(١).

وَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ مَرَّةً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ لَتَتْرُكَنَّ سَبَّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَسُبَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فَكَفَّ عِنْدَئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَبِّ^(٢) آلِهَتِهِمْ، وَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى نَاهِيًا لِرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِّ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَهِيَ مُقَابَلَةُ الْمُشْرِكِينَ بِسَبِّ إِلِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ - وَهُوَ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِمَفْسَدَةٍ أَرْجَحَ مِنْهَا - مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٣٥)، وأخرجه الطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٢٧٦٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم الحديث (٢٧٦٧).

(٢) لم يكن رسول الله ﷺ سَبَّابًا، وَلَا شَتَامًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْفِي عَنْ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ لَهَا مِنْ صِفَاتٍ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِاللَّهِ ﷻ، وَيَصِفُهَا بِمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَتَيْنَاهُمُ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّئَاتِنَا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْزُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْتَهِجُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءُ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي تَعْرِیَةِ آلِهَتِهِمُ الْمُزْعُومَةِ مِمَّا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ فِيهَا.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣٩٥/١)، سبل الهدى والرشاد (٤٧٠/٢).

قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

❀ قِصَّةُ الْإِرَاشِيِّ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ مَعَ عَدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبُغْضِهِ إِيَّاهُ، وَشِدَّتِهِ عَلَيْهِ، يُذِلُّهُ اللَّهُ لَهُ إِذَا رَأَاهُ^(٢).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إِرَاشٍ^(٣) بِإِبِلٍ لَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَابْتِاعَهَا^(٤) مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ، فَمَطَّلَهُ^(٥) بِأَثْمَانِهَا، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ^(٦) مِنْ قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَجْلِسِ جَالِسٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَنْ رَجُلٌ يُؤْدِينِي^(٧) عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ، ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ: أَتَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَهْزُؤُونَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ - أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يُؤْدِيكَ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي لِي، وَأَنَا غَرِيبٌ، ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤْدِينِي عَلَيْهِ، يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ، فَخُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ، يَرْحَمَكَ اللَّهُ.

(١) أخرج هذا الحديث: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم الحديث (٥٩٧٣)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (٩٠)، وانظر كلام الحافظ ابن كثير في: تفسيره (٣/ ٣١٤ - ٣١٥).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢٦/١).

(٣) إِرَاشٌ: بكسر الهمزة: اسمٌ قَبِيلَةٍ وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ خَثْعَمٍ. انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (١٧٧/٢).

(٤) ابْتِاعَ: اشْتَرَى. انظر: لسان العرب (٥٥٧/١).

(٥) الْمَطْلُ: هو التَّسْوِيفُ وَالْمُدَافَعَةُ بِالْعِدَّةِ وَالذِّينِ. انظر: لسان العرب (١٣٤/١٣).

(٦) النَّادِي: مَجْتَمَعُ الْقَوْمِ وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ. انظر: النهاية (٣١/٥).

(٧) يُؤْدِينِي عَلَى فُلَانٍ: أَي: يُعِينُنِي عَلَى أَخْذِ حَقِّي مِنْهُ. انظر: لسان العرب (١٠٠/١).

فَقَالَ ﷺ: «انْطَلِقْ إِلَيْهِ»، وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ: اتَّبِعْهُ انْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ؟

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «مُحَمَّدٌ، فَاخْرُجْ إِلَيَّ»، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَا فِي وَجْهِهِ قَطْرَةٌ دَمٍ، وَقَدْ انْتَقَعَ لَوْنُهُ، فَقَالَ ﷺ: «أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ، فَدَخَلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لِلْإِرَاشِيِّ: «الْحَقُّ لِسَائِكَ»، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَ لِي حَقِّي.

فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ الَّذِي أَرْسَلُوهُ لِيَرَى مَا يَصْنَعُ أَبُو جَهْلٍ، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ مَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَخَرَجَ، فَقَالَ لَهُ: «أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ»، فَأَعْطَاهُ.

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ، فَلَامُوهُ، وَقَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ! مَا لَكَ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ قَطُّ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَيْحَكُمْ!! وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بَابِي، وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ، فَمِلْتُ مِنْهُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ فَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ^(١)، وَلَا قَصْرَتِهِ^(٢)، وَلَا أُنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، فَوَاللَّهِ لَوْ أُبَيِّتُ لَأَكَلَنِي^(٣).

❀ قِصَّةُ أُخْرَى:

مِنَ الْقِصَصِ الَّتِي تُبَيِّنُ اسْتَهْزَاءَ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ﴿٢٥﴾ [المدر: ٣٠] قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ:

(١) الهَامَةُ: الرَّأْسُ. انظر: لسان العرب (١٥/١٦٢).

(٢) الْقَصْرَةُ: أَضْلُ الْعُنْتِ. انظر: لسان العرب (١١/١٨٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/٤٢٧).

يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ جُنُودَ اللَّهِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَكُمْ فِي النَّارِ، وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا، وَكَثْرَةً، أَفَيَعْجُزُ كُلُّ مِائَةٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَيَرْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۖ﴾ [المدثر: ٣١] (١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَيُّ مَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ وَكَثَرَتَهُمْ إِلَّا هُوَ ﷻ، لِئَلَّا يَتَوَهَّمُ مُتَوَهَّمٌ أَنَّ هُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، ... وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الْمَرْوِيِّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «... فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» (٢).

✽ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: قَدْ نَعَلْتُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَلَا تُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٠).

(٢) أخرج هذا القدر من حديث الإسراء والمعراج: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ﷺ، رقم الحديث (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، حديث رقم (١٦٢)، وانظر كلام الحافظ ابن كثير في: تفسيره (٨/٢٧٠).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَدَّ نَعْلُهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣] ^(١).

تِلْكَ صُورٌ مِنْ اسْتَهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُحْزِنُهُ مَا يَلْقَى مِنْهُمْ كَعَبْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَبِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ فَهَمْزُوهُ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، فَعَاظَهُ ذَلِكَ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [الأنعام: ١٠] ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَعْدٌ لَهُ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٣).

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُؤَدِّيًا إِلَى قَوْمِهِ النَّصِيحَةَ، فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الشَّرِّ، وَأَكْثَرُوا الْاسْتَهْزَاءَ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦] ^(٤).

(١) الخبر أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام، رقم الحديث (٣٣١٧)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام، رقم الحديث (٣٢٨٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤/ القسم الثاني ٩٤٣).

(٢) الخبر في: سيرة ابن هشام (٩/٢)، والبدایة والنهاية (٣/ ١١٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٢).

(٤) الخبر في: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢ - ٢٣).

❖ رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ^(١) يُصَارِعُ الرَّسُولَ ﷺ:

رَوَى أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: أَنَّ رُكَانَةَ بْنَ عَبْدِ يَزِيدَ صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ مَرَّةٍ عَلَى مِائَةٍ مِنَ الْعَنَمِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا وَضَعَ ظَهْرِي عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَامَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيْهِ غَنَمَهُ^(٢).

❖ رُسُلٌ قُرَيْشٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ وَامْتِحَانُهُمُ الرَّسُولَ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ:

أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ^(٣)، فَسَأَلُوهُ، فَנَزَلَتْ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فَقَالُوا: لَمْ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ نَحْنُ إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ، وَمَنْ يُؤْتَ التَّوْرَةَ، فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]^(٤).

(١) هو: رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ الْمُطَّلِبِيِّ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي صَارَعَهُ الرَّسُولَ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ، وَأَسْلَمَ رُكَانَةُ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ، وَقِيلَ: أَسْلَمَ عَقِبَ مُصَارَعَتِهِ الرَّسُولَ ﷺ.

وتوفي في خلافة عُثْمَانَ، وقيل: توفي سنة اثنتين وأربعين. انظر: أسد الغابة (٢/١٩٩).

(٢) أوردته الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١١٢)، وعزاه إلى أبي بكر الشافعي وجود إسناده.

(٣) زاد ابن إسحاق في السيرة (١/٣٣٧): أنهم سألوهُ أيضًا عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين.

(٤) والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٠٩)، وابن حبان في =

❁ آيَةُ الرُّوحِ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟

قُلْتُ: وَقَعَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ^(١)، وَهُوَ مُتَكَيِّ عَلَى عَسِيبٍ^(٢)، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ^(٣)؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَدْ يُجَابُ عَنْ هَذَا: بِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُ يُجِيبُهُمْ عَمَّا سَأَلُوهُ بِالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمِ إِنْزَالُهَا عَلَيْهِ^(٥).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بِأَن يَتَعَدَّ النُّزُولُ بِحَمَلِ سُكُوتِهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَى تَوَقُّعٍ مَزِيدٍ بَيَانٍ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ سَاعَ هَذَا وَإِلَّا فَمَا فِي الصَّحِيحِ أَصَحُّ^(٦).

= صحيحه، كتاب العلم، باب إِبَاحَةِ كَثَمَانَ الْعَالَمِ بَعْضُ مَا يَعْلَمُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩٩).

(١) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١١٣/١٧): أَيُّ: مَوْضِعُ الزَّرْعِ.

(٢) الْعَسِيبُ: هُوَ جَرِيدَةُ النَّخْلِ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢١٢/٣).

(٣) مَا رَأَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ: مَا حَاجَتَكُمْ إِلَيْهِ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢٦٠/٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، رَقْمُ

الْحَدِيثِ (٤٧٢١)، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، بَابُ سُؤَالِ

الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٩٤).

(٥) انْظُرْ: تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (١١٤/٥).

(٦) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي (٣١٩/٩).

✽ عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ، حَالِ الْحَسَدِ مِنْهُمْ لَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، فَعَتَوْا عَلَى اللَّهِ، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عَيَانًا، وَلَجُّوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]: أَي: اجْعَلُوهُ لَغْوًا وَبَاطِلًا، وَاتَّخِذُوهُ هُزُوءًا لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ نَاطَرْتُمُوهُ أَوْ خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، جَعَلُوا إِذَا جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَيَأْبُونَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، اسْتَرَقَ^(١) السَّمْعَ دُونَهُمْ فَرَقًا^(٢) مِنْهُمْ، فَإِنْ رَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيَةُ أَذَاهُمْ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ، وَإِنْ خَفَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَظَنَّ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَسَمِعَ هُوَ شَيْئًا دُونَهُمْ أَصَاحَ^(٣) لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ^(٤).

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي سَبَبِ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) اسْتَرَقَ السَّمْعَ: أَي: أَنَّهُ يَسْتَمِعُهُ مُخْتَفِي كَمَا يَفْعَلُ السَّارِقُ. انظر: النهاية (٢/٣٢٦).

(٢) الْفَرَقُ: بِالْتَحْرِيكِ الْخَوْفُ وَالْفَرَقُ. انظر: النهاية (٣/٣٩٢).

(٣) أَصَاحَ لَهُ: اسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ لَهُ. انظر: لسان العرب (٧/٤٥٠).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٥٠).

قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أَيُّ: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

❁ اسْتَمَاعُ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ إِلَى الْقُرْآنِ سِرًّا:

وكان أشرف قُرَيْشٍ يَسْتَشْعِرُونَ حَلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُكَابِرُونَ.

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ، هُمْ: أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَخْسَسُ بْنُ شُرَيْقٍ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ، وَكُلُّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَأَيْنَا بَعْضَ سُفْهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا نَبْرُحْ حَتَّى نَعَاهِدَ إِلَّا نَعُودَ، فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ وَلَا تُخَافُ بِهَا، رقم الحديث (٤٧٢٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، رقم الحديث (٤٤٦).

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ أَخَذَ عَصَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا، وَسَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا، وَلَا مَا يُرَادُ بِهَا.

قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتُ بِهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ: مَا رَأَيْكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَاذَا سَمِعْتَ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَحَادَيْنَا عَلَى الرَّكْبِ، وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ^(١)، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُذْرُكَ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ. فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَتَرَكَهُ^(٢).

❖ الْكِبَرُ وَالْحَسَدُ مَنَعَا أَبَا جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ^(٣) مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ: «يَا أَبَا الْحَكَمِ! هَلُمَّ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى رَسُولِهِ أَذْعُوكَ إِلَى اللَّهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَغْتَ؟

(١) أي: تَسَاوَيْنَا فِي الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥٢/١ - ٣٥٣)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٢٠٦).

قال الحافظ في الإصابة (١/١٩٢): ذكر الذهلي في «الزُّهريات» بسند صحيح عن الزهري عن سعيد بن المسيب... وذكر قصة استماع زعماء قريش.

(٣) الرُّقَاقُ: الطَّرِيقُ. انظر: النهاية (٢/٢٧٧).

فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَغْتَ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقًّا مَا
 اتَّبَعْتُكَ فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي
 لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ بَنِي قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ،
 فَقَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللَّوَاءُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالُوا:
 فِينَا السَّقَايَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا، حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكْبُ،
 قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ^(١).



(١) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٢٠٧).

الهجرة الأولى إلى الحبشة

اسْتَمَرَّتْ قُرَيْشٌ فِي قَسَوَتِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَفَنَّنُوا فِي إِيْذَائِهِمْ، فَلَمْ يَرْعَوْا فِيهِمْ قَرَابَةً، وَتَحَطَّوْا حُدُودَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكَانَ اضْطِهَاذُهُمْ لَهُمْ يَزْدَادُ ضَرَاوَةً يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى ضَاقَ بِالْمُسْلِمِينَ الْمَقَامُ فِي مَكَّةَ، وَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي حِيلَةٍ تُنَجِّيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَفِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ كَانَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ قَدْ نَزَلَتْ، وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْهَجْرَةِ مِنْ أَرْضِ الْكُفْرِ عِنْدَ خَشْيَةِ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ نَزَلَتْ سُورَةُ الزُّمَرِ تُشِيرُ إِلَى الْهَجْرَةِ أَيْضًا، وَتُعْلِنُ بِأَنَّ أَرْضَ اللَّهِ لَيْسَتْ ضَيِّقَةً ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠] (١).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ مَلِكٌ عَادِلٌ، لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، وَقَدْ رَأَى مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْقَهْرِ وَالْأَذَى، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، قَالَ لَهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» (٢).

قَالَ الشَّيْخُ عَلِي الطَّنْطَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَدَعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص ٩٢).

(٢) أخرج هذا الحديث ابن هشام في السيرة (٣٥٨/١) بدون سند، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٠١/٢)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣١٩٠) وجود إسناده.

مِنْ هَذَا كُلِّهِ، إِلَى فِرَاقِ الْوَطَنِ، وَتَرْكِ الْأَهْلِ، وَأَنْ يَمْشُوا فِرَارًا بِدِينِهِمْ إِلَى بِلَادٍ لَيْسُوا مِنْهَا، وَلَيْسَتْ مِنْهُمْ، وَلَا لِسَانُهَا لِسَانَهُمْ، وَلَا دِينُهَا دِينُهُمْ، إِلَى الْحَبَشَةِ، فَخَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَهَجَرُوا أَهْلِيهِمْ، وَمَشَوْا إِلَى الْحَبَشَةِ، فَلَحَقَهُمْ أَذَى قُرَيْشٍ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَأَوْعَلَتْ قُرَيْشٌ فِي كُفْرِهَا وَصَدَّهَا وَعِنَادِهَا، وَلَكِنْ هَلْ تَقْدِرُ قُرَيْشٌ أَنْ تُظْفِي نُورَ اللَّهِ تَعَالَى؟^(١).

✽ عَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ:

فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلُ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ، وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ^(٢).

وَأَوَّلُ مَنْ خَرَجَ إِلَى الْحَبَشَةِ هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَمَعَهُ زَوْجُهُ رُقَيْةُ بِنْتُ الرَّسُولِ رضي الله عنها.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعْدُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُمَا - أَيُّ: عُثْمَانُ وَرُقَيْةً - لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بَعْدَ لُوطٍ وَإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام»^(٣).

أَمَّا الْبَاقُونَ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُمْ الْعَشْرَةُ؛ لِأَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه الْحَادِيَ عَشَرَ: أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ،

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي رحمته الله (ص ١٤).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٩٨/١)، زاد المعاد (٢٦/٣)، البداية والنهاية (٧٤/٣)، وفتح الباري (٥٨٤/٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذکر أول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما السلام، رقم الحديث (٦٩٣٣)، وأورده الحافظ في الإصابة (١٣٨/٨) ونسبه إلى ابن منده، وقال: إسناده واه، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة، رقم الحديث (٤٤٦٤)، وقال: موضوع.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ، وَأَبُو حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو.

وَأَمَّا النِّسْوَةُ الثَّلَاثُ وَرَابِعَتُهُنَّ رُقَيْةُ بِنْتُ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا ذَكَرْتُ آنفًا فَهِنَّ: سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو زَوْجَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُثْبَةَ، وَوَلَدَتْ بِالْحَبَشَةِ ابْنَهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ زَوْجَةُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَوَلَدَتْ بِالْحَبَشَةِ ابْنَتَهَا زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، وَلَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَتْمَةَ زَوْجَةُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ﷺ^(١).

وَكَانَ رَحِيلُهُمْ ﷺ تَسْلُلًا فِي الْخَفَاءِ، وَقَدْ خَرَجُوا مُتَّجِهِينَ إِلَى الْبَحْرِ، مِنْهُمْ الرَّائِبُ وَالْمَاشِي، وَوَقَّعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ سَاعَةً جَاؤُوا سَفِينَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ حَمَلُوهُنَّ فِيهِمَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ بِنِصْفِ دِينَارٍ، وَفُطِنَتْ لَهُنَّ قُرَيْشٌ، فَخَرَجَتْ فِي آثَارِهِنَّ، لَكِنْ عِنْدَمَا بَلَغَتْ قُرَيْشُ السَّاحِلَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ انْطَلَقُوا آمِنِينَ^(٢).

وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَبَشَةِ بِخَيْرِ دَارٍ عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ بِقِيَّةٍ رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ إِلَى رَمَضَانَ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَكَّةَ^(٣) - كَمَا سَيَأْتِي -.

✽ سُجُودُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ:

فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبُعْثَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرَمِ،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥٩/١ - ٣٦٠)، فتح الباري (٥٨٤/٧)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٩٨/١).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٩٨/١)، زاد المعاد (٢١/٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٩٩/١).

وَكَانَ هُنَاكَ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَ فِيهِ سَادَاتُهَا وَكُبَرَاؤُهَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو سُورَةَ النَّجْمِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّجْدَةَ سَجَدَ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا، الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، إِلَّا رَجُلَانِ، هُمَا: أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَالْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلَ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ «وَالنَّجْمِ»، قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ فِي النَّجْمِ، وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَمْ أَسْجُدْ مَعَهُمْ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ - فَلَا أَدْعُ السُّجُودَ فِيهَا أَبَدًا^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ السَّنْدِيُّ فِي «شَرْحِ الْمُسْنَدِ»: قَوْلُهُ ﷺ: فَلَا أَدْعُ السُّجُودَ فِيهَا أَبَدًا: تَقْرِيعٌ عَلَى قَوْتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ أَيُّ: حَيْثُ فَاتَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكَيْفَ أَتْرُكُ بَعْدَهُ؛ بَلِ الْتَزِمُ بَعْدَ جَبْرًا لِمَا فَاتَ^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، رقم الحديث (٤٨٦٣)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، رقم الحديث (٥٧٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٦٤)، والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر المطلب بن أبي وداعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٦٧٢٢)، وأورده الحافظ في الإصابة (١٠٤/٦)، وصحح إسناده.

(٣) انظر: شرح السندي لمسند الإمام أحمد (٣٢٣/٨).

❖ قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ^(١):

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ قِصَّةَ بَاطِلَةٍ مُخْتَلَفَةً تُعْرَفُ بِاسْمِ «قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ»، وَهِيَ قِصَّةٌ افْتَرَاهَا بَعْضُ الزَّنادِقَةِ، وَزَعَمُوا فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَرَّبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِمَدْحِ أَصْنَامِهِمْ، وَأَنَّهُ قَالَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَالْعُرَىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنَوَۥ الثَّلَاثَةَ الْآخِرَىٰ ۖ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] قَالَ: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى»، وَزَعَمُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَعْلَنُوا رِضَاهُمْ عَمَّا تَلَا النَّبِيُّ ﷺ فَسَجَدُوا مَعَهُ حِينَ سَجَدَ^(٢).

وَاسْتِنَادًا إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّ الْقِصَّةَ بَاطِلَةٌ وَمَوْضُوعَةٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] ^(٣)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴿١﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَقَرَّبَ لِصَنِمٍ قَطُّ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالنَّبُوءَةِ، وَأَنَّهُ مَا هَمَّ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ إِلَّا عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ -، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ؟

❖ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي بُطْلَانِ هَذِهِ الْقِصَّةِ:

وَقَدْ طَعَنَ فِي صِحَّةِ الْقِصَّةِ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ:

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّحَّةِ، وَلَا رَوَاهَا ثِقَةٌ بِسَنَدٍ سَلِيمٍ مُتَّصِلٍ، وَإِنَّمَا أُولِعَ بِهَا، وَبِمِثْلِهَا الْمُفَسِّرُونَ

(١) الْغَرَانِيقُ: هَاهُنَا الْأَصْنَامُ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ الذُّكُورُ مِنْ طُيُورِ الْمَاءِ، وَاحِدُهَا: غُرْنُوقٌ سُمِّيَ بِهِ لِيَبَاضِهِ. انظر: النهاية (٣/٣٢٧).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (١/٩٩).

(٣) الْوَتِينَ: هُوَ الْعِرْقُ الَّذِي الْقَلْبُ مُعَلَّقٌ فِيهِ. انظر: تفسير ابن كثير (٨/٢١٨).

وَالْمُؤَرَّخُونَ الْمُؤَلَّغُونَ بِكُلِّ غَرِيبٍ، الْمُتَلَقُّونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلِّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ، وَمَنْ حُكِيَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يُسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا رَفَعَهَا إِلَى صَاحِبٍ، وَأَكْثَرُ الطَّرِيقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا مَا يَرْوِيهِ الْإِخْبَارِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ مَا جَرَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى إِلَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ فَبَاطِلٌ لَا يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ، لَا مِنْ جِهَةِ النِّقْلِ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ مَدْحَ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كُفْرٌ، وَلَا يَصِحُّ نِسْبَةُ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَنْ يَقُولَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ، وَلَا يَصِحُّ تَسْلِيْطُ الشَّيْطَانِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ هَا هُنَا قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ، وَمَا كَانَ مِنْ رُجُوعِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُهَاجِرَةِ مِنْ أَرْضِ الْحَبْشَةِ، طَنًا مِنْهُمْ أَنَّ مُشْرِكِي فُرَيْشٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَلَكِنَّهَا مِنْ طَرِيقِ كُلِّهَا مُرْسَلَةٌ، وَلَمْ أَرَهَا مُسْنَدَةً مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُعَفِّلِينَ أَنَّهُ وَقَعَتْ هَذِهِ حَقًّا بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْوَثْنِيَّةِ أَسَاسُهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَقَرَّبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِمَدْحِ أَصْنَامِهِمْ، وَالاعْتِرَافِ بِمَنْزِلَتِهَا! وَأَنَّ هَذِهِ الْهُدْنَةُ الْوَاقِعَةُ هِيَ الَّتِي أَعَادَتِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْحَبْشَةِ...

وَمَادَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَدْحِ الْأَصْنَامِ؟ يُجِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُعَفِّلُونَ بِأَنَّهُ قَالَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَا. وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى؟

(١) انظر: كتاب الشُّفا بتعريف حقوق المصطفى (١٣٢/٢ - ١٣٣)، للقاظي عياض.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦٤/٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٤١/٥).

وَأَيْنَ وَضَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ وَضَعَهَا فِي سُورَةِ (النَّجْمِ) مُفَحَّمَةً وَسَطَ
الآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ.

فَأُضْبِحَتْ هَكَذَا: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ ﴿٢٠﴾ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَا، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ. ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۖ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرَىٰ ۖ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢١ - ٢٣].

وَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى هَذَا: خَبِّرُونِي عَنْ أَصْنَامِكُمْ أَهِيَ كَذَا كَذَا؟ إِنَّ شَفَاعَتَهَا مَرْجُوءَةٌ، إِنَّهَا أَسْمَاءٌ لَا حَقَائِقَ لَهَا. إِنَّهَا خُرَافَاتٌ ابْتَدِعَتْ وَاتَّبَعَتْ. مَا لَكُمْ جَعَلْتُمُوهَا إِنَاثًا وَنَسَبْتُمُوهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ نِسْبَةَ الْإِنَاثِ لَكُمْ؟ تِلْكَ قِسْمَةٌ جَائِزَةٌ!

فَهَلْ هَذَا كَلَامٌ يَصُدُّ عَنْ عَاقِلٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَحْيٌ حَكِيمٌ؟ وَلَكِنْ هَذَا السُّخْفُ وَجِدَ مَنْ يَكْتُبُهُ وَيُنْقُلُهُ.

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَوْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ بِاخْتِلَاقِ كَلَامٍ عَلَيْهِ لَقُطِعَ عُنُقُهُ بِنَصِّ الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٧].

وَالَّذِي فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ (النَّجْمِ) فِي مَحْفَلٍ يَضُمُّ مُسْلِمِينَ وَمُشْرِكِينَ، وَخَوَاتِيمُ هَذِهِ السُّورَةِ - أَيُّ: سُورَةِ النَّجْمِ - قَوَارِعُ تَطِيرُ لَهَا الْقُلُوبُ، فَلَمَّا أَخَذَ صَوْتُ الرَّسُولِ ﷺ يَهْدُرُ بِهَا، وَيَرْعُدُ بِنَذَرِهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْنِفَةَ أَعْمَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ نَتَارَئِي ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَزِيفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفْمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ

وَأَعْبُدُوا ﴿٦٦﴾ [النجم: ٥٣ - ٦١]، كَانَتْ رَوْعَةُ الْحَقِّ قَدْ صَدَعَتْ الْعِنَادَ فِي نُفُوسِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ، فَمَا تَمَالَكُوا أَنْ يَخْرُؤَ اللَّهُ سَاجِدِينَ، مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ... (١).

﴿لِمَاذَا سَجَدَ الْكُفَّارُ إِذَا؟﴾

وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ إِنَّمَا سَجَدُوا لِبَلَاغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّهِمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ تَشْوِيشٍ.

قَالَ الشَّيْخُ صَفِيُّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكُفُورِيُّ: إِنَّ أَوْلَيْكَ الْكُفَّارَ لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَسْلُوبَهُمُ الْمُتَوَاصِلَ كَانَ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا تَوَاصَى بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، فَلَمَّا بَاغَتْهُمْ بِتِلَاوَةِ هَذِهِ السُّورَةِ - أَيِ: النَّجْمِ - وَقَرَعَ آذَانَهُمْ كَلَامَ إِلَهِي رَائِعٌ خَلَّابٌ لَا يُحَاطُ بِرَوْعَتِهِ وَجَلَالَتِهِ الْبَيَّانِ، تَفَانُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَبَقِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مُضْغِيًا إِلَيْهِ، لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ، حَتَّى إِذَا تَلَا خَوَاتِيمَ هَذِهِ السُّورَةِ قَوَارِعَ تَطِيرُ لَهَا الْقُلُوبُ: ﴿وَالْمُؤْنِفَةُ أَهْوَى﴾ (٥٢) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) فَإِنِّي أَلَا رَبِّكَ نَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ (٥٦) أَزِفَتِ الْأَزِيفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَوْنِ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ (٥٩) وَتَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ ثم قرأ: ﴿فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَأَعْبُدُوا﴾ (٦٧) [النجم: ٥٣ - ٦٢].

ثُمَّ سَجَدَ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَحَدٌ نَفْسَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا، وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ رَوْعَةُ الْحَقِّ قَدْ صَدَعَتْ الْعِنَادَ فِي نُفُوسِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ، فَمَا تَمَالَكُوا إِلَّا أَنْ يَخْرُؤَ اللَّهُ سَاجِدِينَ.

وَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ لَمَّا أَحْسَوْا أَنَّ جَلَالَ كَلَامِ اللَّهِ لَوَى زِمَامَهُمْ، فَارْتَكَبُوا

عَيْنَ مَا كَانُوا يَبْذُلُونَ فُصَارَى جُهِدِهِمْ فِي مَحْوِهِ وَإِفْنَائِهِ، وَقَدْ تَوَالَى عَلَيْهِمُ
الْلُؤْمُ وَالْعِتَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الْمَشْهَدَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،
وَعِنْدَ ذَلِكَ كَذَبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وافتَرَوْا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى أَصْنَائِهِمْ
بِكَلِمَةٍ تَقْدِيرٍ، وَأَنَّهُ قَالَ عَنْهَا: «تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتُرْتَجَى»
جَاؤُوا بِهَذَا الْإِفْكَ الْمُبِينِ، لِيَعْتَزُّوْا عَنْ سُجُودِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،
وَلَيْسَ يُسْتَغْرَبُ هَذَا مِنْ قَوْمٍ كَانُوا يَأْلَفُونَ الْكَذِبَ، وَيُطِيلُونَ الدَّسَّ
وَالْإِفْتِرَاءَ^(١).

❖ قِصَصٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْبِهَارِ الْكُفَّارِ بِالْقُرْآنِ:

قُلْتُ: الْقِصَصُ كَثِيرَةٌ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى انْبِهَارِ الْكُفَّارِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْفُوا أَمَامَ بَلَغَتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي
«صَحِيحِهِ» فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ جُبَيْرٌ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ
يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
الْخُلُقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ (٢) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ
خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمْ الْمَصْبُطُونَ﴾ (٣٧) [الطور: ٣٥ - ٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
عَمِّ الْفَرَزْدَقِ، قَالَ: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]،

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص ٩٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٨٤/٩): ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ الْعَلَّةَ الَّتِي عَاقَتْهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ عَدُوُّ
الْبَقِيَّةِ الَّذِي هُوَ مُوَهَّبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَفْسِيرِ، بَابُ سُورَةِ الطُّورِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٨٥٤)
وَرَاجِعُ مَا كَتَبَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الشَّافَا بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى، «فَصَلْ إِعْجَازُ
الْقُرْآنِ» لَيَرَى الْقِصَصَ الْكَثِيرَةَ فِي انْبِهَارِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِالْقُرْآنِ.

قَالَ: حَسْبِي لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا^(١).

✽ عَوْدَةُ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ:

وَتَرَامَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ إِلَى مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ، وَلَكِنْ فِي صُورَةٍ تَخْتَلِفُ تَمَامًا عَنْ صُورَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، بَلَّغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَقَدْ سَجَدُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: عَشَائِرُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا، فَخَرَجُوا مِنَ الْحَبَشَةِ رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَهَذَا فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبُعْثَةِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا دُونَ مَكَّةَ بِسَاعَةٍ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْحَقِيقَةُ، وَعَرَفُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَشَدُّ مَا يَكُونُونَ خُصُومًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْنَا مَكَّةَ، فَدَخَلُوا مَكَّةَ، وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا مُسْتَخْفِيًا، أَوْ فِي جَوَارِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَعَادَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ^(٢).

✽ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْخُلُ بِجَوَارٍ:

كَانَ مِمَّنْ دَخَلَ مَكَّةَ فِي جَوَارٍ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ فِي جَوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا رَأَى مَا يُفْعَلُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَذَى، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ غَدَوِي وَرَوَاجِي آمِنَا بِجَوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَذَى فِي اللَّهِ مَا لَا يُصِيبُنِي، لَنْفُصَ كَبِيرٌ فِي نَفْسِي، فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وَقَدْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ جَوَارَكَ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: لِمَ يَا ابْنَ أَخِي؟ لَعَلَّهُ أَذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي، وَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَرْضَى بِجَوَارِ اللَّهِ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بَعِيرَهُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لَهُ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَارْذُدْ عَلَيَّ جَوَارِي عَلَانِيَةً كَمَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٥٩٣).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٩٩/١)، البداية والنهاية (٧٤/٣)، زاد المعاد (٣/

(٢١)، سيرة ابن هشام (٤٠٢/١).

أَجْرُنْكَ عَلَانِيَةً، فَأَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا الْمَسْجِدَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: هَذَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ قَدْ جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جَوَارِي، فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقَ، وَقَدْ وَجَدْتُهُ وَفِيًّا كَرِيمَ الْجَوَارِ، وَلَكِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَلَّا أُسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ جَوَارَهُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ جَوَارِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ - قَبْلَ إِسْلَامِهِ - فَجَلَسَ عُثْمَانُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لَبِيدٌ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ، فَقَالَ لَبِيدٌ:

وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
قَالَ عُثْمَانُ: كَذَبْتَ، نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ.

فَقَالَ لَبِيدٌ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ مَا كَانَ يُؤَذَى جَلِيسُكُمْ، فَمَتَى حَدَثَ هَذَا فِيكُمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ هَذَا سَفِيهٌ فِي سَفَهَاءٍ مَعَهُ، قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُثْمَانُ حَتَّى شَرِي^(١) أَمْرُهُمَا، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لِعُثْمَانَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَعْنَتُهُ، لَقَدْ كُنْتُ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ، فَخَرَجْتَ مِنْهَا، وَكُنْتَ عَنِ الَّذِي لَقِيتَ غَنِيًّا، ثُمَّ ضَحِكُوا، فَقَالَ عُثْمَانُ: بَلْ كُنْتُ إِلَى الَّذِي لَقِيتُ فَقِيرًا، وَاللَّهِ إِنْ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ الَّتِي لَمْ تُلْطَمَ لِفَقِيرَةٍ إِلَى مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللَّهِ ﷻ، وَلِي فِيمَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ أُسْوَةٌ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَفِي جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ، وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: إِنْ شِئْتَ أَجْرُنْكَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ

(١) شَرِي الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا: أَي: عَظَمَ وَتَقَاعَمَ. انظر: النهاية (٢/٤٢٠).

عُثْمَانُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي جِوَارِكَ^(١).

❀ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ رضي الله عنه يَدْخُلُ مَكَّةَ فِي جِوَارٍ:

وَدَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ رضي الله عنه فِي جِوَارٍ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَعَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ ابْنَ أَخِيكَ مُحَمَّدًا، فَمَا لَكَ وَلِصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّهُ اسْتَجَارَ بِي وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي، وَإِنَّا لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أَخِي، فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ غَاضِبًا، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَى الشَّيْخِ، مَا تَزَالُونَ تَتَوَاتَبُونَ عَلَيْهِ فِي جِوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ! وَاللَّهِ لَتَسْتَهْنَّ عَنْهُ، أَوْ لَنَقُومَنَّ مَعَهُ فِي كُلِّ مَا قَامَ فِيهِ، حَتَّى يَبْلُغَ مَا أَرَادَا!

فَقَالُوا: بَلْ نَنْصَرِفُ عَمَّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عُتْبَةَ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ وَلِيًّا وَمُنَاصِرًا لَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو طَالِبٍ مِنْهُ ذَلِكَ طَمِعَ فِيهِ وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ قَصِيدَةً يُحَرِّضُ فِيهَا أَبَا لَهَبٍ عَلَى نُصْرَتِهِ، وَنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

وَإِنَّ امْرَأً أَبُو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ لَفِي رَوْضَةٍ مَا أَنْ يُسَامَ الْمَظَالِمَا
أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي أَبَا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوَادَكَ قَائِمَا
وَلَا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ خُطَّةً تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ الْمَوَاسِمَا
وَوَلَّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمَا
وَحَارِبٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ نُصِفْتُ وَلَنْ تَرَى أَخَا الْحَرْبِ يُعْطَى الْحَسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا
وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَانِمًا أَوْ مُغَارِمَا
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا وَتَيْمًا وَمَخْزُومًا عُقُوقًا وَمَأْتِمَا

بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْمَحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نُبُزِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشُّعْبِ قَائِمًا^(١)
وَلَكِنَّ أَبَا لَهَبٍ لَمْ يَسْتَجِبْ لِأَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ فِي نُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ،
وَسَارَ فِي رَكْبٍ قَرِيشٍ.

❖ وَهُمْ ابْنِ سَعْدٍ فِي أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَجَعَ إِلَى الْحَبَشَةِ:

قُلْتُ: ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»^(٢): أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ
يَدْخُلْ مَكَّةَ، وَأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْحَبَشَةِ حَتَّى قَدِمَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ
مَنْ قَدِمَ.

وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْقَيْمِ فَقَالَ: وَرَدَّ هَذَا بِأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ شَهِدَ ﷺ بَدْرًا،
وَأَجْهَرَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ، وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْهَجْرَةِ إِنَّمَا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابِهِ بَعْدَ بَدْرِ بَارِئِ سِنِينَ أَوْ خَمْسٍ.

فَإِنْ قِيلَ: بَلْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ يُوَافِقُ قَوْلَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى
نَزَلْتُ، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ
الْكَلَامِ^(٣).

وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤) مِنَ الْأَنْصَارِ، وَالسُّورَةُ مَدَنِيَّةٌ، وَحِينَئِذٍ فَأَبْنُ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٠٩/١). (٢) انظر: الطبقات الكبرى (٩٩/١).

(٣) أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العمل بالصلاة، باب ما يُنهي من
الكلام في الصلاة، رقم الحديث (١٢٠٠)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى:
﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، رقم الحديث (٤٥٣٤)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه،
كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم الحديث (٥٣٩).

(٤) هو: زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري، استُغْفِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَوَّلَ مَشَاهِدِهِ الْخَنْدَقُ، وَقِيلَ:
الْمُرْسِيْعُ، وَغَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ثَبَّتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ، وَلَهُ قِصَّةٌ مشهورة =

مَسْعُودٍ رضي الله عنه سَلَّمَ عَلَيْهِ لَمَّا قَدِمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى سَلَّمَ، وَأَعْلَمَهُ بِتَحْرِيمِ الْكَلَامِ، فَاتَّفَقَ حَدِيثُهُ وَحَدِيثُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ.

وَنَقُولُ: يُبْطِلُ هَذَا شُهُودُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه بِذَرَا، وَأَهْلِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِنَّمَا قَدِمُوا عَامَ خَيْبَرَ مَعَ جَعْفَرٍ رضي الله عنه وَأَصْحَابِهِ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مِمَّنْ قَدِمَ قَبْلَ بَذْرِ، لَكَانَ لِقْدُومِهِ ذِكْرٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ قُدُومَ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ إِلَّا فِي الْقَدَمَةِ الْأُولَى بِمَكَّةَ، وَالثَّانِيَةِ عَامَ خَيْبَرَ مَعَ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، فَمَتَى قَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، وَمَعَ مَنْ؟

وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَبَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى الْحَبَشَةِ إِسْلَامُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا لَمَّا بَلَغَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ، بَلَغَهُمْ أَنَّ إِسْلَامَ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ بَاطِلًا، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَارٍ، أَوْ مُسْتَخْفِيًا، فَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ مِنْهُمْ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَشَهِدَ بِذَرَا وَأُحَدَا فَذَكَرَ مِنْهُمْ: عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ^(١).

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه؟

قِيلَ: قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ بِجَوَابَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنْهُ قَدْ ثَبَتَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أُذِنَ فِيهِ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ نُهِيَ عَنْهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ رضي الله عنه كَانَ مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ هُوَ

= فِي نَزُولِ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ يَقُولُ: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ابْنَ سَلُولٍ فَأَنْكَرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقَ زَيْدٍ رضي الله عنه، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِينَ، وَفِيهِ قَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»، مَاتَ رضي الله عنه بِالْكُوفَةِ أَيَّامَ الْمُخْتَارِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ، وَقِيلَ: سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِينَ. انظر: الإصابة (٢/٤٨٧).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٤٠٢).

وَجَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى عَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَبْلُغُهُمُ النَّهْيُ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ
انْتَهَوْا، وَزَيْدٌ لَمْ يُخْبَرْ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي
الصَّلَاةِ إِلَى حِينٍ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ لَكَانَ وَهَمًا مِنْهُ^(١).

❖ مُفَاوَضَاتُ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

أَيَقَنْتَ قُرَيْشٌ أَنَّ بَطْشَهَا بِالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَيْلَهَا مِنْ غَيْرِهِمْ،
لَمْ يَصْرِفِ النَّاسَ عَنِ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ طُرُقَ الاسْتِهْزَاءِ أَوْ
تَشْوِيهِ مَعَالِمِ الدِّينِ لَمْ تُفْلِحْ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَى
أَسْلُوبِ الْمُفَاوَضَاتِ مَرَّةً أُخْرَى^(٢).

فَذَهَبُوا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِنًا
وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا، وَإِنَّا قَدْ
اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَضْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ
أَبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا^(٣) وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكْفُمَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي
ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ.

فَعَظَّمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقَ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ، وَلَمْ يَطْبُ نَفْسًا بِإِسْلَامِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا خُذْلَانِهِ، فَبَعَثَ عَقِيلًا^(٤) ابْنَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٢ - ٢٣).

(٢) لا تذكر المصادر التاريخية زمنَ هَاتَيْنِ الْوِفَادَتَيْنِ - أَقْصَدُ الْوِفَادَةَ الثَّانِيَةَ، وَهِيَ طَلَبُ قُرَيْشٍ
مِنْ أَبِي طَالِبٍ تَسْلِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَأَتِي فِي الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ - لَكِنْ يَبْدُو بَعْدَ التَّأَمُّلِ فِي
الْقَرَائِنِ وَالشَّوَاهِدِ أَنَّهُمَا كَانَتَا فِي أَوَاسِطِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ النَّبُوَّةِ. انظر: الرحيق المختوم
(ص ٩٨).

(٣) سَفَّهُ أَحْلَامِنَا: أَي: اسْتَحَفَّتْ بِعُقُولِنَا، وَأَوَّلُو الْأَحْلَامَ: أَي: ذَوُوا الْأَلْبَابِ، وَالْعُقُولُ. انظر:
النهاية (١/ ٤١٦).

(٤) هُوَ: عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ عَقِيلٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ =

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُونِي، فَزَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ، وَفِي مَجْلِسِهِمْ فَأَنْتَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبْتِي عَلَيَّ، وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ.

فَحَلَّقَ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟».

قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ، مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا^(٢).

ثُمَّ أَطْلَقَ أَبُو طَالِبٍ آيَاتَهُ الْمَشْهُورَةَ فِي نُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوسِدَ فِي الثُّرَابِ دَفِينَا
فَأَمْضِي لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ^(٣) أَبْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا

= مُكْرَهَا، فَأَسْرَ يَوْمُنِيذٍ وَكَانَ لَا مَالَ لَهُ، فَقَفَدَاهُ عُمَةُ الْعَبَّاسُ ؓ. ثُمَّ أَتَى عَقِيلٌ مُسْلِمًا قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَهَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَنَةً ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ مُؤْتَةَ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ (٤/٤٣٨): وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِذِكْرِ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ وَلَا حُتَيْنٍ كَأَنَّهُ كَانَ مَرِيضًا، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (٤/٣٤١)، لَكِنْ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ بِسَنَدِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَنَّ عَقِيلًا كَانَ مَمَّنْ ثَبَتَ يَوْمَ حُتَيْنٍ، وَكَانَ ﷺ عَالِمًا بِأَنْسَابِ قُرَيْشٍ وَمَثَلِهَا وَمَثَلِهَا.

وَفِي تَارِيخِ الْبَخَارِيِّ الْأَصْغَرِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ عَقِيلًا مَاتَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ يَزِيدَ قَبْلَ الْحَرَّةِ. انْظُرْ: الْإِصَابَةُ (٤/٤٣٨).

(١) حَلَّقَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ: رَفَعَهُ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (١/٤٠٩).

(٢) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابَ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ؓ، بَابَ ذِكْرِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٥٢٦)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَانْظُرْ: السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ، لِلْأَلْبَانِيِّ ؓ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩٢).

(٣) مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ: أَيُّ: ذَلْ. انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ (١٠/٨٢).

وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَدَمَ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةٌ لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ أَمِينَا^(١)

❖ رَوَايَةٌ مَشْهُورَةٌ ضَعِيفَةٌ:

وَأَمَّا الرُّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَهِيَ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «يَا عَمُّ، وَاللَّهِ لَوْ
وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى
يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ...»^(٢).

فَهِيَ رَوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ.

❖ طَلَبُ قُرَيْشٍ تَسْلِيمَ الرَّسُولِ ﷺ:

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاضٍ فِي دَعْوَتِهِ، وَأَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ
أَبَى خُذْلَانَ ابْنَ أَخِيهِ وَإِسْلَامَهُ، وَاجْتِمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ، مَشَوْا
إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ: قَدْ جِئْنَاكَ بِفَتَى
قُرَيْشٍ جَمَالًا، وَنَسَبًا، وَنَهَادَةً^(٣)، وَشِعْرًا.

فَخَذَهُ فَلَكَ نَصْرُهُ وَعَقْلُهُ^(٤) وَمِيرَاثُهُ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمَ إِلَيْنَا
ابْنُ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ،
وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، فَنَقُتْلُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْعَشِيرَةِ، وَأَفْضَلُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ
مَغَبَّةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠٣/١)، البداية والنهاية (٤٧/٣)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٧/٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠٣/١)، وانظر: السلسلة الضعيفة، للألباني رحمه الله، رقم الحديث (٩٠٩).

(٣) نَهَادَةٌ: أَي: قُوًيًا ضَحْمًا. انظر: النهاية (١١٨/٥).

(٤) الْعَقْلُ: الدِّيَّةُ. انظر: النهاية (٢٥٢/٣).

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتُمُونِي، أُنْعِطُونِي ابْنَكُمْ أَكْفُلُهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيَكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ؟ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ، تَسُومُونِي^(١) سَوْمَ الْعَرِيرِ^(٢) الدَّلِيلِ، هَذَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ أَبَدًا.

فَقَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ، وَجَهْدُوا عَلَى التَّخْلُصِ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَمَا أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتُمُونِي، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خُذْلَانِي وَمُظَاهَرَةً عَلَيَّ، فَاضْنَعْ مَا بَدَا لَكَ^(٣).

✽ مُنَاصَرَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لِأَبِي طَالِبٍ:

فَهُنَا قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَى مَا تَصْنَعُ قُرَيْشٌ بِالْمُسْلِمِينَ، فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْقِيَامِ دُونَهُ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَامُوا مَعَهُ، وَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُمْ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى مَا وَافَقُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدَبِ^(٤) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنُّصْرَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مِنْهَا:

إِذَا اجْتَمَعْتَ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنَاكِ سِرُّهَا، وَصَمِيمُهَا
وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدٍ مَنَاكِهَا فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا، وَقَدِيمُهَا
وَإِنْ فَخَرْتَ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

(١) الْمُسَاوَمَةُ: الْمُجَادَبَةُ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُسْتَرِي عَلَى السَّلْعَةِ وَفَضْلِ ثَمَنِهَا. انظر: النهاية (٢/٣٨٢).

(٢) الْعَرِيرُ: أَي: دَخِيلًا غَرِيبًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ صَمِيمِهِمْ. انظر: النهاية (٣/١٨٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٩٧)، سيرة ابن هشام (١/٣٠٣)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/٨).

(٤) الْحَدَبُ: الْعَطْفُ. انظر: النهاية (١/٣٣٧).

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ عَنْهَا وَسَمِينُهَا عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ، وَطَاشَ حُلُومُهَا^(١)

❖ مُحَاوَلَةُ الطُّغَاةِ اغْتِيَالِ الرَّسُولِ ﷺ:

وَبَعْدَ فَشَلِّ مُفَاوَضَاتِ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ، اشْتَدَّ مَكْرُ زُعَمَائِهَا، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي عَرَضُوا فِيهَا عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَاءَ أَبُو طَالِبٍ وَعُمُومَتُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ فِتْيَانًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ثُمَّ قَالَ: لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَدِيدَةً صَارِمَةً، ثُمَّ لِيَتَّبِعْنِي إِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَنْظُرْ كُلُّ فِتْيٍ مِنْكُمْ فَلْيَجْلِسْ إِلَى عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِهِمْ فِيهِمْ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ؛ يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ شَرِّ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ.

فَقَالَ الْفِتْيَانُ: نَفْعَلُ، فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَجَدَ أَبَا طَالِبٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَالَ: يَا زَيْدُ: أَحَسَسْتَ ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ مَعَهُ آفَاءً، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: لَا أَدْخُلُ بَيْتِي أَبَدًا حَتَّى أَرَاهُ، فَخَرَجَ زَيْدٌ سَرِيعًا حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَيْنَ كُنْتَ؟ أَكُنْتَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: ادْخُلْ بَيْتَكَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَالِبٍ عَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَوَقَفَ بِهِ عَلَى أُنْدِيَةِ قُرَيْشٍ، وَمَعَهُ الْفِتْيَانُ الْهَاشِمِيُّونَ وَالْمُطَّلِبِيُّونَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ تَدْرُونَ مَا هَمَمْتُ بِهِ؟ قَالُوا: لَا، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، وَقَالَ لِلْفِتْيَانِ: اكْشِفُوا عَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ، فَكَشَفُوا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَهُ حَدِيدَةٌ صَارِمَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُ مَا بَقِيتَ مِنْكُمْ أَحَدًا حَتَّى نَتَفَانِيَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ، فَاِنْكَسَرَ الْقَوْمُ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ انْكِسَارًا أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٢).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٠٦).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لأبي سعد (١/٩٧).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ أَنَسًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ تَوَاصَوْا بِالنَّبِيِّ ﷺ لِيَقْتُلُوهُ، مِنْهُمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَنَفَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا سَمِعُوا قِرَاءَتَهُ أَرْسَلُوا الْوَلِيدَ لِيَقْتُلَهُ، فَاَنْطَلَقَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ، فَجَعَلَ يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ وَلَا يَرَاهُ، فَاَنْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ، وَالْوَلِيدُ، وَنَفَرٌ مِنْهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ﷺ يُصَلِّي سَمِعُوا قِرَاءَتَهُ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى الصَّوْتِ فَإِذَا الصَّوْتُ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَيَنْتَهُونَ إِلَيْهِ فَيَسْمَعُونَ أَيْضًا مِنْ خَلْفِهِمْ، فَاَنْصَرَفُوا وَلَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٩) [يس: ٩].^(١)

وَلَمْ تَزَلْ فِكْرُهُ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ تَزْدَادُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبٍ دِينِنَا، وَشَتَمَ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِهِ أَحْلَامِنَا، وَشَتَمَ آلِهَتِنَا، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لَا أَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ، فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي، فَلْيَضْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا، فَاْمْضِ لِمَا تُرِيدُ.

فَلَمَّا أَضْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ، وَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانَ يَغْدُو، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَقَبْلَتَهُ إِلَى الشَّامِ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، وَقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ فَجَلَسُوا

فِي أُنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مِنْهُزِمًا مُنْتَفِعًا^(١) لَوْنُهُ مَرْغُوبًا، قَدْ يَبَسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ، حَتَّى قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ، وَقَامَتْ إِلَيْهِ رِجَالُ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ: قُمْتُ إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونُهُ فَحُلَّ مِنَ الْإِبِلِ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ^(٢) وَلَا مِثْلَ قَصْرَتِهِ^(٣) وَلَا أُنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ»^(٤).

❖ أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مُرْسَلٍ - لَكِنَّهُ يَنْقُوْى إِلَى دَرَجَةِ الْحَسَنِ لِشَوَاهِدِهِ - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ:

أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الزُّبَيْرُ، نَفَحَ نَفْحَةً نَفَحَهَا الشَّيْطَانُ، أَخَذَ^(٥) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ يَشُقُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟»

(١) مُنْتَفِعٌ: مُتَغَيِّرٌ. انظر: لسان العرب (٢٦٧/١٤).

(٢) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ. انظر: المرجع السابق (١٦٢/١٥).

(٣) الْقَصْرَةُ: أَصْلُ الْعُنُقِ. انظر: المرجع السابق (١٨٩/١١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣٣٥/١)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٠٦/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (١٩٠/٢).

(٥) أَخَذَ: أَي: قَتَلَ.

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أَخَذْتَ.

قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ^(١) وَدَعَا لَهُ وَلَسِيْفِهِ^(٢).



(١) المقصود بالصلاة هنا: الدعاء؛ أي: دعا له. انظر: النهاية (٤٦/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (١٩٨٦٩)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (١٢٦٠) (١٢٦٦).

إِسْلَامُ حَمْرَةَ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

وَحَالَالَ هَذَا الْجَوُّ الْمَشْحُونِ بِالظُّلَمِ وَالطُّغْيَانِ أَسْلَمَ حَمْرَةُ بِنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسَنَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بِسِتَيْنِ، وَقِيلَ: بِأَرْبَعِ سِنِينَ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ (٢).

❁ سَبَبُ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَسَبَبُ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصِّفَا فَأَذَاهُ، وَشَتَمَهُ، وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاكِتٌ لَا يُكَلِّمُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ لَعَنَهُ اللَّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، وَكَانَتْ مَوْلَاةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بِنِ جَدْعَانَ فِي مَسْكَنِ لَهَا عَلَى الصِّفَا تَسْمَعُ ذَلِكَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَقْبَلَ حَمْرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَوَشِّحًا (٣) قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ (٤) لَهُ.

فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَوْلَاةُ، قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ! لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ

(١) اخْتَلَفَ فِي سَنَةِ إِسْلَامِهِ ﷺ، فعند ابن سعد في طبقاته (٧/٣) بسندٍ ضعيفٍ: أنها في السنة السادسة من البعثة.

وقيل: في السنة الثانية من البعثة، وبه جزم الحافظ في الإصابة (١٠٥/٢)، وابن الأثير في أسد الغابة (٥٠/٢).

(٢) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٢٣/١): قيل: إنَّ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسَنُ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وهذا لا يصحُّ عندي؛ لأنَّ الحديثَ الثَّابِتَ أَنَّ حَمْرَةَ وَأَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، أَرْضَعَتْهُمَا ثَوْبَةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَرْضَعَتْهُمَا فِي زَمَانَيْنِ.

(٣) مُتَوَشِّحًا: أَي: مُتَقَلِّدًا. انظر: لسان العرب (٣٠٦/١٥).

(٤) الْقَنْصُ: الصَّيْدُ. انظر: لسان العرب (٣١٩/١١).

مُحَمَّدٌ أَنْفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، وَجَدَهُ هَا هُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَمْ يَكْلُمْهُ مُحَمَّدٌ.

فَاحْتَمَلَ حَمْرَةَ ﷺ الْغَضَبَ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ - وَكَانَ حَمْرَةَ أَعَزَّ فَتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّ شَكِيمَةً^(١) - فَانْطَلَقَ يَسْعَى مُصَبِّمًا أَنَّهُ إِذَا لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ بَطَشَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ، فَضَرَبَهُ بِهِ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتَشْتُمُ ابْنَ أَخِي وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ؟ فَرَدَّ عَلَيَّ ذَلِكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمْرَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهْلٍ: دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا.

وَعَادَ حَمْرَةَ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَدْ سَاوَرَتْهُ الْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ وَالْهَوَاجِسُ النَّفْسِيَّةُ، كَيْفَ تَرَكْتَ دِينَ قَوْمِكَ، وَاتَّبَعْتَ هَذَا الصَّابِيَّ، لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا صَنَعْتَ، ثُمَّ التَّمَسَ ﷺ التَّوْفِيقَ وَالرُّشْدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رُشْدًا فَاجْعَلْ تَصْديقَهُ فِي قَلْبِي، وَإِلَّا فَاجْعَلْ لِي مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ مَخْرَجًا، فَبَاتَ ﷺ بِلَيْلَةٍ لَمْ يَبْتَ مِثْلَهَا مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى أَصْبَحَ، فَعَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي! إِنِّي وَقَعْتُ فِي أَمْرٍ لَا أَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهُ، وَإِقَامَةُ مِثْلِي عَلَى مَا لَا أَذْرِي: أَرُشِدُ هُوَ أَمْ غَيٌّ شَدِيدٌ^(٢)!!

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ﷺ فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِهِ الَّذِي يُبَيِّرُ الْقُلُوبَ، وَيُطْمَئِنُّ النَّفْسَ، وَيُذْهِبُ طُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالْوَسَاوِسَ، فَذَكَرَهُ وَبَشَّرَهُ، وَأَنْذَرَهُ، فَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) يُقَالُ: فَلَانٌ شَدِيدُ الشَّكِيمَةِ: إِذَا كَانَ عَزِيزَ النَّفْسِ أَيْبًا قَوِيًّا. انظر: النهاية (٢/٤٤٤).

(٢) قال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه السيرة النبوية (١/٣٠٠): هذا يدلُّ على حصافةٍ في العقل، وأصالةٍ في التفكير، واعتدادٍ بالنفس، وأنَّ القوم كانوا أصحابَ عُقُولٍ وَمَوَاهِبَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلًا لِكُلِّ تَوْجِيهِ نَبَوِيٍّ كَرِيمٍ حَتَّى صَارُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

الإيمان في قلبه، فقال ﷺ: أشهد إنك لصديق، فأظهر دينك يا ابن أخي، فوالله ما أحب أن لي ما أظلتُهُ السماء، وأنا على ديني الأول.

وسر الرسول ﷺ بإسلام عمه حمزة ﷺ أيما سرور، وعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنع^(١).

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: وكما يقول البعض: طلبنا العلم للدنيا فأبى الله إلا أن يكون للدين^(٢)! كان إسلام حمزة ﷺ أول الأمر أنفة رجل أبي أن يهان ابن أخيه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالعروة الوثقى، واعتزّ به المسلمون أيما اعتزاز^(٣).



(١) أخرج قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب رحمه الله: الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة رحمه الله، باب ذکر إسلام حمزة رحمه الله، رقم الحديث (٤٩٣٠)، وابن إسحاق في السيرة (٣٢٨/١)، وإسناده صحيح.

(٢) قائل هذه العبارة: هو الإمام البحر أبو حامد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ. قال عنه الذهبي في السير (٣٢٢/١٩): الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرد.

(٣) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله (ص ١١٦).



إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (١) ﷺ

ثُمَّ أَيْدَى اللَّهُ ﷻ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِإِسْلَامِ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيِّ ﷺ، وَكَانَ رَجُلًا مَعْرُوفًا بِحِدَّةِ الطَّبَعِ وَقُوَّةِ الشَّكِيمَةِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَالَمَا لَقُوا مِنْهُ أَلْوَانَ الْأَذَى حَتَّى يَيْسُوا مِنْ إِسْلَامِهِ.

❁ دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (٢).

(١) هو: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَبُو حَفْصٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ شَدِيدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَسْلَمَ، فَكَانَ إِسْلَامُهُ فَتْحًا لَهُمْ، وَفَرَجًا لَهُمْ مِنَ الضَّيْقِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَا عَبْدَنَا اللَّهُ جَهْرًا حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ.

وَيَكْفِي فِي فَضْلِهِ ﷺ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّهُ ﷺ رَأَى النَّاسَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّنَدِيَّ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ، وَرَأَى عُمَرَ فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ، فَأَوَّلَهُ الدِّينَ، وَرَأَى أَنَّهُ أَتَى لَهُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرَ، وَأَوَّلَهُ الْعِلْمَ.

كَانَتْ خِلَافَتُهُ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، ضَرَبَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ الْمَجُوسِي قَبْحَهُ اللَّهُ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَمَكَتْ ثَلَاثًا وَتُوفِيَ، وَفِيَّ رَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، تُوفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ أَوْ تِسْعٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً. انظر: تهذيب التهذيب (٢٢٢/٣).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ ﷺ بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ بِأَنَّ عَزَّ الْمُسْلِمِينَ بِإِسْلَامِ عُمَرَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٨٨١)، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي =

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مُرْسَلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ أَبَا جَهْلٍ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ دِينَكَ بِأَحَبِّهِمَا إِلَيْكَ»^(١).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً»^(٢).

✽ بَدَايَةُ اللَّيْنِ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَيْئَسَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِسْلَامِهِ، لَكِنْ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْهِدَايَةَ صَدَرَتْ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضُ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي تُعْطِي الْأَمَلَ بِإِسْلَامِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ لَيْلَى بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: إِنَّا لَنَرْتَحِلُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَاتِنَا، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ، وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، قَالَتْ: وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَذَى لَنَا، وَشِدَّةً عَلَيْنَا.

= المسند، رقم الحديث (٥٦٩٦)، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣١٢)، والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٤٠١٣).

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١٤٢/٣)، وأورده الحافظ في الفتح (٤٠٤/٧)، وصحح إسناده إلى سعيد بن المسيب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رقم الحديث (٤٥٤١)، وأورده الحافظ في الفتح (٤٠٤/٧) وصحح إسناده، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (١٠٥)، وإسناده ضعيف.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ الْإِنْطِلَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ؟

قَالَتْ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ، آذِيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَنَا مَخْرَجًا، فَقَالَ: صَحِبْكُمْ اللَّهُ.

قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ: وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدْ أَحْزَنَتْهُ فِيمَا رَأَى خُرُوجَنَا، قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ - زَوْجُهَا -، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آتِفًا، وَرِقَّتَهُ، وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا، قَالَ: أَطْمَعْتَ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: لَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتَ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ.

قَالَتْ: قَالَ عَامِرٌ ذَلِكَ يَأْسًا لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسَوْتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ^(١).

❀ إِسْلَامُ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ وَزَوْجِهَا:

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ رضي الله عنها قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ هِيَ وَزَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّهَا، وَكَانَا يُخْفِيَانِ إِسْلَامَهُمَا، وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رضي الله عنه مِنْ قُدَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ وَزَوْجِهَا يُقْرِئُهُمَا الْقُرْآنَ^(٢).

❀ قِصَّةُ إِسْلَامِ عُمَرَ رضي الله عنه:

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى بَيْتِهِ أَخَذَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ لَيْلَى بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٧١)، والحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أم عبد الله لیلی بنت أبي حثمة رضي الله عنها، رقم الحديث (٦٩٧٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٨٠)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/١٢٠)، البداية والنهاية (٣/٨٦).

وزَوْجَهَا عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَيْفَ تَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ، وَهَاجَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَقَالَ: كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا؟ مَنْ وَرَاءَ كُلِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ؟ وَرَاءَ كُلِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ مُحَمَّدٌ فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَخَرَجَ ﷺ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ قَتْلَ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَجْتَمِعُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَيْتِ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَحَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ أَتَوْا الْمَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَى الْحَبَشَةِ.

فَلَقِيَهُ نَعِيمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ الْعَدَوِيُّ ﷺ، وَكَانَ يُخْفِي إِسْلَامَهُ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَتَهَا، فَأَقْتُلْهُ!

فَقَالَ لَهُ نَعِيمٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ! أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَبَنِي زُهْرَةَ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟

أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ: أُخْتُكَ فَاطِمَةُ، وَزَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، وَتَرَكََا دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، فَارْجِعْ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، فَأَقِمِ أَمْرَهُمْ.

فَرَجَعَ عُمَرُ ﷺ عَامِدًا إِلَى أُخْتِهِ وَزَوْجِهَا، وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ ﷺ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا (سُورَةُ طه) يُقْرَأُهَا إِيَّاهَا - وَكَانَ خَبَّابٌ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا وَيُقْرَأُهَا الْقُرْآنَ - وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ إِذَا أَسْلَمَا عِنْدَ الرَّجُلِ الَّذِي فِي يَدِهِ السَّعَةُ يَكُونَانِ مَعَهُ يُصِيبَانِ مِنْ طَعَامِهِ، وَقَدْ ضَمَّ إِلَى زَوْجِ أُخْتِ عُمَرَ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ أَسْلَمَ أَحَدُهُمَا: خَبَّابٌ،

فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَابٌ ﷺ فِي مَخْدَعٍ^(١) لَهُمْ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا فِخْذَهَا - أَيُّ: تَحْتَ فِخْذِهَا -، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ^(٢) الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ؟ فَقَالَا: مَا عَدَا حَدِيثًا تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا، قَالَ: فَلَعَلَّكُمْ قَدْ صَبَوْتُمَا؟ فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ زَوْجُ فَاطِمَةَ: يَا عُمَرُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟ فَضْرَبَ عُمَرُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، فَسَقَطَ، فَقَامَتْ فَاطِمَةُ لَتَمْنَعُ زَوْجَهَا سَعِيدًا مِنْ عُمَرَ، فَضْرَبَهَا عُمَرُ فَشَجَّهَا حَتَّى سَالَ مِنْهَا الدَّمُ، فَلَمَّا فَعَلَ عُمَرُ بِهِمْ ذَلِكَ قَالَا لَهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا، وَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ!!

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأَخِيهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، وَارْعَوَى^(٣)، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ، فَقَالَ لِأَخِيهِ: أُعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَأُونَهَا أَنْفَاءً، أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ - وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ - فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهِ فَاطِمَةُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِأَلِهَتِهِ لَيُرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا إِذَا قَرَأَهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طِمَعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَقُمُ فَاغْتَسِلْ، فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿طه﴾ مَّا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْأُولَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴿طه: ١ - ٥﴾.

حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿١٤﴾ ﴿طه: ١٤﴾.

(١) الْمَخْدَعُ: هُوَ الْبَيْتُ الصَّغِيرُ الَّذِي يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ. انظر: النهاية (١٥/٢).

(٢) الْهَيْئَةُ: الْكَلَامُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا يُفْهَمُ. انظر: لسان العرب (١٤٨/١٥).

(٣) ارْعَوَى: كَفَّ وَارْتَدَعَ. انظر: لسان العرب (٢٥٣/٥).

فَرَّقَ قَلْبُهُ، وَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ، مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ، دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَبَشِّرْ يَا عُمَرُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعُمَرِ بْنِ هِشَامٍ»، فَاللَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأَسْلِمَ، فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي دَارِ أَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ بِأَسْفَلِ الصَّفَا، مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ، فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَضَرَبَ الْبَابَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ^(١) الْبَابِ فَرَأَاهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فَرِعٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، وَوَجَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ ﷺ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: افْتَحُوا لَهُ الْبَابَ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَدَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِئْذَنْ لَهُ»، فَفَتَحُوا لَهُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى لَقِيَهُ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ جَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، فَمَا تَمَالَكَ عُمَرُ أَنْ وَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُ لِأُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَكْبِيرَةً، عَرَفَ مِنْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ

(١) خَلَّلَ الْبَابِ: شَقَّ الْبَابِ أَوْ الْفُرْجَةَ. انظر: النهاية (٦٩/٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، وَكَبَّرَ الصَّحَابَةُ ﷺ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ مَكَّةَ (١).

❁ رَوَايَةٌ ثَانِيَّةٌ فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ ﷺ:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ جِدًّا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ عُمَرَ ﷺ: لَأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْفَارُوقَ؟

قَالَ: أَسْلَمَ حَمْزَةُ قَبْلِي بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلْإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، فَمَا فِي الْأَرْضِ نَسْمَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ أُخْتِي: هُوَ فِي دَارِ الْأَزْقَمِ بْنِ الْأَزْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا، فَاتَيْتُ الدَّارَ وَحَمْزَةُ فِي أَصْحَابِهِ جُلُوسٌ فِي الدَّارِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ فَاسْتَجَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: عُمَرُ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ثُمَّ نَزَرَهُ فَمَا تَمَالَكَ أَنْ وَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنْتَ بِمُتِّهِ يَا عُمَرُ؟».

قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا، وَإِنْ حَيِينَا؟

(١) أخرج قصة إسلام عمر ﷺ: الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٧٦)، والحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب استقامة فاطمة على الإسلام، رقم الحديث (٦٩٨١)، وابن سعد في طبقاته (١٤٢/٣)، وسندها ضعيف، وأخرجها ابن إسحاق في السيرة (٣٨١/١) بدون سند.

قال الإمام البخاري فيما نقله عنه الحافظ في لسان الميزان (٥٠٢/٥) في ترجمة: قاسم بن عثمان البصري - أحد رواة قصة إسلام عمر ﷺ -: له أحاديث لا يتابع عليها.

وقال الحافظ في لسان الميزان (٥٠٣/٥) في ترجمة: قاسم بن عثمان البصري: حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة إسلام عمر ﷺ، وهي منكورة جدًا.

قَالَ ﷺ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِّتُمْ».

قَالَ: فَفِيمَا الْإِخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةً فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الْآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ^(١) الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةٍ، فَأَصَابَتْهُمْ كَابَةٌ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِثْلُهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(٢).

❖ قِصَّةٌ أُخْرَى فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ لِانْقِطَاعِهِ عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١].

قُلْتُ: كَاهِنٌ، قَالَ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْآلَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٢ - ٤٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ ﷺ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ^(٣).

(١) الكديد: التراب الناعم، فإذا وُطئ ثار غباره، أراد أنهم كانوا في جماعة، وأن الغبار كان يثور من مشيهم. انظر: النهاية (١٣٥/٤).

(٢) أخرج ذلك أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٥/١)، وأوردها الألباني ﷺ في السلسلة الضعيفة، رقم الحديث (٦٥٣١)، وقال: إسناده ضعيف جداً... ومن طريقه أخرجه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٧٦)، وذكر في إسلام عمر ﷺ عدة روايات لا يصح شيء من أسانيدها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٠٧).

❀ مَتَى كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟

وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»^(١) أَنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْبُعْثَةِ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ أُسْلِمَ أَبُوهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عُمُرُهُ سِتَّ سِنِينَ كَمَا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»^(٢)، وَقَدْ اسْتَضْغَرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَكَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ سَنَةً ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ إِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بَنَحْوِ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ لِلْبُعْثَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ يَوْمَ أُسْلِمَ، بَعْدَ أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ نَفْسًا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَحْرَارًا، قَدْ أُسْلِمُوا قَبْلَهُ^(٤).

❀ انْتِشَارُ خَبَرِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

رَوَى ابْنُ جَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُسْلِمَ أَبِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ؟ قَالَ: قِيلَ لَهُ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ^(٥)، قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: وَعَدَوْتُ أَتَّبِعَ أَثَرَهُ، أَنْظُرْ مَا يَفْعَلُ، وَأَنَا غُلَامٌ، أَغْقِلُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمَا

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٤٣/٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٤٣/٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨٩/٣)، وفتح الباري (٥٧١/٧).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٤٣/٣).

(٥) هو: جميل بن معمر بن حبيب الجُمَحِيُّ، وكان لا يكتم ما استودعه من سرٍّ، وخبره في ذلك مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهورٌ لَمَّا أُسْلِمَ عمر، أُسْلِمَ جميلٌ عام الفتح، وكان مُسِنًّا وشهد مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُتَيْبًا، ومات في خلافة عمر، وحزن عليه عمر حُزْنًا شديداً.

عَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَدَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَاجَعَهُ حَتَّى قَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَأَتْبَعُهُ عُمَرُ، وَاتَّبَعْتُ أَبِي، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! - وَهُمْ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ -، أَلَا إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَثَارُوا إِلَيْهِ، فَمَا بَرَحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَنَالَ مِنْهُ الْإِغْيَاءُ^(١) فَقَعَدَ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ^(٢) حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: فَمَهْ؟ رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟

أَتُرِيدُونَ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا؟ خَلُّوا عَنِ الرَّجُلِ، قَالَ: فَتَرَكُوهُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَقُلْتُ لِأَبِي بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ! مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أَسْلَمْتُ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ؟ فَقَالَ: ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ^(٣).

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ: يَا أَبَتِ! مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ يَوْمَ أَسْلَمْتُ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا؟

(١) أَي: عَجَزَ وَتَعَبَ. انظر: النهاية (٣/٣٠١).

(٢) الْحُلَّةُ: واحدةُ الْحُلَلِ، وَهِيَ بُرودُ الْيَمَنِ، وَلَا تُسَمَّى حُلَّةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ ثَوْبَيْنِ مِنْ جَنَسٍ وَاحِدٍ. انظر: النهاية (١/٤١٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب مناقب الصحابة، باب وصف إسلام عمر رضي الله عنه، رقم الحديث (٦٨٧٩)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٧٢)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٨٩)، وقال: إسناده جيد قوي.

قَالَ: يَا بُنَيَّ، ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، لَا جَزَاءُ لِلَّهِ خَيْرًا^(١).

✽ زَحَفَ الْمُشْرِكِينَ لِقَتْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثُمَّ زَحَفَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ - أَيْ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - خَائِفًا إِذْ جَاءَهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ: مَا بِأَلْكَ؟ قَالَ: زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي أَنْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ، فَخَرَجَ الْعَاصُ، فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَأَ، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ^(٢)، قَالَ: فَكَّرَ^(٣) النَّاسُ^(٤).

✽ عِزَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِإِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَبِإِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَزَّ الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَصَارُوا يَغْشُونَ الْكَعْبَةَ وَيَطُوفُونَ حَوْلَهَا، وَيُصَلُّونَ لَا يَخَافُونَ قُرَيْشًا.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَلْدِ وَالْقُوَّةِ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى^(٦).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٨٧).

(٢) في رواية أخرى في الصحيح، قال العاص بن وائل: فأنا له جار.

(٣) كَرَّرَ: رَجَعَ. انظر: لسان العرب (١٢/٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٣٨٦٤) (٣٨٦٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٣٦٨٤).

(٦) انظر: فتح الباري (٧/٤٠٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»
بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتْحًا، وَهَجْرَتُهُ نَضْرًا،
وَأَمَارَتُهُ رَحْمَةً، وَاللَّهُ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ حَوْلَ الْبَيْتِ ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ
عُمَرُ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ»: ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ رضي الله عنه، فَكَانَ إِسْلَامُهُ فَتْحًا
عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَجًا لَهُمْ مِنَ الضِّيقِ^(٢).

❀ آيَةٌ نَزَلَتْ:

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه،
وَأَبِي جَهْلٍ لَعْنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْمِنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ
وَكَافِرٍ^(٣).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ هَذِهِ
الْآيَةُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَدْرُونَ
يَقْبَلُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَقْبَلُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنفال: ٦٥].

(١) قُلْتُ: يُرِيدُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه الضَّعْفَاءَ مِنْهُمْ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمْثَالُهُمْ رضي الله عنهم مِمَّنْ لَهُ مَنَعَةٌ يُصَلُّونَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.
وَالْخَبَرُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٣٠٧)، وَالْحَاكِمُ فِي
الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابَ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، بَابُ النُّهْيِ عَنِ لِبْسِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ
(٤٥٤٣).

قَالَا: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَمُلَ بِهِ الْأَرْبَعُونَ.

وَرَدَّ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ ذَلِكَ، وَقَالَ: وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَإِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨٧/٤).

إِغْرَاءَاتُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاضٍ فِي دَعْوَتِهِ، وَأَصْحَابُهُ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَأَنَّ كُلَّ مُحَاوَلَاتِهَا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَصَرْفِ النَّاسِ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَاعِيِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ فَشِلَتْ، رَأَتْ أَنْ تُجَرَّبَ أَسْلُوبًا آخَرَ مِنَ الْمَفَاوِضَاتِ وَالْإِغْرَاءِ، تَعْرِضُ فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَالُ، أَوْ الْجَاهُ، أَوْ الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ رُبَّمَا يُغْرِيهِ بَرِيقُ هَذِهِ الْعُرُوضِ.

❁ حِوَارُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ^(١) - وَكَانَ سَيِّدًا مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ - قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا، فَتُعْطِيَهُ أَيُّهَا شَاءَ، وَيَكْفَ عَنَّا؟ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَةِ^(٢) فِي

(١) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، كان موصوفًا بالرأي، والجل، والفضل، خطيبًا، نافذ القول، نشأ يتيمًا في حجر حرب بن أمية، أدرك الإسلام، وطمع، فشهد بدرًا مع المشركين، وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذته يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بنوب له، وقتل في غزوة بدر الكبرى كافرًا لعنه الله تعالى. انظر: كتاب الأعلام، للزركلي (٤/٢٠٠).

(٢) وسط فلان في حسبه سطة: أي: كان من خيار قومه نسبًا وأرفعهم مجداً. انظر: لسان العرب (٢٩٦/١٥).

العَشِيرَةَ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، فَرَفَّتْ بِهِ جَمَاعَتُهُمْ، وَسَفَّهَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَتْ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ، وَكَفَّرَتْ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا، قَالَ: قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ»، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثْيًا تَرَاهُ، لَا تَسْتَطِيعُ رَدُّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قَوْلِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاسْتَمِعْ مِنِّي»، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ كُنْتُ فُصِّلْتُ عَائِنَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ١ - ٥].

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرُؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ، فَأَنْتَ وَذَاكَ!﴾^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيِّ فِي «الدَّلَائِلِ»: أَنَّ عُتْبَةَ اسْتَمَعَ حَتَّى وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْحَةً مِثْلَ صَبْحَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، فَقَامَ عُتْبَةُ مَذْعُورًا، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِ الرَّسُولِ ﷺ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٣٠)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/٤٧).

يُنَاشِدُهُ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ، وَذَلِكَ مَخَافَةٌ أَنْ يَقَعَ النَّذِيرُ^(١).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ النَّدَوِيُّ رحمته الله: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ ذَلِكَ فِي هُدُوءٍ وَتَأَنٍّ، ثُمَّ رَفَضَهُ فِي غَيْرِ شَكٍّ وَتَأْخِيرٍ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْعَرَضُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى شَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ فَحَسَبُ؛ بَلْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا وَيَقُودُهَا، وَلَمْ يَكُنْ رَفَضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا عَرَضَتْ قُرَيْشٌ، رَفَضًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ فَقَطْ؛ بَلْ كَانَ رَفَضًا عَنْ أُمَّتِهِ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ... فَاقْتَنَعَتْ قُرَيْشٌ بِهِذِهِ الْمُحَاوَرَةِ، وَبَيَّسَتْ مِنْ مُسَاوَمَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَمْ تَعُدْ تَعْرِضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُبَاشَرَةً، وَعَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِوَاسِطَةٍ مَا عَرَضَتْهُ مِنْ قَبْلُ، وَقَطَعَتْ مِنْهَا أَمَلَهَا^(٢).

❀ مَا أَشَارَ بِهِ عُتْبَةُ عَلَى قُرَيْشٍ:

فَلَمَّا سَمِعَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ، وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ، قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ لَهُمْ: وَرَائِي أَنِّي سَمِعْتُ قَوْلًا، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطْ، وَمَا دَرَيْتُ مَا أَرَدُ عَلَيْهِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسَّحْرِ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَفِي رِوَايَةٍ: أَطِيعُونِي فِي هَذَا الْيَوْمِ وَاعْصُونِي فِيمَا بَعْدَهُ، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِيبُهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَطْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ^(٣).

(١) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٢) انظر: كتاب إلى الإسلام من جديد، لأبي الحسن النَّدَوِيِّ رحمته الله (ص ١٣).

(٣) أخرج قصَّة إرسال قريش عُتْبَةَ بن ربيعة إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ليحاوِّره: ابن إسحاق في السيرة =

❁ تَصَوِيرٌ لِمَوْقِفِ قُرَيْشٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الطَّنْطَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يُصَوِّرُ مَوْقِفَ قُرَيْشٍ مِنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ: افْتَحُوا لِي الطَّرِيقَ لِأُخْرِجَ إِلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ، فَأَنْصُرَ الضَّعِيفَ، وَأُنْجِدَ الْمَظْلُومَ، وَأُعِيدَ لِلْبَشَرِيَّةِ كَرَامَتَهَا، وَلِلْعَقْلِ سُلْطَانَهُ، قَالُوا: لَا.

قَالَ: افْسَحُوا لِرِسَالَتِي لِتَنْطَلِقَ فِي الرَّمَانِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لِبَلَدٍ وَاحِدٍ، وَلَا لِيَوْمٍ وَاحِدٍ، قَالُوا: لَا! وَلَكِنْ تَعَالَ نُملِّكَكَ إِنْ شِئْتَ عَلَيْنَا، وَنَمْنَحَكَ أَمْوَالَنَا وَنَجْعَلَكَ سَيِّدَ هَذَا الْبَلَدِ كُلِّهِ.

وَسَخَّرَ التَّارِيخُ مِنْ قُرَيْشٍ... يَدْعُوهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ لِيُعْطِيَهُمْ سِيَادَةَ الْأَرْضِ، وَرِعَايَةَ الدُّنْيَا، وَيَضَعُ فِي أَيْدِيهِمْ مَفَاتِيحَ الْكُنُوزِ: كُنُوزَ الْمَالِ، وَكُنُوزَ الْعِلْمِ، وَيَمْنَحَهُمْ مَا يَمْلِكُ كِسْرَى وَقَيْصَرُ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ لِيُعْطُوهُ إِمَارَةَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، النَّائِمَةِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَرَاءَ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ^(١).



= (١/٣٣٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٠٤ - ٢٠٥)، وحسن إسنادها الألباني في تحقيقه لفقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي.

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٣).

تَعَنْتُ قُرَيْشٍ وَطَلَبْتُهُمُ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ

وهكذا لم تُفْلِح طُرُقُ الإِغْرَاءِ، وَلَا الإِرْهَابِ فِي كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ فَهُنَا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ الْخَوَارِقَ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْمَادِيَّةَ وَالْحِسِّيَّةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حَدِيثَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِغْرَاءَاتِهِمْ لَهُ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا شَيْئًا مِمَّا عَرْضْنَاهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقُ بَلَدًا، وَلَا أَقْلَ مَاءً، وَلَا أَشَدَّ عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ، فَلْيُسيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا، وَلْيَبْسُطْ لَنَا بِلَادَنَا، وَلْيُفَجِّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يَبْعَثْ لَنَا مِنْهُمْ: قُصَيِّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخَ صَدِيقٍ، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ: أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، فَإِنْ صَدَّقَكَ وَصَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ صَدَقْنَاكَ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنَزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولًا كَمَا تَقُولُ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «مَا بِهِذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»، قَالُوا: فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَسَلَهُ فَلْيَجْعَلْ لَكَ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنَزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا

أَنَا بِفَاعِلٍ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا^(١)، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ، حَتَّى يَحْكَمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

قَالُوا: فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا^(٢)، كَمَا زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ».

قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ، وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ، فَيَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ فَيُعَلِّمَكَ مَا تَرَاغِبُنَا بِهِ، وَيُخْبِرَكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا، إِذَا لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ؟ إِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ، يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ!

وَأَنَا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكَكَ، وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتَّى نُهْلِكَ أَوْ تُهْلِكَنَا، وَقَالَ قَائِلُهُمْ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَقَالَ آخَرُ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَالًا^(٣).

❖ مَقَالَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ^(٤):

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَامَ عَنْهُمْ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي

(١) قال الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه السيرة النبوية (٣١٦/١): لأنه لا يسأل هذا إلا من جهل رسالته، وجهل سنن ربه، ورسول الله ﷺ بريء منهما.

(٢) قال ابن هشام في السيرة (٣٤٧/١): الكِسْفُ: الْقَطْعُ مِنَ الْعَذَابِ، وواحدته: كِسْفَةٌ.

(٣) قال ابن هشام في السيرة (٣٤٧/١): الْقَبِيلُ: يَكُونُ مُقَابِلَةً وَمُعَايَنَةً، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ آيَةَ (٥٥): ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾؛ أي: عيانًا، والخبر في سيرة ابن هشام (٣٣٣ - ٣٣٤).

(٤) أسلم ﷺ في فتح مكة وحسن إسلامه.

أُمِّيَّة بنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِي - وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضْلَكَ عَلَيْهِمْ، وَمَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ، فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَمْ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَا أُؤْمِنُ بِكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلْمًا، ثُمَّ تَرْقَى فِيهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَتَأْتِي مَعَكَ بِنُسْخَةٍ مَنْشُورَةٍ، ثُمَّ تَأْتِي مَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنِّي أَصْدَقُكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا مِمَّا فَاتَهُ، مِمَّا كَانَ يَطْمَعُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَا، وَلَمَّا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ^(١).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَلَّمَهُمْ، فَأَبْلَغَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ، وَأَبِي بْنُ خَلْفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ: لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ مَلَكٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ النَّاسَ وَيُرَى مَعَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ ٨ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ٩ ﴿[الأنعام: ٨، ٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِيمَا سَأَلَهُ قَوْمُهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ، وَتَقْطِيعِ الْأَرْضِ، وَبَعْثِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لَلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]^(٢).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٥).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِمْ: خُذْ لِنَفْسِكَ، مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا، وَيَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكًا يُصَدِّقُهُ بِمَا يَقُولُ وَيَرُدُّ عَنْهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ ﴿٧﴾ أَوْ يُبَلِّغَهُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۖ ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلَ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان: ٧ - ١٠] ^(١).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ۖ ﴿٢﴾ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۖ ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٠] ^(٣)؛ أَيْ: جَعَلْتُ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ بَلَاءً لِتَصْبِرُوا، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ الدُّنْيَا مَعَ رُسُلِي فَلَا يُخَالَفُوا لَفَعَلْتُ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ ﴿٤﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ ﴿٥﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (١/٣٤٦).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/١٠٠): يقول الله تعالى مُخْبِرًا عَنْ جَمِيعٍ مِنْ بَعَثِهِ مِنَ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَحْتَاجُونَ إِلَى التَّغَذِّي بِهِ ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾؛ أَيْ: لِلتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَنَافٍ لِحَالِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السَّمَاتِ الْحَسَنَةِ، وَالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْفَاضِلَةِ، وَالْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ، وَالْخَوَارِقِ الْبَاهِرَةِ، وَالْأَدَلَّةَ الْقَاهِرَةَ، مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ كُلُّ ذِي لُبٍّ سَلِيمٍ، وَبَصِيرَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ، عَلَى صِدْقِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام (١/٣٤٦).

وَالْمَلَكَةِ فَبَيَّلَا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌّ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾
[الإسراء: ٩٠، ٩٣] ^(١).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ، يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِهِ أَبَدًا: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ
فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوَّا عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد: ٢٠] ^(٢).

✽ الْحِكْمَةُ فِي أَنَّهُمْ لَمْ يُجَابُوا لِمَا طَلَبُوا:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ
عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ
يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزُرُّوْا، فَقِيلَ لَهُ - أَيُّ:
النَّبِيِّ ﷺ -: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ
كَفَرُوا أَهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَقَالَ ﷺ: «لَا؛ بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ»،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلِهَذَا افْتَضَّتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالرَّحْمَةُ
الرَّبَّانِيَّةُ، أَلَّا يُجَابُوا إِلَىٰ مَا سَأَلُوا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ
فَيُعَاجِلُهُم بِالْعَذَابِ ^(٤).

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (٣٤٦/١). (٢) المرجع السابق (٣٤٨/١).

(٣) والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٣٣)، وأخرجه الحاكم في
المستدرک، کتاب التفسیر، باب سأل أهل مكة أن تنحى عنهم الجبال، رقم الحديث (٣٤٣١).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٥٧/٣).

وَقَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاللَّهِ ﷻ لَمْ يُجِبْهُمْ عَلَى مَا سَأَلُوا - وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ - لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا مُسْتَرَشِدِينَ وَجَادِّينَ، وَإِنَّمَا سَأَلُوا مُتَعَنِّتِينَ وَمُسْتَهْزِئِينَ، وَقَدْ عَلِمَ ﷻ أَنَّهُمْ لَوْ عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا طَلَبُوا لَمَّا آمَنُوا، وَلَظَلُّوا فِي غَيْبِهِمْ، وَضَلَالِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنِ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْسَدَهُمْ وَابְصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُوكَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَقُّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: ٧].

وَلِهَذَا افْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالرَّحْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ أَلَّا يُجَابُوا عَلَى مَا سَأَلُوا؛ لِأَنَّ سُنَّتَهُ ﷻ أَنَّهُ إِذَا طَلَبَ قَوْمٌ آيَاتٍ فَأَجِيبُوا، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا عَذَّبَهُمْ عَذَابَ الْإِسْتِصْصَالِ، كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِلَيْنَا تُمُودُ الْتَاقَةُ مُبْصِرَةٍ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

فَلَوْ أُعْطِيَتْ قُرَيْشٌ مَا سَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ الْحَسِّيَّةِ الَّتِي افْتَرَحُوهَا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا لِأَهْلِكُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ - رَفَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ الْإِسْتِصْصَالِ بِفَضْلِ نَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً، وَلَمْ يَبْعَثْهُ نِقْمَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ^(١).

وَلِهَذَا قِيلَ:

(١) انظر كلام الدكتور محمد أبو شهبة في: كتابه السيرة النبوية (١/ ٣١٩ - ٣٢٠).

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ
رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! اذْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ
رَحْمَةً»^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُضْبِحَ لَنَا
الصَّفَا ذَهَبًا، فَإِنْ أَصْبَحَتْ ذَهَبًا اتَّبَعْنَاكَ، وَعَرَفْنَا أَنَّ مَا قُلْتَ كَمَا قُلْتَ، فَسَأَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ ﷻ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: إِنَّ شِئْتَ أَصْبَحْتَ لَهُمْ هَذِهِ
الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ
الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ، فَتَحْنَا لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا
رَبِّ، لَا؛ بَلِ افْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ»^(٢).

❖ الْقُرْآنُ مُعْجَزَةٌ الْمُعْجَزَاتِ:

وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُتَعَنِّتِينَ وَسَاخِرِينَ، وَمُعَوِّقِينَ لَا جَادِينَ
مِنْ أَنَّ عِنْدَهُمُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ آيَةُ الْآيَاتِ، وَبَيِّنَةُ الْبَيِّنَاتِ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَأَوُّجُهُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا:

١ - حُسْنُ تَأْلِيلِهِ وَالتَّيَامُّ كَلِمِهِ مَعَ الْإِيْجَازِ وَالْبَلَاغَةِ.

٢ - وَمِنْهَا: صُورَةُ سِيَاقِهِ وَأُسْلُوبِهِ الْمُخَالَفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ
مِنَ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا حَتَّى حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْإِثْنَانِ بِشَيْءٍ
مِثْلِهِ مَعَ تَوْفُرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ، وَتَقْرِيعِهِ لَهُمْ عَلَى الْعَجْزِ عَنْهُ.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب
وغيرها، رقم الحديث (٢٥٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٢٢٣).

٣ - وَمِنْهَا: مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَمَّا مَضَى مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ مِمَّا كَانَ لَا يُعْلَمُ مِنْهُ بَعْضُهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

٤ - وَمِنْهَا: الْإِخْبَارُ بِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْكَوَائِنِ الَّتِي وَقَعَ بَعْضُهَا فِي الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ، وَبَعْضُهَا بَعْدَهُ.

٥ - وَمِنْهَا: الرُّوْعَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِسَامِعِهِ.

٦ - وَمِنْهَا: أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهِ، وَسَامِعُهُ لَا يَمُجُّهُ، وَلَا يَزْدَادُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ إِلَّا طَرَاوَةً وَلَذَاذَةً.

٧ - وَمِنْهَا: أَنَّهُ آيَةٌ بَاقِيَةٌ لَا تُعْدَمُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا.

٨ - وَمِنْهَا: جَمْعُهُ لِعُلُومٍ، وَمَعَارِفَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهَا وَلَا تَنْتَهِي فَوَائِدُهَا^(١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥٢].



الهجرة الثانية إلى الحبشة

هنا عادت قُرَيْشٌ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالِإِضْطِهَادِ كَأَشَدِّ مَا كَانَتْ، وَأَعْرَثَ سَائِرَ الْقَبَائِلِ بِمُضَاعَفَةِ الْأَذَى لِلْمُسْلِمِينَ، فَسَطَتْ^(١) بِهِمْ عَشَائِرُهُمْ وَلَقُوا مِنْهُمْ أذى شَدِيدًا، حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ أَذِنَ لَهُمْ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

وكَانَتِ الْهَجْرَةُ الثَّانِيَةَ أَشَقَّ مِنْ سَابِقَتِهَا، وَلَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْنِيفًا شَدِيدًا، وَنَالُوهُمْ بِالْأَذَى.

❀ الشَّكُّ فِي هَجْرَةِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ :

وَكَانَ عِدَّةٌ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْهَجْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ: ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا - إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ - فَإِنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ، وَاثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَشَكَّ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ : هَلْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ أَمْ لَا؟

وَالْأَصَحُّ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ كَالْوَاقِدِيِّ وَابْنِ عُقْبَةَ، وَغَيْرِهِمَا: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ^(٣).

(١) السطو: القهر بالبطش. انظر: لسان العرب (٦/٢٦٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٦٨). (٣) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/٩٩).

وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً: إِحْدَى عَشْرَةَ قَرَشِيَّاتٍ، وَسَبْعُ غَيْرُ قَرَشِيَّاتٍ، وَذَلِكَ عَدَا أَبْنَائِهِمُ الَّذِينَ وُلِدُوا لَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ^(١).

وَكَانَ أَمِيرُهُمْ فِي هَذِهِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام^(٢).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ النَّدَوِيُّ رحمته الله: وَاسْتِعْرَاضُ قَائِمَةِ الْمُهَاجِرِينَ يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ الدَّائِرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَنَوُّعِهَا، وَشُمُولِهَا لِلطَّبَقَاتِ وَالْمُسْتَوِيَّاتِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ، فَفِيهَا الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَالْكَهْلُ وَالشَّابُّ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَيَنْتَمِي أَغْلَبُهُمْ إِلَى أُسْرَةٍ مَكِّيَّةٍ عَرِيقَةٍ، فَدَلَّ عَلَى شِدَّةِ تَأْثِيرِ الدَّعْوَةِ وَقُوَّتِهَا وَشُمُولِهَا^(٣).

❁ وَهُمْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ:

قُلْتُ: وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٤)، وَابْنِ إِسْحَاقَ^(٥)، وَالطَّيَالِسِيِّ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٦)، أَنَّ فِي هَذِهِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ لِلْحَبَشَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ عليه السلام، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عليه السلام، وَجَمَاعَةً مِمَّنْ شَهِدُوا بَدْرًا، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله: قَدْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عليه السلام، وَجَمَاعَةً مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا وَهَمًّا، وَإِمَّا أَنْ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٦٨). (٢) انظر: طبقات ابن سعد (٤/٣٣٦).

(٣) انظر: كتاب السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص ١٣٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٤٠٠)، وإسناده ضعيف، فيه حُدُج بن معاوية، وهو ضعيف، ومع ذلك حسن إسناده الحافظ في الفتح (٧/٥٨٥)، وجوده إسناده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٧٦).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٦٠) بدون سند.

(٦) أخرجه الطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٣٤٤)، وإسناده ضعيف، لضعف حُدُج بن معاوية.

يَكُونُ لَهُمْ قَدَمَةٌ أُخْرَى قَبْلَ بَذْرِ، فَيَكُونُ لَهُمْ ثَلَاثُ قَدَمَاتٍ: قَدَمَةٌ قَبْلَ
الهِجْرَةِ، وَقَدَمَةٌ قَبْلَ بَذْرِ، وَقَدَمَةٌ عَامَ خَيْبَرَ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ، وَغَيْرُهُ:
إِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا مُهَاجَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَجَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ
رَجُلًا، وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانُ نِسْوَةٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ بِمَكَّةَ، وَحُسِبَ بِمَكَّةَ
سَبْعَةٌ، وَشَهِدَ بَذْرًا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا^(١).

❁ وَهُمْ آخَرُ لَابِنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ:

قُلْتُ: وَقَعَ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٢)، وَابْنِ
إِسْحَاقَ^(٣)، وَالْبَيْهَقِيِّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»^(٤) أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ
هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَظَاهَرُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ بِمَكَّةَ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ
جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

وَالصَّحِيحُ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى
النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا فَوَافَقَنَا
النَّبِيُّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ^(٥).

(١) انظر: زاد المعاد (٢٣/٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٤٠٠)، والطيالسي في مسنده، رقم
الحديث (٣٤٤)، وإسناده ضعيف لضعف حُدَيْجِ بْنِ معاوية، ومع ذلك حسن إسناده الحافظ
في الفتح (٥٨٥/٧)، وجود إسناده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧٦/٣).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣٦١/١) بدون سند.

(٤) أخرج ذلك البيهقي في دلائل النبوة (٢٩٨/٢)، وإسناده ضعيف، لضعف حُدَيْجِ بْنِ
معاوية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة، رقم الحديث
(٣٨٧٦)، انظر كلام البيهقي في: دلائل النبوة (٢/٣٠٠).

وَتَكَلَّفَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»^(١) الْجَمْعَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ^(٢)، وَالْأَجُودُ أَنْ يُقَالَ: هَذِهِ الرِّوَايَةُ ضَعِيفَةٌ لَا تُعَارِضُ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

❁ مَوْتُ خَالِدِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، مَاتَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ حَيَّةٍ نَهَشَتْهُ^(٣)، فَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: هَاجَرَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ فَمَاتَ، فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]^(٤).

قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ، وَأَنْتَظِرُ قُدُومَهُ وَأَنَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَمَا أَحْزَنَنِي شَيْءٌ حُزْنَ وَفَاتِهِ حِينَ بَلَغَنِي؛ لِأَنَّهُ قَلَّ أَحَدٌ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ، أَوْ ذَوِي رَحِمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ^(٥).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْأَثَرُ غَرِيبٌ جَدًّا، فَإِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَكِّيَّةٌ،

(١) انظر: فتح الباري (٧/٥٨٥).

(٢) أعني: الرواية الضعيفة التي رواها الإمام أحمد، رقم الحديث (٤٤٠٠)، والطالبي، رقم الحديث (٤٤٣)، وابن إسحاق في السيرة (١/٣٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٠٠)، ورواية الإمام البخاري في صحيحه.

(٣) نهشته: أي: لسعته. انظر: لسان العرب (١٤/٣٠٦).

(٤) قلت: المشهور أن هذه الآية نزلت في جُندب بن صُمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي رجحه الحافظ في الإصابة (٢/١٦٩)، وبه جزم ابن الأثير في أسد الغابة (١/٣٤٦).

(٥) أورد هذا الخبر: ابن كثير في تفسيره (٢/٣٩٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٢١٨)، وحسن إسناده.

وَنُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ مَدْيِيَّةٌ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ نَعْمَ حُكْمُهُ مَعَ غَيْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَبَبَ النُّزُولِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

✽ نُبَذَةٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه:

وَخَالِدُ بْنُ حِزَامٍ رضي الله عنه، أَخُو حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، وَابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنه، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْثَانِيَةِ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ^(٢).

✽ تَعَقَّبَ قُرَيْشٌ لِمَهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ:

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَمِنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا بِهَا دَارًا وَاسْتَقَرَّارًا، وَحُسْنِ جَوَارٍ مِنَ النَّجَاشِيِّ رضي الله عنه، ائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَفَدًا مِنْهُمْ فَيَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَارُوا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ^(٣) وَهُمَا: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَأَرْسَلُوا مَعَهُمَا الْهَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ^(٤)، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الْأُدْمُ^(٥).

فَجَمَعُوا لَهُ أُدْمًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، فَقَالُوا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ - قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ -: إِنَّهُ قَدْ ضَوَى^(٦) إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاؤُوا بِدَيْنٍ مُبْتَدِعٍ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٩٢). (٢) انظر: أسد الغابة (٢/٨٣).

(٣) الجلد: أي: القوي. انظر: النهاية (١/٢٧٥).

(٤) البطارقة: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغه الروم، وهو ذو منصب متقدم عندهم. انظر: النهاية (١/١٣٤).

(٥) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. انظر: لسان العرب (١/٩٦).

(٦) ضوى إليه: أي: انضم ولجأ. انظر: لسان العرب (٨/١٠٤).

قَوْمًا لِيَرُدَّهُمُ الْمَلِكُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمُ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنْ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا^(١)، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا حَضَرَا إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَقَدَّمَا لَهُ الْهَدَايَا، وَكَانَ فِيهَا أَدَمٌ كَثِيرٌ وَفَرَسٌ، وَجُبَّةٌ دِيبَاجٌ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْنَاهُمْ إِلَيْهِمَا فَلِيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ كَلَامَهُمْ، وَحَلَفَ أَلَّا يُسَلِّمَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ وَإِلَى بِلَادِهِ حَتَّى يَدْعُوهُمْ، فَيَسْأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ.

❀ إِحْضَارُ النَّجَاشِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ وَسُؤَالُهُمْ:

ثُمَّ أُرْسِلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُمْ، فَحَضَرُوا، وَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى صِدْقِهِ^(٢) فِيمَا سَاءَهُ، وَسَرَّهُ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

(١) أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا: أَي: أَبْصَرُ بِهِمْ، وَأَعْلَمُ بِحَالِهِمْ. انظر: النهاية (٣/٢٦٧).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٣) في قوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، قال: أَي: اصْدُقُوا وَالزَّمُوا الصَّدَقَ تَكُونُوا مَعَ أَهْلِهِ، وَتَنْجُوا مِنَ الْمَهَالِكِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ فَرَجًا مِنْ أُمُورِكُمْ، وَمَخْرَجًا.

وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٠٧)، عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا».

فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا دِينَ أَحَدٍ مِنَ الْمَلِكِ؟

فَتَوَلَّى الْكَلَامَ عَنِ الصَّحَابَةِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام^(١)، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ.

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعِفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ، لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ^(٢)، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ^(٣)، وَالزَّكَاةِ^(٤) وَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَدَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لَيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي

(١) قال أبو نعيم في الحلية (١/١٦٠): ومنهم الخطيب المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلّي القبلتين، البطل الشجاع الجواد الشّعشاع، جعفر بن أبي طالب عليه السلام فارّق الخلق، ورامق الحق.

(٢) المحصنات: العفاف من النساء. انظر: لسان العرب (٣/٢٠٩).

(٣) قول جعفر للنجاشي عليه السلام: وأمّرنا بالصلاة؛ أي: الصلاة التي كانت قبل فرض الصلوات الخمس في الإسراء والمعراج، وقد بينت ذلك في بداية أمر البعثة، فراجع.

(٤) وقوله عليه السلام: الزكاة، أراد مطلق الصدقة؛ لأن زكاة المال إنما فرضت بالمدينة.

جَوَارِكُ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ^(١).

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ ﷺ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ^(٢) لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ^(٣)، حَتَّى اخْضَلُّوا لِحَاهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ جَعْفَرٌ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى^(٤) لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ^(٥) وَاحِدَةٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِي قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمَا: انْطَلِقَا! فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَدًا، وَلَا يُكَادُونَ.

(١) قال الشيخ أبو الحسن النُّدَوِي في كتابه السِّيرة النُّبَوِيَّة، (ص ١٣٤): إِنَّ كَلَامَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَمَامَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَتَصْوِيرَهُ لِلإِسْلَامِ، كَلَامٌ حَكِيمٌ قَدْ جَاءَ فِي أَوَانِهِ وَمَكَانِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى بَلَاغَةِ صَاحِبِهِ الْعَقْلِيَّةِ، قَبْلُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى بَلَاغَتِهِ الْعَرَبِيَّةِ الْبَيِّنَةِ، وَلَا يَعْلُلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِلْهَامِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَأْيِيدِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُثِمَّ نُورَهُ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ، وَيَدُلَّ كَذَلِكَ عَلَى سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ، وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ، اللَّتَيْنِ فَاقَ فِيهِمَا بَنُو هَاشِمٍ قُرَيْشًا، وَفَاقَتْ فِيهِمَا قُرَيْشُ الْعَرَبِ كُلِّهَا، فَقَدْ فَضَّلَ جَعْفَرٌ ﷺ أَنْ يَكُونَ جَوَابُهُ حِكَايَةً حَالٍ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ بَعْدَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ فِيهِمْ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ السَّمْحِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَمَّنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَحِكَايَةُ الْحَالِ - خُصُوصًا إِذَا لَمْ يُجَانِبْ فِيهِ صَاحِبُهَا الصَّوَابَ - أَبْعَدُ شَيْءٍ عَنِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ، وَأَقْدَرُ شَيْءٍ عَلَى غَرَسِ الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ، وَتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْمُنْشُودَةِ، وَالتَّهْيُؤِ لِلتَّامُّلِ وَالْإِنْصَافِ وَحُسْنِ الْاسْتِمَاعِ.

(٢) اخْضَلَّتْ: أَي: ابْتَلَّتْ. انظر: النهاية (٤٢/٢).

(٣) الْأَسَاقِفَةُ: جَمْعُ أَسْقَفٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَهُمْ عُلَمَاءُ النَّصَارَى. انظر: النهاية (٣٤١/٢).

(٤) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده، قال السندي في شرح المسند (٢١٧/٢): لَمْ يَقُلْ عِيسَى، مَعَ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ، لَمَّا فِيهِ مِنْ خِلَافِ الْيَهُودِ، بِخِلَافِ مُوسَى، فَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمَعْلُومَةِ فِي نُبُوَّتِهِ.

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٣٧٤/١): قَالَ: عِيسَى.

(٥) الْمِشْكَاةُ: هِيَ الْكُوَّةُ غَيْرُ النَّافِذَةِ، وَقِيلَ: هِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُعْلَقُ عَلَيْهَا الْقَنَادِيلُ، أَرَادَ أَنْ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَنَّهُمَا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْوَحْيُ. انظر: النهاية (٢٨٥/٤).

أَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] ^(١).

وَرَدَّ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رضي الله عنه ذَلِكَ، فَقَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدْيِيَّةٌ، وَقِصَّةُ جَعْفَرٍ مَعَ النَّجَاشِيِّ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ^(٢).

✽ مُحَاوَلَةٌ أُخْرَى لِلْوَقِيعَةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّجَاشِيِّ:

فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبِينَ غَدًا أَعْيِبُهُمْ عِنْدَهُ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ ^(٣)، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْيَعَةَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، لَكِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ أَصَرَ عَلَى رَأْيِهِ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّجَاشِيُّ يَسْأَلُهُمْ عَنْ عِيسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ النَّجَاشِيِّ إِلَيْهِمْ. قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ؟

قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيِّنَا، كَأَنَّنا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

(١) الخبر أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب (٩)، رقم الحديث (١١٠٨٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٦/٣).

(٣) خَضِرَاءُهُمْ: أي: دَهْمَاؤُهُمْ وَسَوَادُهُمْ وَمُعْظَمُهُمْ. انظر: النهاية (٤٠/٢).

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ، قَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صلوات الله عليه، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ^(١) أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ^(٢).

فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ بِيَدِهِ الْأَرْضَ، فَأَخَذَ مِنْهَا غُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْغُودَ^(٣).

فَتَنَاحَرَتْ^(٤) بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَحَرْتُمْ وَاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَا أُحِبُّ أَنْ لِي جَبَلًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَنْيَ آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ لِبَطَارِقَتِهِ: رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَذَآيَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا.

فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ خَائِبَيْنِ، وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ بِخَيْرِ دَارٍ، مَعَ خَيْرِ جَارٍ^(٥).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رحمته الله: الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا النَّجَاشِيَّ كَانَ رَجُلًا

(١) قال الإمام السهيلي في الرَّؤُوسِ الْأُنْفِ (١١٣/٢): ومعنى كلمته: أي: قال له، كما قال لِأَدَمَ حِينَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ: كُنْ فَيَكُونُ.

(٢) امرأةٌ بَتُولٌ: أي: مُنْقَطَعَةٌ عَنِ الرِّجَالِ لَا شَهْوَةَ لَهَا فِيهِمْ. انظر: النهاية (٩٥/١).

(٣) قال السندي في شرح المسند (٢١٨/٢): أي: هذا القدر، يريد: أن قدره هذا، ولا يتجاوز عنه إلى ما يقوله الظلمة من البنوة، وغيرها.

(٤) تَنَاحَرَتْ: أي: تَكَلَّمَتْ، وكأنه كلامٌ مَعَ غَضَبٍ وَتُفُورٍ، وَالتَّخْيِيرُ: صَوْتُ الْأُنْفِ. انظر: لسان العرب (٨١/١٤)، النهاية (٢٧/٥).

(٥) أخرج قصة النجاشي مع جعفر رضي الله عنه وأصحابه: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٤٠)، (٢٢٤٩٨)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب قصة إسلام النجاشي، رقم الحديث (٣٢٦١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٥٥٩٨)، وابن إسحاق في السيرة (٣٧٢/١)، وإسنادها حسن.

رَاشِدًا نَظِيفَ الْعَقْلِ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ لِلَّهِ، سَلِيمَ الْإِعْتِقَادِ فِي عِيسَى عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَكَانَتْ مُرُونُهُ فِكْرُهُ سِرَّ الْمُعَامَلَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي وَقَرَهَا لِأُولَئِكَ اللَّاجِئِينَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ، فَارِّينَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ^(١).

وَقَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَكَذَا نَرَى مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ مَنْ يَصْدُقِ اللَّهُ يَصْدُقُهُ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ بِهِ سُوءًا، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْ ضَيْقِهِ وَأَزْمَاتِهِ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا عِبْرَةٌ لِلَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَلْتَزِمُوا جَانِبَ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَحْرُفُوا فِيهَا، أَوْ يُغَيِّرُوا، أَوْ يُدَاهِنُوا تَبَعًا لِلْأَهْوَاءِ السِّيَاسِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَلِيُجَاهِرُوا بِالْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِيَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ^(٢).

✽ إِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَصَدَّقَ بِنُبُوءَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ يُخْفِي إِسْلَامَهُ عَنْ قَوْمِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ»: النَّجَاشِيُّ، وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ مَلِكُ الْحَبَشَةِ، مَعْدُودٌ فِي الصَّحَابَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ مِمَّنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَلَمْ يُهَاجِرْ، وَلَا لَهُ رُؤْيَةٌ، فَهُوَ تَابِعِيٌّ مِنْ وَجْهِ، وَصَاحِبٌ مِنْ وَجْهِ، وَقَدْ تُوفِّيَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْغَائِبِ^(٣) وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّى ﷺ عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ قَوْمِ نَصَارَى، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ كَانُوا مُهَاجِرِينَ عِنْدَهُ خَرَجُوا مِنْ

(١) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١١٤).

(٢) انظر: كتاب السيرة النبوية، للدكتور محمد أبي شهبة رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٣٨٠).

(٣) قلت: سأذكرُ في وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة تسع للهجرة تفصيلَ صلاةِ النبي ﷺ عليه صلاة الغائب.

عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر سنة سبع من الهجرة^(١).

وقال الحافظ في «الإصابة»: النجاشي اسمه أضحمة بن أبهر ملك الحبشة، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ، ولم يهاجر إليه، وكان رداء^(٢) للمسلمين نافعا^(٣).

قلت: ومات النجاشي ﷺ في رجب سنة تسع من الهجرة.

✽ التمكن للنجاشي في ملكه:

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ... فوالله إنا على ذلك إذ نزل به - أي: النجاشي - من ينارعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزني حزناه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجلا لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه، قالت: وسار إليه النجاشي، وبينهما عرض نهر النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟

فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: أنا، وكان من أحدث القوم سنا.

قالت: فنفخوا له قرية، فجعلها في صدره، ثم سبح حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكن له في بلاده^(٤).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٢٨).

(٢) رداء: أي: عوناً وناصراً. انظر: النهاية (٢/١٩٥)، ومنه قوله تعالى في سورة القصص آية: ٣٤ ﴿وَإِخَىٰ هَارُوتَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾.

(٣) انظر: الإصابة (١/٣٤٧).

(٤) قال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه السيرة النبوية، (ص ١٣٥): وكان هذا الدعاء من المسلمين للنجاشي اعترافاً بحسن موقفه من المهاجرين المضطهدين، ومكافأته على حسن صنيعه، وكان ذلك مطابقاً لتعاليم الإسلام الخلقية، ولائقاً بأخلاق المسلمين.

قَالَتْ: ثُمَّ جَاءَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه وَهُوَ يَسْعَى، فَلَمَعَ بِثَوْبِهِ^(١)، وَهُوَ يَقُولُ: أَلَا أُبَشِّرُوا، فَقَدْ ظَفَرَ النَّجَاشِيُّ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا فَرِحْنَا فَرَحَةً قَطُّ مِثْلَهَا^(٢).

❁ بَقَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ:

وَبَقِيَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مَعَ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْحَبَشَةِ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، ثُمَّ قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَزْوَةِ حَيْبَرَ، فَكَانَ بَقَاؤُهُ فِي الْحَبَشَةِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَهِيَ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ، لَا بُدَّ أَنْ جَعْفَرًا قَدْ انْتَفَعَ بِهَا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَالتَّعْرِيفِ بِهِ فِي بَلَدٍ اِمْتَّازَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِالتَّسَامُحِ وَإِيَاءِ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَعُرِفَ حَاكِمُهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكِنْ الْعَهْدَ لَمْ يَكُنْ عَهْدَ تَسْجِيلِ الْحَوَادِثِ، وَلَيْسَتْ أَمَامَنَا وَثَائِقُ تَارِيخِيَّةٌ تُثَبِّتُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ الْقِيَاسَ يَقْتَضِيهِ^(٣).

❁ بَعْضُ الْفَوَائِدِ مِنْ قِصَّةِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ السَّهْلِيُّ رحمته الله: وَفِي قِصَّةِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْفَقْهِ: - الْخُرُوجُ عَنِ الْوَطَنِ، وَإِنْ كَانَ الْوَطَنُ مَكَّةَ عَلَى فَضْلِهَا، إِذَا كَانَ الْخُرُوجُ فِرَارًا بِالَّذِينَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى إِسْلَامٍ، فَإِنَّ الْحَبَشَةَ كَانُوا نَصَارَى يَعْْبُدُونَ الْمَسِيحَ، وَلَا يَقُولُونَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مَعَ النَّجَاشِيِّ، وَكَيْفَ نَخَرْتُ بَطَارِقَتُهُ، وَسُمُّوا بِهَذِهِ الْهَجْرَةِ مُهَاجِرِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْهَجْرَتَيْنِ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالسَّبْقِ، فَقَالَ

(١) لَمَعَ بِثَوْبِهِ: إِذَا رَفَعَهُ وَحَرَّكَهُ لِيَرَاهُ غَيْرُهُ فَيَجِيءَ إِلَيْهِ. انظر: النهاية (٢٣٣/٤).

(٢) أخرج قصة التمكين للنجاشي في ملكه: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٤٠)

(٢٢٤٩٨)، وابن إسحاق في السيرة (٣٧٥/١)، وإسناده حسن..

(٣) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رحمته الله (ص ١٣٥).

تَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ^(١).

- وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُمْ الَّذِينَ صَلَّوْا الْقِبْلَتَيْنِ، وَهَاجَرُوا الْهِجْرَتَيْنِ، وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا: هُمُ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْهِجْرَةِ، وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ إِلَى دَارِ كُفْرٍ، لِمَا كَانَ فَعْلُهُمْ ذَلِكَ احْتِيَاظًا عَلَى دِينِهِمْ، وَرَجَاءً أَنْ يُحْلَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، يَذْكُرُونَهُ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَهَذَا حُكْمٌ مُسْتَمِرٌّ مَتَى غَلَبَ الْمُنْكَرُ فِي بَلَدٍ، وَأُوذِيَ عَلَى الْحَقِّ مُؤْمِنٌ، وَرَأَى الْبَاطِلَ قَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَرَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدٍ آخَرَ يُحْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ دِينِهِ، وَيُظْهِرَ فِيهِ عِبَادَةَ رَبِّهِ، فَإِنَّ الْخُرُوجَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حَتْمٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهَذِهِ الْهِجْرَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: فَالهِجْرَةُ وَاجِبَةٌ مِنْهَا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ، وَخَشِيَ أَنْ يُفْتَنَ عَنْ دِينِهِ ^(٣).

❀ أَوَّلُ وَفْدٍ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، عِشْرُونَ

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٠٣/٤): أَخْبَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَيَا وَئِلَ مِنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهِمْ، أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضُهُمْ، وَلَا سِيَمَا سَيِّدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَخَيْرِهِمْ، وَأَفْضَلِهِمْ، أَغْنَى الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَالْخَلِيفَةُ الْأَعْظَمُ أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَيُبْغِضُونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَنُكَّوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يَسُبُّونَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّوْنَ عَمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُؤَالُونَ مَنْ يُؤَالِي اللَّهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدِرُونَ وَلِهَذَا هُمْ جَزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ، وَعِبَادَةُ الْمُؤْمِنُونَ.

(٢) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (١١١/٢ - ١١٢). (٣) انظر: فتح الباري (٦٣٥/٧).

رَجُلًا، أَوْ قَرِيبٌ مِّنْ ذَلِكَ مِّنَ النَّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِّنَ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ، وَسَلَّوْهُ، وَرِجَالٌ مِّنْ قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا فَرَعُوا مِّنْ مَّسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِّنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ، وَأَمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ.

فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي نَفَرٍ مِّنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَبِّ، بَعَثَكُم مِّنْ وَرَاءِكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ^(١) لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ، حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَّقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ، مَا نَعْلَمُ رَبَّكَ أَحَقَّ مِنْكُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نَجَاهِلُكُمْ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأَلْ^(٢) أَنْفُسَنَا خَيْرًا.

وَيُقَالُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: إِنَّ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: ﴿الَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [الفصص: ٥٢ - ٥٥]^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ

(١) ارْتَادَ يَرْتَادُ: أَي: يَنْظُرُ وَيَطْلُبُ وَيَخْتَارُ الْأَفْضَلَ، مِنَ الرَّائِدِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ يُبْصِرُ لَهُمُ الْكَلًّا وَمَسَاقِطَ الْغَيْثِ. انظر: لسان العرب (٣٦٥/٥).

(٢) لَمْ نَأَلْ أَنْفُسَنَا خَيْرًا: أَي: لَمْ نَقْتَصِرْ بِهَا عَنْ بُلُوغِ الْخَيْرِ، يُقَالُ: مَا أَلَوْتُ: أَي: مَا فَعَلْتُ كَذَا، وَكَذَا؛ أَي: مَا قَصَرْتُ. انظر: سبل الهدى والرشاد (٤٢٢/٢).

(٣) الخبر في: سيرة ابن هشام (٥/٢ - ٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٠٦/٢).

الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

أَيُّ: هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي، يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي، وَقَدْ وَرَدَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَنَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، وَعَبَدَ مَمْلُوكٌ آدَى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ سَيِّدِهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ فَعَزَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا»^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]؛ أَيُّ: لَا يُخَالِطُونَ أَهْلَهُ وَلَا يُعَاشِرُونَهُمْ؛ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]^(٢).

وَأَيًّا مَنْ كَانَ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِي أَمْرِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ؛ فَالْقُرْآنُ يَرُدُّ الْمُشْرِكِينَ إِلَى حَادِثٍ وَقَعَ، يَعْلَمُونَهُ، وَلَا يُنْكِرُونَهُ، كَيْ يَقْفَهُمْ وَجْهًا لَوَجْهِ أَمَامَ نُمُودَجٍ مِنَ النَّفُوسِ الْخَالِصَةِ كَيْفَ تَتَلَقَّى هَذَا الْقُرْآنَ، وَتَظْمِنَنَّ إِلَيْهِ، وَتَرَى فِيهِ الْحَقَّ، وَتَعْلَمَ مُطَابَقَتَهُ لِمَا بَيْنَ أَيْدِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، وَلَا يَصُدُّهَا عَنْهُ صَادٌّ مِنْ هَوَى وَلَا مِنْ كِبَرِيَاءٍ، وَتَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ مَا يُصِيبُهَا مِنْ أَدَى وَتَطَاوُلٍ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أُمته وأهله، رقم الحديث (٩٧)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم الحديث (١٥٤).

(٢) انظر كلام الحافظ ابن كثير في: تفسيره (٢٤٤/٦).

مِنَ الْجُهَلَاءِ، وَتَضْبِرُ عَلَى الْحَقِّ فِي وَجْهِ الْأَهْوَاءِ وَوَجْهِ الْإِيذَاءِ... إِنَّهَا
صُورَةٌ وَضِيئَةٌ لِلنَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ الْمُظْمَنَةِ إِلَى إِيْمَانِهَا.. تَفِيضُ بِالتَّرْفَعِ عَنِ
اللَّغْوِ.. كَمَا تَفِيضُ بِالسَّمَاخَةِ وَالْوُدِّ.. وَتَرْسُمُ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللَّهِ
طَرِيقَهُ وَاضِحًا لَا لُبْسَ فِيهِ. فَلَا مُشَارَكَةَ لِلْجُهَالِ، وَلَا مُخَاصَمَةَ لَهُمْ، وَلَا
مُوجِدَةَ عَلَيْهِمْ، وَلَا ضَيْقَ بِهِمْ. إِنَّمَا هُوَ التَّرْفَعُ، وَالسَّمَاخَةُ، وَحُبُّ الْخَيْرِ حَتَّى
لِلْجَارِمِ ^(١) الْمُسِيئِ ^(٢).



(١) جَرَمُهُ: قَطَعَهُ. انظر: لسان العرب (٢/٢٥٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٥/٢٧٠٠ - ٢٧٠١)، لسيد قطب رحمه الله.



مُقَاطَعَةُ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَحِصَارَ الشَّعْبِ

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَمْرَ الْإِسْلَامِ يَنْتَشِرُ وَيَعْلُو، وَأَنَّ أَسَالِيْبَهَا كُلَّهَا بَاءَتْ بِالْفَسْلِ، وَلَمْ تَمْنَعْ مِنْ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ مُسَاوَمَتَهَا لِأَبِي طَالِبٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ قُوِبِلَتْ بِالرَّفْضِ، أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الْمُقَاطَعَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا، وَأَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَدْ أَسْلَمَ، فَكَانَ هُوَ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ، اجْتَمَعُوا وَاتَّمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقِدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ: عَلَى أَنْ لَا يُنْكَحُوا إِلَيْهِمْ، وَلَا يُنْكَحُوهُمْ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاعُوا^(١) مِنْهُمْ، وَأَنْ يُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا يُجَالِسُوهُمْ، وَلَا يُخَالِطُوهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِلْقَتْلِ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاقَعُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ عَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَكَانَ كَاتِبُ الصَّحِيفَةِ مَنْصُورُ بْنُ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ

(١) ابْتِاعَ الشَّيْءَ: أَيْ: اشْتَرَاهُ. انظر: لسان العرب (١/٥٥٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٨٨).

الصَّحِيفَةُ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، فَدَعَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فَشَلَّتْ يَدُهُ فَمَا كَانَ يَنْتَفِعُ بِهَا^(١).

فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ تَأَلُّبَ^(٢) قُرَيْشٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ ﷺ، قَامَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَعِ ابْنِ أَخِيهِ، وَحَيَاتِهِ وَالْقِيَامِ دُونَهُ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهُمْ^(٣): شِعْبَ بَنِي هَاشِمٍ، وَيَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَأَجَابُوا لِذَلِكَ فَانْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ، حَتَّى كُفِّرَ عَنْهُمْ دَخَلُوا الشَّعْبَ حَمِيَّةً لِلرَّحِمِ، وَالْقَرَابَةِ، وَلَمْ يَشُدَّ عَنْ هَذَا الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَدِ انْحَازَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَفَارَقَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَصَاجِعَهُمْ، أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاتَى فِرَاشَهُ حَتَّى يَرَاهُ مَنْ أَرَادَ بِهِ مَكْرًا، فَإِذَا نَامَ النَّاسُ، أَخَذَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتَهُ أَوْ بَنِي عَمِّهِ، فَأَضَجَعَهُ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضُ فُرَشِهِمْ فَيَرْقُدَ عَلَيْهَا^(٤).

❁ شِدَّةُ الْحِصَارِ:

لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي الشَّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِيهِنَّ الْبَلَاءُ وَالْجَهْدُ^(٥)، فَقَدْ قَطَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ.....

(١) انظر: البداية والنهاية (٩٤/٣).

(٢) تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ: تَجَمَّعُوا. انظر: لسان العرب (١٧٧/١).

(٣) الشَّعْبُ: هُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَمَا انْفَرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ. انظر: لسان العرب (١٢٨/٧).

(٤) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٧٣/١).

(٥) قُلْتُ: هَذِهِ إِحْدَى الشَّدَائِدِ الثَّلَاثِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا تَأْوِيلُ الْعَطَاثِ الثَّلَاثِ الَّتِي عَطَّ جَبْرِيلُ ﷺ =

الْمِيرَةَ^(١) وَالْمَادَّةَ، وَقَطَعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَسْوَاقَ، فَكَانُوا لَا يَتَرَكُونَ طَعَامًا يَدْنُو مِنْ مَكَّةَ وَلَا بَيْنًا إِلَّا بَادَرُوا إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ دُونَهُمْ لِيَقْتُلَهُمُ الْجُوعُ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَدُورُ بَيْنَ التَّجَارِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى لَا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا، وَأَنَا أَدْفَعُ لَكُمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجِعَ الرَّجُلُ إِلَى أَطْفَالِهِ، وَهُمْ يَتَضَاعَوْنَ^(٢) مِنَ الْجُوعِ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ، وَيَعْدُو التَّجَارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ فَيُرْبِحُهُمْ، حَتَّى جَهَدَ الْمُؤْمِنُونَ، وَمَنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُزْيًا، وَحَتَّى سَمِعَ أَصْوَاتَ صَبْيَانِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ، وَاضْطَرُّوا إِلَى أَكْلِ وَرَقِ الشَّجَرِ وَالْجُلُودِ، وَهَلَكَ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ.

أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: ... خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ، وَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ بِقَعْقَعَةٍ تَحْتَ بَوْلِي، فَإِذَا قِطْعَةٌ جِلْدٍ بَعِيرٍ، فَأَخَذْتُهَا وَغَسَلْتُهَا، ثُمَّ أَحْرَقْتُهَا، ثُمَّ رَضَضْتُهَا^(٣) وَسَفَفْتُهَا بِالْمَاءِ^(٤)، وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَقَوِيْتُ بِهَا ثَلَاثًا^(٥).

وَضَيَّقَ الْحِصَارُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَوْنُ، وَقَلَّ الْغِذَاءُ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ أَقْصَاهُ، وَسَمِعَ بُكَاءَ أَطْفَالِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ، وَعَضَّتْهُمُ الْأَزْمَاتُ الْعَصِيبَةُ حَتَّى رَأَى لِحَالِهِمُ الْخُصُومَ، وَمَعَ اكْفِهَرَارِ^(٦) الْجَوِّ فِي وُجُوهِهِمْ، فَقَدْ

= رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فغَطَّه جَبْرِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَدْ فَصَّلْتُ فِي ذَلِكَ فِي بَدَايَةِ نُزُولِ الْوَحْيِ، فَرَاجِعْهُ.

(١) الْمِيرَةُ: هِيَ الْإِبِلُ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا الْمِيرَةُ، وَهِيَ الطَّعَامُ وَنَحْوُهُ، مِمَّا يُجْلَبُ لِلْبَيْعِ. انظر: النهاية (٣٢٣/٤).

(٢) يَتَضَاعَوْنَ: يَبْكُونَ. انظر: لسان العرب (٦٩/٨).

(٣) رَضَضَ الشَّيْءُ: قَتَلَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَسَرْتُهُ، فَقَدْ رَضَدْتَهُ. انظر: لسان العرب (٢٣٠/٥).

(٤) سَفَفْتُهَا بِالْمَاءِ: أَي: خَلَطْتُهَا بِالْمَاءِ. انظر: لسان العرب (٢٨٢/٦).

(٥) انظر: حلية الأولياء (١٣٦/١).

(٦) اكْفِهَرَّ: تَغَيَّرَ إِلَى الْغَبَرَةِ مَعَ الْغَلِظِ. انظر: لسان العرب (١٣٠/١٢).

تَحْمَلُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ الْوَيْلَاتِ^(١).

وَقَدْ سَرَّ هَذَا الْأَمْرُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى الْمُحْصُورِينَ طَعَامًا إِلَّا سِرًّا مُسْتَخْفِيًا مِمَّنْ أَرَادَ صَلَاتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يَصِلُهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ^(٢) ابْنُ أَخِي السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهَشَامُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ^(٣) وَكَانَ أَوْصَلُهُمْ لِبَنِي هَاشِمٍ، فَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ لَيْلًا فَيُوقِرُهُ^(٤) طَعَامًا، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِاتِّجَاهِ الشَّعْبِ، وَيَتْرُكُ زِمَامَهُ لِيَصِلَ إِلَى الْمُحْصُورِينَ^(٥).

❀ بَيْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ وَأَبِي جَهْلٍ:

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَمَحًا يُرِيدُ بِهِ عَمَّتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ فِي الشَّعْبِ فَقَابَلَهُ أَبُو جَهْلٍ فَتَعَلَّقَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ؟ فَوَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ، فَجَاءَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهُ؟

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ!

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ: طَعَامٌ كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا؟

خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ، فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ حَتَّى نَالَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ، فَأَخَذَ

(١) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رحمته الله (ص ١١٨).

(٢) أسلم حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ رحمته الله فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَحُسْنِ إِسْلَامِهِ.

(٣) أسلم هِشَامُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ رحمته الله فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ أُعْطَاهُ الرِّسُولُ ﷺ دُونَ الْمِائَةِ مِنْ غَنَائِمٍ حُنَيْنٍ. انظر: الإصابة (٤٢٦/٦).

(٤) أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ: حَمَلَهَا. انظر: النهاية (١٨٥/٥).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٤١٢/١).

أَبُو الْبَخَرِيِّ لَحِيٍّ^(١) بَعِيرٍ فَضْرَبَهُ بِهِ فَشَجَّهُ، وَوَطَّئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا، وَحَمَزَهُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَيَشْتُمُوا بِهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهْرًا، مُبَادِيًا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَّقِي فِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ^(٢).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُعَلِّقًا عَلَى كَلَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ -: لِأَنَّ الْإِضْطِهَادَ لَا يَقْتُلُ الدَّعَوَاتِ؛ بَلْ يَزِيدُ جُذُورَهَا عُمَقًا وَفُرُوعَهَا امْتِدَادًا، وَقَدْ كَسَبَ الْإِسْلَامُ أَنْصَارًا كَثِيرًا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، وَكَسَبَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ بَدَّوْا يَنْقَسِمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ صَوَابِ مَا فَعَلُوا، وَشَرَعَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَعْمَلُ عَلَى إِبْطَالِ هَذِهِ الْمُقَاطَعَةِ، وَنَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي تَضَمَّتْهَا^(٣).

❁ وَلَا دَةَ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ:

وَفِي فِتْرَةِ الْمُقَاطَعَةِ فِي الشُّعْبِ وَلَدَ حَبْرُ الْأُمَّةِ، وَتَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ حَبْرُ الْأُمَّةِ، وَفَقِيهُ الْعَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيرِ، أَبُو الْعَبَّاسِ، عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، مَوْلَدُهُ بِشُعْبِ بَنِي هَاشِمٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

صَحِبَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، وَحَدَّثَ عَنْهُ بِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ.

(١) اللَّحْيَانِ: هُمَا الْعُظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الْأَسْنَانُ مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ. انظر: لسان العرب (١٢)/

(٢٥٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٩٢)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (١/٢٧٦).

(٣) انظر: كتاب فقه السيرة (ص ١٢١).

وَكَانَ ﷺ وَسِيمًا، جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيْبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، ذَكِيَّ
النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ.

تُوفِّي ﷺ بِالطَّائِفِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ لِلْهَجْرَةِ^(١).

❖ نَقْضُ الصَّحِيفَةِ وَإِنْهَاءُ الْمُقَاطَعَةِ:

مَكَثَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ بِالشُّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ^(٢)، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ
الْجُهْدُ وَالْأَذَى مَبْلَغَهُ كَمَا رَأَيْنَا، ثُمَّ قَامَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ،
وَالضَّمَائِرِ، فِي مُقَدِّمَتِهِمْ: هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ، الَّذِي تَصَلَّهُ بِبَنِي هَاشِمٍ
صِلَّةً قَرَابَةً، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ قَدْ بَذَلَ جُهْدَهُ أَيَّامَ الْحِصَارِ، فَقَدْ
مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمُخْزُومِيِّ - وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -
فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ! أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ،
وَأُخْوَالَكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاغُ^(٣) مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا
يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ، أَمَا إِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ
دَعَوْتُهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، مَا أَجَابَكُمْ إِلَيْهِ أَبَدًا، قَالَ: وَيْحَكَ يَا
هِشَامُ! فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ
فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟

قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: ابْنَعْنَا رَجُلًا ثَالِثًا.

فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: يَا مُطْعِمُ! أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣١).

(٢) قلت: وعلى هذا يكون حصار الشعب في محرم سنة سبع من المبعث إلى السنة العاشرة
من المبعث، وفيها توفي أبو طالب. وانظر: فتح الباري (٧/٥٩٠)، الطبقات الكبرى،
لابن سعد (١/١٠١).

(٣) ابتاع الشيء: اشتراه. انظر: النهاية (١/١٧٠).

بَطْنَانِ^(١) مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ؟
 أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدَنَّاهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أَسْرَعُ، قَالَ:
 وَيَحَكَ! فَمَازَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ
 هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: ابْنِعْنَا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ:
 زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: ابْنِعْنَا رَابِعًا، فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَحْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ
 لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا؟
 قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ،
 وَأَنَا مَعَكَ، قَالَ: ابْنِعْنَا خَامِسًا.

فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَكَلَّمَهُ، وَذَكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُمْ
 وَحَقَّهُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ؟
 قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ.

فَاتَّعَدُوا^(٢) الْحَجُونَ^(٣) لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ.

فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ، فَاجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ
 حَتَّى يَنْقُضُوهَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبَدُوكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا
 غَدَوْا إِلَى أُنْدِيَّتِهِمْ^(٤)، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا،
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ! أَنَا كُلُّ الطَّعَامِ، وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو
 هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ
 الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ.

(١) الْبَطْنُ: مَا دُونَ الْقَبِيلَةِ وَفَوْقَ الْفَخِذِ. انظر: النهاية (١/١٣٧).

(٢) اتَّعَدُوا: أَي: تَوَاعَدُوا. انظر: لسان (٣٤٢/١٥).

(٣) الْحَجُونَ: هُوَ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ مِمَّا يَلِي شُعْبَ الْجَزَارِينَ بِمَكَّةَ. انظر: النهاية (١/٣٣٥).

(٤) النَّادِي: مُجْتَمَعُ الْقَوْمِ وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ. انظر: النهاية (٥/٣١).

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ، فَقَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ! فَقَالَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا تَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلَا تُقِرُّ بِهِ. فَهَنَا قَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، فَقَالَ: صَدَقْتُمَا، وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا، وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشْوِرَ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ.

✽ إِبْخَارُ الرَّسُولِ ﷺ عَمَّهُ بِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ:

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَهُ عَلَى أَمْرِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّهُ سَلَطَ عَلَيْهَا الْأَرْضَةَ^(١) فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرِ، أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ أَوْ بُهْتَانٍ^(٢)، وَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا. وَفِي رِوَايَةٍ: لَمْ تَتْرُكِ الْأَرْضَةُ اسْمًا لِلَّهِ ﷻ إِلَّا لَحَسَتْهُ، وَبَقِيَ مَا فِيهَا مِنْ شِرْكٍ، أَوْ ظُلْمٍ بَغِيٍّ، وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَثْبَتُ^(٣)، فَلَمَّا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ لِعَمِّهِ، قَالَ لَهُ: أَرَبْتُكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: لَا وَالْثَّوَابِ^(٤) مَا كَذَبْتَنِي.

✽ صَدَقَ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَا قَالَ:

فَانْطَلَقَ يَمْشِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، حَتَّى أَتَوْا

(١) الْأَرْضَةُ: هِيَ دُوَيْبَةُ تَأْكُلُ الْخَشَبَ وَنَحْوَهُ. انظر: لسان العرب (١١٩/١).

(٢) الْبُهْتَانُ: هُوَ الْكَذِبُ وَالْإِفْتِرَاءُ. انظر: النهاية (١٦٢/١).

(٣) انظر: فتح الباري (٥٩٠/٧).

(٤) الثَّوَابُ: هِيَ الْكَوَاكِبُ الْمُضِيئَةُ. انظر: لسان العرب (١١١/٢).

الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قُرَيْشٌ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ لِيُسْلِمُوهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: قَدْ حَدَّثْتُ أُمُورَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ، فَأَتُوا بِصَحِيفَتِكُمْ الَّتِي فِيهَا مَوَاقِفُكُمْ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صُلْحٌ - وَإِنَّمَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يَنْظُرُوا فِي الصَّحِيفَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا - ثُمَّ قَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ لِأُعْطِيَكُمْ أَمْرًا فِيهِ نَصَفٌ^(١) بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي قَطُّ، أَنَّ اللَّهَ سَلَّطَ عَلَى صَحِيفَتِكُمْ الَّتِي كَتَبْتُمْ الْأَرْضَةَ، فَأَكَلْتُ جَمِيعَ مَا فِيهَا إِلَّا: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»^(٢).

وفي روايةٍ قَالَ: لَمْ تَتْرُكْ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا لِحَسَنَتِهِ، وَتَرَكْتُ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَتَظَاهُرَكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ كَمَا يَقُولُ فَأَفِيقُوا، فَوَاللَّهِ لَا نُسْلِمُهُ حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَقُولُ بَاطِلًا دَفَعْنَا إِلَيْكُمْ صَاحِبَنَا، فَفَتَلْتُمْ أَوْ اسْتَحْيَيْتُمْ، فَقَالُوا: قَدْ أَنْصَفْتَنَا رَضِينَا بِالَّذِي تَقُولُ، فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ، فَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ صِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَنَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَخِيكَ، وَزَادَهُمْ ذَلِكَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! عَلَامَ نُحْبَسُ وَنُحْصَرُ، وَقَدْ بَانَ الْأَمْرُ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِالظُّلْمِ، وَالْقَطِيعَةِ، وَالْإِسَاءَةِ؟

ثُمَّ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! انْصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَقَطَعَ أَرْحَامَنَا، وَاسْتَحَلَّ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِنَّا، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الشَّعْبِ.

(١) النَّصَفُ: أَيْ: أَمْرٌ وَسَطٌ. انظر: لسان العرب (١٤/١٦٦).

(٢) قال الإمام الطبري في تاريخه (١/٥٥٣): وهي فَاتِحَةُ مَا كَانَتْ تَكْتُبُ قُرَيْشٌ، تَفْتِيحُ بِهَا كِتَابَهَا إِذَا كَتَبَتْ.

وَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَى الصَّحِيفَةِ فَمَزَقَهَا، ثُمَّ مَشَى إِلَى أَوْلَيْكَ الرَّهْطِ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، فَلَبِسُوا السَّلَاحَ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَمَرُوهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى مَسَاكِينِهِمْ، فَفَعَلُوا.

وَكَانَ خُرُوجُهُمْ مِنَ الشُّعْبِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ^(١).

✽ آخِرُ مَفَاوِضَاتِ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشُّعْبِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ لِشَرِّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّدَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَظَلَّ أَبُو طَالِبٍ يَحُوطُ ابْنَ أَخِيهِ، وَيَمْنَعُهُ إِلَى أَنْ لَاحَقَهُ الْمَرَضُ وَاشْتَدَّ بِهِ، وَحِينَئِذٍ حَاوَلَ الْمُشْرِكُونَ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُفَاوِضُوا النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ يَدَيِ أَبِي طَالِبٍ، لِحَوْفِهِمْ أَنْ تُعَيِّرَهُمُ الْعَرَبُ إِنْ أَتَوْا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِمُنْكَرٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، فَيَقُولُونَ: تَرَكُوهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ عَمَّهُ تَنَاولُوهُ.

فَلَمَّا اشْتَكَى^(٢) أَبُو طَالِبٍ وَبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقْلُهُ، قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِنَّ حَمْرَةَ وَعُمَرَ قَدْ أَسْلَمَا، وَقَدْ فَشَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، فَانْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَلْيَأْخُذْ لَنَا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، وَلْيُعْطِهِ مِنَّا، وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَزُونَا^(٣) أَمْرَنَا.

(١) انظر: تفاصيل المقاطعة في:

سيرة ابن هشام (٣٨٨/١)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٠٠/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣١١/٢)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٧١/١)، فتح الباري (٥٨٩/٧)، البداية والنهاية (٩٣/٣)، وروى البخاري في صحيحه، كتاب الأنصار، باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٨٨٢)، مختصرًا جدًا عن المقاطعة.

(٢) أي: مَرَضَ.

(٣) ابْتَزَوْهُ: أي: فَهَرَهُ وَعَلَبَهُ. انظر: النهاية (١٢٥/١).

فَمَشَى إِلَيْهِ أَشْرَافُهُمْ، وَكَانُوا خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ، فَقَدَّمُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّكَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَأَنْصِفْنَا مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَمُرْهُ فَلْيُكْفَ عَنْ شَتْمِ آلِهِتِنَا وَنَدْعُهُ وَإِلَهَهُ - وَفِي لَفْظٍ: قَالُوا يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى، وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَادْعُهُ، فَخُذْ لَهُ مِنَّا، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ، لِيُكْفَ عَنَّا، وَنُكْفَ عَنْهُ، وَلِيَدْعَنَا وَدِينَنَا، وَنَدْعَهُ وَدِينَهُ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْرُ مَجْلِسِ رَجُلٍ، فَحَشَى أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَلَسَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ أَرْقَ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَلَمْ يَجِدِ النَّبِيَّ ﷺ مَجْلِسًا قُرْبَ عَمِّهِ فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي! هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ، قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ، لِيُعْطَوْكَ وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ، وَفِي لَفْظٍ: هَؤُلَاءِ مَشِيخَةُ قَوْمِكَ، وَقَدْ سَأَلُوكَ أَنْ تُكْفَ عَنْ شَتْمِ آلِهِتِهِمْ، وَيَدْعُوكَ وَإِلَهُكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ فَقَدْ أَنْصَفُوكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أُعْطِيتُكُمْ هَذِهِ، هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِي كَلِمَةً إِنْ أَنْتُمْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكَتُمْ بِهَا الْعَرَبَ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ؟».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي! مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبَ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمَ الْجَزِيَّةَ»، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ ﷺ: «كَلِمَةً وَاحِدَةً»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ: نَعَمْ وَأَيْيِكَ، وَعَشَرَ كَلِمَاتٍ.

وفي رواية: قَالَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ: إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ مُرْبِحَةٌ، لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرًا مَعَهَا فَمَا هِيَ؟

قَالَ ﷺ: «تَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا^(١).

أَمَّا زُعَمَاءُ الْمُشْرِكِينَ فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ، فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَنَشْتُمَنَّكَ، وَإِلَهَكَ الَّذِي يَأْمُرُكَ بِهَذَا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ^(٢)﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَشِقَاقٍ^(٣) ﴿٢﴾ كَزَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنِ قَرْنَ فَنَادُوا وَلَاتَ^(٤) حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَجِبُوا أَنْ

(١) أي: ما ظَلَمْتَهُمْ بِسُؤَالِكَ. انظر: النهاية (٤٢٥/٢).

الشَّطَطُ: هُوَ الْجَوْرُ فِي الْحُكْم. انظر: لسان العرب (١١٩/٧).

ومنه قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ آيَةُ (١٤): ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾.

(٢) قال ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وإسماعیل بن أبی خالد، وابن عیینة: أي: ذِي الشَّانِ وَالْمَكَانَةِ. انظر: تفسير ابن کثیر (٥١/٧).

(٣) قال الحافظ ابن کثیر فِي تفسیره (٥١/٧): أي: إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَذِكْرًا لِمَنْ يَتَذَكَّرُ، وَعِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الْكَافِرُونَ لِأَنَّهُمْ «فِي عِزَّةٍ»؛ أي: اسْتِكْبَارًا عَنْهُ وَحَمِيَّةً، وَ«شِقَاقٍ»؛ أي: مُحَالَفَةً لَهُ وَمُعَانَدَةً وَمُفَارَقَةً.

(٤) قال الحافظ ابن کثیر فِي تفسیره (٥٢/٧ - ٥٣): هذه الكلمة وهي «لَاتَ»، هي: «لا» التي لِلنَّفْيِ، زِيدَتْ مَعَهَا «التَّاءُ»، كَمَا تُزَادُ فِي «نَمَّ»، فيقولون: نَمَّتْ، و«رُبَّ»، فيقولون: رُبَّتْ، وهي مَفْضُولَةٌ، وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا.

وَأَشَدَّ بَعْضُهُمْ: وَلَاتَ سَاعَةً مَنَدَمَ.

بِحَفْضِ السَّاعَةِ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: النَّوْصُ: التَّأَخُّرُ، وَالْبَوْصُ: التَّقَدُّمُ، وَلِهَذَا قَالَ =

جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ^(١)
 ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ اللَّهِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ ﴿٧﴾ [ص: ١ - ٧] ^(٢).



= تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجِدُ مَنَاصِ﴾ ﴿٢﴾: أي: لَيْسَ الْحَيُّ جِئَ فِرَارٍ وَلَا ذَهَابٍ.

(١) قال الإمام الطبري في تفسيره (٥٥٢/١٠): أي: أن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعوننا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريد من محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعًا، ولسنا مجيبه إلى ذلك.

(٢) أخرج هذه القصة: الإمام الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة ص، رقم الحديث (٣٥١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح - والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٠٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب ذكر الإخبار عن أداء العجم الجزية إلى العرب، رقم الحديث (٦٦٨٦)، وابن إسحاق في السيرة (٣١/٢)، وإسنادها ضعيف - وأخرجها الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب سورة ص، رقم الحديث (٣٦٧٠)، وإسناده حسن.

وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ (١)

وَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو طَالِبٍ أَنْ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الشُّعْبِ فِي آخِرِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَبْعَثِ^(٢)، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً^(٣).

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ^(٤) دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٩١/٧)، والإصابة (١٩٦/٧): أبو طالب، واسمُه عند الجميع عَبْدُ مَنْأَفٍ، وَلَدَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ شَقِيقَ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى بِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَكَفَلَهُ إِلَى أَنْ كَبُرَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى نَصْرِهِ بَعْدَ أَنْ بُعِثَ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ يَذُبُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَرُدُّ عَنْهُ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَأَخْبَارُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَمِمَّا اشْتَهَرَ مِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَاللَّهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينًا
وَهُوَ مُقِيمٌ مَعَ ذَلِكَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَتَوَفَّى بَعْدَ خُرُوجِهِ ﷺ مِنَ الشُّعْبِ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمَبْعَثِ.

(٢) قُلْتُ: اخْتَلَفَ فِي الشَّهْرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ، فَقِيلَ: فِي رَمَضَانَ، وَقِيلَ: فِي شَوَالٍ، وَقِيلَ: فِي رَجَبٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) انظر: فتح الباري (٥٩١/٧)، زاد المعاد (٩٥/١)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥٩/١).

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٩٠/١): المراد قَرُبَتْ وَفَاتُهُ، وَحَضَرَتْ دَلَائِلُهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ الْمُعَايَنَةِ وَالنَّزْعِ، وَلَوْ كَانَ فِي حَالِ الْمُعَايَنَةِ لَمَا نَفَعَهُ الْإِيمَانُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ آيَةِ (١٨): ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَٰهَ الْفَنِّ﴾. وَيُدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ الْمُعَايَنَةِ مُحَاوَرَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

أَحَاجُ^(١) لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالََّةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أَنَّهُ عَنْهُ»^(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي فُرَيْشُ: يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزْعُ، لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]^(٤).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٩٣/٧): أَحَاجُ: بتشديد الجيم وأصله أَحَاجُجُ، وكأنه ﷺ فهم من امتناع أبي طالب من الشهادة في تلك الحالة أنه ظَنَّ أَنْ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُ لَوْ قُوعِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ لكونه لم يتمكن من سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، فلذلك ذَكَرَ لَهُ الْمُحَاجَجَةَ.

(٢) قلت: انظروا وتأملوا أثر الصُّحْبَةِ الْفَاسِدَةِ كَيْفَ جَعَلَتْ أَبَا طَالِبٍ يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ، وَصَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَمَا قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ يَخَالِطُ». رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٤١٧)، (٤٠٢٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث (٤٨٣٣) وإسناده جيد.

وقال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْلُ وَسْلٌ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَفْتَدِي
فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَنَّبُهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارَنَهُ تَهْتَدِي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِّي

(٣) أخرج ذلك: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم الحديث (٣٨٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...، رقم الحديث (٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...، رقم الحديث (٢٥) (٤٢).

❀ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:

١ - جَوَازُ زِيَارَةِ الْقَرِيبِ الْمُشْرِكِ وَعِيَادَتُهُ.

٢ - وَفِيهِ: أَنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ وَلَوْ فِي شِدَّةِ مَرَضِ الْمَوْتِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمُعَايَنَةِ فَلَا يُقْبَلُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَتُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

٣ - وَفِيهِ: أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ نَجَا مِنَ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ.

٤ - وَفِيهِ: أَنَّ عَذَابَ الْكُفَّارِ مُتَفَاوِتٌ، وَالنَّفْعُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي طَالِبٍ مِنْ خَصَائِصِهِ بِبَرَكََةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يَقُلْ فِيهَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ صَارَتَا كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو طَالِبٍ كَانَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا يُقَرَّرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْأَبْيَاتِ النُّونِيَّةِ:

وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينًا
فَافْتَصَرَ عَلَى أَمْرِهِ بِقَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ لَمْ يَتَوَقَّفْ
عَلَى الشَّهَادَةِ بِالرِّسَالَةِ^(١).

❀ اسْتِعْضَارُ الْمُسْلِمِينَ لِمَوْتَاهُمُ الْكُفَّارِ:

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَوْتَاهُمُ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ مُشْرِكُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

(١) انظر: فتح الباري (٧/٥٩٤).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَلِكَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ أَعْلَمُ ﷺ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ، وَيَقُومُ فِي صَفِّهِ وَيُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَحَانَ أَجَلُهُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالِدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَسَبَقَ الْقَدَرُ فِيهِ، وَاخْتِطَفَ مِنْ يَدِهِ، فَاسْتَمَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ النَّامَةُ ^(٢).

✽ عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ:

وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْقِفُ أَمَامَ هَذَا الْخَبَرِ مَأْخُودًا بِصَرَامَةِ هَذَا الدِّينِ

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥٩٣/٧)، (٤٥٩/٩): أَمَا نُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَوَاضِحٌ فِي قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَا نُزُولُ الَّتِي قَبْلَهَا فَفِيهِ نَظَرٌ، وَيُظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّ الْآيَةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالِاسْتِغْفَارِ نَزَلَتْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ بِمُدَّةٍ، وَهِيَ عَامَّةٌ فِي حَقِّهِ وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ، وَيُؤَيِّدُ تَأْخِيرَ النُّزُولِ، مَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ بَرَاءَةِ مِنْ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُنَافِقِينَ حَتَّى نَزَلَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْتَضِي تَأْخِيرَ النُّزُولِ، وَإِنْ تَقَدَّمَ السَّبَبُ، وَنُشِرَ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْبَابِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ وَفِي غَيْرِهِ، وَالثَّانِيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ وَحْدَهُ، وَيُؤَيِّدُ تَعَدُّدَ السَّبَبِ مَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٧٧١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ، وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ: أَيْسْتَغْفِرُ الرَّجُلُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوْلَمْ يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَرَّأْنَا مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤٦/٦).

وَاسْتِقَامَتِهِ، فَهَذَا عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَافِلُهُ وَحَامِيهِ وَالذَّائِدُ عَنْهُ، لَا يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ الْإِيمَانَ، عَلَى شِدَّةِ حُبِّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشِدَّةِ حُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ. ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ إِلَى عَصِيَّةِ الْقَرَابَةِ وَحُبِّ الْأَبُوَّةِ، وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَى الْعَقِيدَةِ. وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ هَذَا مِنْهُ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لَهُ مَا كَانَ يُحِبُّهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَرْجُوهُ. فَأَخْرَجَ هَذَا الْأَمْرَ - أَمْرَ الْهِدَايَةِ - مِنْ حِصَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَهُ خَاصًّا بِإِرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَقْدِيرِهِ. وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَمَا عَلَى الدَّاعِينَ بَعْدَهُ إِلَّا النَّصِيحَةُ. وَالْقُلُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالُ وَفَوْقَ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ قُلُوبِ الْعِبَادِ وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِلْهُدَى أَوْ لِلضَّلَالِ^(١).

❖ دَفَنُ أَبِي طَالِبٍ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ، أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ.

فَقَالَ ﷺ: «أَذْهَبْ فَوَارِ^(٢) أَبَاكَ، ثُمَّ لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي».

قَالَ ﷺ: فَوَارِئُهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ، فَأَمَرَنِي، فَأَعْتَسَلْتُ، وَدَعَا لِي^(٣).

❖ مَصِيرُ أَبِي طَالِبٍ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمَّكَ، فَوَاللَّهِ كَانَ

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٧٠٣/٥).

(٢) التَّوَارِي: الْاسْتِئْزَارُ، أَرَادَ بِهِ الدَّفْنَ. انظر: جامع الأصول (٣٣٧/٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الرجل يموت وله قرابة مشرك، رقم الحديث (٣٢١٤)، والطيالسي في مسنده، رقم الحديث (١٢٢)، وأورده الذهبي في السيرة النبوية (١٩٣/١) وقال: هذا حديث حسن متصل.

يَحُوطُكَ^(١) وَيَغْضُبُ لَكَ، فَقَالَ ﷺ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ^(٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»^(٣).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ»^(٤).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَالنَّفْعُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي طَالِبٍ مِنْ خَصَائِصِهِ بِبَرَكََةِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ»^(٦).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّهْهَلِيُّ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ تَابِعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

-
- (١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٧١/٣): يُقَالُ: حَاطَهُ يَحُوطُهُ حَوَاطًا وَحِيطَاطَةً: إِذَا صَانَهُ وَحَفِظَهُ وَدَبَّ عَنْهُ.
- (٢) قال الحافظ في الفتح (٥٩٢/٧): الضَّحْضَاحُ: هُوَ اسْتِعَارَةٌ، فَإِنَّ الضَّحْضَاحَ مِنَ الْمَاءِ مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ حَقَّقَ عَنْهُ الْعَذَابَ.
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم الحديث (٣٨٨٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، رقم الحديث (٢٠٩).
- (٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم الحديث (٣٨٨٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، رقم الحديث (٢١٠).
- (٥) انظر: فتح الباري (٥٩٤/٧).
- (٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، رقم الحديث (٢١٢)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٣٦).

بِجُمْلَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مُثَبَّتٌ لِقَدَمَيْهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَسُلِّطَ الْعَذَابُ عَلَى
قَدَمَيْهِ خَاصَّةً لِتَشْبِيهِهِ إِيَّاهُمَا عَلَى مِلَّةِ آبَائِهِ^(١).

قُلْتُ: فَلَمْ يُفْلِحْ أَبُو طَالِبٍ رَغْمَ كُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاطَةِ وَالنَّصْرِ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.



(١) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/٢٢٥).



(٤) انظر: فتح الباري (٧/٥١٣).

قُلْتُ: مَاتَ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، لَكِنْ اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ، فَقِيلَ: بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: بِشَهْرٍ، وَقِيلَ: بِشَهْرَيْنِ^(١).

وَدُفِنَتْ ﷺ بِالْحَجُونِ فِي مَقَابِرِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهَا، وَلَمْ تَكُنْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ شُرِعَتْ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، فَقَدْ تُوفِّيَتْ ﷺ وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَاكَ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ^(٢).

✽ حَزْنُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَيْهَا ﷺ

وَقَدْ وَجَدَ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفَقْدِ خَدِيجَةَ ﷺ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَقْلَّ الْخُرُوجَ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»: لَمَّا تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ ﷺ... اجْتَمَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ^(٤)، فَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَقْلَّ الْخُرُوجَ^(٥).

✽ هَدْيُهُ ﷺ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ:

كَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ الشُّكُونُ، وَالرُّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِرْجَاعُ، وَيَبْرَأُ مِمَّنْ خَرَقَ لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ ثِيَابَهُ، أَوْ رَفَعَ

(١) انظر اختلاف الروايات في موتها ﷺ في: دلائل النبوة، للبيهقي (٣٥٢/٢)، سبل الهدى والرشاد (٤٣٤/٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١١١/٢ - ١١٢).

(٣) وَجَدَ: أَي: حَزَنَ. انظر: لسان العرب (٢٢٠/١٥).

(٤) وَهْمًا: مَوْتُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَدِيجَةَ ﷺ.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (١٠١/١).

صَوْنُهُ بِالذُّبِّ وَالنِّيَاحَةِ، أَوْ حَلَقَ لَهَا شَعْرَهُ^(١).

❀ فَضْلُ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ  :

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ   قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ   فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ^(٢) مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا^(٣) وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ^(٤)، لَا صَحْبَ^(٥) فِيهِ وَلَا نَصَبَ^(٦)».

قَالَ السَّهْلِيُّ: مُنَاسَبَةٌ هَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ - أَغْنَى: الْمُنَازَعَةَ وَالتَّعَبَ - أَنَّهُ   لَمَّا دَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَجَابَتْ خَدِيجَةُ طَوْعًا فَلَمْ تُخَوِّجْهُ إِلَى رَفْعِ صَوْتٍ، وَلَا مُنَازَعَةٍ، وَلَا تَعَبٍ فِي ذَلِكَ؛ بَلْ أَرَاكَ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَأَنْسَتُهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَكْرُوهِ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مَنَزَلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفِعَالِهَا^(٧).

(١) انظر: زاد المعاد (٥٠٨/١).

(٢) في رواية الإمام مسلم في صحيحه قال: أَتَتْكَ.

(٣) قال ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣٤٩): وهذه لعمرُ الله خاصَّةٌ لم تكن لِسِوَاهَا.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٦٢/١٥): الْقَصَبُ: قال جمهورُ العلماء: المرادُ به: اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ.

وقال الإمام السهيلي في الرُّوضِ الْأَنْفِ (٤١٧/١): وإنما بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ؛ لأنها حَارَتْ قَصَبُ السَّبْقِ إِلَى الْإِيمَانِ.

قال ابنُ الأثير في النهاية (٥٩/٤): ومعنى قَصَبُ السَّبْقِ: أي: استَوَلَى عَلَى الْأَمْرِ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٥١٨/٧): الصَّحْبُ: هو الصِّيَاحُ والمُنَازَعَةُ برفعِ الصَّوْتِ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥١٨/٧): النَّصَبُ: هو التَّعَبُ.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب تزويج النبي   خديجة وفضلها  ، رقم الحديث (٣٨٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رقم الحديث (٢٤٣٢).

(٧) انظر: الرُّوضِ الْأَنْفِ (٤١٧/١).

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ آسِيَةَ، وَمَرْيَمَ، وَخَدِيجَةَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَأَحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فِي كَفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ، فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَى عليه السلام، وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ، وَمَرْيَمُ عليها السلام كَفَلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كَفَالَةٍ، وَأَعْظَمَهَا، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ، وَخَدِيجَةُ عليها السلام رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا، وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ ﷻ^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرُ نِسَاءٍ الْأَرْضِ فِي عَصْرِهَا^(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر خديجة رضي الله عنها، رقم الحديث (٧٠٠٣)، والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها رقم الحديث (٣٢١٦)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٣٩١).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٤١/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، رقم الحديث (٣٨١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث (٢٤٣٠).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦١/١٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً قَالَ: «اتَّذَرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ»^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ^(٢) عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثُرُ ذِكْرُهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ؟ فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ»^(٣)، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ^(٤).

وَأُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ، أَتْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشُّدْقِ^(٥)، قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ ﷻ خَيْرًا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٦٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر البيان بأن خديجة من أفضل نساء أهل الجنة، رقم الحديث (٧٠١٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥١٥/٧): فيه إثبات الغيرة وأنها غير مُستنكر، وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عمّن دونهن، وأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥١٦/٧): أي: كانت فاضلة وكانت عاقلة، ونحو ذلك.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم الحديث (٣٨١٨).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٥٢١/٧): والمراد بالشّدقّين: ما في باطن الفم فكنت بذلك عن سُقُوطِ أَسْنَانِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى دَاخِلُ فَمِهَا إِلَّا اللَّحْمُ الْأَحْمَرُ مِنَ اللَّثَةِ وَغَيْرِهَا.

مِنْهَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرْتُ بِالنَّاسِ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَبَنِي النَّاسُ، وَوَاسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ ﷻ وَلَدَهَا^(١) إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ^(٢)».

❖ مُكَافَأَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِخَدِيجَةَ ﷺ:

وَمِمَّا كَافَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ خَدِيجَةَ ﷺ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ فِي حَيَاتِهَا غَيْرَهَا، فَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(٣) مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ، وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ، وَعَلَى مَزِيدِ فَضْلِهَا لِأَنَّهَا أَعْتَنَتْ عَنْ غَيْرِهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ غَيْرُهَا مَرَّتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ عَاشَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَّةً وَثَلَاثِينَ عَامًا، انْفَرَدَتْ خَدِيجَةُ مِنْهَا بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا، وَهِيَ نَحْوُ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْمَجْمُوعِ، وَمَعَ طُولِ الْمُدَّةِ فَصَانَ قَلْبَهَا فِيهَا مِنَ الْغَيْرَةِ، وَمِنْ نَكْدِ الضَّرَائِرِ^(٤) الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَمْ يُشَارِكْهَا فِيهَا غَيْرُهَا، وَمِمَّا اخْتُصَّتْ بِهِ سَبْقُهَا نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَسَنَتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ

= وقال النووي في شرح مسلم (١٦٤/١٥): معناه: عجزٌ كبيرةٌ جدًّا، حتى سقطت أسنانها من الكِبَرِ، ولم يبقَ لِيَشْدِقْهَا بِيَاضُ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْنَانِ، إِنَّمَا بَقِيَ فِيهِ حُمْرَةٌ لِثَاتِيهَا.

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٠/٣): كان هذا الحديث قبل أن يولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذا مُعَيَّنٌ، فإن جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة ﷺ إلا إبراهيم فمن مارية الْقُبْطِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٨٦٤)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٠/٣) وقال: تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، رقم الحديث (٢٤٣٦).

(٤) الضَّرَائِرُ: زوجاتُ الرَّجُلِ. انظر: لسان العرب (٤٨/٨).

أَمَنْتَ بَعْدَهَا، فَيَكُونُ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِنَّ، لِمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ^(١) فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ» الْحَدِيثُ.

وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ   بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا لِكُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الثَّوَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ  ^(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ  : فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ، وَحِفْظِ الْوُدِّ، وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ، وَالْعَشِيرَةِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ^(٣).

✽ خَصَائِصُ خَدِيجَةَ  :

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ  : وَمِنْ خَصَائِصِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ  :

- ١ - أَنَّ الرَّسُولَ   لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا.
- ٢ - وَمِنْهَا: أَنَّ أَوْلَادَهُ   كُلَّهُمْ مِنْهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ  ، فَإِنَّهُ مِنْ سُرِّيَّتِهِ^(٤) مَارِيَةَ  .

٣ - وَمِنْهَا: أَنَّهَا خَيْرُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ.

٤ - وَمِنْهَا: أَنَّهَا   لَمْ تَسُوهُ   قَطُّ، وَلَمْ تُغَاضِبْهُ، وَلَمْ يَنْلَهَا مِنْهُ بَلَاءٌ، وَلَا عَثْبٌ قَطُّ، وَلَا هَجْرٌ، وَكَفَى بِهِذِهِ مَنْقَبَةٌ وَفَضِيلَةٌ.

٥ - وَمِنْ خَوَاصِّهَا  : أَنَّهَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ آمَنَتْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ   مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٥٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٥١٧/٧).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٤/١٥).

(٤) السُّرِّيَّةُ: بضم السين وتشديد الراء المكسورة: هي الجارية المُنْخَذَةُ لِلْمَلِكِ وَالْجَمَاعِ. انظر:

لسان العرب (٢٣٥/٦).

٦ - وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ السَّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ ﷺ، وَهَذِهِ لَعَمْرُ اللَّهِ خَاصَّةً لَمْ تَكُنْ لِسِوَاهَا، ﷺ^(١).

✽ النَّبِيُّ ﷺ يَعْقِدُ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ، وَهَبْتُ يَوْمَهَا لِي، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِي بِيَوْمِهَا مَعَ نِسَائِهِ، قَالَتْ: وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: مَعْنَاهُ: عَقَدَ عَلَيْهَا - أَي: عَلَى سَوْدَةَ - بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَى عَائِشَةَ، وَأَمَّا دُخُولُهُ ﷺ عَلَيْهَا - أَي: سَوْدَةَ - فَكَانَ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَى عَائِشَةَ بِالِاتِّفَاقِ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى^(٤) بِي فِي شَوَّالٍ^(٥)، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) انظر: جلاء الأفهام (ص ٣٤٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضررتها، رقم الحديث (١٤٦٣)، والإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٢٤٣٩٥).

(٣) انظر: فتح الباري (١٠/٣٩١).

(٤) الْبِنَاءُ: هُوَ الدُّخُولُ بِالزَّوْجَةِ. انظر: النهاية (١/١٥٦).

(٥) شَوَّالٌ: مِنْ أَسْمَاءِ الشُّهُورِ مَعْرُوفٌ، اسْمُ الشَّهْرِ الَّذِي يَلِي شَهْرَ رَمَضَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ أَشْهُرِ الْحَجِّ، قِيلَ: سُمِّيَ بِتَشْوِيلِ لَبَنِ الْإِبِلِ، وَهُوَ تَوَلَّيْهِ وَإِدْبَارُهُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَطِيرُ مِنْ عَقْدِ الْمَنَاجِحِ فِيهِ، وَتَقُولُ: إِنْ الْمَنْكُوحَةُ تَمْتَنِعُ مِنْ نَاجِحِهَا كَمَا تَمْتَنِعُ طُرُوقَةُ الْجَمَلِ إِذَا لَقِحتُ وَشَالَتْ بِذَنبِهَا، فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ طَيْرَتَهُمْ، وَتَزَوَّجَ عَائِشَةَ ﷺ فِي شَوَّالٍ. انظر: لسان العرب (٧/٢٤٣).

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٩/٩): قَصَدَتْ عَائِشَةُ ﷺ بِهَذَا الْكَلَامِ رَدَّ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَيْهِ، وَمَا يَتَخَيَّلُهُ بَعْضُ الْعَوَامِّ الْيَوْمَ مِنْ كَرَاهَةِ التَّزْوُجِ وَالتَّزْوِيجِ، وَالدُّخُولِ فِي شَوَّالٍ، وَهَذَا بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ، وَهُوَ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِذَلِكَ لَمَّا فِي اسْمِ شَوَّالٍ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالرَّفْعِ.

كَانَ أَحْظَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي ^(١).

وَكَانَ عُمُرُهَا ﷺ عِنْدَمَا عَقَدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ سِتًّا سِنِينَ، وَدَخَلَ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَعُمُرُهَا تِسْعُ سِنِينَ.

فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ ^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَفًى خَدِيجَةً، قَبْلَ مَخْرَجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسِتِّينِ أَوْ ثَلَاثٍ، وَأَنَا بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ ^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَأَمَّا قَوْلُهَا ﷺ فِي رِوَايَةٍ: تَزَوَّجَنِي وَأَنَا بِنْتُ سَبْعٍ، وَفِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ بِنْتُ سِتٍّ فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ كَانَ لَهَا سِتٌّ وَكُسِرَ فَفِي رِوَايَةٍ اقْتَصَرَتْ عَلَى السِّنِينَ، وَفِي رِوَايَةٍ عَدَّتِ السَّنَةَ الَّتِي دَخَلَتْ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٤).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ السِّيَاقَاتُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْعَقْدَ عَلَى عَائِشَةَ كَانَ مُقَدِّمًا عَلَى الْعَقْدِ بِسُودَةٍ ^(٥).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه، رقم الحديث (١٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار، رقم الحديث (٥١٣٣)، (٥١٣٤)، وأخرجه في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، رقم الحديث (٣٨٩٤)، (٣٨٩٦)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، رقم الحديث (١٤٢٢) (٧٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٣٩٧).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧٧/٩).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٤٥/٣).

❁ زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ

ثُمَّ عَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ﷺ بَعْدَ عَائِشَةَ ﷺ. وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ خَدِيجَةَ ﷺ، وَانْفَرَدَتْ بِهِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَكَانَتْ سَيِّدَةً جَلِيلَةً نَبِيلَةً صَخْمَةً^(١).

وَكَانَتْ سَوْدَةُ ﷺ عِنْدَ ابْنِ عَمِّهَا السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو ﷺ أَخِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو ﷺ، وَكَانَ السَّكْرَانُ أَسْلَمَ مَعَهَا قَدِيمًا، وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ، فَمَاتَ بِهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ بِالْحَبَشَةِ^(٢).

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَيَحْيَى، قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ ﷺ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ^(٣) امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَزَوِّجُ؟ قَالَتْ: «مَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكَرًّا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «فَمَنْ الْبُكَرُ؟» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكَ، عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنْ الثَّيِّبُ؟» قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنْتُ بِكَ وَاتَّبَعْتُكَ عَلَى مَا تَقُولُ، قَالَ: «فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ»... قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقُلْتُ لَهَا: مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ، أَدْخُلِي إِلَى أَبِي،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٢٦٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/٢٦٨)، الإصابة (٣/١١٣)، البداية والنهاية (٣/١٤٥).

(٣) هي: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةُ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ﷺ. كُنِيَها أُمُّ شَرِيكٍ، وَكَانَتْ ﷺ صَالِحَةً فَاضِلَةً، رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى عَنْهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ. انظر: الإصابة (٨/١١٦).

فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَتُهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَحَيْثُ بَتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أُرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْطَبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْ^(١) كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي، فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيُّ بِنْتِ، إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَدْ أُرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءُ كَرِيمٍ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكَ بِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ^(٢).

❖ شِدَّةُ اتِّبَاعِ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ ﷺ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ «حَجَّةِ الْوَدَاعِ»: «هَذِهِ، ثُمَّ ظَهَرُوا الْحُصْرُ»^(٣)، قَالَ: فَكُنَّ كُلُّهُنَّ يَحْجُبْنَ إِلَّا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَسَوْدَةَ بِنْتَ

(١) الْكُفُّ: النَّظِيرُ وَالْمُسَاوِي، وَمِنْهُ: الْكَفَاءَةُ فِي النِّكَاحِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الزَّوْجُ مُسَاوِيًا لِلْمَرْأَةِ فِي حَسَبِهَا وَدِينِهَا وَنَسَبِهَا وَبَيْتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ. انظر: النهاية (١٥٦/٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٥٧٦٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ تَزْوِيجِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٥٢).

(٣) أَيُّ: أَنْكُنَّ لَا تَعُدُّنَّ تَخْرُجْنَ مِنْ بَيوتِكُنَّ وَتَلْزَمْنَ الْحُصْرَ، وَهِيَ جَمْعُ الْحَصِيرِ الَّذِي يُبْسَطُ فِي الْبُيُوتِ. انظر: النهاية (٣٨٠/١).

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ عَنْهُ فِي الْفَتْحِ (٥٥٦/٤): فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ وَجُوبَ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً كَالرِّجَالِ، لَا الْمَنْعَ مِنَ الزِّيَارَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ.

قُلْتُ: وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ، بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٨٦١) قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «لَكُنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحَجُّ حَجٌّ مَبْرُورٌ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذَا سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

زَمْعَةً، وَكَانَتَا تَقُولَانِ: وَاللَّهِ لَا تُحَرِّكُنَا دَابَّةٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ^(١).

❁ جَعَلَ سُودَةَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ:

وَلَمَّا كَبُرَتْ سُودَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، خَشِيتُ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَا يُفَارِقَهَا، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَشِيتُ سُودَةَ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلَ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]^(٢).

❁ وَفَاةُ سُودَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

مَكَثَتْ سُودَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تُوفِّتَ بِالْمَدِينَةِ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي وَفَاتِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣).



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢١٩٠٥)، (٢٦٧٥١)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب فرض الحج، رقم الحديث (١٧٢٢)، وأخرجه الطحاوي في شرح المشكل، رقم الحديث (٥٦٠٣).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، رقم الحديث (٣٢٨٩)، وأورده الحافظ في الإصابة (١٩٦/٨)، وحسن إسناده.

(٣) انظر: الإصابة (١٩٧/٨)، سير أعلام النبلاء (٢٦٦/٢).



اِسْتِدَادُ اِيْذَاءِ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وِفَاةِ عَمِّهِ اَبِي طَالِبٍ

رَأَيْنَا كَيْفَ تَتَابَعَتِ الْمَصَائِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ مِنَ الشُّعْبِ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ، حَتَّى تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ، وَخَدِجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي الْعَامِ نَفْسِهِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى عَلَيْهِ ﷺ الْمَصَائِبُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَدْ اجْتَرَوْا عَلَيْهِ، وَنَالُوهُ بِالنَّكَالِ، وَالْأَذَى بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُقْتَصِرًا عَلَى الْكَلَامِ وَالِاسْتِهْزَاءِ قَبْلَ وِفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَعِنْدِي أَنَّ غَالِبَ مَا رُوِيَ مِنْ طَرَحِ الْكُفَّارِ سَلَا الْجَزُورِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي، وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ خَنْقِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَنْقًا شَدِيدًا، حَتَّى حَالَ دُونَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ عَزَمُ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي، فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، مِمَّا أَشْبَهَ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ وِفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَةً^(٢) حَتَّى تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ»^(٣).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ

(١) البداية والنهاية (١٤٦/٣).

(٢) كَاعَةً: جمع كَاع، وهو الجَبَانُ، أَرَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْبُونُونَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ ﷺ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا مَاتَ اجْتَرَوْا عَلَيْهِ. انظر: النهاية (١٥٦/٤).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، رقم الحديث (٤٣٠٢)، والبيهقي في الدلائل (٣٥٠/٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَأَلْتُ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»^(١).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَأَلْتُ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَظْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيَهُ مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَتَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ، وَالتَّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التَّرَابَ، وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: «لَا تَبْكِي يَا بِنْتِي، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ»^(٢).

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَيْنِ، بَيْنَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، إِنْ كَانَا لَيَأْتِيَانِ بِالْفُرُوثِ فَيَطْرَحَانَهَا عَلَى بَابِي، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَأْتُونَ بِبَعْضِ مَا يَطْرَحُونَ مِنَ الْأَذَى فَيَطْرَحُونَهُ عَلَى بَابِي»، فَيَخْرُجُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَيُّ جَوَارٍ هَذَا؟»، ثُمَّ يُلْقِيهِ^(٣).

❖ قِصَّةٌ فِي إِيْذَاءِ الْكُفَّارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» [غافر: ٢٨]^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٥٠)، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/٣٠) بسند صحيح إلى عروة، لكنه مرسلًا.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٣٠).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٩٧)، وانظر: السلسلة الضعيفة، رقم الحديث (٤١٥١)، وضعيف الجامع، رقم الحديث (٤٢٧٧)، للألباني رحمه الله.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ =

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَهَذَا الَّذِي أَجَابَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ يُخَالِفُ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ...»، فَذَكَرَ قِصَّتَهُ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ اسْتَنَدَ إِلَى مَا رَوَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا لِلْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالطَّائِفِ^(١).

❖ قِصَّةُ أُخْرَى فِي إِيْذَاءِ الرَّسُولِ ﷺ:

وَمِمَّا لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي، وَيَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟ فَقَالُوا مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ أَبِي فُحَافَةَ الْمَجْنُونُ^(٢).

❖ قِصَّةُ أُخْرَى فِي إِيْذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَا^(٣) جَزُورٍ^(٤) بَنِي فَلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ،

= من المشركين بمكة، رقم الحديث (٣٨٥٦).

(١) انظر: فتح الباري (٥٥٨/٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب خلافة أبي بكر، رقم الحديث (٤٤٨١).

(٣) السَّلَا: هو الجلدُ الرقيقُ الذي يخرج فيه الولدُ من بطنِ أمِّه مَلْفُوفًا فيه، وهو بالنسبة للآدميَّاتِ يسمى المَشِيمَةَ. انظر: النهاية (٣٥٧/٢).

(٤) الْجَزُورُ: البعيرُ ذَكَرًا كان أو أنثى. انظر: النهاية (٢٥٨/١).

فَنَظَرُ^(١) حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي^(٢) شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ^(٣)، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ^(٤) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ^(٥) فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ^(٦) بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَكَانُوا يَرَوْنَ^(٧) أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ^(٨) مُسْتَجَابَةٌ. ثُمَّ سَمَى ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ»، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَعَى فِي الْقَلْبِ^(٩).

(١) أي: انتظر.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٦٥/١): أي: لا أغني في كف شرهم، أو لا أغير شيئاً من فعلهم.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٦٥/١): المَنَعَةُ بفتح النون: القُوَّة، وإنما قال ذلك ابن مسعود؛ لأنه لم يكن له بمكة عشيرة؛ لكونه هُذَلِيًّا.

(٤) في رواية الإمام مسلم: «وَيُحِيلُ»؛ أي: من كثرة الضحك أخذوا يتمايلون.

(٥) هي: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد وقع التصريح باسمها في رواية الإمام مسلم في صحيحه.

قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة (ص ١٢٤): والبنث في المجتمع العربي تعيش في كف أبها، وتفخر بقوة، وتأنس بحمايته، ومما يحز في قلب الرجل أن يرى نفسه في وضع تدفع عنه ابنته، وتشعر بالعجز وقلة الناصر.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): أي: بإهلاك قُرَيْشٍ، والمراد الكفار منهم أو ممن سمي منهم، فهو عام أريد به الخصوص.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): أي: يعتقدون.

(٨) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): المراد بالبلد: مكة.

(٩) قال العلماء: إنما أمر بإلقائهم فيه لثلاث يتأذى الناس بريحتهم، وإلا فالحرى لا يجب دفنه، والظاهر: أن البئر لم يكن فيها ماء. انظر: فتح الباري (٤٦٨/١).

قَلِيْبٍ بَدْرٍ^(١).

❀ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ - تَعْظِيْمُ الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْكُفَّارِ، وَمَا اَزْدَادَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِيْنَ اِلَّا تَعْظِيْمًا.

٢ - وَفِيهِ: مَعْرِفَةُ الْكُفَّارِ بِصِدْقِهِ ﷺ لِخَوْفِهِمْ مِنْ دُعَائِهِ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى تَرْكِ الْاِنْقِيَادِ لَهُ.

٣ - وَفِيهِ: حِلْمُهُ ﷺ عَمَّنْ اَذَاهُ، فَفِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيِّ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ اَرَهُ دَعَا عَلَيْهِمْ اِلَّا يَوْمَئِذٍ^(٢)، وَاِنَّمَا اسْتَحَقُّوا الدُّعَاءَ حِيْنَئِذٍ لِمَا اُقْدِمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِسْتِخْفَافِ بِهِ حَالَ عِبَادَةِ رَبِّهِ.

٤ - وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا.

٥ - وَفِيهِ: جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ، لَكِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَحَلُّهُ مَا اِذَا كَانَ كَافِرًا، فَاَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُسْتَحَبُّ الْاِسْتِغْفَارُ لَهُ، وَالدُّعَاءُ، وَالتَّوْبَةُ.

٦ - وَفِيهِ: قُوَّةُ نَفْسِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مِنْ صَغَرِهَا، لِشَرَفِهَا فِي قَوْمِهَا وَنَفْسِهَا، لِكَوْنِهَا صَرَّحَتْ بِشْتِمِهِمْ، وَهُمْ رُؤُوسُ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهَا كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ اِذَا اُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمَصْلِيِّ قَدَرٌ أَوْ حِيْفَةٌ لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٤٠)، وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فِي الصَّحِيحِ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمَشْرِكِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٩٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٢٣)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

٧ - وَفِيهِ: أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ أَكَّدَ مِنَ السَّبَبِ، وَالْإِعَانَةَ لِقَوْلِهِ فِي عُقْبَةَ: «أَشَقَى الْقَوْمِ»، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْهُ كُفْرًا، وَأَذَى لِلنَّبِيِّ ﷺ لِكِنَّ الشَّقَاءَ هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ لِأَنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي الْأَمْرِ وَالرَّضَا، وَانْفَرَدَ عُقْبَةُ بِالْمُبَاشَرَةِ فَكَانَ أَشَقَاهُمْ، وَلِهَذَا قُتِلُوا فِي الْحَرْبِ، وَقُتِلَ عُقْبَةُ صَبْرًا^(١).

أَي: أَنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ قُتِلُوا فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى بِاسْتِثْنَاءِ عُقْبَةَ فَإِنَّهُ كَانَ أَسِيرًا فَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِقَتْلِهِ بِالسَّيْفِ.

❁ قِصَّةٌ أُخْرَى فِي إِيْذَاءِ الرَّسُولِ ﷺ:

وَمِمَّا لَقِيَهُ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفَّرُ^(٢) مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَعَنَهُ اللَّهُ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى! لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَ وَجْهَهُ فِي الثَّرَابِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّئُهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ^(٣) عَلَى عَقَبِيهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَؤُلَاءِ، وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»^(٤)، قَالَ:

(١) كل من قُتِلَ في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبرًا. انظر: النهاية (٨/٣).

وانظر كلام الحافظ في: فتح الباري (٤٦٨/١).

(٢) يُرِيدُ بِهِ سُجُودُهُ عَلَى التَّرَابِ، مِنَ التَّعْفِيرِ، وَهُوَ التَّمْرِغُ فِي التَّرَابِ. انظر: النهاية (٢٣٧/٣).

(٣) التَّكْوُصُ: الرَّجُوعُ إِلَى وِرَاءٍ، وَهُوَ الْقَهْقَرَى. انظر: النهاية (١٠١/٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧٤٦/٩): إِنَّمَا شُدِّدَ الْأَمْرُ فِي حَقِّ أَبِي جَهْلٍ، وَلَمْ يَقَعْ مِثْلُ ذَلِكَ

لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ حَيْثُ طَرَحَ سَلَى الْجَزُورِ عَلَى ظَهَرِهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي - كَمَا مَرَّ مَعَنَا -

لأنهما وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته ﷺ لكن زاد أبو جهل بالتهديد، وبدعوى =

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (١) أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْبَحَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعُ ﴿٨﴾
 أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾
 أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَمْ يَعْلَمُ بِإِنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ
 كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطْعَمُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾
 [العلق: ٦ - ١٩] (١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ
 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَهُوَ
 جَالِسٌ حَزِينًا قَدْ خُضِبَ (٢) بِالْدمَاءِ، ضَرْبُهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: مَا
 لَكَ؟

قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «فَعَلْ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا» قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
 أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ (٣)؟

قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ بِتِلْكَ
 الشَّجَرَةَ، فَدَعَاَهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي، حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرَّهَا فَلْتَرْجِعْ،
 فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبِيَ» (٤).

= أَهْلُ طَاعَتِهِ، وَإِبْرَادَةِ وَطْءِ الْعُنُقِ الشَّرِيفِ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمُبَالِغَةِ مَا اقْتَضَى تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ
 لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَلَأنَّ سَلَى الْجَزُورِ لَمْ يَتَحَقَّقْ نَجَاسَتُهَا، وَقَدْ عَوَّقَ عُقْبَةُ بَدْعَائِهِ ﷺ عَلَيْهِ،
 وَعَلَى مَنْ شَارَكَهُ فِي فِعْلِهِ، فَقَتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ.

(١) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٩٥٨)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمَنَافِقِينَ
 وَأَحْكَامِهِمْ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٧٩٧).

(٢) خُضِبَ: أَيُ: ابْتُلِيَ. انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ (١١٧/٤).

(٣) قَالَ الْإِمَامُ السَّنَدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ (١٤١/٧): قَوْلُ جِبْرِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ،
 تَدُلُّ عَلَى مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكَرَامَةِ، وَالشَّرَفِ الَّذِي تَنْسَى فِي جَنْبِهِ مَا يَلْحَقُ بِكَ
 مِنَ التَّعَبِ فِي تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٢١١٢)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي سَنَنِهِ، كِتَابُ الْفِتَنِ، =

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أُؤْذِيتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ^(١) فِي اللَّهِ^(٢)، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا يُوَارِي إِبْطَ بِلَالٍ»^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ: مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: حِينَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَارِبًا مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، إِنَّمَا كَانَ مَعَ بِلَالٍ مِنَ الطَّعَامِ مَا يُحْمَلُ تَحْتَ إِبْطِهِ^(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ» وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُؤْذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ^(٥) وَمَا لِي وَلَا لِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»^(٦).

❀ قَوْلُهُ جَمِيلَةٌ لِلشَّيْخِ عَلِيِّ الطَّنْطَاوِيِّ:

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الطَّنْطَاوِيُّ رحمته الله: وَأَنْطَلَقُوا يُؤْذُونَهُ ﷺ، وَيَتَوَعَّدُونَهُ، لَعَلَّ

-
- = باب الصبر على البلاء، رقم الحديث (٤٠٢٨)، والبيهقي في الدلائل (١٥٤/٢).
- (١) قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٢١٤/٧): أي: هُدِّدْتُ وَتَوَعَّدْتُ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ.
- (٢) قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٢١٤/٧): أي: فِي إِظْهَارِ دِينِهِ.
- (٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢١٢)، وابن ماجه في سننه في المقدمة، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد رضي الله عنهم، رقم الحديث (١٥١).
- (٤) انظر: جامع الترمذي (٤٥٩/٤).
- (٥) قال الطيبي: تَأْكِيدٌ لِلشُّمُولِ: أَي: ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً مُتَوَاتِرَاتٍ، لَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الزَّمَانِ. انظر: تحفة الأحوزي (٢١٥/٧).
- (٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٠٥٥)، والترمذي في جامعه، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، باب رقم (٢٨)، رقم الحديث (٢٦٤٠).

التَّرْهِيْبَ يَفْعَلُ فِيهِ مَا لَمْ يَفْعَلِ التَّرْغِيبُ... رَمَوْا فِي طَرِيقِهِ الشُّوْكَ وَهُوَ
مَاشٍ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ أَحْشَاءَ النَّاقَةِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَرَمَوْهُ فِي الطَّائِفِ بِالْحِجَارَةِ،
وَأَسَالُوا دَمَهُ، وَهَزَّتُوا بِهِ، وَسَلَطُوا عَلَيْهِ سُفْهَاءَهُمْ.

فَلَمْ يُثِرْ هَذَا كُلُّهُ غَضَبَهُ ﷺ وَلَكِنْ أَثَارَ إِشْفَاقِهِ، إِشْفَاقَ الْكَبِيرِ عَلَى
الْأَطْفَالِ الْمُؤْذِينَ، وَالْعَاقِلِ عَلَى الْمَجَانِينَ، وَكَانَ جَوَابُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ
قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

وَأَوْعَلَتْ قُرَيْشٌ فِي كُفْرِهَا، وَصَدَّهَا، وَعِنَادِهَا، وَلَكِنْ هَلْ تَقْدِرُ قُرَيْشٌ
أَنْ تُظْفِي نُورَ اللَّهِ؟^(٢).



(١) أخرج هذا الحديث: ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم الحديث (٩٧٣) وإسناده حسن، لكن بلفظ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، رقم الحديث (٣٤٧٧) عن النبي ﷺ يحكي قصة نبي من الأنبياء مع قومه، فدعا لقومه بمثل هذا الدعاء.

(٢) انظر كلام الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في كتابه: رجال من التاريخ (ص ١٣ - ١٤).

اسْتَيْدَّانُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَأَصَابَهُ فِيهَا الْأَذَى، وَرَأَى مِنْ تَظَاهُرِ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ مَا رَأَى، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ فَأْذَنَ لَهُ^(١).

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيْ^(٢) إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ^(٣)، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبْشَةِ^(٤) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ^(٥)، لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغْنَةِ^(٦)،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٤١٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٤١/٢): المراد بأبوي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أبو بكر وأم رومان، وهو دالٌّ على تقدُّم إسلام أم رومان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦٣٨/٧): أي: بدين الإسلام.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٦٣٨/٧): أي: ليلحق بمن سبقه إليها من المسلمين، وقد قدمت أن الذين هاجروا إلى الحبشة أولاً ساروا إلى جُدَّة وهي ساحلُ مَكَّةَ؛ ليركبوا منها البحر إلى الحبشة.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦٣٩/٧): بَرَكُ الْغِمَادِ: هو موضعٌ على خمسِ لَيَالٍ من مكة إلى جَهَةِ الْيَمَنِ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٦٣٩/٧): ابْنُ الدُّغْنَةِ: بضمِّ المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون. والدغنة هي أمه، وقيل: أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنة: المُسْتَرْخِيَّةُ وأصلها الْعَمَامَةُ الكثيرة المطر.

- وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ^(١) . - فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي^(٢) فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ^(٣) فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدُّغْنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٤)، فَأَنَا لَكَ جَارٌ^(٥). ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَدِكَ، فَارْجِعْ، وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدُّغْنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدُّغْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ^(٦) وَلَا يُخْرَجُ^(٧)، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟

(١) قال الحافظ في الفتح (٦٣٩/٧): الْقَارَةُ: هي قبيلة مشهورة من بني الهون، بالضم، والتخفيف، ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش، وكانوا يضرب بهم المثل في قوة الرمي.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦٣٩/٧): أي: تسبوا في إخراجي.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): لعل أبا بكر طوى عن ابن الدُّغْنَةِ تعيينَ جهة مقصده لكونه كان كافرًا، وإلا فقد تقدّم أنه قصد التوجهَ إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصلُ إليها من الطريق التي قصدتها حتى يسير في الأرضِ وحدَهُ زَمَانًا فَيُضْذَقُ أَنَّهُ سَائِحٌ، لكن حقيقة السباحة أن لا يَقْصِدَ مَوْضِعًا بَعِيْنَهُ يَسْتَقِرُّ فِيهِ.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): وفي موافقة وصف ابن الدُّغْنَةِ، لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر ﷺ، وأتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): أي: مجبر أُمِنَ من يؤذيك.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): أي: من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدّي لأهل بلده.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): أي: ولا يخرج أحده بغير اختياره للمعنى المذكور، واستنبط بعض المالكية من هذا أن كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة.

فَلَمْ تُكْذَّبْ^(١) فُرَيْشُ بِجَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدُّغْنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ، فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدُّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ لِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ^(٢) فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ^(٣) وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذُ^(٤) عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءَ لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ^(٥) إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَفْرَعَ ذَلِكَ^(٦) أَشْرَافَ فُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّغْنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ حَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ

(١) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): أي: لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي أَمَانِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَكُلٌّ مِنْ كَذَّبَكَ فَقَدْ رَدَّ قَوْلَكَ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦٤٠/٧): أي: ظَهَرَ لَهُ رَأْيٌ غَيْرُ الرَّأْيِ الْأَوَّلِ.

(٣) الْفَنَاءُ: بِكَسْرِ الْفَاءِ، وَهُوَ الْمُسْعُ أَمَامَ الدَّارِ. انظر: النهاية (٤٢٨/٣).

(٤) فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٢٩٧) -: فَيَتَقَصَّفُ: أَي: يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ. انظر: النهاية (٦٥/٤).

قال الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه السيرة النبوية (٣٨٣/١): وهذه القصة تدل دلالة واضحة على تأثير القرآن وإعجازه البياني والبلاغي في نفوس العرب الخُلص، وسواء في ذلك الرجال والنساء؛ بل والصبيان.

قلت: قد مرَّ معنا تأثير القرآن على العرب في قِصَّةِ سَجُودِ الْكُفَّارِ عِنْدَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ النِّجْمِ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦٤١/٧): أي: لَا يُطِيقُ إِسْكَاهُمَا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ رِقَّةِ قَلْبِهِ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٦٤١/٧): أي: أَخَافَ الْكُفَّارَ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ رِقَّةِ قُلُوبِ النِّسَاءِ وَالشَّبَابِ أَنْ يَمِيلُوا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ.

فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلُهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ^(١)، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقَرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدُّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تُرْجَعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جَوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجَوَارِ^(٢) اللَّهِ ﷻ^(٣).



(١) قال الحافظ في الفتح (٦٤١/٧): أي: أمانك له.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦٤١/٧): أي: أمانه وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين، وقوة يقين أبي بكر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٥)، وأخرجه في كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٢٩٧)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب ذكر وصف كيفية خروج المصطفى ﷺ من مكة، رقم الحديث (٦٢٧٧).



خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ

لَمَّا اِزْدَادَتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاشْتَدَّ أَذَاهَا لَهُ بَعْدَ أَنْ صَارَ وَحِيدًا بِلَا نَصِيرٍ يَحْمِيهِ وَيُؤْوِيهِ مِنَ النَّاسِ، وَلَمَّا زَهَدَتْ قُرَيْشٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي قُرَيْشٍ لَمْ تَعُدْ مُجْدِيَّةً، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِ نَصِيرًا، وَقَبُولًا، وَاسْتِجَابَةً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ حَيْثُ تَقُظُن^(١) ثَقِيفٌ^(٢)، يَلْتَمِسُ نُصْرَتَهُمْ، وَالْمَنْعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ.

وَقَصَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، إِمَّا لِأَنَّهُ الْمَرْكَزُ الثَّانِي لِلْقُوَّةِ وَالسِّيَادَةِ فِي الْحِجَازِ بَعْدَ مَكَّةَ، أَوْ لِأَنَّ أَسْوَالَهُ مِنْ بَنِي ثَقِيفٍ مِنْ جِهَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، فَرَأَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ مِنْ ثَقِيفِ النَّصْرَ وَالْمَنْعَةَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ^(٣).

وَالطَّائِفُ بَلَدٌ مَعْرُوفَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ الْيَوْمَ (٨٠) كِيلُو مِترَ تَقْرِيْبًا، قَطَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ^(٤) مَاشِيًا عَلَى الْأَقْدَامِ ذَهَابًا وَرُجُوعًا.

(١) قَطُنَ الْمَكَانَ: إِذَا لَزِمَهُ. انظر: لسان العرب (١١/٢٣١).

(٢) قال الشيخ أبو الحسن في كتابه السيرة النبوية (ص ١٤٤): مما يُذَكَّرُ لثَقِيفٍ مِنَ الْمَآثِرِ أَنَّهُ ارْتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قُرَيْشًا وَثَقِيفًا، وَكَانَ لَهُمْ أَثَرٌ وَبَلَاءٌ فِي الْحُرُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَوَاقِفَ بَطُولِيَّةٍ مَحْمُودَةٍ.

(٣) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي ﷺ (ص ١٤٤).

(٤) هذا الذي رواه ابن سعد في طبقاته (١/١٠٢) عن جبير بن مطعم، وذكر موسى بن عقبة، =

وَكَانَ خُرُوجُهُ إِلَيْهَا لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ عَشْرِ مِنَ الْبِعْثَةِ^(١).

❀ وُصُولُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ:

فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ^(٢)، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ^(٣) ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ.

وَقَالَ الثَّانِي: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ؟

وَقَالَ الثَّلَاثُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ.

فَلَمَّا يَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْرِهِمْ، قَالَ لَهُمْ: «إِذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاتَّكُمُوا عَنِّي»، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ خَبْرُ قُدُومِهِ عَلَى الطَّائِفِ فَيَجْتَرُّوا عَلَيْهِ، وَتَزْدَادَ عَدَاوَتُهُمْ وَشِمَاتُهُمْ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَقَالُوا لَهُ:

= وابن إسحاق في السيرة (٣٢/٢) وغيرهما: أنه ﷺ خرج وحده ماشيًا، فيمكن الجمع أن زيدًا ﷺ لحقه بعد ذلك. انظر: شرح المواهب (٥٠/٢).

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٠٢/١)، سيرة ابن هشام (٣٣/٢)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٩٥/١)، شرح المواهب (٤٩/٢).

(٢) هؤلاء الإخوة أسلموا جميعًا وجاؤوا مع قومهم في عام الوفود من السنة التاسعة للهجرة.

(٣) يَمْرُطُ: يَنْتِفُ. انظر: لسان العرب (٨١/١٣).

أَخْرَجَ مِنْ بَلَدِنَا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، فَجَعَلُوا يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَقَعَدُوا لَهُ صَقَيْنَ عَلَى طَرِيقِهِ، وَأَخَذُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُمَا، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه يَقْبِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقَدْ أَصَابَهُ شِجَاجٌ ^(١) فِي رَأْسِهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ السُّفَهَاءُ حَتَّى أَلْجَؤُهُ إِلَى حَائِطٍ ^(٢) لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ^(٣) ابْنَيْ رَبِيعَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْحَائِطُ رَجَعَ عَنْهُ مَنْ كَانَ يَتَّبَعُهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ، وَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ عَنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه.

❀ هِمَّةٌ عَجِيبَةٌ:

هَلْ تَرَوْنَ كُلَّ هَذِهِ الْمَصَائِبِ وَالْأَهْوَالِ أَثَرْتُ فِي عَزِيمَةِ الرَّسُولِ ﷺ؟ أَوْ نَقَصَتْ مِنْ إِيْمَانِهِ بِدَعْوَتِهِ وَحِمَاسَتِهِ لَهَا؟

... وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْبَلَاءُ، وَامْتَدَّ، لَا يَوْمًا وَلَا يَوْمَيْنِ، وَلَا أُسْبُوعًا، وَلَا شَهْرًا، امْتَدَّ سَنَوَاتٍ طَوَالًا، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا غَيْرَ الرَّسُولِ ﷺ، لَقَالَ: حَسْبِيَ. لَقَدْ عَمِلْتُ مَا عَلَيَّ، وَبَذَلْتُ الْجُهْدَ، فَإِذَا النَّجَاحُ مُسْتَحِيلٌ، وَقَدْ آنَ لِي أَنْ أَنْسَحِبَ، وَأَقْعُدَ فِي بَيْتِي.

وَلَكِنَّ الْإِنْسِحَابَ لَا مَكَانَ لَهُ فِي مَنْهَجِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَلِمَةُ مُسْتَحِيلٌ لَا وُجُودَ لَهَا فِي مُعْجَمِهِ ﷺ، وَإِذَا لَمْ يَنْجَحْ فِي مَكَّةَ فَلْيَنْتَقِلْ إِلَى غَيْرِهَا. فَإِنَّ الدَّعْوَةَ لِلدُّنْيَا كُلِّهَا، وَلِلْعُصُورِ كُلِّهَا ^(٤).

(١) الشَّجُّ: فِي الرَّأْسِ خَاصَّةً، وَهُوَ أَنْ يَضْرِبَهُ بِشَيْءٍ فَيَجْرَحُهُ فِيهِ وَيَشْقَهُ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ. انظر: النهاية (٣٩٩/٢).

(٢) الْحَائِطُ: الْبُسْتَانُ مِنَ التَّخِيلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ وَهُوَ الْجِدَارُ. انظر: النهاية (٤٤٤/١).

(٣) هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ، وَهُمَا مِنْ أَشَدِّ مَنْ آذَى الرَّسُولَ ﷺ، وَقَدْ قُتِلَا كَافِرِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٤) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي رحمته الله (ص ٢٦).

❀ تَضَرُّعٌ وَدُعَاءٌ:

وَهُنَا وَقَدْ بَلَغَ الْهَوْلُ هَذَا الْمَبْلَغَ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دُعَاءً، مَا تَلَوْتُهُ مَرَّةً إِلَّا فَاضَتْ عَيْنَايَ، وَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا يَسْمَعُهُ وَيَفْهَمُهُ، يَمْلِكُ قَلْبُهُ أَنْ يَسِيلَ مِنَ الرَّقَّةِ دَمْعًا مِنْ عَيْنَيْهِ^(١).

فَلَمَّا اِظْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَائِطِ تَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ ﷻ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلْنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي^(٢)؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟! إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ. لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٣).

❀ قِصَّةُ عَدَّاسٍ:

فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنَا رَبِيعَةَ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ، وَكَانَا فِي الْحَائِطِ، وَرَأَيَا مَا لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُفْهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ: عَدَّاسٌ، فَقَالَا لَهُ: خُذْ قِطْعًا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ فَضَعُهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ، فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»^(٤) ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ، للشيخ علي الطنطاوي ﷺ (ص ٢٦).

(٢) يَتَجَهَّمُنِي: أي: يُلْقَانِي بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ. انظر: النهاية (١/٣١٢).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣٣/٢)، البداية والنهاية (١٤٧/٣)، زاد المعاد (٢٨/٣)، ودلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٩٦/١).

(٤) قال ابن القيم في زاد المعاد (١٤٣/١): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَوَّلِ =

مُسْتَعْرِبًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ وَمَا دِينُكَ؟»^(١).

قَالَ: نَضْرَانِي، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ زَيْنَوَى^(٢)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟» فَقَالَ عَدَّاسُ: وَمَا يُذْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ».

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ، وَيَدَيْهِ، وَقَدَمَيْهِ، وَأَسْلَمَ^(٣).

فَقَالَ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَمَّا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ، فَلَمَّا

= طَعَامِهِ، وَيَحْمِدُهُ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ عِنْدَ انْقِضَائِهِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ وَجَمَلَ لَهُ مَعْرَجًا».

أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥٢٢٠)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي زَادِ الْمَعَادِ (٢١٣/٤): إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا، فَقَدْ كَمُلَ: إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، وَحُمِدَ اللَّهُ فِي آخِرِهِ، وَكُثِرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي، وَكَانَ مِنْ حَلَائِلِ.

(١) قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الطَّنْطَاوِيُّ فِي كِتَابِهِ رِجَالُ مِنَ التَّارِيخِ (ص ٢٧): وَهَذَا مَوْقِفٌ عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ، الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الشَّدَّةِ، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي يُقْنِطُ أَجْلَدَ الْأَبْطَالِ، رَأَى بَادِرَةَ قَبُولَ لِلدَّعْوَةِ عِنْدَ عَبْدٍ ضَعِيفٍ يُقَالُ لَهُ: عَدَّاسُ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ كُلُّ مَا لَقِيَ مِنْ أَنْ يُبَلِّغَهُ دَعْوَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْصَرِفَ إِلَيْهِ، وَيَتَّبِعَهُ ﷺ حَتَّى أَسْلَمَ عَدَّاسُ، هَذَا مَوْقِفٌ صَغِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ عَظِيمٌ عَظِيمٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دُعَاةِ الْبَشَرِ فِي كُلِّ تَوَارِيخِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ بَاحِثٌ أَنْ يَلْقَى فِي الْإِخْلَاصِ لِلدَّعْوَةِ، وَنِسْيَانِ الذَّاتِ فِي سَبِيلِهَا، مَوْقِفًا مِثْلَهُ لِرَجُلٍ آخَرَ غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ.

(٢) زَيْنَوَى: بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَسُكُونِ ثَانِيهِ، هِيَ قَرْيَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَوْصِلِ فِي الْعِرَاقِ. انْظُرْ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (٣٩١/٥).

(٣) أَسْلَمَ عَدَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الصَّحَابَةِ، وَفِي سِيرِ التَّيْمِيِّ أَنَّ عَدَّاسًا قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. انْظُرْ: الْإِصَابَةُ (٣٨٥/٤).

جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ، قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ! مَا لَكَ تَقْبِلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ
وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟

قَالَ: يَا سَيِّدِي! مَا فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ مَا
يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَا لَهُ: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ! لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ
خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ^(١).

✽ رُجُوعُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ:

ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، وَهُوَ مَهْمُومٌ وَمَحْزُونٌ، فَلَمْ
يَسْتَفِقْ ﷺ إِلَّا وَهُوَ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ^(٢) مَا
لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ
يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى
وَجْهِ^(٣)، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ^(٤)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ
قَدْ أَظْلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَتَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٤/٢)، البداية والنهاية (١٤٧/٣)، شرح المواهب (٥٠/٢)،
طبقات ابن سعد (١٠٢/١)، زاد المعاد (٢٨/٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح: المراد بقوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله ﷺ: «لقد لقيت من قومك»: قريش، لا أهل الطائف الذين هم ثقيف؛ لأنهم - أي: قريش - كانوا السبب الحامل على ذهابه ﷺ لثقيف، ولأن ثقيفاً ليسوا قوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٦٢/٦): أي: على الجهة المواجهة لي.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤٦٢/٦): قَرْنُ الثَّعَالِبِ: هو ميقَاتُ أهل نجد، ويقال له: قَرْنُ
الْمَنَازِلِ أَيْضًا.

قلت: وقَرْنُ المنازل يبعد اليوم عن مكة (٨٠) كيلو متر تقريبًا.

لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ،
فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ،
إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ^(١) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو^(٢) أَنْ
يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَضْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣).

قُلْتُ: وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ،
فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِ أَبِي طَالِبٍ، عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَجَعْفَرَ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ﷺ، وَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِ أَبِي جَهْلٍ، عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ﷺ،
وَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ، وَأَخْرَجَ مِنْ
صُلْبِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ﷺ، وَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِ الْمُطْعِمِ بْنِ
عَدِيِّ، جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ﷺ، وَغَيْرَهُمْ كَثِيرٌ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أَضْلَابِ هَؤُلَاءِ
الْكُفَّارِ.

❁ وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمَا فِي إِسْلَامِ الْجَنِّ:

• ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٤)، وَابْنُ سَعْدٍ^(٥)، وَابْنُ الْقَيْمِ فِي «زَادِ الْمَعَادِ»^(٦):

(١) الْأَخْشَبَانِ: الْجَبَلَانِ الْمُطِيفَانِ بِمَكَّةَ، وَهُمَا أَبُو قُبَيْسٍ وَالْأَحْمَرُ، وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهَهُ

عَلَى جَبَلٍ قُعَيْقَعَانَ، وَالْأَخْشَبُ كُلُّ جَبَلٍ خَشِنٍ غَلِيظِ الْحَجَارَةِ. انظر: النهاية (٣١/٢).

(٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٤٦٢/٦): وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ، وَمَزِيدٌ

صَبْرِهِ وَحَلِيمِهِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ آيَةِ (١٥٩): «فَمَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ لَئِنْ

لَهُمْ[❦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ آيَةِ (١٠٧): «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ[❧]».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ بَدَأِ الْخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ

(٣٢٣١)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ

وَالْمُنَافِقِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٩٥)، وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ صَبْرِ

الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٥٦١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥/٢). (٥) انظر: الطبقات الكبرى (١٠٢/١).

(٦) انظر: زاد المعاد (٢٩/٣).

أَنَّ سَمَاعَ الْجَنْ لِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِسْلَامَهُمْ كَانَ عِنْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ حِينَ بَاتَ بِنَخْلَةٍ^(١)، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، فَإِنَّ اسْتِمَاعَهُمْ لَهُ ﷺ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْمُبْعَثِ، كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ.

❁ دُخُولُ الرَّسُولِ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ:

ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، وَفِرَاقِ دِينِهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ دُخُولَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﷺ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَخْرَجُوكَ؟

فَقَالَ ﷺ: «يَا زَيْدُ! إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ دِينِهِ، وَمُظْهِرُ نَبِيِّهِ».

ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ خُرَاعَةَ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ إِلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ لِيُجِيرَهُ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ: أَنَا حَلِيفُ قُرَيْشٍ، وَرَفَضَ إِجَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَبَعَثَ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو لِيُجِيرَهُ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو: إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ، وَرَفَضَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَنْ يُجِيرَ الرَّسُولَ ﷺ.

فَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ^(٢) لِيُجِيرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُطْعَمُ: نَعَمْ وَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُرَيْقِطٍ: قُلْ لِمُحَمَّدٍ فَلْيَاتِ. فَرَجَعَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَبَاتَ عِنْدَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ

(١) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة، فيه نخل وزرع. انظر: معجم البلدان (٨/٣٨١).

(٢) الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ: مات كافرًا.

المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَقَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ هُوَ وَبَنُوهُ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: طِفْ، وَأَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ لِحِمَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

فَهُنَا أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَقَالَ لَهُ: أُمِّجِيرٌ أَمْ تَابِعٌ^(١)؟ فَقَالَ الْمُطْعِمُ: بَلْ مُجِيرٌ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِذَنْ لَا نَخْفِرُ ذِمَّتَكَ^(٢) قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ. فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوَافَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ انْصَرَفُوا مَعَهُ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَجْلِسِهِ^(٣).

❖ وَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ:

وَلِهَذَا الصَّنِيعِ الَّذِي فَعَلَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ^(٤) لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»^(٥).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: أَيُّ: بَغِيرٍ فِدَاءٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ سَبَبَ تَرْكِهِمْ

(١) أَيُّ: اتَّبَعَتْهُ وَدَخَلَتْ دِينَهُ.

(٢) لَا نَخْفِرُ ذِمَّتَكَ: أَيُّ: لَا نَنْقُضُ وَلَا نَعْدِرُ بِجَوَارِكَ وَعَهْدِكَ. انظر: النهاية (٥٠/٢).

(٣) انظر تفاصيل ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف والرجوع منها في: زاد المعاد (٣٨/٣) - (٤٠)، شرح المواهب (٤٩/٢ - ٦٦)، سيرة ابن هشام (٣٢/٢ - ٣٥)، البداية والنهاية (٣/١٤٧)، سبل الهدى والرشاد (٤٣٨/٢ - ٤٤٠)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٠١/١) - (١٠٢)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤١٥/٢ - ٤١٧).

(٤) النَّتْنُ: الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ، والمراد بالنتن في هذا الحديث أسارى بدرٍ من المشركين. انظر: لسان العرب (٣٦/١٤).

(٥) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، رقم الحديث (٣١٣٩)، وأخرجه في كتاب المغازي، باب رقم (١٢)، رقم الحديث (٤٠٢٤).

لَهُ: مِنْ أَنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ كَانَ مِنْ أَشَدِّ مَنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ حَصَرُوهُمْ فِي الشَّعْبِ، وَالسَّبَبُ الثَّانِي: إِجَارَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَمَا أَرَادَ دُخُولَ مَكَّةَ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ ﷺ^(١).

قَالَ الزُّرْقَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا مِنْ شَيْمِهِ ﷺ الْكَرِيمَةِ تَذَكَّرَ وَقَتَ النَّصْرِ، وَالظَّفَرِ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ هَذَا الْجَمِيلَ^(٢).

❦ اسْتَهْزَأَ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِالرَّسُولِ ﷺ كَيْفَ يَحْتَاجُ نَبِيٍّ إِلَى جَوَارٍ، وَكَأَنَّهُ يَتَسَاءَلُ لِمَ لَمْ تَنْزِلِ الْمَلَائِكَةُ لِحِفْظِهِ ﷺ؟

فَقَالَ لَعَنَهُ اللَّهُ لَمَّا رَأَى الرَّسُولَ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمُشْرِكُونَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ: هَذَا نَبِيُّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! فَرَدَّ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَالَ: وَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مِنَّا نَبِيٌّ أَوْ مَلَكٌ؟

فَلَمَّا سَمِعَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: «أَمَّا أَنْتَ يَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَوَاللَّهِ مَا حَمَيْتَ اللَّهَ وَلَا لِرَسُولِهِ، وَلَكِنْ حَمَيْتَ لِنَفْسِكَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى تَضْحَكَ قَلِيلًا، وَتَبْكِي كَثِيرًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى تَدْخُلُوا فِيَمَا تُنْكِرُونَ، وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ»^(٣).

(١) انظر: فتح الباري (٥٩/٨ - ٦٠).

(٢) انظر: شرح المواهب (٦٧/٢).

(٣) أخرج ذلك الطبري في تاريخه (٥٥٥/١) بدون إسناد، وابن سعد في طبقاته (١٠٢/١) من طريق الواقدي، وإسناده ضعيف.

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

جَاءَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ تَثْبِيْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَكْرِيمًا لَهُ فِي أَعْقَابِ سِنِينَ طَوِيلَةٍ مِنَ الدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَاضْطِهَادِهِمْ، وَنُكْرَانِهِمْ، وَجَفَائِهِمْ.

❁ الْمَقْصُودُ بِالْإِسْرَاءِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: أَسْرَى، مَا أُخِذَتْ مِنَ السَّرَى: وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ، تَقُولُ: أَسْرَى وَسَرَى إِذَا سَارَ لَيْلًا بِمَعْنَى^(١).

وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾: أَيُّ: جَعَلَ الْبَرَقَ يَسْرِي بِهِ. وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِعَبْدِهِ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ اتِّفَاقًا، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْلًا﴾: ظُرِفَ لِلْإِسْرَاءِ وَهُوَ لِلتَّأْكِيدِ، وَيُقَالُ: بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ لَا فِي جَمِيعِهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: سَرَى فَلَانٌ لَيْلًا إِذَا سَارَ بَعْضُهُ، وَسَرَى لَيْلَةً إِذَا سَارَ جَمِيعُهَا، وَلَا يُقَالُ أَسْرَى إِلَّا إِذَا وَقَعَ سَيْرُهُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، وَإِذَا وَقَعَ فِي أَوَّلِهِ يُقَالُ: أَذْلَجَ^(٢).

وَيُقْصَدُ بِالْإِسْرَاءِ هُنَا: الرِّحْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِالْقُدْسِ.

(١) انظر: فتح الباري (٥٩٧/٧)، لسان العرب (٢٥٢/٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥٩٧/٧).

❁ الْمَقْصُودُ بِالْمِعْرَاجِ^(١):

أَمَّا الْمِعْرَاجُ: فَهُوَ مَا أَغْقَبَ هَذِهِ الرَّحْلَةَ مِنَ الْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَا حَتَّى الْوُصُولِ إِلَى مُسْتَوَى تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ عُلُومُ الْخَلَائِقِ.

وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ فِي سُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، فَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وَذَكَرَ ﷻ قِصَّةَ الْمِعْرَاجِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٢﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْنَمُ الْأَسَدَرَةَ مَا يَغْنَمُ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].

❁ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ دَحْيَةَ فِي كِتَابِهِ: «التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ» فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الرِّوَايَاتُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطٍ، وَأَبِي حَبَّةٍ وَأَبِي لَيْلَى الْأَنْصَارِيِّينَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَجَابِرٍ، وَحُذَيْفَةَ، وَبُرَيْدَةَ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَبِي أَمَامَةَ، وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، وَأَبِي الْحَمْرَاءِ، وَضَهَيْبُ الرُّومِيِّ، وَأُمُّ هَانِئٍ، وَعَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ ابْنَتِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهُ بِطَوِيلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَهُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي الْمَسَانِيدِ،

(١) المِعْرَاجُ: بِكسر الميم هو السُّلَم، والعُرُوجُ: الصُّعُود. انظر: النهاية (١٨٤/٣).

وَأِنْ لَمْ تَكُنْ رِوَايَةُ بَعْضِهِمْ عَلَى شَرْطِ الصَّحَّةِ، فَحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَاعْتَرَضَ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ الْمُلْحِدُونَ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] ^(١).

❖ مَتَى حَدَثَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟

اِخْتَلَفَ فِي وَقْتِ وَقُوعِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، فَقِيلَ: قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ قَالَهُ ابْنُ سَعْدٍ ^(٢)، وَغَيْرُهُ، وَبِهِ جَزَمَ النَّوَوِيُّ، وَبَالَغَ ابْنُ حَزْمٍ فَتَقَلَّ الْإِجْمَاعُ فِيهِ، وَهُوَ مَرْدُودٌ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ أَقْوَالٍ ^(٣).

وَقِيلَ: كَانَ فِي رَجَبِ حَكَاةِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَجَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي «الرَّوْضَةِ»، وَقِيلَ: قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ حَكَاةِ ابْنِ الْأَثِيرِ ^(٤).

قُلْتُ: وَالَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، لَكِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ بِالضَّبْطِ الْيَوْمُ، وَالشَّهْرُ، وَالسَّنَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا ^(٥).

❖ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ:

الصَّحِيحُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٤٥).

(٢) قال ابن سعد في طبقاته (١/١٠٣): كان الإسراء والمعراج ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

(٣) انظر: فتح الباري (٧/٦٠٢).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١/٦٥٠).

(٥) انظر: فتح الباري (٧/٦٠٢).

الْأَفْصَى، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ، وَكَمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَمَلَهُ عَلَى الْبُرَاقِ حَيْثُ أَتَاهُ بِهِ، وَصَلَّى هُنَالِكَ بِمَنْ صَلَّى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: أُسْرَى بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَلَا كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَكَانُوا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِهِ فِيهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عَنْدهُمْ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَرَى الرَّائِي مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ، فَكَيْفَ مَا هُوَ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ أَوْ أَقَلٍّ؟ وَبَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ أُسْرَى بِعَبْدِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ أُسْرَى بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى مَا قَالَ اللَّهُ إِلَى غَيْرِهِ.. وَلَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أُسْرَى بِرُوحِ عَبْدِهِ؛ بَلْ الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَالْأَخْبَارُ الْمُتَتَابِعَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُسْرَى بِهِ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا: الْبُرَاقُ، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ مَحْمُولَةً عَلَى الْبُرَاقِ، إِذْ كَانَتْ الدَّوَابُّ لَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَجْسَامَ^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ يَقْطَعُ لَا مَنَامًا، وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ﴾ فَالْتَّسِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا، وَلَمَا بَادَرَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَلَمَا ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿أُسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الزُّبْيَا أَلْفًا أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] ^(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً أُسْرِي بِهِ، وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ: شَجَرَةُ الرَّقُومِ ^(٢).

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] وَالْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحَ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ ﷺ حُمِلَ عَلَى الْبَرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ بَيَضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرَكَبٍ تَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَقَدْ اخْتَلَفَ السَّلَفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقْظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْمَبْعَثِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ، إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ ^(٤).

✽ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً:

وَإِذَا حَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَى مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ صَحِيحِهَا، وَحَسَنِهَا، وَضَعِيفِهَا، يَحْصُلُ مَضْمُونُ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَنَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الرُّوَاةِ فِي أَدَائِهِ،

(١) انظر كلام الحافظ ابن كثير في: تفسيره (٤٣/٥ - ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا الزُّبْيَا أَلْفًا أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، رقم الحديث (٤٧١٦)، وأخرجه في مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث (٦٨٨٨)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٤/٥). (٤) انظر: فتح الباري (٥٩٥/٧).

أَوْ زَادَ بَعْضُهُمْ فِيهِ أَوْ نَقَصَ مِنْهُ، فَإِنَّ الْخَطَأَ جَائِزٌ عَلَى مَنْ عَدَا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَنْ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ كُلِّ رِوَايَةٍ خَالَفَتِ الْأُخْرَى مَرَّةً عَلَى حِدَةٍ، فَأَثْبَتَ إِسْرَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةً فَقَدْ أَبْعَدَ وَأَغْرَبَ، وَهَرَبَ إِلَى غَيْرِ مَهْرَبٍ، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَطْلَبٍ.

وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُهُمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَطْ، وَمَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَطْ، وَمَرَّةً إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَفَرِحَ بِهَذَا الْمَسْلُوكِ، وَأَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ يَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا، وَلَمْ يُنْقَلْ هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَلَوْ تَعَدَّدَ هَذَا التَّعَدُّدُ لِأَخْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ أُمَّتُهُ، وَلِنَقْلَتُهُ النَّاسُ عَلَى التَّعَدُّدِ وَالتَّكْرَارِ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ ﷺ: وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَثِمَّةُ النَّقْلِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبُعْثَةِ^(٢).

❀ قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:

أَمَّا قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»، كَمَا رَوَاهَا غَيْرُهُمَا مِنْ أَثِمَّةِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ، وَسَأَفْصِلُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ، وَأَجْمَعُ بَيْنَ الرُّوَايَاتِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ مَالِكَ بْنَ صَعْصَعَةَ ﷺ قَالَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ، قَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ -^(٣)

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢/٧). (٢) انظر: زاد المعاد (٣٨/٣).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦٠٣/٧): هُوَ شَكٌّ مِنْ قِتَادَةِ كَمَا بَيَّنَّهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٧٨٣٥) عَنْ عَفَّانَ عَنْ هَمَّامٍ، وَلَفْظُهُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ»، وَرُبَّمَا قَالَ قِتَادَةُ فِي الْحِجْرِ، وَالْمُرَادُ بِالْحَطِيمِ هُنَا الْحِجْرُ، وَأَبْعَدَ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ بِهِ - أَيِ: الْحَطِيمِ - مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ أَوْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُخْتَلَفًا فِي الْحَطِيمِ هَلْ هُوَ =

مُضْطَجِعًا^(١)، إِذْ أَتَانِي آتٍ^(٢) فَقَدَّ^(٣)، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ». فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: «مِنْ نُفْرَةٍ^(٤) نَحَرِهِ^(٥) إِلَى شِعْرَتِهِ^(٦)، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطُسْتٍ^(٧) مِنْ ذَهَبٍ^(٨)

= الحِجَرِ أَمْ لَا؟ لَكِنِ الْمَرَادُ هُنَا بَيَانُ الْبُقْعَةِ الَّتِي وَقَعَ ذَلِكَ فِيهَا، وَقَدْ وَقَعَ فِي أَوَّلِ بَدْءِ الْخَلْقِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٢٠٧): بَلَفَظَ «بَيْنًا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ» وَهُوَ أَعْمُ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٤٩): عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ»، وَفِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ بِأَسَانِيدِهِ: أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ أَنَّهُ بَاتَ فِي بَيْتِهَا قَالَتْ: فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: «إِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي». وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ نَامَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ، وَبَيْتِهَا عِنْدَ شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ، فَفُرِجَ سَقْفُ بَيْتِهِ، وَأَضَافَ الْبَيْتَ إِلَيْهِ لِكَوْنِهِ كَانَ يَسْكُنُهُ، فَنَزَلَ مِنْهُ الْمَلِكُ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَكَانَ بِهِ مُضْطَجِعًا، وَبِهِ أَثَرُ نُعَاسٍ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ الْمَلِكُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبُهُ الْبُرَاقَ.

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٤/٧): زَادَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ - أَيِ: الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٢٠٧)، قَالَ: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى ابْتِدَاءِ الْحَالِ، ثُمَّ لَمَّا أَخْرَجَ بِهِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبُهُ الْبُرَاقَ اسْتَمَرَّ فِي يَقْظَتِهِ.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٤/٧): هُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) الْقَدُّ: هُوَ الْقَطْعُ طَوْلًا كَالشَّقِّ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢٠/٤).

(٤) النُّفْرَةُ: هِيَ نُفْرَةُ النَّحْرِ فَوْقَ الصَّدْرِ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢٠٨/١).

(٥) النَّحْرُ: هُوَ أَعْلَى الصَّدْرِ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (٢٣/٥).

(٦) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٤/٧): قَوْلُهُ: شِعْرَتِهِ بِكسر الشين؛ أَيِ: شَعْرَ الْعَانَةِ.

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٤) قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ.

(٧) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٨٦/٢): هِيَ إِنَاءٌ مَعْرُوفٌ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٥/٧): خَصَّ الطُّسْتُ لِكَوْنِهِ أَشْهَرُ آلَاتِ الْغُسْلِ عُرفًا.

(٨) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٥/٧): خُصَّ الزَّهَبُ لِكَوْنِهِ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْأَوَانِي الْحُسْبِيَّةِ وَأَصْفَاهَا؛ وَلَأنَّ فِيهِ خَوَاصُّ لَيْسَتْ لغيره وَيُظْهَرُ لَهَا هُنَا مُنَاسِبَاتٌ: مِنْهَا أَنَّهُ مِنْ أَوَانِي الْجَنَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا تَأْكُلُهُ النَّارُ، وَلَا الثَّرَابُ، وَلَا يَلْحَقُهُ الصَّدَأُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَثْقَلُ الْجَوَاهِرِ فَنَاسَبَ ثِقَلُ الْوَحْيِ.

مَمْلُوءَةٌ^(١) إِيْمَانًا^(٢)، فَغَسَلَ قَلْبِي^(٣)، ثُمَّ حُسِّي^(٤)، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُثِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضٌ، فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ^(٥) يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، «يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ»^(٦)، وَكَانَ مُسْرَجًا مُلْجَمًا^(٧).

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/٢): والمعنى: أن الطَّلَسْتَ جُعِلَ فيها شَيْءٌ يَحْضُلُ بِهِ كَمَالُ الْإِيْمَانِ وَالْحِكْمَةِ فَسُمِّيَ حَكْمَةً وَإِيْمَانًا مَجَازًا، أَوْ مَثَلًا لَهُ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ تَمَثِيلِ الْمَعَانِي، كَمَا يُمَثَّلُ الْمَوْتُ كَيْشًا فِي الْآخِرَةِ.

حديث: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ تُنْفَخُ﴾، رقم الحديث (٤٧٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفتها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم الحديث (٢٨٤٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦/٧): هذا المِلْءُ يحتمل أن يكون على حَقِيقَتِهِ، وَتَجْسِيدِ الْمَعَانِي جَائِزٌ كَمَا جَاءَ أَنَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ.

(٣) في رواية الإمام مسلم في الصحيح، رقم الحديث (١٦٣): «ثُمَّ غَسَلَهُ - أَي: قَلْبَهُ - مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ».

(٤) في رواية شريك في صحيح البخاري، رقم الحديث (٧٥١٧)، قال: فَحَشَا بِهِ صَدْرُهُ وَلَعَادِيْدُهُ ﷺ. وهو بفتح اللام والغين؛ أَي: عُرِيقُ حَلْقِهِ.

قال الحافظ (٦/٧): وَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَةِ عَلَى مَا يُدْهِشُ سَامِعَهُ فَضْلًا عَمَّنْ شَاهَدَهُ، فَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنَّ مِنْ شَقِّ بَطْنِهِ، وَأُخْرِجَ قَلْبُهُ يَمُوتُ لَا مَحَالَةَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يُؤْثَرْ فِيهِ ذَلِكَ ضَرَرًا وَلَا وَجَعًا فَضْلًا عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦/٧): سُمِّيَ الْبُرَاقُ لِأَنَّهُ مَشْتَقٌّ مِنَ الْبَرِّيقِ، فَقَدْ جَاءَ فِي لَوْنِهِ أَنَّهُ أَبْيَضُ، أَوْ مِنَ الْبَرِّقِ لِأَنَّهُ وَصِفَهُ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ شَاةٌ بَرِّقَاءٌ إِذَا كَانَ خِلَالِ صُوفِهَا الْأَبْيَضِ طَاقَاتٌ سُودَ، وَلَا يُنَافِيهِ وَصْفُهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْبُرَاقَ أَبْيَضُ لِأَنَّ الْبَرِّقَاءَ مِنَ الْغَنَمِ مَعْدُودَةٌ فِي الْبَيَاضِ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٦/٧): أَي: يَضَعُ رِجْلَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى مَا يَرَى بَصَرُهُ.

إلى هذا القدر أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٨٣٥).

(٧) اللَّجْجَامُ: هُوَ حَبْلٌ أَوْ عَصَا تَدْخُلُ فِي فَمِ الدَّابَّةِ، وَتُلْزَفُ إِلَى قَفَاهُ. انظر: لسان العرب (٢٤٢/١٢).

فَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْكَبَهُ، اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ﷺ: أِبْنُ مُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ^(١) أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، قَالَ: «فَارْقُضْ^(٢) عَرَقًا»^(٣).

«فَرَكِبْتُهُ - أَي: الْبُرَاقُ - حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ^(٤)، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ»^(٥).

❁ الْآيَاتُ الَّتِي رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ:

رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ الْمَشَاهِدِ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، مِنْهَا:

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦٠٧/٧): فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْبُرَاقَ كَانَ مُعَدًّا لِرُكُوبِ الْأَنْبِيَاءِ، خِلَافًا لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَنَسٍ مَوْصُولًا وَزَادَ: وَكَانَتْ تُسَخَّرُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَيُؤَيِّدُهُ ظَاهِرُ قَوْلِهِ.

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٦٢) قَالَ ﷺ: «فَرَبَطْتُهُ - أَي: الْبُرَاقُ - بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ السَّهْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ (١٩٤/٢): إِنَّمَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ لِبُعْدِ عَهْدِ الْبُرَاقِ بِرُكُوبِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَطَوَّلَ الْفَتْرَةَ بَيْنَ عِيسَى ﷺ وَمُحَمَّدٍ ﷺ.

(٢) فَارْقُضْ عَرَقًا: أَي: جَرَى عَرَقُهُ، وَسَلَّ، ثُمَّ سَكَنَ، وَانْقَادَ وَتَرَكَ الْاسْتِضْعَابَ. انْظُرْ: لِسَانَ الْعَرَبِ (٢٦٧/٥).

(٣) أَخْرَجَ ذَلِكَ: ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِسْرَاءِ، بَابُ اسْتِضْعَابِ الْبُرَاقِ عِنْدَ رُكُوبِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٤٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٣٣٩٧)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٤) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥٩٥/٧): وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى يَجْمَعَ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَيْنَ رُؤْيَا الْقِبْلَتَيْنِ، أَوْ لِأَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَانَ هِجْرَةً غَالِبَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ فَحَصَلَ لَهُ الرَّحِيلُ إِلَيْهِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ، أَوْ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْمَحْشَرِ، وَغَالِبُ مَا اتَّفَقَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُنَاسِبُ الْأَحْوَالَ الْأُخْرَوِيَّةَ، فَكَانَ الْمِعْجَازُ مِنْهُ أَلَيَقَ بِذَلِكَ، أَوْ لِلتَّفَاوُلِ بِحُضُورِ أَنْوَاعِ التَّقْدِيسِ لَهُ جِسًّا وَمَعْنَى.

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِالرَّسُولِ ﷺ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٦٢).

* الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ:

رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى عِفْرِيئًا مِنَ الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا التَفَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ، إِذَا قُلْتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُهُ وَخَرَّ لِفِيهِ^(١)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى».

فَقَالَ جِبْرِيلُ: فَقُلْ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّمَاتِ اللَّاتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ^(٢) فِي الْأَرْضِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ فَتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ طَوَارِقِ^(٣) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ^(٤).

* الْمَشْهَدُ الثَّانِي:

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ فَقَالَ: ... وَرَأَى الدَّجَالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ ... فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ؟ فَقَالَ: «رَأَيْتُهُ فَيَلْمَانِيَا^(٥)، أَقْمَرُ^(٦) هِجَانًا^(٧)، إِحْدَى

(١) خَرَّ لِفِيهِ: أَي: سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. انظر: لسان العرب (٥٧/٤).

(٢) ذَرَأَ: أَي: خَلَقَ. انظر: المرجع السابق (٢٩/٥).

(٣) طَوَارِقُ اللَّيْلِ: أَي: حَوَادِثُهُ الَّتِي تَأْتِي لَيْلًا. انظر: جامع الأصول (٣٦٧/٤).

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ، كِتَابُ الشَّعْرِ، بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ التَّعَوُّذِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٠)، مَرْسَلًا - وَوَصَلَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ - وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ - وَانْظُرْ: جَامِعُ الْأَصُولِ (٣٦٧/٤)، وَالسَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ لِلْأَلْبَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٨٤٠).

(٥) الْفَيْلَمَانِي: بِفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ هُوَ الْعَظِيمُ الْجُثَّةُ. انظر: النهاية (٤٢٦/٣).

(٦) أَقْمَرُ: هُوَ الشَّدِيدُ الْبَيَاضِ، وَالْأَثْنَى: قَمَرَاءُ. انظر: المرجع السابق (٩٣/٤).

(٧) الْهِيْجَانُ: هُوَ الْأَبْيَضُ. انظر: المرجع السابق (٢١٥/٥).

عَيْنِهِ قَائِمَةٌ^(١) كَانَتْهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ، كَانَ شَعْرُ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ^(٢).

* الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَالِيلِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: ... وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا، وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ»، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ؟» قَالَ: سِرٌّ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ، فَإِذَا شَيْءٌ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ، يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ!، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: سِرٌّ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ... ثُمَّ قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: أَمَّا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِ تِلْكَ الْعَجُوزِ، وَأَمَّا الَّذِي أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ^(٣).

* الْمَشْهَدُ الرَّابِعُ:

وَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ رِيحَ قَبْرِ مَا شِطَّةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟».

(١) الْعَيْنُ الْقَائِمَةُ: هِيَ الْبَاقِيَةُ فِي مَكَانِهَا صَحِيحَةٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٥٤٦)، وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٨/٥)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣٦٢/٢ - ٣٩٠).

قَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا.

قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟

قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشِي ابْنَةُ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى^(١) مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: «بِسْمِ اللَّهِ». فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ.

قَالَتْ: أَخْبِرُهُ بِذَلِكَ! قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَاَهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِنُقْرَةٍ^(٢) مِنْ نَحَاسٍ فَأُخِمِيَتْ، ثُمَّ أُمِرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: أَحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَذْفِنَنَا، قَالَ: ذَاكَ لَكَ عَلَيْنَا، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى صَبِيِّ لَهَا مُرْضِعٍ، كَانَتْهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ: قَالَ: يَا أُمُّهُ، افْتَحِيْ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَافْتَحَتْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُونُسَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام.^(٣)

(١) قال السندي في شرح المسند (٩٢/٣): المِدرى: بكسر الميم ما يُسَوَّى به شعر الرأس.

(٢) النُقْرَةُ: قِدْرٌ يَسْتَحْنُ فِيهَا الْمَاءُ وَغَيْرُهُ. انظر: النهاية (٩٢/٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٨٢١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، رقم الحديث (٢٩٠٣).

قُلْتُ: فِي هَذَا الْحَضَرِ نَظَرٌ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ، مِنْهُمْ: الَّذِي كَانَ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةِ - أَي: صَاحِبُ هَيْئَةٍ وَمَنْظَرٍ وَمَلْبَسٍ حَسَنٍ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ وَيُشَارُ إِلَيْهِ -، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ نَذْيَهَا، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَذْيِهَا يَمِصُّهُ، ثُمَّ مَرَّ بِأُمِّهِ وَهُوَ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنْتَ، سَرَقْتَ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ نَذْيَهَا، =

* المَشْهَدُ الْخَامِسُ:

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَالَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ أَيُّ: كُشِفَ لَهُ عَنْ حَالِهِمْ فِي دَارِ الْجَزَاءِ بِضَرْبِ مِثَالِهِ، فَرَأَى قَوْمًا يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ، وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟»، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ^(١).

* المَشْهَدُ السَّادِسُ:

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَوْمًا تُرَضِّخُ رُؤُوسَهُمْ بِالصَّخْرِ، كُلَّمَا رُضِّخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ ﷺ: «يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَنَاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عِنْدَ الصَّلَاةِ^(٢).

= فقال: اجعلني مثلها. فقالت: لِمَ ذَاكَ؟ فقال: الرَّاکِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وهذه الأمة يقولون: سَرَقْتُ وَزَيْتٌ وَلَمْ تَفْعَلْ.

وقد أخرج ذلك البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٣٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٥٠).

ومنهم الصبي الذي طَرَحَتْهُ أُمُّهُ فِي الْأَخْدُودِ، وقد أخرج قصته الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٠٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٨/٢).

(٢) المرجع السابق (٣٩٨/٢).

قلت: أما تَرْكُ الصَّلَاةِ فهو من الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ جِدًّا، وقد جاءت أحاديث كثيرة في عُقُوبَةِ تَارِكِ الصَّلَاةِ، منها ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨٢) عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وروى الإمام مالك في الموطأ بسند صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ. وأورده ابن الأثير في جامع الأصول، رقم الحديث (٥٢٢٥).

* الْمَشْهَدُ السَّابِعُ:

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ، وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ^(١)، وَالزَّقُومَ^(٢)، وَرَضَفَ جَهَنَّمَ^(٣)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟»، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ^(٤).

* الْمَشْهَدُ الثَّامِنُ:

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَشْبَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ، لَا يَمُرُّ بِهَا شَيْءٌ إِلَّا قَطَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا مَثَلُ أَقْوَامٍ مِنْ أُمَّتِكَ يَقْعُدُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَقْطَعُونَهَا، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]^(٥).

(١) الضَّرِيعُ: هو نَبْتُ له شَوْكٌ كِبَار. انظر: لسان العرب (٥٤/٨).

(٢) الزَّقُومُ: هو كُلُّ طعامٍ يَفْتُلُ، وهو ما وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وهو فِعُولٌ مِنَ الزَّيْمِ:

أَي: اللَّيْمُ الشَّدِيدُ وَالشُّرْبُ الْمُفْرِط. انظر: لسان العرب (٦١/٦)، النهاية (٢٧٧/٢).

(٣) رَضَفَ جَهَنَّمَ: هِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحَمَّمَةُ عَلَى النَّارِ. انظر: النهاية (٢١٠/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٨/٢).

قلت: أما الذين لا يؤدُّونَ زكاةَ أموالهم، فقد أخرج ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٧٨٤) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ حَتَّى يُطَوَّقَ عُنُقَهُ»، ثُمَّ قرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَدَاقِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠].

(٥) المرجع السابق.

قلت: أما قَطَعَ الطريق، فقد أخرج البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٦٥)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٣٠٩) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ» فقالوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكُفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

* المَشْهَدُ التَّاسِعُ:

ثُمَّ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَجُلًا قَدْ جَمَعَ حِزْمَةً حَطَبٍ عَظِيمَةً، لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا^(١).

* المَشْهَدُ الْعَاشِرُ:

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ تُفَرِّضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: هَؤُلَاءِ حُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ^(٢).

* المَشْهَدُ الْحَادِي عَشَرَ:

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جُحْرِ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ عَظِيمَةٍ، ثُمَّ يَنْدُمُ عَلَيْهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٨/٢).

قلتُ: وأما أَمَانَاتُ النَّاسِ وتَأْدِيَةُ حَقِّهَا، فقد أخرج البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥٠) والإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢)، عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢١١)، والطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٢١٧٢) وإسناده صحيح.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/٨)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٨/٢).

قلتُ: يصدقُ هذا المثلُ قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، =

* الْمَشْهَدُ الثَّانِي عَشَرَ:

وَكُشِفَ لَهُ ﷺ عَنْ حَالِ آكِلِ الرِّبَا فِي دَارِ الْجَزَاءِ بِضَرْبِ مِثَالٍ: فَرَأَى رَجُلًا يَسْبُحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا آكِلِ الرِّبَا^(١).

* الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ عَشَرَ:

ثُمَّ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ أَوْ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(٢).

= رقم الحديث (٦٤٧٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٨٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وفي رواية مسلم قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده (٢٠١٠١)، وإسناده قوي.

ووقع في صحيح البخاري، رقم الحديث (٧٠٤٧) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاهَدَ مِثْلَ هَذَا الْمَشْهَدِ لِآكِلِ الرِّبَا، لَكِنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٍ.

قُلْتُ: وَقَدْ هَدَّدَ اللَّهُ ﷻ آكِلَ الرِّبَا تَهْدِيدًا شَدِيدًا فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةٌ (٢٧٥): ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْآيَتَانِ (٢٧٨ وَ ٢٧٩): ﴿يَتَايَاهُمُ الَّذِي عَامَنُوا أَنْقَرُوا اللَّهُ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُجُورٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٨﴾.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم الحديث (٢٣٧٥).

❖ صَلَاةُ الرَّسُولِ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛

ثُمَّ وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ^(١)، وَمَعَهُ جِبْرِيلُ ﷺ،
فَوَجَدَ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ جُمِعُوا لَهُ، فَقَدَّمَ جِبْرِيلُ ﷺ الرَّسُولَ ﷺ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ
إِمَامًا.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَّتْهُمْ» ^(٢).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ أَلْتَقَتْ فَإِذَا النَّبِيُّ
أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ ^(٣).

❖ مَتَى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ؟

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ كَانَتْ قَبْلَ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ^(٤).

بَيْنَمَا يَرَى الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ صَلَاتَهُ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ كَانَتْ بَعْدَ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ
إِنَّمَا اجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَانِيًا، وَهُمْ

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣/٣٨٥): وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى هُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَسُمِّيَ الْأَقْصَى
لِبُعْدِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْمَسَافَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ، وَالْمَقْدِسُ
الْمُطَهَّرُ، وَلِبَيْتِ الْمَقْدِسِ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ مِنْهَا: إِيلِيَاءَ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَغَيْرَهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، رَقْمُ
الْحَدِيثِ (١٧٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٣٢٤)، وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي
تَفْسِيرِهِ (٢٨/٥) وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ.

(٤) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي (٧/٦١٠).

مَعَهُ، وَصَلَّى بِهِمْ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ الْبُرَاقَ وَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ^(١).

وَقَالَ فِي «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ»: ثُمَّ هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ هَبَطُوا مَعَهُ تَكْرِيمًا لَهُ، وَتَعْظِيمًا عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، كَمَا هِيَ عَادَةُ الْوَافِدِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ بِأَحَدٍ قَبْلَ الَّذِي طُلبُوا إِلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ ﷺ عِنْدَمَا يَتَقَدَّمُ ذَاكَ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ: هَذَا فَلَانٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ بِهِمْ قَبْلَ صُعودِهِ لَمَا احتَاجَ إِلَى التَّعَرُّفِ بِهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ أَمَمْتُهُمْ، وَلَمْ يَحِنْ وَقْتُ إِذْ ذَاكَ إِلَّا صَلَاةُ الْفَجْرِ، فَتَقَدَّمَتْهُمْ إِمَامًا بِهِمْ عَنْ أَمْرِ جِبْرِيلَ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ، فَاسْتَفَادَ بَعْضُهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ الْإِمَامَ الْأَعْظَمَ يُقَدَّمُ فِي الْإِمَامَةِ عَلَى رَبِّ الْمَنْزِلِ حَيْثُ كَانَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مَحَلَّهُمْ وَدَارَ إِقَامَتِهِمْ^(٢).

قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفُؤَا بِسَيِّدِهِمْ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
رَكُوبَةً لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعَتُهُ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمٍ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
وَمَنْ يَفْزُ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِ
عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللَّجَمِ
لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا فِي الْأَيْتُنِ الرُّسْمِ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ
عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ
وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣١/٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢٣/٣).

✽ عَرَضُ الْآنِيَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ:

وَبَعْدَ أَنْ فَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَتَى بِقَدَحَيْنِ أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ، وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ.

فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ»^(١)، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ..^(٢).

✽ صُعودُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْمِعْرَاجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي - أَيُّ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَعَرَجَ^(٣) بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَاظِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ»^(٤).

(١) قال الحافظ في الفتح (٢٠٠/١١): والحكمة في التَّخْيِيرِ بين الخمرِ مع كونه حَرَامًا وَاللَّبَنِ مع كونه حَلَالًا؛ إِمَّا لِأَنَّ الْخَمْرَ حِينَئِذٍ لَمْ تَكُنْ حُرِّمَتْ، أَوْ لِأَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَخَمْرُ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ حَرَامًا.

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٨٤/١): فَسَرُّوا الْفِطْرَةَ هُنَا بِالْإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: اخْتَرْتُ عَلَامَةَ الْإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَجُعِلَ اللَّبَنُ عَلَامَةً لَكُونِهِ سَهْلًا طَيِّبًا طَاهِرًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسرائاء برسول الله ﷺ إلى السماوات، رقم الحديث (١٦٢)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٥٠٥).

(٣) العروج: الصعود. انظر: النهاية (١٨٤/٣).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢١/٣): ولم يكن صُعودُ الرسول ﷺ إلى السماوات على البُرَاق كما قد يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ بَلْ كَانَ الْبُرَاقَ مَرْبُوطًا عَلَى بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَرْجَعَ عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ، فَصَعِدَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ فِي الْمِعْرَاجِ.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٢): وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْبَابَ كَانَ مُغْلَقًا.

فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟^(١). قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.
فَقَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ^(٢) إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ^(٣)، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.
فَفُتِحَ لَنَا.

قَالَ ﷺ: «فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ»^(٤)
وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحَكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى،
فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟

قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ.

ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ^(٥)،

(١) قال الحافظ في الفتح (٦١٠/٧): يشعر بأنهم أحسوا معه برقيقٍ وإلا لكان السؤال بلفظ: أَمَعَكَ أَحَدٌ، وذلك الإحساس إما بمُشَاهَدَةِ لَكُونِ السَّمَاءِ شَفَافَةً، وإما بأمرٍ معنويٍّ كزيادة أنوارٍ، أو نحوها يشعر بتجددٍ أمرٍ يَحْسُنُ معه السؤال بهذه الصَّيغَةِ.

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٨٥/١): أي: أرسل إليه للإسراء وضُعود السموات، وليس مُرَادُهُ الاستفهامُ عن أصلِ البِغْتَةِ والرَّسَالَةِ، فإن ذلك لا يَخْفَى عليه إلى هذه المُدَّةِ، فهذا هو الصحيح.

وقال الحافظ في الفتح (٦١٠/٧): والحكمة في سؤال الملائكة: وقد أُرْسِلَ إليه؟ أن الله تَعَالَى أراد إطلاعَ نَبِيِّهِ ﷺ على أنه معروفٌ عند الملائكة الأعلى؛ لأنهم قالوا: وقد أُرْسِلَ إليه... فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سَيَقَعُ له، وإلا لكانوا يقولون: ومن مُحَمَّدٌ؟ مثلاً.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦١٠/٧): أي: أصابَ رَحْبًا وَسَعَةً.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٢): أَسْوَدَةٌ: بوزن أَرَمِيَّةٍ، وهي الأشخاصُ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/٢): النَّسَمُ: مَعُ نَسَمَةٍ، وهي الرُّوحُ، وظاهره أن أرواحَ بني آدَمَ من أهل الجنة والنار في السماء، وهو مُشْكِلٌ، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: قد جاء أنَّ أرواحَ الكفَّار في سَجِينٍ، وأن أرواحَ المؤمنين مُنْعَمَةٌ في الجنة؛ يعني: فكيف تكون مُجْتَمِعَةً في سَمَاءِ الدُّنْيَا؟

فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى^(١).

✽ الْمَشَاهِدُ الَّتِي شَاهَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا:

١ - حَالُ أَكْلَةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا دَخَلْتُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا... رَأَيْتُ رِجَالًا لَهُمْ مَشَافِرُ^(٢) كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ، فِي أَيْدِيهِمْ قِطْعٌ مِنْ نَارٍ كَالْأَفْهَارِ^(٣) يَقْذِفُونَهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟».

قَالَ: هَؤُلَاءِ، أَكْلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا^(٤).

٢ - حَالُ النِّسَاءِ اللَّاتِي يُدْخِلْنَ عَلَى الْأَزْوَاجِ مَا لَيْسَ مِنْهُنَّ:

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ رَأَيْتُ نِسَاءً مُعَلِّقَاتٍ بِثُدْيِهِنَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟».

= وَأَجَابَ: بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهَا تُعْرَضُ عَلَى آدَمَ أَوْقَاتًا، فَصَادَفَ وَقْتُ عَرْضِهَا مُرُورَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَوْنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِنَّمَا هُوَ فِي أَوْقَاتٍ دُونَ أَوْقَاتٍ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ غَافِرٍ آيَةَ (٤٦): ﴿الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا غُذُوءًا وَعَشِيًّا﴾.

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ: الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ كَيْفِ فَرَضَتِ الصَّلَوَاتُ فِي الْإِسْلَامِ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٤٩)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٣).

(٢) الْمَشَافِرُ: جَمْعٌ: مِشْفَرٍ، وَالْمِشْفَرُ لِلْبَعِيرِ كَالشَّفَةِ لِلْإِنْسَانِ. انْظُرْ: النِّهَايَةَ (٢٨٤/٤).

(٣) الْأَفْهَارُ: جَمْعٌ فَهْرٍ، وَهُوَ الْحَجَرُ مِلْءُ الْكَفِّ، وَقِيلَ: الْحَجَرُ مُظْلَقًا. انْظُرْ: النِّهَايَةَ (٤٣٣/٣).

(٤) انْظُرْ: دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ، لِلْبَيْهَقِيِّ (٣٩٢/٢)، سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (١٩/٢).

قُلْتُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى أَكْلَةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا بِالنَّارِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ آيَةَ

(١٠): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا﴾.

قَالَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي أَدْخَلْنَ عَلَى الرِّجَالِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ^(١).

٣ - حَالُ الْمُغْتَابِينَ^(٢):

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ^(٣) وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ، مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟».

قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ^(٤).

٤ - حَالُ الرُّنَاةِ:

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «ثُمَّ رَأَيْتُ رِجَالًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ سَمِينٌ طَيِّبٌ، إِلَى جَنْبِهِ لَحْمٌ غَثٌ^(٥) مُنْتِنٌ^(٦)، فَيَأْكُلُونَ مِنَ الْغَثِّ الْمُنْتِنِ، وَيَتْرَكُونَ السَّمِينَ الطَّيِّبَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟».

قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرَكُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُنَّ^(٧).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١٩/٢).

(٢) الْغَيْبَةُ: فَسَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٢٥٨٩) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّذَرُونِ مَا الْغَيْبَةُ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣٨٠/٧): الْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْإِجْمَاعِ.

(٣) يَخْمِشُونَ: أَي: يَخْدِشُونَ. انظر: النهاية (٧٥/٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٣٣٤٠) وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي الْغَيْبَةِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٤٨٧٨).

(٥) الْغَثُّ: الضَّعِيفُ الْمَهْزُولُ. انظر: النهاية (٣٠٨/٣).

(٦) التَّنُّ: الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ. انظر: لسان العرب (٣٦/١٤).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (١٩/٢)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٢/٢).

هـ - حَالُ أَكَلَةِ الرَّبَا:

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «ثُمَّ رَأَيْتُ رِجَالًا لَهُمْ بُطُونٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ». وَفِي رِوَايَةٍ: «بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ بِسَبِيلِ^(١) آلِ فِرْعَوْنَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ كَالْإِبِلِ الْمَهْيُومَةِ^(٢) حِينَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ، يَطْؤُونَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ ذَلِكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟»، قَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبَا^(٣).

❁ صُعُودُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ:

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ ﷺ»، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ».

فَقَالَ جَبْرِيلُ: هَذَا يَحْيَى^(٤)، وَعِيسَى^(٥) فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا.

(١) السبيل: هو الطريق. انظر: لسان العرب (١٦٢/٦).

ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف، آية (١٤٦): ﴿وَلَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَلَا يَرْوُوا سَبِيلَ الَّذِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

(٢) الْمَهْيُومُ: هو داءٌ يُشْبِهُ الْحُمَّى يَأْخُذُ الْإِبِلَ فَيُكْسِبُهَا الْعَطَشَ الشَّدِيدَ، فَتَهَيِّمُ فِي الْأَرْضِ لَا تَرَوِي وَلَا تَرْعى حَتَّى تَهْلِكَ. انظر: لسان العرب (١٨٤/١٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١٩/٢) دلائل النبوة، للبيهقي (٣٩٢/٢).

(٤) أَمَا يَحْيَى ﷺ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ آيَةِ (١٢): ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْمِمْكَنَ صَبِيًا﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية (٢١٦/٥): أَي: يَا يَحْيَى تَعَلَّمَ الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَةُ بِقُوَّةٍ؛ أَي: بِجِدٍّ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ، وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا؛ أَي: الْفَهْمَ، وَالْعِلْمَ، وَالْجِدَّةَ، وَالْعَزْمَ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْحَيْرِ، وَالْإِكْبَابَ عَلَيْهِ، وَالْاجْتِهَادَ فِيهِ.

(٥) جَاءَ فِي وَصْفِ عِيسَى ﷺ، مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٣٤٣٧)، =

ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

✽ صُعُودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ:

قال ﷺ: «ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ»، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ».

قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ

ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ».

✽ صُعُودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ:

قال ﷺ: «ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ». فَقِيلَ: مَنْ

أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

= ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أسرى به: «... وَلَقِيتُ عِيسَى عليه السلام رَبْعَةً أَحْمَرًا، كَأَنَّهُ أُخْرِجَ مِنْ دِيْمَاسٍ؛» يعني: الْحَمَّامِ.

قال الحافظ في الفتح (١٥٧/٧): رَبْعَةٌ: يعني: ليس بطويل جدًا، ولا قصير جدًا بل وسط.

والمراد من ذلك وصفه عليه السلام بصفاء اللون ونضارة الجسم، وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في حمام، فخرج منه وهو عَرْقَان.

وجاء في رواية الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبَ مِنْ رَأْيْتُ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بِنْتُ مَسْعُودٍ رضي الله عنها».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُتِّحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ.

فَرَدَّ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾^(١).

✽ صُعودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ:

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ». فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُتِّحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ^(٢).

✽ صُعودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ:

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ». فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

(١) قال الشيخ المباركفوي في تحفة الأحوزي (٥٧٧/٨): ولا شك في كونها مكانًا عليًا، واستشكل بأن غيره من الأنبياء أرفع مكانًا منه، وهذا الاستشكال ليس بشيء؛ لأنه لم يذكر أنه أعلى من كل أحد.

(٢) هذه رواية الشيخين في صحيحيهما، وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٢٠/٢) قال ﷺ: «فَإِذَا فِيهَا كَهْلٌ أبيض الرأس واللحية، لم أر كهلاً أجمل منه، فقلت: من هذا يا جبريل؟» قال: هذا المحبب في قومه هارون ﷺ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ».

قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ لِلرَّسُولِ ﷺ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَرَدَّ السَّلَامَ.

وَقَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

وَصَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى ﷺ فَقَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى
مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ رَجُلٍ آدَمَ^(١) طَوَالٍ جَعْدٍ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ^(٣).
قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَلَمَّا تَجَاوَزْتُهُ بَكَى».

قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: أَبْكِي^(٤)؛ لِأَنَّ غُلَامًا^(٥) بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ
مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

(١) الْأَدَمَةُ: أَي: السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ. انظر: النهاية (٣٦/١).

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٩٥/١): وَأما الْجَعْدُ في صِفَةِ مُوسَى ﷺ: فيه معنيان: أحدهما: هو اكْتِنَازُ الْجِسْمِ، واجْتِمَاعُهُ، والثاني: جُودَةُ الشَّعْرِ، والأولُ أَصَحُّ؛ لأنه جاء في رواية أبي هريرة في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٤٣٧) أنه ﷺ رَجُلٌ الشَّعْرُ.

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٩٤/١): شَنْوَاءُ: هي قَبِيلَةٌ معروفة، سُمُّوا بذلك من قولِكَ رَجُلٌ فيه شَنْوَاءُ؛ أي: تَقَرَّرَ وهو التَّبَاعُدُ من الأَدْناسِ.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٥) (٢٦٧).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٦١٣/٧): قال العلماء: لم يَكُنْ بُكَاءَ مُوسَى ﷺ حَسَدًا، مَعَاذَ اللَّهِ، فإنَّ الحَسَدَ في ذلك العالم مَنزُوعٌ عن آحادِ المؤمنين، فكيف بَمَنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ بل كان أَسْفًا على ما فَاتَهُ من الأَجْرِ الذي يترتَّبُ عليه رفعُ الدَّرَجَةِ بسببِ ما وقع من أُمَّته من كثرةِ المُخَالَفَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لتَنَقُّصِ أَجُورِهِمِ المستَلْزِمِ لتَنَقُّصِ أَجْرِهِ؛ لأن لكل نَبِيٍّ مِثْلُ أَجْرِ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَهُ، ولهذا كان من اتَّبَعَهُ من أُمَّته في العدد دُونَ من اتبع نبيَّنَا محمد ﷺ مع طولِ مُدَّتِهِم بالنسبة لهذه الأُمَّة.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦١٣/٧): قوله ﷺ: «غُلَامًا»، فليسَ على سبيلِ التَّنْقِصِ؛ بل على =

✽ صُعُودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ:

قال ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ». فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ^(١)، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ^(٢)».

فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ^(٣).

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ،

= سَبِيلُ التَّنْوِيهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ كَرَمِهِ إِذْ أُعْطِيَ لِمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ السَّنِ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ مِمَّنْ هُوَ أَسْنُ مِنْهُ.

(١) قال الحافظ في الفتح (٦١٧/٧): استدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يُعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر.

(٢) زاد ابن إسحاق في السيرة (٢٠/٢): إلى يوم القيامة.

(٣) أخرج ذلك كله: البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ رقم الحديث (٣٤٩)، وأخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (٣٣٤٢)، وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، رقم الحديث (١٦٢) (١٦٣)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٥٠٥).

عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ^(١)، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ^(٢).

✽ الْحِكْمَةُ فِي لِقَاءِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ:

اِخْتَلَفَ فِي الْحِكْمَةِ فِي اخْتِصَاصِ كُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِالسَّمَاءِ الَّتِي تَلَقَّاهُ بِهَا، فَقِيلَ: أُمِرُوا بِمُلَاقَاتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَحِقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَاتَهُ.

وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي الْاِقْتِصَارِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ: لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَا سَيَقَعُ لَهُ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ نَظِيرِ مَا وَقَعَ لِكُلِّ مِنْهُمْ:

أ - فَأَمَّا آدَمُ ﷺ فَوَقَعَ التَّنْبِيهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ بِمَا سَيَقَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا مَا حَصَلَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَكَرَاهَةِ فِرَاقِ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْوَطَنِ، ثُمَّ كَانَ مَالُ كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَوْطِنِهِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ.

ب - وَبِعِيسَى وَيَحْيَى ﷺ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ ﷺ مِنَ أَوَّلِ الْهَجْرَةِ مِنَ عَدَاوَةِ الْيَهُودِ وَتَمَادِيهِمْ عَلَى الْبُغْيِ عَلَيْهِ وَإِرَادَتِهِمْ وَصُولِ الشُّوْءِ إِلَيْهِ.

ج - وَبِيُوسُفَ ﷺ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ ﷺ مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَصْبِهِمُ الْحَرْبَ لَهُ وَإِرَادَتِهِمْ هَلَاكَهُ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ﷺ بِقَوْلِهِ لِقُرَيْشٍ يَوْمَ الْفَتْحِ: «أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ...».

(١) قِيَعَان: جَمْعُ قَاعٍ وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي فِي وَطْأَةٍ مِنَ الْأَرْضِ يعلوهُ مَاءُ السَّمَاءِ فَيُمْسِكُهُ، وَيَسْتَوِي نَبَاتُهُ. انظر: النهاية (١١٦/٤).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد رقم الحديث (٣٧٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٥٥٢).

د - وَبِإِدْرِيسَ   عَلَى رَفِيعٍ مِّنْزِلَتِهِ   عِنْدَ اللَّهِ .

هـ - وَبِهَارُونَ   عَلَى أَنَّ قَوْمَهُ   رَجَعُوا إِلَى مَحَبَّتِهِ بَعْدَ أَنْ أَدَّوهُ .

و - وَبِمُوسَى   عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ مِنْ مُّعَالَجَةِ قَوْمِهِ ، وَقَدْ أَشَارَ   إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : «لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» .

ز - وَبِإِبْرَاهِيمَ   فِي اسْتِنَادِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بِمَا خُتِمَ لَهُ   فِي آخِرِ عُمرِهِ مِنْ إِقَامَةِ مَنْسِكِ الْحَجِّ وَتَعْظِيمِ الْبَيْتِ ^(١) .

❁ دُخُولُ الرَّسُولِ   الْجَنَّةَ وَمَا رَأَاهُ فِيهَا :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ   : «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ ^(٢) اللَّوْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمَسْكُ» ^(٣) .

«... وَإِذَا أَنَا بِأَنْهَارٍ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ^(٤) ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ^(٥) ، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ^(٦) ، وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ

(١) انظر: فتح الباري (٦١٢/٧) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٠/٢) : كَذَا وَقَعَ لَجَمِيعِ رُوَاةِ الْبُخَارِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ تَحْتَانِيَّةٌ ثُمَّ لَامٌ ، وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَثْمَةِ أَنَّهُ تَضْجِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ (جَنَابُذٌ) كَمَا وَقَعَ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ - أَيِ : الْبُخَارِيِّ - فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ ، بَابُ ذَكَرَ إِدْرِيسَ   ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٣٤٢) مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَغَيْرِهِ عَنْ يُونُسَ .
وقال ابن الأثير في النهاية (١/٢٩٤ - ٣٢٢) : هَكَذَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ ، وَالْمَعْرُوفُ جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ ، وَالْجَنَابُذُ جَمْعُ جَنْبَذَةٍ : وَهِيَ الْقَبَّةُ .

(٣) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ كَيْفِ فَرَضَتِ الصَّلَوَاتُ فِي الْإِسْرَاءِ ؟ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٤٩) ، وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ ، بَابُ ذَكَرَ إِدْرِيسَ   ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٣٤٢) .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣١٢/٧) : يَعْنِي : الصَّافِي الَّذِي لَا كَدَرَ فِيهِ .

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣١٣/٧) : فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَالْحَلَاوَةِ وَالذُّسُومَةِ .

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣١٣/٧) : لَيْسَتْ كَرِبَهَةَ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ ، كَخَمْرِ الدُّنْيَا ، =

مُصَفَّى^(١)، وَإِذَا رُمَانُهَا كَأَنَّهُ الدَّلَاءُ^(٢) عِظْمًا، وَإِذَا أَنَا بِطَيْرٍ كَالْبَخَانِي^(٣) هَذِهِ، فَقَالَ عِنْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(٤).

❁ رُؤْيَا الرَّسُولِ ﷺ نَهَرَ الْكَوْثَرِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْبَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»^(٥).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «الصَّحِيحِ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفًا»^(٦).

= بل هي حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ والطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ والفعل.. ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾^(٤٧) سورة الصافات آية (٤٧)، ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾^(١٩) سورة الواقعة آية (١٩)، ﴿يَبْقَاءُ لَدُنَّ لِلشَّارِبِينَ﴾^(٤٦) سورة الصافات آية (٤٦).

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣١٣/٧): أي: في غَايَةِ الصَّفَاءِ، وَحُسْنِ اللَّوْنِ والطَّعْمِ والريح.

روى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٠٥٢)، والترمذي في جامعه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، رقم الحديث (٢٧٤٤)، بسند حسن، عن حكيم بن معاوية أبي بَهْرٍ عن أبيه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقُّ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ».

(٢) الدَّلَاءُ: معروفة، وهي التي يُسْتَقَى بها. انظر: لسان العرب (٣٩٧/٤).

(٣) الْبَخَانِي وَالْبُخْتُ: هي جِمَالٌ طَوَالُ الْأَعْنَاقِ. انظر: النهاية (١٠١/١).

(٤) أخرج ذلك: البيهقي في دلائل النبوة (٣٩٤/٢ - ٤٠١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب في الحوض، رقم الحديث (٦٥٨١)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣١٥٦).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١)، رقم الحديث (٤٩٦٤).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ^(١)، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ»^(٢).

✽ جَارِيَةٌ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ:

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ جَارِيَةً شَابَّةً، قَالَ: «فَسَأَلْتُهَا لِمَنْ أَنْتِ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتَهَا»، فَقَالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَبَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا ﷺ^(٣).

✽ صَوْتُ بِلَالٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ:

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَيْلَةً أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعَ فِي جَانِبِهَا وَجَسًا^(٤)، قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا بِلَالُ الْمُؤَدَّنِ»، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَاءَ إِلَى النَّاسِ: «قَدْ أَفْلَحَ بِلَالٌ»^(٥).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ! حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ^(٦) نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ».

(١) أَذْفَرُ: أَي: طَيِّبُ الرَّائِحَةِ. انظر: النهاية (١٤٩/٢).

(٢) أخرجه الإمام في مسنده، رقم الحديث (١٢٠٠٨) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أورد ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣٠/١)، وقال: إسناده حسن، والألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٨٥٩) وقال: إسناده صحيح، وقيد ابن إسحاق في السيرة (٢١/٢) هذا الخبر في الإسراء والمعراج.

(٤) الْوَجَسُ: هُوَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. انظر: النهاية (١٣٧/٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٢٤)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧/٥) وصحح إسناده.

(٦) الْخَشَفُ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ الْحَسِّ وَالْحَرَكَةِ. انظر: النهاية (٣٣/٢).

قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي ^(١) أَنْ أُصَلِّيَ ^(٢).

❦ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ - مَنَفَعَةٌ عَظِيمَةٌ لِبِلَالٍ رضي الله عنه.

٢ - وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ إِدَامَةِ الطَّهَارَةِ، وَمُنَاسَبَةُ الْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ الدَّوَامِ عَلَى الطَّهَارَةِ أَنْ يَبِيتَ الْمَرْءُ طَاهِرًا، وَمَنْ بَاتَ طَاهِرًا عَرَجَتْ رُوحُهُ، فَسَجَدَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَالْعَرْشُ سَقْفُ الْجَنَّةِ.

٣ - وَفِيهِ: سُؤَالُ الصَّالِحِينَ عَمَّا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِيَقْتَدِيَ بِهَا غَيْرُهُمْ فِي ذَلِكَ.

٤ - وَفِيهِ: سُؤَالُ الشَّيْخِ عَنْ عَمَلٍ تَلْمِيذِهِ لِيَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَيُرَغِّبُهُ فِيهِ إِنْ كَانَ حَسَنًا، وَإِلَّا فَيَنْهَاهُ.

٥ - وَفِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ مَوْجُودَةٌ الْآنَ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْتَزِّلَةِ ^(٣).

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣/٣٤٥): وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي سَأَلَهُ عَنْ إِرْجَائِهَا الْأَعْمَالُ الْمَتَطَوُّعُ بِهَا، وَإِلَّا فَالْفَرِيضَةُ أَفْضَلُ قَطْعًا، وَيَسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ الْاجْتِهَادِ فِي تَوْقِيتِ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ بِلَالَ تَوَصَّلَ إِلَى مَا ذَكَرْنَا بِالِاسْتِنْبَاطِ، فَصَوَّبَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ فَضْلِ الطَّهْرِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١١٤٩)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ فَضْلِ بِلَالٍ رضي الله عنه، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٤٥٨).

(٣) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي (٣/٣٤٦).

✽ عَرَضُ الْآيَةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ:

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيَ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُ»^(١)، فَقِيلَ لِي: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ^(٢).

وفي روايةٍ أُخْرَى في «الصَّحِيحِ»، قَالَ: أَصَبْتُ الْفِطْرَةَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ^(٣).

✽ انْتِهَاءُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى:

ثُمَّ انْطَلَقَ جَبْرِيلُ بِالرَّسُولِ ﷺ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ^(٤) الْمُنتَهَى^(٥).

(١) قال ابن المنير فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٢٠٣/١١): ولعل السرَّ في عُذُولِهِ ﷺ عن الْعَسَلِ إِلَى اللَّبَنِ: كون اللبن أنفع، وبه يشتدُّ الْعَظْمُ وينبُت اللحمُ، وهو بمجرَّده قُوَّةٌ، ولا يدخل في السَّرَفِ بوجهِه، وهو أقربُ إلى الرُّهْدِ، وأما الْعَسَلُ وإن كانَ حَلَالًا لكنه من الْمُسْتَلَذَّاتِ التي قد يُخْشَى على صاحبها أن يَنْدَرَجَ في قوله تَعَالَى سورة الأحقاف آية (٢٠): ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾.

وقال الحافظ في الفتح (٢٠٣/١١): ويحتمل أن يكون السرُّ فيه ما وقع في بعض طُرُقِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ ﷺ عَطَشَ، فَاتَرَ اللَّبَنَ دُونَ غَيْرِهِ لما فيه من حصولِ حاجَتِهِ دُونَ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ، فهذا هو السببُ الْأَصْلِي في إثَارِ اللَّبَنِ، وصادفَ مع ذلك رُجْحَانُهُ عَلَيْهِمَا من عدة جهات. قلتُ: الطريق التي أشار إليها الحافظ من أنَّ النبي ﷺ أصابه العطش فآثر اللبن أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣٥٦/٢)، وقال البيهقي: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، رقم الحديث (٥٦١٠).

(٤) قال ابن دحية فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٦١٦/٧): اختيرت السَّدْرَةُ دون غيرها؛ لأن فيها ثلاثٌ أوصافٍ: ظِلٌّ مَمْدُودٌ، وطَعَامٌ لَذِيذٌ، ورائحةٌ زَكِيَّةٌ، فكانت بِمَنْزِلَةِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَجْمَعُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالنِّيَّةَ، وَالظِّلَّ بِمَنْزِلَةِ الْعَمَلِ، وَالطَّعْمُ بِمَنْزِلَةِ النِّيَّةِ، وَالرَّائِحَةُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْلِ.

(٥) وفي روايةٍ أُخْرَى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٣) عن ابن مسعود ؓ قال: إن =

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبَقُهَا^(١) كَأَنَّهُ قِلَالٌ^(٢) هَجَرَ^(٣)، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفِيلَةِ، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ^(٤) لَا أَدْرِي مَا هِيَ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا» فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ^(٥): نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟».

قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ^(٦).

❁ رُؤْيَا الرَّسُولِ ﷺ جِبْرِيلَ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ:

وَهُنَاكَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى رَأَى ﷺ جِبْرِيلَ ﷺ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي

= سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَهَذَا تَعَارُضٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦١٥/٧) أَنْ يُقَالَ: إِنَّ أَصْلَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَأَغْصَانُهَا وَفُرُوعُهَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَسُمِّيَتْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى؛ لِأَنَّ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٧٣).

(١) التَّبَقُّ: هُوَ ثَمَرُ السِّدْرِ. انظر: النهاية (٨/٥).

(٢) قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦١٥/٧): الْقِلَالُ: بِالْكَسْرِ جَمْعُ قُلَّةٍ بِالْضَمِّ وَهِيَ الْجِرَارُ، يَرِيدُ أَنْ ثَمَرُهَا فِي الْكَبَرِ مِثْلُ الْقِلَالِ، وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُحَاطِبِينَ، فَلِذَلِكَ وَقَعَ التَّمَثِيلُ بِهَا.

(٣) هَجَرَ: هِيَ مَدِينَةُ الْإِحْسَاءِ. انظر: معجم البلدان (٤٥٢/٥).

(٤) وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ: أَي: تَغْلُوها. انظر: النهاية (٣٣٢/٣).

(٥) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ ﷺ: «فَإِذَا فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٦١٦/٧): يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى مَغْرُوسَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالْأَنْهَارُ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ الْمِعْرَاجِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٣٨٨٧)، وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (٣٣٤٢)، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٦٢)، وَبَابُ ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٧٣).

خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهَا، فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ^(١) أَخْضَرَ، لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ، يَتَنَائَرُ مِنْ أَجْنِحَتَيْهِ التَّهَاقِيلُ، وَالذُّرُّ وَالْيَاقُوتُ^(٢)، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَرَى جَبْرِيلَ إِلَّا عَلَى صُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَكْثَرُ مَا يَرَاهُ ﷺ عَلَى صُورَةِ دُحْيَةِ الْكَلْبِيِّ ﷺ^(٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْمَشْهَدِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى^(٤)﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].
الْمُنْتَهَى^(٥) ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى^(١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى^(١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى^(١٧) ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى^(١٨) [النجم: ١٣ - ١٨].

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٩٣/٩): وأصل الرّفرف: ما كان من الدّيباج رقيقاً حسن الصنعة.
(٢) التّهاقيل والذرّ والياقوت: أي: الأشياء المختلفة الألوان، أراد بالتهاقيل، تزايب ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة مثل تهاقيل الرّياض. انظر: لسان العرب (١٦١/١٥).
(٣) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لقد رأى من آيات ربه الكبرى، رقم الحديث (٤٨٥٨)، وأخرجه في كتاب بدء الخلق، باب إذ قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، رقم الحديث (٣٢٣٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ولقد رآه نزلة أخرى، رقم الحديث (١٧٧).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٥١/٧): هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء. وروى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عَلَيْهِ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يَتَنَائَرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقِيلُ: الذُّرُّ وَالْيَاقُوتُ».

(٥) روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح على شرط مسلم، رقم الحديث (٣٨٠١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما في قوله تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾، قال: ما ذهب يميناً ولا شمالاً، ﴿وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، قال: ما جاوز.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٢٢/٢): وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ﷺ ما فعل إلا بما أمّر به، ولا سأل فوق ما أعطي.

بِالْأَفْقِ الثَّانِي ﴿٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ». لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ: رَأَاهُ مُنْهَيطًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(١).

❁ افْتِرَاضُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ:

ثُمَّ نَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ ﷺ، فَوَجَدَهُ كَالْجِلْسِ^(٢) الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(٣)، ثُمَّ غَشِيَتْ تِلْكَ السُّدْرَةَ سَحَابَةٌ، فَتَأَخَّرَ جِبْرِيلُ ﷺ، وَعُرِجَ بِالرَّسُولِ ﷺ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُسْتَوَى سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ﷺ»، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: «فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ».

فَقَالَ ﷺ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ ﷺ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا»، فَقُلْتُ: «حَطَّ عَنِّي خَمْسًا»، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ ﷺ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدره المنتهى، رقم الحديث (١٧٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٤٠).

(٢) الْجِلْسُ: وهو البِساطُ والحَصِيرُ. انظر: لسان العرب (٢٨٣/٣).

(٣) أورد ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨/١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، وأورد طرقة الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٢٢٨٩) وقال: وبالجملة: فالحديث بمجموع الطريقين حسن أو صحيح، والله أعلم.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى، حَتَّى قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً^(١).

قال ﷺ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ»، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»^(٢).

✽ مَا خُصَّ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَأُمَّتُهُ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ... فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُفْحِمَاتُ^(٣).

(١) قال الحافظ في الفتح (٦١٩/٧): هذا من أقوى ما استدل به على أن الله ﷻ كَلَّمَ نَبِيَّهٗ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٢/٣): فَحَصَلَ لَهُ التَّكْلِيمُ مِنَ الرَّبِّ ﷻ لَيْلَتِيذًا وَأُتِمَّتِ السُّنَّةُ كَالْمُطْبِقِينَ عَلَى هَذَا.

(٢) أخرج ذلك كله: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، وأخرجه في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة؟ رقم الحديث (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٢)، وباب ذكر سدره المنتهى، رقم الحديث (١٧٣)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٥٠٥).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣/٢ - ٤): الْمُفْحِمَاتُ: الذُّنُوبُ الْعَظَائِمُ الْكَبَائِرُ الَّتِي تُهْلِكُ أَصْحَابَهَا وَتُورِدُهُمُ النَّارَ وَتُفْحِمُهُمْ إِيَّاهَا، وَالتَّقَحُّمُ الْوُقُوعُ فِي الْمَهَالِكِ، وَمَعْنَى =

❁ هَلْ رَأَى الرَّسُولُ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟

اختلف العلماء في رؤية الرسول ﷺ لربه تبارك وتعالى ليلة الإسراء والمعراج، فرَوَى الشيخان في «صحيحيهما» عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أُمّنا هل رأى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فقالت: لقد قفت^(١) شعري مما قلت، أين أنت^(٢) من ثلاثٍ من حدثكهن فقد كذب:

مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتَ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ ﷺ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتَ: ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بِلَغٍ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]^(٣).

= الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المُفْجِحات، والمراد والله أعلم بعُفْرانها: أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يُعَذَّبُ أصلاً، فقد تقررت نصوص الشرع، وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحدين. والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذكر سدة المنتهى، رقم الحديث (١٧٣)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٦٦٥).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٨٨/٩): أي: قام من الفزع، لما حصل عندها من هيبة الله واعتدته من تنزيهه واستبحالة وقوع ذلك.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٨٨/٩): أي: كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث؟ وكان ينبغي لك أن تكون مستحضرها ومعتقداً كذب من يدعي وقوعها.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة النجم، رقم الحديث (٤٨٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، رقم الحديث (١٧٧).

وأخرج الشَّيْخَانِ كَذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٌ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ^(٣).

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رحمته الله: فِي حَدِيثِ شَرِيكَ زِيَادَةَ تَفَرَّدَ بِهَا^(٤)، عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَبَّهُ، وَقَوْلُ عَائِشَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فِي حَمْلِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى رُؤْيَيْهِ، جِبْرِيلَ عليه السلام أَصَحُّ^(٥). وَعَلَّقَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله عَلَى كَلَامِ الْبَيْهَقِيِّ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدُكَ مَا أَوْحَىٰ﴾، رقم الحديث (٤٨٥٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدره المنتهى، رقم الحديث (١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وسلم: «نورًا أنى أراه»، رقم الحديث (١٧٨).

(٣) المرجع السابق، باب معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، رقم الحديث (١٧٦) (٢٨٥).

(٤) حديث شريك أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، رقم الحديث (٧٥١٧).

ولفظ الزيادة التي تفرد بها شريك: «ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».

(٥) انظر: دلائل النبوة (٢/٣٨٥).

الْبَيْهَقِيُّ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ^(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله: وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَالَّذِي ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ، وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتِ الرُّؤْيَةَ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثَبَّتْ رُؤْيَةَ الْفُؤَادِ. وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ، أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ، تَارَةً يَقُولُ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَى مُحَمَّدٌ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظُ صَرِيحٍ بِأَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، تَارَةً يُطْلِقُ الرُّؤْيَةَ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ يَقُولُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ، لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقَ، فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ.

وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَفْتَضِي أَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ، وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَى نَفْيِهِ أَدْلٌ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رحمته الله قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢).

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوَّلَى.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفْتَمُؤْنُهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ (النَّجْم: ١٢) وَقَوْلُهُ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وسلم: «نور أنى أراه»، رقم الحديث (١٧٨).

تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، وَلَوْ كَانَ رَأَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباسٍ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ ﷺ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ^(١)، وَهَذِهِ رُؤْيَا الْآيَاتِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَأَهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ، حَيْثُ صَدَّقَهُ قَوْمٌ وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ. وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى اللَّهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ، إِلَّا مَا نَازَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ^(٢).

وَقَالَ أَيْضًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ اسْتِنَادُهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَنَدُهُ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَرْئِيَّ جِبْرِيلُ، رَأَهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ هَذَا هُوَ مُسْتَنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ: رَأَهُ بِفُؤَادِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَا﴾ [٨] فَهُوَ غَيْرُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، حديث (٤٧١٦)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦ - ٥١٠).

الدُّنُو والتَّدْلِي فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، فَإِنَّ الَّذِي فِي سُورَةِ النَّجْمِ هُوَ دُنُو جِبْرِيلَ وَتَدْلِيهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] وَهُوَ جِبْرِيلُ ﴿ذُو مِرْفَقٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٦] وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨ - ٦] فَالضَّمَايِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْمُعَلِّمِ الشَّدِيدِ الْقُوَى، وَهُوَ ذُو الْمِرَّةِ؛ أَيِ: الْقُوَّةِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى، وَهُوَ الَّذِي دَنَى فَتَدَلَّى، فَكَانَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدَرٌ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: فِي قَوْلِهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي»^(٢) قَالَ: مَا قَيَّدَ الرُّؤْيَا بِالنُّومِ، وَبَعْضُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ يَحْتَجُّ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ، وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ عَدَمُ الرُّؤْيَا مَعَ إِمْكَانِهَا، فَتَنَفَّ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٣)، فَإِنْ بَاتَ ذَلِكَ أَوْ نَفِيَهُ صَغْبٌ، وَالْوُقُوفُ سَبِيلُ السَّلَامَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَإِذَا ثَبَتَ شَيْءٌ قُلْنَا بِهِ، وَلَا نَعْنِفُ مَنْ أَثَبَتَ الرُّؤْيَا لِنَبِيِّنَا ﷺ فِي الدُّنْيَا، وَلَا مَنْ نَفَاهَا؛ بَلْ نَقُولُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ بَلْ نَعْنِفُ وَنُبَدِّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِذْ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ثَبَّتَتْ بِنُصُوصٍ مُتَوَاتِرَةٍ^(٤).

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٣٤).

(٢) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٨٠) وإسناده صحيح.

(٣) المرجع السابق (١٧٣٧) وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب رقم (٩)، رقم الحديث (٢٤٧٠) وإسناده حسن.

(٤) انظر كلام الذهبي في: سير أعلام النبلاء (١٠/١١٤).

قلت: جاء في رُؤْيَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ نَأْتِيهِ نَافِثَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٧٤٣٤)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاتِي الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٣٣)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا =

✽ عَوْدَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَإِخْبَارُهُ النَّاسَ بِمَسَرَّاهُ:

ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِيلُ ﷺ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ رَكِبَ الْبُرَاقَ مُنْصَرِفًا إِلَى مَكَّةَ بِصُحْبَةِ جِبْرِيلَ ﷺ، ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ.

✽ بَعْضُ الْمَشَاهِدِ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ:

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَرَزْتُ بَعِيرَ بَنِي فُلَانٍ فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ، - أَيِ: الْبُرَاقِ - فَتَدَّ^(١) لَهُمْ بَعِيرٌ، فَدَلَّلْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا مُتَوَجِّهُ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضَجْنَانَ^(٢) مَرَزْتُ بَعِيرَ بَنِي فُلَانٍ فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطُّوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ^(٣) مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَعَلَى رَأْسِ الْعَبِيرِ جَمَلٌ أَوْرَقُ^(٤) عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ^(٥)، إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ، وَالْأُخْرَى بَرَقَاءُ^(٦)».

= تَضَامُونًا فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَنْ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا».

لَا تَضَامُونُ: أَيِ: لَا تَتَخَالَفُونَ وَلَا تَتَجَادَلُونَ فِي صِحَّةِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. انظر: فتح الباري (١٥/٣٨٩).

(١) تَدَّ الْبَعِيرُ: أَيِ: شَرَدَ وَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ. انظر: النهاية (٣٠/٥).

(٢) ضَجْنَانُ: هُوَ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ تِهَامَةَ. انظر: معجم البلدان (٥/٢٢٥).

(٣) قَالَ الْإِمَامُ السَّهْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ (٢/١٩٧): كَيْفَ اسْتَبَاحَ الرَّسُولُ ﷺ شُرْبَ الْمَاءِ وَهُوَ مِلْكٌ لغيره؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ فِي غُرَفِ الْعَادَةِ عِنْدَهُمْ إِبَاحَةُ اللَّبَنِ لِابْنِ السَّبِيلِ فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ، وَكَانُوا يَهْهَدُونَ بِذَلِكَ إِلَى رُعَائِهِمْ، وَيَشْتَرِطُونَهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ عَقْدِ إِجَارَتِهِمْ أَلَّا يَمْنَعُوا اللَّبَنَ مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِهِمْ.

(٤) الْأَوْرَقُ مِنَ الْإِبِلِ: هُوَ الَّذِي فِي لَوْنِهِ بَيَاضٌ إِلَى سَوَادٍ. انظر: لسان العرب (١٥/٢٧٥).

(٥) الْغَرَارَةُ: وَغَاءٌ مِنَ الْخَيْشِ وَنَحْوُهُ يُوضَعُ فِيهِ الْقَمْحُ وَنَحْوُهُ. انظر: الوسيط (٢/٢٦٢).

(٦) يَقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ اجْتَمَعَ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ: أَبْرَقَ. انظر: لسان العرب (١/٣٨٣).

❁ هَلْ صَدَقَتْ قُرَيْشُ الرَّسُولَ ﷺ فِي إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ؟

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ، وَبِعَلَامَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبِعِيرِهِمْ... (١).

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ... عَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِي، فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ».

فَقَالَ كَالْمُسْتَهْزِئِ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: «نَعَمْ». قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ». قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ». قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قُلْتُ: «نَعَمْ».

فَلَمْ يَرِهِ أَنْ يُكَذِّبَهُ؛ مَخَافَةً أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ أَتَحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ: هَيَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! فَاَنْفَضْتُ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي يَا مُحَمَّدُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ». قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ». قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ».

= والخبر أخرجه ابن إسحاق في السيرة بدون إسناد، وأخرجه بنحوه البيهقي في دلائل النبوة (٣٥٧/٢) وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٥٤٦)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٨/٥) وصحح إسناده.

فَصَحَّ الْمُشْرِكُونَ وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ يُصَفَّقُ، وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ تَعْجِبًا^(١).

وَكَانَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، ارْتَدَّ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ ارْتَدَّ عَنْ إِسْلَامِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلِزَيْنَا أَلَيَّْ ارْتِنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَخُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]^(٢).

❀ مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ:

ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَصَلَّى فِيهِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ.

فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: بَلَى، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ،

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح على شرط الشيخين، رقم الحديث (٢٨١٩). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الإسراء، رقم الحديث (١١٢٢١)، وابن إسحاق في السيرة (١٢/٢).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المعراج، باب حديث (٣٨٨٨) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٦)، والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب الأحاديث المشعرة بتسمية أبي بكر صديقاً ﷺ، رقم الحديث (٤٤٦٣).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠٣/٨): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أُسْرِيَ به، قال: وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عني الله ﷻ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أُسْرَيْنَا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام، لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم، وكُفراً إلى كفرهم.

يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ، فَقَالُوا: أَوْتَصَدَّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟

إِنِّي لَأَصَدَّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أَصَدَّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ فِي غَدَوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ»، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الصَّدِيقَ^(١).

قَالَ أَبُو مُحَجَّنِ الثَّقَفِيُّ:

وَسُمِّيتَ صَدِيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ
سَبَقْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمُشْهَرِ
وَبِالْعَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْعَارِ صَاحِبًا وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ^(٢)

❖ طَلَبُ قُرَيْشٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ:

قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِفَ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ.

(١) أخرج ذلك الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب الأحاديث المشعرة بتسمية أبي بكر صديقاً ﷺ، رقم الحديث (٤٤٦٣)، وقال: صحيح الإسناد - ووافقه الذهبي - وانظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، رقم الحديث (٣٠٦).

(٢) انظر الأبيات في كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٩٤/٣).

فَقَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ^(١) وَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَيْفَ بِنَاؤُهُ، وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ، فَإِنْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَسَأُخْبِرُكُمْ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَأُخْبِرُكُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأُخْبِرُنِي كَيْفَ بِنَاؤُهُ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ؟

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَتُبِّهَا، فَكُرْبْتُ كُرْبَةً مَا كُرْبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتْبَأْتُهُمْ بِهِ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ ﷺ: «فَجَلَّى^(٣) اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفَّقْتُ^(٤) أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»^(٥).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» قَالَ ﷺ: «فَدَهَبْتُ أَنْعَتُ^(٦)، فَمَا

(١) قلت: ذكر البيهقي في دلائل النبوة (٣٥٥/٢)، وابن إسحاق في السيرة (١٢/٢) أن الذي قال لرَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا غير صحيح؛ بل الذي قال له: صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، هو الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، كما روى ذلك أبو يعلى في مسنده من حديث أم هانئ. وانظر: فتح الباري (٥٩٩/٧)، (٣٠٧/٩).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧/٥): ولا شك أن هذا الحديث الذي ساقه البيهقي؛ أعني: الحديث المروي عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُنْكَرٌ؛ كَالصَّلَاةِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، وَسُؤَالِ الصَّدِيقِ عَنْ نَعْتِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، رقم الحديث (١٧٢).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥٩٩/٧): معناه: كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته.

(٤) طَفَّقَ: أَخَذَ وَجَعَلَ. انظر: النهاية (١١٨/٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث الإسراء، رقم الحديث (٣٨٨٦)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله تَعَالَى: ﴿أَتَرَى بِعِبَادِي لِبَاسًا﴾، رقم الحديث (٤٧١٠).

(٦) النَّعْتُ: هُوَ وَصْفُ الشَّيْءِ بِمَا فِيهِ مِنْ حُسْنٍ، وَلَا يُقَالُ فِي الْقَبِيحِ. انظر: النهاية (٦٨/٥).

زَلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ»، قَالَ: «فَجِئْتُ بِالْمَسْجِدِ^(١) وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وَضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ نَعْتِهِ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ^(٢).

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «آيَةُ ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعَيْرٍ لَكُمْ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ - أَيِ: الْبَرَاقِ - فَتَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ، فَذَلَّلْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَعَلَى عَيْرِهِمْ جَمَلٌ أَوْرَقٌ عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ، إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ، وَالْأُخْرَى بَرْقَاءُ»، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعَيْرُ، إِذَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَسَلَّوَهُمْ عَنِ الْإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً، ثُمَّ غَطَّوْهُ، وَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا فَوَجَدُوهُ مُغَطًى كَمَا غَطَّوْهُ، وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً، وَسَلَّوَهُمْ: هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، نَدَّ لَنَا بَعِيرٌ فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَنَاهُ^(٣).

فَعَجِبَ الْكُفَّارُ لَمَّا عَرَفُوا صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا وَطُغْيَانًا كَبِيرًا.

قُلْتُ: وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ قَوْمَهُ بِالْإِسْرَاءِ أَوَّلًا، فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُمْ أَمَارَاتُ صِدْقِهِ عَلَى تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَهُوَ الْمِعْرَاجُ^(٤).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٩٩/٧): وهذا أبلغ في المعجزة، ولا استحالة فيه، فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان عليه السلام، وهو يقتضي أنه أزيل من مكانه حتى أحضر إليه، وما ذاك في قدرة الله بعزیز.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٨١٩)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١٦/٢).

(٤) انظر تفاصيل قصة الإسراء والمعراج في: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف =

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ عَايَنَ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأُمُورِ الَّتِي لَوْ رَأَاهَا أَوْ بَعْضَهَا غَيْرُهُ لَأُضْبِحَ مُنْذَهَشًا أَوْ طَائِشَ الْعَقْلِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ أَضْبَحَ سَاكِنًا، يَخْشَى إِنْ بَدَأَ فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ، فَتَلَطَّفَ بِإِخْبَارِهِمْ أَوَّلًا بِأَنَّهُ جَاءَ بَيِّنَتِ الْمَقْدِسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ^(١).

* فَوَائِدُ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ - أَنَّ لِلْسَّمَاءِ أَبْوَابًا حَقِيقِيَّةً وَحَفَظَةً مُوَكَّلِينَ بِهَا.

٢ - وَفِيهِ: إِبْتِثَاتُ الْإِسْتِثْنَانِ.

٣ - وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَسْتَأْذِنُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا فُلَانٌ، وَلَا يَقْتَصِرَ عَلَى أَنَا لِأَنَّهُ يُنَافِي مَطْلُوبَ الْإِسْتِفْهَامِ.

٤ - وَأَنَّ الْمَارَّ يُسَلِّمُ عَلَى الْقَاعِدِ، وَإِنْ كَانَ الْمَارُّ أَفْضَلَ مِنَ الْقَاعِدِ.

= فرضت الصلاة، رقم الحديث (٣٤٩)، كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم، رقم الحديث (١٦٣٦)، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ﷺ، رقم الحديث (٣٢٠٧). وكتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، رقم الحديث (٣٣٤٢) وكتاب المناقب، باب حديث الإسراء، رقم الحديث (٣٨٨٦)، وكتاب المناقب، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧)، (٣٨٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٢)، (١٦٣)، (١٦٤)، (١٦٥)، (١٦٦)، (١٦٧)، (١٧٢)، ومسنند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٢٥٠٥)، (١٢٦٧٣)، (١٤٠٥٠)، (١٢٥٥٨)، (١٣٧٣٩)، (١٢٦٤١)، وصحيح ابن حبان، كتاب الإسراء الأحاديث من (٤٥ - ٦٠)، السنن الكبرى للنسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، رقم الحديث (٣٠٩)، (٣١٠)، (٣١١)، السنن الصغرى، للنسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، رقم الحديث (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١)، دلائل النبوة، لليبهي (٣٥٤/٢) وما بعدها، البداية والنهاية (١١٨/٣) - (١٢٨)، زاد المعاد (٣٠/٣ - ٣٨)، سيرة ابن هشام (٩/٢ - ٢١)، الرُّوضُ الْأَنْفُ (٢/١٨٧)، تفسير ابن كثير، تفسير سورة الإسراء، تفسير الطبري، تفسير سورة الإسراء.

٥ - وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ تَلْقَى أَهْلَ الْفَضْلِ بِالْبَشْرِ، وَالتَّرْحِيبِ، وَالثَّنَاءِ، وَالدُّعَاءِ.

٦ - وَفِيهِ: جَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ الْمَأْمُونِ عَلَيْهِ الْإِفْتِتَانُ فِي وَجْهِهِ.

٧ - وَفِيهِ: جَوَازُ الْإِسْتِنَادِ إِلَى الْقِبْلَةِ بِالظَّهْرِ وَغَيْرِهِ، مَاخُودٌ مِنْ اسْتِنَادِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَهُوَ كَالْكَعْبَةِ فِي أَنَّهُ قِبْلَةٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

٨ - وَفِيهِ: جَوَازُ نَسْخِ الْحُكْمِ قَبْلَ وَقُوعِ الْفِعْلِ.

٩ - وَفِيهِ: فَضْلُ السَّيْرِ بِاللَّيْلِ عَلَى السَّيْرِ بِالنَّهَارِ لِمَا وَقَعَ مِنَ الْإِسْرَاءِ بِاللَّيْلِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْثَرُ عِبَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاللَّيْلِ، وَكَانَ أَكْثَرُ سَفَرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاللَّيْلِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»: «عَلَيْكُمْ بِالذُّلْجَةِ^(١)، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ»^(٢).

١٠ - وَفِيهِ: أَنَّ التَّجَرِبَةَ أَقْوَى فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْكَثِيرَةِ، يُسْتَفَادُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ عَالَجَ النَّاسِ قَبْلَهُ وَجَرَّبَهُمْ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ تَحْكِيمُ الْعَادَةِ، وَالتَّنْبِيهُ بِالْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى لِأَنَّ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَمَمِ كَانُوا أَقْوَى أَبْدَانًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَلَامِهِ أَنَّهُ عَالَجَهُمْ عَلَى أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ فَمَا وَافَقُوهُ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ مَقَامَ الْخَلَّةِ مَقَامُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَمَقَامُ التَّكْلِيمِ مَقَامُ الْإِذْلَالِ وَالْإِنْسَاطِ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَبَدَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَلَبِ التَّخْفِيفِ دُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ أَنَّ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَزِيدَ مِمَّا لَهُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَقَامِ الْأَبُوَّةِ، وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ، وَالِاتِّبَاعِ فِي الْمِلَّةِ.

١١ - وَفِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ

(١) الذُّلْجَةُ: هُوَ السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ. انظر: النهاية (٢/١٢٠).

(٢) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٥٠٩١).

الجنة والنار»^(١).

١٢ - وفيه: استَحْبَابُ الْإِكْثَارِ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْثِيرِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ، لَمَّا وَقَعَ مِنْهُ ﷺ فِي إِجَابَتِهِ مَشُورَةَ مُوسَى ﷺ فِي سُؤَالِ التَّخْفِيفِ.

١٣ - وفيه: فَضِيلَةُ الْإِسْتِحْيَاءِ.

١٤ - وفيه: بَذْلُ النَّصِيحَةِ لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَإِنْ لَمْ يُسْتَشَرَ النَّاصِحُ فِي ذَلِكَ^(٢).

❁ مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ:

لَمَّا أَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ، وَأَوْقَاتَهَا^(٣).

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَادَى بِأَصْحَابِهِ: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»^(٤)، فَاجْتَمَعُوا، فَصَلَّى بِهِ جِبْرِيلُ، وَصَلَّى الرَّسُولُ ﷺ بِالنَّاسِ^(٥)، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ الظُّهْرَ لِأَنَّهَا أَوَّلُ صَلَاةٍ ظَهَرَتْ، أَوْ لِأَنَّهَا فُعِلَتْ عِنْدَ قِيَامِ الظُّهَيْرَةِ^(٦).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/٦٢١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢/١٨٤): وفي هذا ردُّ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، والحقُّ أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل ﷺ، وبعدها ببيان الرسول ﷺ.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٢/١٨٤): إنما دعاهم إلى الصلاة بقوله: الصلاة جامعة؛ لأن الأذان لم يكن شريعاً حينئذ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٢/١٨٤): واستدل بهذا الحديث على جواز الائتِمام بمن يأتُّم بغيره، ويجاب عنه بما يُجابُّ عن قصَّة أبي بكر رضي الله عنه في صلاته خلف الرسول ﷺ، وصلاة الناس خلفه، فإنه محمولٌ على أنه مُبْلَغٌ فَقَطْ.

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٨٢).

عَبْدُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الظُّهَرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُهُ أَوْ قَالَ: صَارَ ظِلُّهُ مِثْلُهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى حِينَ سَطَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْعَدِ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الظُّهَرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلْمَغْرِبِ وَقَتًا وَاحِدًا لَمْ يَزَلْ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَ لِلْعِشَاءِ حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ: ثُلُثُ اللَّيْلِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلْفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ (١).

❁ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ الرَّبَاعِيَّةُ رَكَعَتَانِ:

كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَمَا فُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ رَكَعَتَيْنِ: الظُّهَرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، وَالْمَغْرِبَ ثَلَاثًا، ثُمَّ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقْدَمِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ (٢) فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٥٣٨)، والحاكم في المستدرک، کتاب الصلاة، باب وقت صلاة العشاء، رقم الحديث (٧٣٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١١/٢): كُرِّرَتْ لَفْظُ رَكَعَتَيْنِ لِتُفِيدَ عُمُومَ التَّنْبِيهِ لِكُلِّ صَلَاةٍ.

صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأَوَّلَى^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا افْتُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ: رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَمَّ اللَّهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعًا فِي الْحَضَرِ، وَأَقَرَّ الصَّلَاةَ عَلَى فَرَضِهَا الْأَوَّلِ فِي السَّفَرِ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: يُعَارِضُ حَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ^(٤)، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي وَبِهِ تَجْتَمِعُ الْأَدِلَّةُ أَنَّ الصَّلَوَاتِ فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، إِلَّا الْمَغْرِبَ، ثُمَّ زِيدَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الصُّبْحَ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فُرِضَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَدِينَةَ وَاطْمَأَنَّ زَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لَطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ؛ لِأَنَّهَا وَثُرَ النَّهَارُ^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم الحديث (٣٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث (٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب التاريخ، رقم الحديث (٣٩٣٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٦٣٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث (٦٨٧).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فصل في صلاة السفر، رقم الحديث (٢٧٣٨).

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فَرَضُ الرُّبَاعِيَّةِ خُفِّفَ مِنْهَا فِي السَّفَرِ عِنْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]. فَعَلَى هَذَا: الْمُرَادُ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَقَرَّتْ صَلَاةَ السَّفَرِ؛ أَيُّ: بِإِعْتِبَارِ مَا آلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنَ التَّخْفِيفِ، لَا أَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ مُنْذُ فُرِضَتْ، فَلَا يَلْزُمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصْرَ عَزِيمَةٌ^(١).

❁ الصَّلَاةُ كَانَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى هَاجَرَ وَنَزَلَ الْوَحْيُ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ - كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَمَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ^(٢).



(١) انظر: فتح الباري (١١/٢ - ١٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٩٩١).

انْشِقَاقُ الْقَمَرِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ أُمَّهَاتِ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَقَدْ رَوَاهَا عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مَعَ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَسِيَاقِهَا^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وُقُوعِ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ ﷺ، وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ أَحَاطَ بِهَا، وَنَظَرَ فِيهَا^(٢).

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ^(٣) بَيْنَهُمَا^(٤).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنَى^(٥) فَقَالَ: «اشْهَدُوا»^(٦)، وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١١٩/١٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢٩/٣).

(٣) حِرَاء: جبلٌ معروف بمكة. انظر: النهاية (٣٦٢/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٣٨٦٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٢٨٠٢).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٥٧٩/٧): وهذا لا يُعارضُ قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَيْلَتِيذٍ بِمَكَّةَ، وَعَلَى تَقْدِيرِ تَصْرِيحِهِ، فَمِنَى مِنْ جُمْلَةِ مَكَّةَ فَلَا تَعَارُضُ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥٧٩/٧): أَي: اضْبُطُّوا هَذَا الْقَدْرَ بِالْمُشَاهَدَةِ.

نَحَوَ الْجَبَلِ^(١).

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم آيَةً، فَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ^(٢)، فَقَالَ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ١ وَلِنْ يَرَوْا آيَةً^(٣) ﴿يُعْرِضُوا﴾^(٤) ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢]^(٥).

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْأَثَارِ»، وَالطَّلَالِيسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: اَنْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ^(٦)، وَقَالُوا: اَنْتَظِرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ^(٧)، فَإِنْ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٣٨٦٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٢٨٠٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٧٨/٧): وقد خَفِيَ على بعض الناس، فادَّعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يَعْلَمُ أهل الحديث والسَّيَرُ أَنَّهُ غَلَطَ، فإنه لم يَقَعْ إِلَّا مَرَّةً واحدة. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٢/٣): وقوله مرتين: فيه نظر، والظاهر أنه أرادَ فِرْقَتَيْنِ، والله أعلم.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٧٥/٧): أي: دَلِيلًا وَحُجَّةً وَبُرْهَانًا.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٧٥/٧): أي: لَا يَنْقَادُونَ لَهُ، بل يُعْرِضُونَ عَنْهُ وَيَتْرَكُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٧٥/٧): أي: يَقُولُونَ هَذَا الَّذِي شَاهَدْنَاهُ مِنَ الْحُجَجِ سِحْرٌ سَحَرَنَا بِهِ..

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٢٨٠٢) وأخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٦٨٨).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥٨/١): وابن أبي كَبْشَةَ أرادوا به رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وأبو كَبْشَةَ هو الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُزَّى وَالِدُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الرِّضَاعَةِ، زَوْجُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ.

(٧) السُّفَّارُ: أي: الْمُسَافِرُونَ. انظر: النهاية (٣٣٥/٢).

كُلَّهُمْ، فَجَاءَ السَّقَّارُ، فَقَالُوا: ذَاكَ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ - أَي: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ - فِي كَثِيرٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَيُقَالُ أَنَّهُ أُرِّخَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْهِنْدِ^(٢).
وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ وَقَعَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ لَجَاءَ مُتَوَاتِرًا. وَاشْتَرَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَمَّا اخْتُصَّ بِهَا أَهْلُ مَكَّةَ.

وَجَوَابُهُ: أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَيْلًا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ نِيَامٌ، وَالْأَبْوَابُ مُعْلَقَةٌ، وَقَلٌّ مَنْ يَرْضُدُ السَّمَاءَ إِلَّا النَّادِرُ، وَقَدْ يَقَعُ بِالْمُشَاهَدَةِ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَنْكَسِفَ الْقَمَرُ، وَتَبْدُو الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ، وَلَا يُشَاهِدُهَا إِلَّا الْآحَادُ، فَكَذَلِكَ الْإِنْشِقَاقُ كَانَ آيَةً وَقَعَتْ فِي اللَّيْلِ لِقَوْمٍ سَأَلُوا، وَاقْتَرَحُوا فَلَمْ يَتَأَهَّبْ غَيْرُهُمْ لَهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ لَيْلَتَيْدٍ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ الَّتِي يَظْهَرُ لِبَعْضِ أَهْلِ الْآفَاقِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا يَظْهَرُ الْكُسُوفُ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ^(٣).
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا طَلَبُوا ذَلِكَ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا.



(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٦٩٧)، والطيايسي في مسنده، رقم الحديث (٢٩٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/١٣١).

(٣) انظر: فتح الباري (٧/٥٨٠).

عَرَضَ الرَّسُولُ ﷺ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْأَفْرَادِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبِعْثَةِ، فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، - وَذَلِكَ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ - وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ، وَكَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ قَدْ اقْتَرَبَ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَهَيَّأُ لِدَعْوَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا كَانَ شَأْنُهُ كُلَّ عَامٍ مُنْذُ أَنْ جَهَرَ بِالِدَعْوَةِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْبِعْثَةِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ حَتَّى آخِرِ مَوْسِمٍ لِلْحَجِّ قَبْلَ هِجْرَتِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ كُلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ بِالْمَوْسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ، وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَيِّنَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ^(١).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ^(٢)، وَمِجَنَّةٍ^(٣)، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَنَى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ»، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٥/٢).

(٢) عُكَاظٌ: هُوَ مَوْضِعٌ بَقَرُبِ مَكَّةَ، كَانَتْ تُقَامُ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سُوقٌ يُقِيمُونَ فِيهِ أَيَّامًا. انظر: النهاية (٢٥٧/٣).

(٣) مِجَنَّةٌ: هُوَ مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّيَالٍ، وَكَانَ يُقَامُ بِهَا لِلْعَرَبِ سُوقًا. انظر: النهاية (٢٥٧/٤).

مَضْرَ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: اخْذْ عَلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ^(١).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ^(٢)، فَيَقُولُ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي»^(٣).

❀ شِدَّةُ عِدَاوَةِ أَبِي لَهَبٍ لِلْإِسْلَامِ:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ تَبِعَهُ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ يَزِمِيهِ بِالْحِجَارَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ عَبَادٍ الدَّيْلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ^(٤) يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا^(٥)، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ^(٦) عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٥٦).

(٢) الْمَوْقِفُ: أي: المَوْسِم، مَوْسَم الْحَجِّ. انظر: تحفة الأحوذى (٢٤٢/٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في القرآن، رقم الحديث (٤٧٣٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم الحديث (٢٠١)، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب رقم (٢٥)، رقم الحديث (٣١٥٢).

(٤) ذُو الْمَجَازِ: موضع سُوقٍ لمكة في الجاهلية بِعَرَفَةَ على فَرَسٍ منها، كانت تُقَامُ إِذَا أَهْلُ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، وَتَسْتَوِرُ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، وهو يوم الثامن من ذي الحجة. معجم البلدان (٢٠٧/٧).

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٢٤) قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ بِمَنَى.

(٥) الْفِجَاجُ: جمعُ فَجٍّ، وهو الطريقُ الواسِع. انظر: النهاية (٣٧٠/٣).

(٦) قال السندي في شرح المسند (١٧٦/٩): مُتَقَصِّفُونَ: مُجْتَمِعُونَ عليه.

شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ^(١) وَضِيءُ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ^(٢) يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ^(٣). فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ^(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، قَالَ: وَإِذَا رَجُلٌ خَلْفَهُ يَحْيَى^(٥) عَلَيْهِ الثَّرَابُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو جَهْلٍ^(٦).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: كَذَا قَالَ فِي هَذَا السِّيَاقِ: أَبُو جَهْلٍ، وَقَدْ يَكُونُ وَهْمًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَارَةً يَكُونُ ذَا، وَتَارَةً يَكُونُ ذَا، وَأَنْهُمَا كَانَا يَتَنَاقَبَانِ عَلَى إِيْدَائِهِ ﷺ^(٧).

❁ الْقَبَائِلُ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ الْإِسْلَامَ:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»: فَكَانَ مَنْ سَمَّى لَنَا مِنَ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَمُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ، وَبَنُو فِزَارَةَ، وَغَسَّانِ، وَبَنُو مُرَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَبَنُو سُلَيْمٍ، وَبَنُو عَبْسٍ، وَبَنُو نَضْرٍ مِنْ هَوَازِنَ، وَبَنُو الْبُكَاءِ، وَكِندَةَ، وَكَلْبٍ، وَبَنُو

(١) قال السندي في شرح المسند (١٧٦/٩): الْحَوْلُ: هُوَ عَيْبٌ فِي الْعَيْنِ مَعْرُوفٌ.

(٢) غَدِيرَتَيْنِ: هِيَ الذَّوَائِبُ، وَاحِدَتُهَا غَدِيرَةٌ. انظر: النهاية (٣١٠/٣).

(٣) فِي رِوَايَةِ ابْنِ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ قَالَ: وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَذْمَى عُرْقُوبِيُّهُ وَكَعْبِيُّهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٠٢٣)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ ذِكْرِ مَقَاسَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ مَا كَانَ يَقَاسِي مِنْ قَوْمِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٥٦٢).

(٥) حَنَّاءٌ: رَمَى. انظر: النهاية (٣٢٧/١).

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٦٦٠٣)، (٢٣١٥١).

(٧) انظر: البداية والنهاية (١٥١/٣).

الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، وَبَنُو عُذْرَةَ، وَهَمْدَانَ، وَتَقِيفٍ^(١).

١ - قَبِيلَةُ هَمْدَانَ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟، فَإِنْ قُرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي».

فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟». قَالَ: مِنْ هَمْدَانَ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟».

قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يُخْفِرَهُ^(٢) قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: آتَيْتُهُمْ فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتَيْتَكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، فَاذْطَلَقَ، وَجَاءَ وَفَدَّ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبِ^(٣).

٢ - قَبِيلَةُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/١٠٤)، ودلائل النبوة، لأبي نعيم (١/٢٩٣).

(٢) أَخْفَرْتُ الرَّجُلَ: إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ. انظر: النهاية (٢/٥٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥١٩٢).

فَقَالَ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: أَفَتُهُدِفُ نُحُورَنَا^(١) لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِعِغْرِنَا؟ لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا صَدَرَ^(٢) النَّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ، قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتُهُ السِّنُّ، حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوَاسِمَ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ، فَقَالُوا: جَاءَنَا فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ، وَنَقُومَ مَعَهُ، وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا.

فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَامِرٍ! هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ؟ هَلْ لِدُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ^(٣)؟ وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ، مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِيُّ^(٤) قَطُّ، وَإِنَّهَا لَحَقٌّ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ^(٥).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ ﷺ، فَلَوْ كَانَ طَالِبَ مُلْكٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ يَتَجَرُّ بِالْمَبَادِي يَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ دِهَاقِينُ^(٦) السِّيَاسَةِ فِي الْقَدِيمِ، وَالْحَدِيثِ مِنْ اسْتِمَالَةِ النَّاسِ بِالْأَحَادِيثِ الْكَاذِبَةِ، وَالْوُعُودِ الْخَادِعَةِ الْبَرَّاقَةِ، وَيُمْنِيهِمُ الْأَمَانِي الْفَارِغَةَ حَتَّى إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ نَسِيَ مَا قَالَ، وَرَجَعَ فِي وَعُودِهِ؛ بَلْ قَدْ يَتَنَكَّرُ لَهُمْ، وَيُسَفِّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُنْكِلُ بِهِمْ، وَهَذَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا، وَمَا بَيْنَ الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ

(١) أي: نجعلها هدفًا لِسَهَامِهِمْ. انظر: الروض الأنف (٢/٢٣٧).

(٢) الصَّدْرُ: بالتحريك هو رُجُوعُ الْمُسَافِرِ مِنْ مَقْصِدِهِ. انظر: النهاية (٣/١٥).

(٣) هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَا قَاتَ، وَأَصْلُهُ مِنْ دُنَابَى الطَّائِرِ، وَهُوَ مَبْنُوتٌ ذَنْبِ الطَّائِرِ، إِذَا أَفْلَتَ مِنَ الْجِبَالَةِ، فَطَلَبَتْ الْأَخْذَ بِدُنَابَاهُ. انظر: الروض الأنف (٢/٢٣٧)، النهاية (٢/١٥٧).

(٤) أي: ما ادَّعى النُّبُوَّةَ كَاذِبًا أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ. انظر: الروض الأنف (٢/٢٣٧).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٣٨).

(٦) الدَّهْقَانُ: هُوَ الْقَرِيءُ عَلَى التَّصَرُّفِ مَعَ حِدَّةٍ. انظر: لسان العرب (٤/٤٢٩).

وَطَالِبِ الدُّنْيَا^(١).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرِنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ^(٢)، فَإِنِّي مِنْ أَطَبِّ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُرِيكَ آيَةً؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى نَخْلَةٍ، فَقَالَ ﷺ: «ادْعُ ذَلِكَ الْعَدْقَ»^(٣). قَالَ: فَدَعَا، فَجَاءَ يَنْقُرُ^(٤) حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْجِعْ». فَارْجَعَ إِلَى مَكَانِهِ، فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا آلَ بَنِي عَامِرٍ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَسْحَرَ^(٥).

٣ - قَبِيلَةُ كِنْدَةَ:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَالَتِهِ» عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمَا قَالُوا: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ، فَلَمَّ يَأْتِ حَيًّا مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَلَيْنَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى لِيْنَهُمْ، وَقُوَّةَ جَبْهَتِهِمْ^(٦) لَهُ، جَعَلَ يُكَلِّمُهُمْ وَيَقُولُ: «أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ أَظْهَرَ فَأَتْنُم بِالْخِيَارِ»، فَقَالَ عَامَّتُهُمْ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْقَوْلَ، وَلَكِنَّا نَعْبُدُ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا، فَقَالَ أَضْعُرُ الْقَوْمَ: يَا قَوْمُ! اسْبِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تُسْبِقُوا إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَيَحْدِثُونَ أَنَّ نَبِيًّا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ أَظْلَمَ

(١) انظر: السيرة النبوية (١/٤٣٠)، للدكتور محمد أبو شهبة رحمته الله.

(٢) الْخَاتَمُ: هُوَ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْ النَّبِيِّ ﷺ - وَقَدْ فَصَّلْتُ ذَلِكَ فِيمَا تَقْدَمُ، فَرَاغَهُ ..

(٣) الْعَدْقُ: بَفَتْحِ الْعَيْنِ هُوَ النَّخْلَةُ. انظر: النهاية (٣/١٨١).

(٤) نَقَرَ: أَي: وَثَبَ. انظر: النهاية (٥/٩٢).

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٩٥٤)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ

التَّارِيخِ، بَابُ الْمَعْجَزَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٦٥٢٣).

(٦) جَبْهَتُهُمْ: أَي: اسْتَبْقَالُهُمْ. انظر: لسان العرب (٢/١٧٣).

زَمَانُهُ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ إِنْسَانٌ أَعْوَرُ، فَقَالَ: أُمْسِكُوا عَلَيَّ، أَخْرَجْتُهُ عَشِيرَتُهُ وَتَوَوُّوهُ أَنْتُمْ؟ تَحْمِلُونَ حَرْبَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً، لَا، ثُمَّ لَا، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ حَزِينًا، فَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَخَبَّرُوهُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَاللَّهِ إِنَّكُمْ مُحْطِطُونَ بِخَطِيئَتِكُمْ لَوْ سَبَقْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ لَسُدْتُمْ الْعَرَبَ، وَنَحْنُ نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا، فَوَصَفَهُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ رَأَوْهُ، كُلُّ ذَلِكَ يُصَدِّقُونَهُ بِمَا يَصِفُ مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَجِدُ مَخْرَجَهُ بِمَكَّةَ، وَدَارَ هِجْرَتِهِ يَثْرِبَ، فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ لِيُؤَافُوهُ فِي الْمَوْسِمِ الْقَادِمِ، فَحَبَسَهُمْ سَيِّدٌ لَهُمْ عَنْ تِلْكَ السَّنَةِ، فَلَمْ يُؤَافِ أَحَدٌ مِنْهُمْ^(١).

٤ - قَبِيلَةُ بَنِي حَنِيفَةَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرْضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَقْبَحَ عَلَيْهِ رَدًّا مِنْهُمْ^(٢).

٥ - قَبِيلَةُ عَبَسِي:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَابِصَةَ الْعَبْسِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَازِلِنَا بِمَنْىَ، وَنَحْنُ نَازِلُونَ بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، مُرَدِّفًا خَلْفَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَدَعَانَا، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَجَبْنَا لَهُ، وَلَا خَيْرَ لَنَا، قَالَ: وَقَدْ كُنَّا سَمِعْنَا بِهِ وَبَدَعَائِهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَقَفَ عَلَيْنَا يَدْعُونَا، فَلَمْ نَسْتَجِبْ لَهُ، وَكَانَ مَعَنَا مَيْسِرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْعَبْسِيُّ، فَقَالَ: أَخْلِفْ بِاللَّهِ لَوْ صَدَّقْنَا هَذَا الرَّجُلَ وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَحْلُ بِهِ وَسَطَ رِحَالِنَا لَكَانَ الرَّأْيُ، فَأَخْلِفَ بِاللَّهِ لِيُظْهَرَ أَمْرُهُ حَتَّى يَبْلُغَ

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٩٧/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٧/٢).

كُلَّ مَبْلَغٍ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: دَعْنَا عَنْكَ لَا تُعَرِّضْنَا لِمَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ، فَطَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَيْسَرَةٍ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ مَيْسَرَةٌ: مَا أَحْسَنَ كَلَامَكَ وَأَنُورَهُ، وَلَكِنَّ قَوْمِي يُخَالِفُونَنِي، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِقَوْمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْضُدُوهُ^(١) فَالْعِدَا أَبَعْدُ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ الْقَوْمُ صَادِرِينَ^(٢) إِلَى أَهْلِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ مَيْسَرَةٌ: مِيلُوا بِنَا إِلَى فَدَك^(٣)، فَإِنَّ بِهَا يَهُودًا، نَسْأَلُهُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَمَالُوا إِلَى يَهُودٍ، فَأَخْرَجُوا سَفْرًا^(٤) لَهُمْ، فَوَضَعُوهُ، ثُمَّ دَرَسُوا ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ، يَرْكَبُ الْجَمَلَ، وَيَجْتَزِي بِالْكَسْرَةِ، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْجَعْدِ^(٥) وَلَا بِالْسَّبِطِ^(٦)، فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، مُشْرَبُ^(٧) اللَّوْنِ، فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَادْخُلُوا فِي دِينِهِ، فَإِنَّا نَحْسُدُهُ فَلَا نَتَّبِعُهُ، وَلَكِنَّا مِنْهُ فِي مَوَاطِنَ بَلَاءٍ عَظِيمٍ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعَهُ أَوْ قَاتَلَهُ،

(١) يَعْضُدُ فلان: أي: يُعِينُهُ. انظر: لسان العرب (٢٥٣/٩).

(٢) الصَّدْرُ: بالتحريك رجوع المسافر من مقصده. انظر: النهاية (١٥/٣).

(٣) فَدَكُ: هي قريةٌ بالحجاز، بينها وبينَ المَدِينَةِ يَوْمَانِ، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع من الهجرة صلحاً، فكانت خالصةً لرسولِ الله ﷺ، وفيها عينٌ قَوَارَةٌ وَنَخِيلٌ كثير. انظر: معجم البلدان (٤١٧/٦).

(٤) السَّفَرُ: بكسر السين: هو الكتاب. انظر: لسان العرب (٢٧٩/٦).

ومنه قوله تعالى في سورة الجمعة آية (٥): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...﴾.

(٥) جَعْدُ الشَّعْرِ: هو ضدُّ السَّبِطِ. انظر: النهاية (٢٦٦/١).

(٦) السَّبِطُ مِنَ الشَّعْرِ: الْمُتَبَسِّطُ الْمُسْتَرْسِلُ؛ أي: كَانَ شَعْرُهُ ﷺ وَسَطًا بَيْنَهُمَا. انظر: النهاية (٣٠١/٢).

(٧) الإِشْرَابُ: هو خَلَطُ لَوْنٍ بِلَوْنٍ، كَانَ أَحَدَ اللَّوْنَيْنِ سَقْيَ اللَّوْنِ الْآخَرَ. انظر: النهاية (٢/٤٠٧). روى ابن حبان في صحيحه بسند صحيح، كتاب التاريخ، باب صفة الرسول ﷺ، رقم الحديث (٦٣١١) عن علي بن أبي طالب ؓ أنه كان إذا وصف النبي ﷺ قال: كان عظيم الهامة، أبيض، مشرباً حُمْرَةً.

فَكُونُوا مِمَّنْ يَتَّبِعُهُ، فَقَالَ مَيْسَرَةُ: يَا قَوْمُ! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَيِّنٌ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَرْجِعُ إِلَى الْمَوْسِمِ فَنَلْقَاهُ، فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ رِجَالُهُمْ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، لَقِيَهُ مَيْسَرَةُ، فَعَرَفَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا زِلْتُ حَرِيصًا عَلَى اتِّبَاعِكَ مِنْ يَوْمٍ أَنْخَتَ بِنَا، حَتَّى كَانَ مَا كَانَ، وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَى مِنْ تَأْخِيرِ إِسْلَامِي، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقْدَنِي بِكَ مِنَ النَّارِ^(١).

٦ - قَبِيلَةُ كَلْبٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ: «يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ ﷻ، قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ»، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ^(٢).

٧ - قَبِيلَةُ بَنِي شَيْبَانَ:

مِمَّنْ عَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، فِيهِمْ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَانِيُّ بْنُ قَيْصَةَ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ وَأَعْجَبَهُمْ مَا يَدْعُوا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ اعْتَذَرُوا عَنْ نُصْرَتِهِ لِكَوْنِ كِسْرَى، قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدًا أَلَّا يُحْدِثُوا حَدَثًا^(٣) وَلَا يُؤْوُوا مُحْدِثًا^(٤)، وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ مِمَّا يَلِي

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٩٣/١)، أسد الغابة (٢٠٦/٤)، البداية والنهاية (١٥٧/٣).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٧/٢)، البداية والنهاية (١٥١/٣).

(٣) الْحَدَّثُ: الْأَمْرُ الْحَادِثُ الْمُنْكَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمُعْتَادٍ، وَلَا مَعْرُوفٍ. انظر: النهاية (٣٣٨/١).

(٤) الْمُحْدِثُ: يُرْوَى بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا - فَمَعْنَى الْكُسْرِ: مَنْ نَصَرَ جَانِيًا أَوْ آوَاهُ مِنْ خَصْمِهِ - وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ.

بِلَادَ فَارِسٍ^(١).

٨ - قَبِيلَةُ بَنِي مُحَارِبٍ:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ خَصْفَةَ، فَوَجَدَ فِيهِمْ شَيْخًا ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَمْنَعَهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! قَوْمُكَ أَعْلَمُ بِنَبِيِّكَ، وَاللَّهُ لَا يُوْثِبُ^(٢) بِكَ رَجُلٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا آبَ بَشَرٍّ مَا يُوْثِبُ بِهِ أَهْلُ الْمَوْسِمِ، فَأَعْنِ عَنَّا نَفْسَكَ، وَإِنَّ أَبَا لَهَبٍ لَقَائِمٌ يَسْمَعُ كَلَامَ الْمُحَارِبِيِّ، ثُمَّ وَقَفَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى الْمُحَارِبِيِّ فَقَالَ: لَوْ كَانَ أَهْلُ الْمَوْسِمِ كُلُّهُمْ مِثْلَكَ لَتَرَكْتُ هَذَا الدِّينَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ صَابِيٌّ^(٣) كَذَّابٌ، فَقَالَ الْمُحَارِبِيُّ، أَنْتَ وَاللَّهُ أَعْرَفُ بِهِ، هُوَ ابْنُ أَخِيكَ، لُحْمَتُكَ^(٤)، ثُمَّ قَالَ الْمُحَارِبِيُّ: لَعَلَّ بِهِ يَا أَبَا عُتْبَةَ لَمَمًا^(٥)، فَإِنَّ مَعَنَا رَجُلًا مِنَ الْحَيِّ يَهْتَدِي لِإِعْلَاجِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ أَبُو لَهَبٍ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا رَأَاهُ وَقَفَ عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ صَاحٍ بِهِ أَبُو لَهَبٍ: إِنَّهُ صَابِيٌّ كَذَّابٌ^(٦).

= وبالفَتْح: هو الأَمْرُ المُتَبَدِّعُ نَفْسُهُ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْإِيوَاءِ فِيهِ الرِّضَا بِهِ، وَالصَّبْرَ عَلَيْهِ. انظر: النهاية (٣٣٨/١).

(١) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٤٢٢/٢)، دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٨٨/١).

(٢) الأَوْثَبُ: الرَّجُوعُ. انظر: النهاية (٧٩/١).

ومنه قوله تعالى في سورة ق آية (٣٢): ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٠٦/٧): أي: رَجَاعٌ تَائِبٌ مُقْبِلٌ.

(٣) يُقَالُ صَبَأَ فُلَانٌ: إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِيَّ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. انظر: النهاية (٣/٣).

(٤) اللُّحْمَةُ بِالضَّمِّ: الْقَرَابَةُ. انظر: لسان العرب (٢٥٤/١٢).

(٥) اللَّمَمُ: هُوَ طَرَفٌ مِنَ الْجُنُونِ يُلْمُ بِالْإِنْسَانِ: أَيُّ: يَقْرَبُ مِنْهُ وَيَعْتَرِيهِ. انظر: النهاية (٢٣٣/٤).

(٦) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٢٩٣/١).

❀ الْأَفْرَادُ الَّذِينَ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ الْإِسْلَامَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدُمُ مَكَّةَ مِنَ الْعَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ، إِلَّا تَصَدَّى لَهُ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ^(١).

فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ عَرَضَ عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ:

❀ سُوَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ:

كَانَ شَاعِرًا مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ الْكَامِلَ لِجَلَدِهِ^(٢) وَشَرَفِهِ، وَنَسَبِهِ، قَدِمَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَتَصَدَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فَلَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلَ الَّذِي مَعِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟».

قَالَ مَجَلَّةٌ^(٣) لُقْمَانَ - يَعْنِي: حِكْمَةً لُقْمَانَ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْرِضْهَا عَلَيَّ»، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا لَكَلَامٌ حَسَنٌ، وَالَّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فُرَّانٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ، هُوَ هُدًى وَنُورٌ»، فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٨/٢). (٢) الجَلْدُ: القُوَّة. انظر: النهاية (٢٧٥/١).

(٣) يُرِيدُ كِتَابًا فِيهِ حِكْمَةٌ لُقْمَانَ، وَكُلُّ كِتَابٍ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجَلَّةٌ. انظر: النهاية (٢٥٦/٤). وَأَمَّا لُقْمَانُ ﷺ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ هَلْ كَانَ نَبِيًّا، أَوْ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نُبُوَّةٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا.

قال ابن عباس ؓ: كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣٣٤/٦) بعد أن سَاقَ بَعْضُ الْأَثَارِ: فَهَذِهِ الْأَثَارُ مِنْهَا مَا هُوَ مُصَرَّحٌ فِيهِ بِنَبِيِّ كَوْنِهِ نَبِيًّا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُشْعِرٌ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَوْنُهُ عَبْدًا قَدْ مَسَّهُ الرُّقُّ يُنَافِي كَوْنَهُ نَبِيًّا؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَلِهَذَا كَانَ جَمْهُورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا.

وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَقَوْلُ حَسَنٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْحَزْرَجُ، فَكَانَ رَجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ: إِنَّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ، وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ^(١).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أَنَا شَاكٌّ فِي إِسْلَامِ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ كَمَا شَكَّ فِيهِ غَيْرِي مِمَّنْ أَلَّفَ فِي هَذَا الشَّانِ قَبْلِي^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الإصابة»: فَإِنْ صَحَّ مَا قَالُوا - أَنَّهُ أَسْلَمَ - لَمْ يُعَدَّ فِي الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا^(٣).

❀ ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ:

وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ^(٤) مِنَ الْيَمَنِ، كَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَرْقِي^(٥) مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ^(٦)، قَدِمَ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، فَجَلَسَ مَجْلِسًا فِيهِ أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَأَضَلَّ مَنْ مَاتَ مِنَّا، وَعَابَ آلِهَتَنَا، فَقَالَ أُمَيَّةُ: الرَّجُلُ مُجَنُونٌ غَيْرُ شَكٍّ، قَالَ ضِمَادُ: فَوَقَعْتُ فِي نَفْسِي كَلِمَتُهُ، فَقُلْتُ:

(١) يَوْمُ بُعَاثٍ: بضم الباء هو يومٌ مشهورٌ كان فيه حربٌ بين الأوس والحَزْرَجِ، وبُعَاثُ اسْمٌ حِصْنٍ لِلأَوْسِ. انظر: النهاية (١/١٣٨)، وسيأتي ذكرُ تفصيلِ هذه الوقعة.

انظر تفاصيل لقاء الرسول ﷺ بسويد بن الصامت في: سيرة ابن هشام (٢/٣٩)، البداية والنهاية (٣/١٥٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٤١٩)، الرُّوضُ الأثْبُف (٢/٢٤١).

(٢) انظر: الاستيعاب (٢/٢٣٦). (٣) انظر: الإصابة (٣/٢٤٧).

(٤) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٢/١٩٤): شَنْوَةُ: هِيَ قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ، سُمُوا بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِكَ رَجُلٌ فِيهِ شَنْوَةٌ؛ أَيْ: تَقَرَّرَ، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ.

(٥) يُقَالُ: رَقَى الرَّاقِي رُقِيَةً: إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عُودَيْهِ. انظر: لسان العرب (٥/٢٩٣).

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الرُّقِيَةُ: الْعُودَةُ الَّتِي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كَالْحُمَى وَالصَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ. انظر: النهاية (٢/٢٣١).

(٦) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٦/١٣٧): الْمَرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا: الْجُنُونُ، وَمَسُّ الْجِنَّ.

لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ...».

فَقَالَ ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسٌ^(١) الْبَحْرَ. فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايُغَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ».

قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي^(٢).

✽ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدُّوسِيِّ:

وَكَانَ ﷺ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، رَئِيسَ قَبِيلَةِ دَوْسٍ بِالْيَمَنِ، قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، فَمَشَى إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ بِقُدُومِ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ عَلَيْهِمْ، إِلَّا اسْتَقْبَلُوهُ، وَحَذَرُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَصَفُوهُ بِكُلِّ نَقِصَةٍ خَشِيَةِ أَنْ يُسْلِمَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ! إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَغْضَلَ^(٣) بِنَا، وَقَدْ فَرَّقَ

(١) نَاعُوسٌ: هكذا في صحيح مسلم، وفي غيره: قَامُوسُ الْبَحْرِ: وهو وَسْطُهُ وَلُجَّتُهُ. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٧/٦).

(٢) أخرج هذه القصة: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٨٦٨)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٤٩).

(٣) أَغْضَلَ الْأَمْرُ: اسْتَدَّ وَاسْتَعْلَقَ. انظر: لسان العرب (٩/٢٦٠).

جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحْرِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَحِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلِّمُهُ، وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي - أَيُّ: مَا زَالُوا يُخَوِّفُونِي - حَتَّى أَجَمَعْتُ أَلَّا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أَكَلِّمُهُ، وَحَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا^(١)، فَرَقًا^(٢) مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَائْكُلْ^(٣) أُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَيْبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ؟ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَنًا قَبْلَتُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ.

قَالَ: فَمَكْنْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالُوا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا^(٤) يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِيَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فَأَعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ، قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً،

(١) الْكُرْسُفُ: الْقُطْنُ. انظر: النهاية (١٤٢/٤).

(٢) الْفَرَقُ: بِالتَّحْرِيكِ؛ أَيُّ: الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ. انظر: النهاية (٣٩٢/٣).

(٣) تُكَلِّمُكَ أُمَّكَ: أَيُّ: فَقَدْتُكَ، وَالتَّكَلُّ: فَقْدُ الْوَلَدِ. انظر: النهاية (٢١٢/١).

(٤) مَا بَرِحَ: أَيُّ: مَا زَالَ. انظر: لسان العرب (٣٦١/١).

تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً».

✽ خُرُوجُ الطُّفَيْلِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ:

قَالَ الطُّفَيْلُ ﷺ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَنِيَّةٍ ^(١) تُظَلِّعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ ^(٢)، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمَصْبَاحِ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثَلَّةٌ ^(٣) وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِغِرَاقِي دِينِهِمْ، قَالَ: فَتَحَوَّلَ النُّورُ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي، قَالَ: فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَهْطُ لَهُمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ، حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَضْبَحْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَ: لِمَ يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ! فَدِينِي دِينُكَ، فَقُلْتُ: فَادْهَبْ فَاغْتَسِلْ، وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أَعْلَمَكَ مَا عُلِّمْتُ، قَالَ: فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَتَيْتَنِي صَاحِبَتِي ^(٤)، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَتْ: لِمَ يَا ابْنِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: فَادْهَبِي وَاغْتَسِلِي، فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ، ثُمَّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ.

(١) الثَّنِيَّةُ فِي الْجَبَلِ: الطَّرِيقُ الْعَالِي فِيهِ. انظر: النهاية (١/٢٢٠).

(٢) الْحَاضِرُ: الْحَيُّ، الْقَوْمُ التَّزُولُ عَلَى مَاءٍ يُقِيمُونَ بِهِ وَلَا يَرْتَحِلُونَ عَنْهُ. انظر: النهاية (١/٣٨٤).

(٣) الْمُثَلَّةُ: الْعُقُوبَةُ وَالتَّكْيِيلُ. انظر: لسان العرب (١٣/٢٥).

(٤) صَاحِبَتِي: أَيُّ: زَوْجَتِي.

❀ دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِقَبِيلَةِ دَوْسٍ بِالْهَدَايَةِ:

قَالَ الطُّفَيْلُ ﷺ: وَدَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَأُوا عَلَيَّ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَبِيلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ: هَلَكُوا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ، اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»^(١).

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلطُّفَيْلِ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ».

قَالَ الطُّفَيْلُ: فَارْجَعْتُ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ أَرَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَضَى بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ^(٢)، حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ.

وَكَانَ مِنْ بَنِي قَبِيلَةِ دَوْسٍ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى يَدِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ﷺ رَاوِيَةَ الْإِسْلَامِ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ.

❀ اسْتِشْهَادُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو ﷺ:

وَأَقَامَ الطُّفَيْلُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، رقم الحديث (٢٩٣٧)، وأخرجه في كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، رقم الحديث (٦٣٩٧)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم ودوس، رقم الحديث (٢٥٢٤)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٣١٥).

(٢) سيأتي خبر هجرته ﷺ في وفدِ دَوْسٍ في أحداثِ غَزْوَةِ خَيْبَرَ إن شاء الله.

فَلَمَّا ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، خَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ، وَاسْتُشْهِدَ ﷺ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ، وَقَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ قَبْلَ مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا فَاغْبِرُوهَا لِي: رَأَيْتُ أَنَّ رَأْسِي حُلِقَ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ فَمِي طَائِرٌ، وَأَنَّهُ لَقِيتُنِي امْرَأَةً فَأَدْخَلْتَنِي فِي فَرْجِهَا، وَأَرَى ابْنِي يَطْلُبُنِي طَلَبًا حَثِيثًا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ حُبَسَ عَنِّي، قَالُوا: خَيْرًا، قَالَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَقَدْ أَوْلَتْهَا، قَالُوا: مَاذَا؟ قَالَ: أَمَّا حُلِقَ رَأْسِي فَقَطَعُهُ، وَأَمَّا الطَّائِرُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ فَمِي فَرُوحِي، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي أَدْخَلْتَنِي فَرْجَهَا فَلَا رُضْ تُحْفَرُ لِي فَأَغِيبُ فِيهَا، وَأَمَّا طَلَبُ ابْنِي إِيَّايَ ثُمَّ حَبَسُهُ عَنِّي، فَإِنِّي أَرَاهُ سَيَجْهَدُ أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَنِي.

فَقُتِلَ ﷺ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ، ثُمَّ قُتِلَ ابْنُهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَزْمُوكِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا أَوْلَاهَا ﷺ^(٢).

✽ إِسْلَامُ إِيَّاسَ بْنِ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَانَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ غُلَامًا حَدَثًا مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَدِمَ مَكَّةَ فِي وَفْدِ الْأَوْسِ يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ^(٣) مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ حَرْبِ بُعَاثٍ، فَنَزَلُوا عَلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ وَإِلَى قُرَيْشٍ أَنْ يُحَالِفُوهُمْ عَلَى قِتَالِ الْخَزْرَجِ، فَسَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَاهُمْ وَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟» فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟

(١) انظر تفاصيل قصة إسلام الطفيل بن عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ فِي: سيرة ابن هشام (٢/٤٢٠)، دلائل

النبوة، لأبي نعيم (١/٢٣٩)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/٤٣٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٦/٧٣١).

(٣) أَصْلُ الْحِلْفِ: الْمُعَاقَدَةُ وَالْمُعَاهَدَةُ عَلَى التَّعَاوُدِ وَالتَّسَاعُدِ وَالْإِتِّفَاقِ. انظر: النهاية (١/٤٠٧).

قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ»، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ: أَيُّ قَوْمٍ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ.

فَأَخَذَ أَبُو الْحَيْسَرِ، وَاسْمُهُ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفَنَةً^(١) مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ: دَعْنَا مِنْكَ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِعِغْرِ هَذَا، مَا قَدِيمٌ وَقَدْ إِذَا عَلَى قَوْمٍ بِشَرٍّ مِمَّا قَدِمْنَا بِهِ عَلَى قَوْمِنَا، إِنَّا خَرَجْنَا نَطْلُبُ حِلْفَ قُرَيْشٍ عَلَى عَدُونَا، فَتَرْجِعُ بَعْدَاوَةَ قُرَيْشٍ مَعَ عَدَاوَةِ الْخَزَرَجِ، فَصَمَتَ إِيَّاسٌ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَفَعَةُ بُعَاثِ بْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ، وَكَانَ يَهْلُلُ اللَّهَ تَعَالَى، وَيُكَبِّرُهُ، وَيَحْمَدُهُ، وَيُسَبِّحُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَلَا يَشْكُ قَوْمُهُ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا^(٢).

قُلْتُ: ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «تَارِيخِهِ الْأَوْسَطِ» فِيمَنْ مَاتَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَتَرْجَمَ لَهُ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ».

✽ يَوْمُ بُعَاثٍ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَكُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ^(٣) وَجُرْحُوا، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ

(١) الْحَفَنَةُ: مِلءُ الْكَفِّ. انظر: النهاية (١/٣٩٣).

(٢) أخرج قصة إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٣٦١٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، بَابُ ذِكْرِ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٨٨٤)، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ (٢/٤١)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٧/٤٨٥): سَرَوَاتُهُمْ: خِيَارُهُمْ، وَالسَّرَاةُ جَمْعُ سَرِيٍّ، وَهُوَ الشَّرِيفُ.

فِي الْإِسْلَامِ^(١).

وَبِعَاثٌ هُوَ مَكَانٌ، وَيُقَالُ: حِصْنٌ، وَقِيلَ: مَزْرَعَةٌ، عِنْدَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَقُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَئِيسَ الْأَوْسِ فِيهِ: حُضَيْرٌ وَالِدُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ رَئِيسَ الْخَزْرَجِ يَوْمَئِذٍ: عَمْرُو بْنُ الثُّعْمَانِ الْبَيَاضِيُّ فَقُتِلَ فِيهَا، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا أَوَّلًا لِلْخَزْرَجِ، ثُمَّ ثَبَّتَهُمْ حُضَيْرٌ فَرَجَعُوا، وَانْتَصَرَتِ الْأَوْسُ، وَجُرِحَ حُضَيْرٌ يَوْمَئِذٍ فَمَاتَ فِيهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

وَقَدْ قُتِلَ فِيهَا مِنْ أَكَابِرِهِمْ مَنْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ؛ أَيُّ: يَتَكَبَّرُ وَيَأْنَفُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَا يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ غَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَ بَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّحْوِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ الْمُنَافِقُ لَعَنَهُ اللَّهُ^(٢).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَبُو شَهْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ قُبَيْلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ لِنْتَهِيَاءِ النُّفُوسِ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَلِيُظْهَرَ فَضْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَقَدْ جَمَعَهُمْ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَغَرَسَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَحَبَّةَ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ، وَالْوِثَامَ بَعْدَ الشَّقَاقِ^(٣).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار، رقم الحديث

(٣٧٧٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٣٢٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/٤٨٤).

(٣) انظر: كتاب السيرة النبوية (١/٤٣٢)، للدكتور محمد أبو شهبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَدَءُ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ (١)

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ قَلْبًا مَفْتُوحًا، وَلَا صَدْرًا مَشْرُوحًا؛ بَلْ كَانَ الرَّاحِلُونَ وَالْمُقِيمُونَ يَتَوَاصُونَ بِالْبُعْدِ عَنْهُ، وَيُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ مِنَ الْآفَاقِ الْبَعِيدَةِ فَيَزُودُهُ قَوْمُهُ بِهَذِهِ الْوَصَاةِ: اخْذِرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنَكَ (٢).

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٩١/١)، (٤٨٤/٧): الْأَنْصَارُ: جَمْعُ نَاصِرٍ كَأَصْحَابٍ وَصَاحِبٍ، أَوْ جَمْعُ نَصِيرٍ كَأَشْرَافٍ وَشَرِيفٍ، وَاللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ؛ أَي: أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَالْأَوْسُ يُنسَبُونَ إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ، وَالْخَزْرَجُ يُنسَبُونَ إِلَى الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يُعْرِفُونَ بِبَنِي قَيْلَةَ - بِقَافٍ مَفْتُوحَةٍ -، وَهِيَ الْأُمُّ الَّتِي تَجْمَعُ الْقَبِيلَتَيْنِ، فَسَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٧٧٦)، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ، أَمْ سَمَّاكُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللَّهُ. فَصَارَ ذَلِكَ عَلَمًا عَلَيْهِمْ، وَأُظْلِقَ أَيْضًا عَلَى أَوْلَادِهِمْ وَخُلَفَائِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ، وَخُصُّوا بِهَذِهِ الْمُنَقَبَةِ الْعُظْمَى لَمَّا قَارَؤُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ مِنْ إِيَوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِمْ، وَمَوَاسَاتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَإِيَارِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ صَنِيعُهُمْ لَذَلِكَ مُوجِبًا لِمُعَادَاتِهِمْ جَمِيعَ الْفِرَقِ الْمَوْجُودِينَ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ، وَالْعَدَاوَةِ تَجَرُّ الْبُغْضَ، ثُمَّ كَانَ مَا اخْتَصَّوْا بِهِ مِمَّا ذُكِرَ مُوجِبًا لِلْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ يَجَرُّ الْبُغْضَ، فَلِهَذَا جَاءَ التَّحْذِيرُ مِنْ بُغْضِهِمْ، وَالتَّرْغِيبُ فِي حُبِّهِمْ حَتَّى جُعِلَ ذَلِكَ آيَةً الْإِيمَانِ وَالنَّفَاقِ، تَنْوِيهَا بِعَظِيمِ فَضْلِهِمْ، وَتَنْبِيهَا عَلَى كَرِيمِ فِعْلِهِمْ.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٧٤) عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ».

(٢) هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٤٤٥٦)، وَقَدْ مَرَّ قَبْلَ قَلِيلٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ فِي هَذَا الْجَوِّ الْقَابِضِ، لَمْ يُخَامِرْ^(١) الْيَأْسُ قَلْبَهُ، وَاسْتَمَرَّ مُثَابِرًا فِي جِهَادِ الدَّعْوَةِ حَتَّى تَأْذَنَ الْحَقُّ أَخِيرًا بِالْفَرَجِ^(٢).

دَخَلَتِ السَّنَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْتَرُ عَنْ ذَلِكَ رُغْمَ ازْدِيَادِ تَضْيِيقِ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ، وَإِثَارَتِهِمْ حَوْلَهُ الشَّائِعَاتِ، وَالْأَكَاذِيبَ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ لَهُ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِدُّ لِدَعْوَةِ الْوُفُودِ وَالْقَبَائِلِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ.

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ حَجِّ السَّنَةِ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَأَرَادَ اللَّهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ^(٣) لَقِيَ رَهْطًا^(٤) مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتُمْ؟».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «أَمِنْ مَوَالِي^(٥) الْيَهُودِ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ﷺ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكُلَّكُمْ؟».

قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ.

(١) التَّخْمِيرُ: التَّعْطِيفُ. انظر: لسان العرب (٢١١/٤).

(٢) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٤٠).

(٣) الْعَقَبَةُ: الْجَبَلُ الطَّوِيلُ - يعرض للطريق فيأخذ فيه - وهو طَوِيلٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ. انظر: لسان

العرب (٣٠٦/٩).

(٤) الرَّهْطُ: مَا دُونَ الْعَشْرَةِ. انظر: لسان العرب (٣٤٣/٥).

(٥) قال الإمام السهيلي في الروض الأنف (٢٤٦/٢): أي: مِنْ حُلَفَائِهِمْ.

وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ - أَيُّ: الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ - أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ عَزَّوهُمْ^(١) بِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثًا الْآنَ، قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ^(٢) وَإِرَمٍ^(٣).

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ! تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَكَانُوا - أَيُّ: هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْخَزْرَجِ - مِنْ عُقْلَاءٍ يَثْرِبَ، أَنَّهُكَتَهُمُ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَرِيبٍ^(٤)، وَالَّتِي لَا يَزَالُ لَهَا مَسْتَعْرًا، فَأَمَّلُوا أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ ﷺ سَبَبًا لِيُوضَعَ الْحَرْبُ، فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَتَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ.

(١) عَزَّوهُمْ: أي: غلبوهم. انظر: لسان العرب (٩/ ١٨٧).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩٤): عَادٌ: قَوْمٌ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عُنَاةَ جَبَّارِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا عليه السلام، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَمِنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩٥): إِرَمٌ: هِيَ قَبِيلَةٌ وَأُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ، لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الْبِلَادِ؛ يَعْنِي: فِي زَمَانِهِمْ.

يقول الله تعالى عن اليهود وهم يَهْدُونُ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ بِخُرُوجِ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

(٤) هي: حربُ بُعَاثَ التي ذَكَرْتَهَا قَبْلَ قَلِيلٍ.

❖ أَوَّلُ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِالْمَدِينَةِ:

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا، فَكَانَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِالْمَدِينَةِ مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: زُرَيْقٌ بِتَقْدِيمِ الزَّايِ مُصَغَّرًا، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ إِضَافَةِ الْمَسَاجِدِ إِلَى بَانِيهَا، أَوِ الْمُصَلِّي فِيهَا، وَيُلْتَحَقُّ بِهِ جَوَازُ إِضَافَةِ أَعْمَالِ الْبِرِّ إِلَى أَرْبَابِهَا^(٢).

❖ عَدَدُ وَأَسْمَاءُ رَهْطِ الْخَزَرَجِ:

وَكَانَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزَرَجِ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَهُمْ:

• من بني النجار:

١ - أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه^(٣).

٢ - عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه^(٤) وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ رضي الله عنه.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٢)، زاد المعاد (١/٩٧)، البداية والنهاية (٣/١٦٠)، دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٤٣١)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/١٠٥).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/٧٧).

(٣) هو: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ النُّجَّارِ الْأَنْصَارِيِّ، أَبُو أُمَامَةَ، غَلِبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ وَاشْتَهَرَ بِهَا، كَانَ عَقَبِيًّا نَقِيًّا، شَهِدَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ وَبَايَعَ فِيهِمَا، وَمَاتَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَالْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ يُنْتَى، فَكُوِّاهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَمَاتَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ رضي الله عنه، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِهَا مِنَ الْأَنْصَارِ. انظر: الإصابة (١/٢٠٨).

(٤) هو: عَوْفُ بْنُ عَفْرَاءَ، ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ فِيهَا. انظر: أسد الغابة (٣/٤٢٦).

• مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ:

٣ - رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ الْعَجَلَانِيُّ رضي الله عنه ^(١).

• مِنْ بَنِي سَلَمَةَ:

٤ - قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه ^(٢).

• مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ كَعْبٍ:

٥ - عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه ^(٣).

• مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ عَدِيٍّ:

٦ - جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِثَابٍ رضي الله عنه ^(٤)، وَهُوَ غَيْرُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

حَرَامِ الْمَشْهُورِ رضي الله عنه ^(٥).

❀ رِوَايَةُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ:

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي «مَعَاذِهِ» أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِيَّةً، مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُ ابْنُ

إِسْحَاقَ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَذْكُرْهُ وَهُمْ:

(١) هو: رافعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجَلَانِ بْنِ زُرَيْقِ الْأَنْصَارِيِّ، يُكْنَى أبا مَالِكٍ، وقيل: أبا رِفَاعَةَ، شهد العقبة، وكان أحدَ الثُّقَبَاءِ، وشهد بدرًا فيما ذكره موسى بن عُقْبَةَ، ولم يذكره ابن إسحاق في البَدْرِيِّينَ. انظر: الإصابة (٣٦٩/٢).

(٢) هو: قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْخَزَرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، شهد العقبة الأولى والثانية، ولم يختلفوا في ذلك، وشهد بدرًا، وأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مع رسول الله ﷺ، وكانت معه رايَةُ بَنِي سَلَمَةَ يومَ الْفَتْحِ، وَجُرِحَ يومَ أُحُدٍ تِسْعَ جِرَاحَاتٍ، وتوفي رضي الله عنه في خلافة عُثْمَانَ رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٤٨٦/٣).

(٣) هو: عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْخَزَرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، شهد العقبة الأولى وبدرًا وأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ، وسائرَ الْمَشَاهِدِ، واستشهد بمعركة اليمامة في قتال مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٢٥٩/٣).

(٤) هو: جابر بن عبد الله بن رِثَابِ بْنِ سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ السُّلَمِيِّ، شهد العقبة وبدرًا وأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ، وسائرَ المشاهد مع رسول الله ﷺ. انظر: أسد الغابة (٢٩٣/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢/٢).

- ١ - أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه.
- ٢ - رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه.
- ٣ - مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ رضي الله عنه ^(١).
- ٤ - يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه ^(٢).
- ٥ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانِ رضي الله عنه ^(٣).
- ٦ - عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ رضي الله عنه ^(٤).
- ٧ - عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه ^(٥).
- ٨ - ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ ^(٦).

- (١) هو: مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، ونُسِبَ إلى أُمِّهِ عَفْرَاءَ بِنْتِ عُبَيْدِ بْنِ مَالِكٍ، وهو مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَشَهِدَ بَدْرًا، وَشَارَكَ فِي قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، وَعَاشَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقِيلَ: بَلَ جُرْحٍ يَبْدُرُ فَمَاتَ مِنْ جِرَاحَتِهِ. انظر: الإصابة (١١٠/٦).
- (٢) هو: يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْخَزْرَجِي، شَهِدَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ. انظر: أسد الغابة (٤/٣٣٤).
- (٣) هو: مَالِكُ بْنُ عَتِيكَ مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ الْخَزْرَجِيُّ، كَانَ أَحَدَ الثَّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا، وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ، وَالْأَصَوْبُ أَنَّهُ تُوْفِيَ سَنَةً عَشْرِينَ أَوْ إِحْدَى وَعَشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ. انظر: الإصابة (٧/٣٦٥).
- (٤) هو: عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ، شَهِدَ الْعَقَبَتَيْنِ، آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْطَعَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأَحْدَا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- وَتُوْفِيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٣/٤٣١).
- (٥) هو: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ الْخَزْرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، يُكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَجَّهَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ قَاضِيًا وَمُعَلِّمًا، فَأَقَامَ بِحَنْصَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى فِلِسْطِينَ، وَمَاتَ بِهَا، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً. انظر: الإصابة (٣/٥٠٦).
- (٦) هو: ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، يَكْنَى أَبَا السَّبْعِ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَنْصَارِي مُهَاجِرِي، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا. انظر: أسد الغابة (٢/١٤٥).

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» الْقَوْلَيْنِ، وَعِنْدَمَا ذَكَرَ الرِّوَايَةَ الَّتِي تَقُولُ
بِأَنَّهُمْ سِتَّةٌ - وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ - قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: هَذَا
عِنْدَنَا أَثْبَتُ مَا سَمِعْنَا فِيهِمْ، وَهُوَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ^(١).



(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/١٠٥).

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى

فَلَمَّا رَجَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ إِلَى الْمَدِينَةِ ذَكَرُوا لِقَوْمِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فَشَا^(١) فِيهِمْ، فَلَمْ تَبَقْ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا
وَفِيهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، وَذَلِكَ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
مِنَ الْبُعْثَةِ وَافَى^(٢) مُوسِمَ الْحَجِّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، اثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ، وَعَشْرَةٌ مِنَ
الْخَزْرَجِ، فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السُّتَّةِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَامِ
السَّابِقِ، وَهُمْ:

• مِنَ الْخَزْرَجِ مِنْ بَنِي النَّجَارِ:

١ - أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه.

٢ - ٣ - عَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.

• مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرٍ:

٤ - رَافِعُ بْنُ مَالِكِ الْعَجَلَانِيِّ رضي الله عنه.

٥ - ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ رضي الله عنه.

• مِنْ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ:

٦ - عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه.

٧ - يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه.

(١) فَشَا: انْتَشَرَ وَدَاعَ. انظر: لسان العرب (١٠/٢٦٩).

(٢) وَافَى: أَيْ: أَتَى. انظر: لسان العرب (١٥/٣٥٩).

- مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ:
- ٨ - الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ رضي الله عنه ^(١).
- مِنْ بَنِي سَلَمَةَ:
- ٩ - قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه.
- مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ كَعْبٍ:
- ١٠ - عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه.
- مِنْ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ:
- ١١ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ رضي الله عنه.
- مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ:
- ١٢ - عَوْيُمُ بْنُ سَاعِدَةَ رضي الله عنه.
- لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ لَا عِنْدَ الْعَقْبَةِ بِمَنَى، فَبَايَعُوهُ ^(٢).

✽ عَلَامَ كَانَتْ الْبَيْعَةُ؟

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ^(٣)، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفَرَّضَ الْحَرْبُ: عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا،

(١) هو: العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري الخزرجي، شهد بيعة العقبتين، ثم إنه خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، وقام معه حتى هاجر إلى المدينة فكان أنصاريًا مهاجريًا، لم يشهد بدرًا، وقُتِلَ رضي الله عنه في غزوة أُحُدٍ. انظر: الإصابة (٥١١/٣).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤٤/٢)، الروض الأنف (٢٤٨/٢)، البداية والنهاية (١٦٢/٣)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٣٥/٢).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٦٢/٣): يعني: على وفق ما نزلت عليه آية بيعة النساء بعد ذلك عام الحُدَيْبِيَّةِ، وهي في سورة الممتحنة آية (١٢).

وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، «فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ»^(١).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ^(٢) مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي»^(٣) عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ^(٤)، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ^(٥) تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى^(٦) مِنْكُمْ، فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^(٧)، وَمَنْ أَصَابَ^(٨) مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُقُوبٌ بِهِ فِي الدُّنْيَا

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٧/٢).

(٢) العِصَابَةُ: بكسر العين الجَمَاعَةُ من العِشْرَةِ إلى الأربعين. انظر: لسان العرب (٢٣٢/٩).

(٣) الْمُبَايَعَةُ: هي عبارة عن المعاهدة والمعاهدة. انظر: النهاية (١٧١/١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩٢/١): خَصَّ القَتْلَ بالأولادِ لِأَنَّهُ قَتْلٌ وَقَطِيعَةٌ رَحِمٌ، فَالْعِنَايَةُ بالنهي عنه أَكْثَرُ؛ وَلأنه كَانَ شَائِعًا فِيهِمْ، وَهُوَ وَأُذُ الْبَنَاتِ، وَقَتْلُ الْبَنِينَ خَشْيَةً الْإِمْلَاقِ؛ أَي: الْفَقْرِ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩٢/١): الْبُهْتَانُ: الْكَذِبُ الَّذِي يَبْهَتُ سَامِعَهُ، وَخَصَّ الأَيْدِي والأَرْجُلَ بالافتراءِ لِأَن مُعْظَمَ الأَفْعَالِ تَقَعُ بِهِمَا، إِذْ كَانَتْ هِيَ الْعَوَامِلُ وَالْحَوَامِلُ لِلْمُبَاشَرَةِ وَالسَّعْيِ، وَقَدْ يُعَاقَبُ الرَّجُلُ بِجَنَائِيَةِ قَوْلِهِ، فيقال: هَذَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ.

(٦) فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ: أَي: ثَبَّتَ عَلَى الْعَهْدِ. انظر: فتح الباري (٩٣/١).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٩٣/١): أَطْلَقَ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّفْخِيمِ، وَعَبَّرَ هُنَا بِلَفْظِ «عَلَى» لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ كَالْوَاجِبَاتِ، وَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ لِلأَدَلَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، فَإِنْ قِيلَ: لِمَ اقْتَصَرَ عَلَى الْمَنْهَيَّاتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَأْمُورَاتِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمْ يُهْمَلْهَا، بَلْ ذَكَرَهَا عَلَى طَرِيقِ الإِجْمَالِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَا تَعْصُوا» إِذِ الْعِصْيَانُ مُحَالَفَةُ الأَمْرِ، وَالْحِكْمَةُ فِي التَّنْصِيبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَنْهَيَّاتِ دُونَ الْمَأْمُورَاتِ أَنْ الْكَفَّ أَيْسَرُ مِنْ إِنْشَاءِ الْفِعْلِ؛ لِأَن اجْتِنَابَ الْمَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى اجْتِلَابِ الْمَصَالِحِ، وَالتَّخَلِّيَ عَنِ الرَّدَائِلِ قَبْلَ التَّخَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ.

(٨) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٨٦/١١): الْمَرَادُ بِهِ مَا سِوَى الشُّرْكِ، وَإِلَّا فَالشُّرْكُ لَا يُغْفَرُ لَهُ، وَتَكُونُ عُقُوبَتُهُ كَقَارِئِهِ لَهُ.

فَهُوَ كَفَّارَةٌ^(١) لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ^(٢)، فَبَايَعَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ^(٣).

وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ كَانَتْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آيَةَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِلاَ خِلَافٍ، وَأَيَّنَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ؟

فَمَنْ ثُمَّ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ فِي مَقَالَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَلَى «بَيْعَةِ النِّسَاءِ» مَسَالِكَ:

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ - أَيُّ: ابْنِ إِسْحَاقَ -: عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ؛ يَعْني: عَلَى وَفْقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا نَزَلَ عَلَى وَفْقِ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِمُوَافَقَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي سِيرَتِهِ، وَفِي التَّفْسِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ وَقَعَتْ عَنْ وَحْيٍ غَيْرِ مَثْلُوٍّ فَهُوَ أَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤).

❁ الصَّحِيحُ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ:

وَالصَّحِيحُ هُوَ مَا قَالَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: إِنَّ الْمُبَايَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَلَى الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ لَمْ تَقَعْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٩٧/١): يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ كَفَّارَةٌ لِلذَّنْبِ، وَلَوْ لَمْ يَتُبَّ الْمَحْدُودُ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٩٧/١): ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ مَنْ تَابَ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِطْلَاعَ لَهُ هَلْ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ أَمْ لَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ (١١)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٨)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ الْحُدُودِ كَفَارَاتٍ لِأَهْلِهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٠٩).

(٤) انْظُرْ: الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (١٦٢/٣).

وَقَعَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(١) وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»، فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَمِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً^(٢).

وَأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمُرَادِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَرَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ، فَقَالَ عُبَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ الْحَقَّ، وَلَا نَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ، فَتَمْنَعَهُ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا، وَأَزْوَاجَنَا، وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةَ، فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي بَايَعَنَاهُ عَلَيْهَا^(٣).

فَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ الْأُولَى، ثُمَّ صَدَرَتْ مُبَايَعَاتُ أُخْرَى، مِنْهَا هَذِهِ الْبَيْعَةُ الَّتِي فِي حَدِيثِ الْبَابِ فِي الرَّجْرِ عَنِ الْفَوَاحِشِ الْمَذْكُورَةِ، وَالَّذِي يُقَوِّي أَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُؤْتَحِنَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس؟ رقم الحديث (٧١٩٩)، (٧٢٠٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٠٩) (٤٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٧٦٩).

سَيِّئًا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَزْنِ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [المتحنة: ١٢].

وَنُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ مُتَأَخِّرٌ بَعْدَ قِصَّةِ الْحُدُوبِ بِلا خِلَافٍ، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي حَدِيثِ عِبَادَةِ ﷺ هَذَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَايَعَهُمْ قَرَأَ الْآيَةَ كُلَّهَا^(١)، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النِّسَاءِ قَالَ: «أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ قَالَ عِبَادَةُ ﷺ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلِمُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عِبَادَةِ ﷺ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ^(٣).

فَهَذِهِ أُدْلَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ إِنَّمَا صَدَرَتْ بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ؛ بَلْ بَعْدَ صُذُورِ الْبَيْعَةِ؛ بَلْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، ... وَإِنَّمَا حَصَلَ الْإِلْتِبَاسُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ حَضَرَ الْبَيْعَتَيْنِ مَعًا: بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، وَالْبَيْعَةَ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ مِنْ أَجْلِ مَا يُمْتَدِّحُ بِهِ، فَكَانَ يَذْكُرُهَا إِذَا حَدَّثَ تَنْوِيهَا بِسَابِقَتِهِ، فَلَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ الَّتِي صَدَرَتْ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ عَقِبَ ذَلِكَ تَوَهَّمَ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ أَنَّ الْبَيْعَةَ الْأُولَى وَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ التَّضَرُّيْحَ بِذَلِكَ - بَأَنَّ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى كَانَتْ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ - وَهَمٌّ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الحدود كفارة، رقم الحديث (٦٧٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، رقم الحديث (١٧٠٩) (٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، رقم الحديث (١٧٠٩) (٤٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٩٥/١).

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ، فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَتَنْزِيلَاتِهِ، وَالسُّنَّةِ وَطُرُقِ الْجَمْعِ بَيْنَ رَوَايَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَبِالسِّيَرَةِ وَتَوَارِيخِ الصَّحَابَةِ، وَلَهُ انْتِقَادَاتٌ كَثِيرَةٌ صَائِبَةٌ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقَ، وَغَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ السِّيَرِ وَتَوَارِيخِ الرِّجَالِ.

وَهَذِهِ التَّحْقِيقَاتُ وَالتَّنْبِيهُ إِلَى الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ فِي الرِّوَايَةِ، هِيَ مِنْ أَهَمِّ مَا يُعْنَى بِهِ الدَّارِسُونَ لِسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ قَدْ تَخْفَى عَلَى غَيْرِ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَعُلُومِهَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا^(١).

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْمُبَايَعَةَ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى كَانَتْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَفِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَوْلِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا يَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَعَلَى الْوَلَاءِ وَالنُّصْرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةُ، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ^(٢)، وَأَمَّا الْمُبَايَعَةُ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النَّسَاءِ فَقَدْ كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.

❦ أَوَّلُ جُمُعَةٍ^(٣) جُمِعَتْ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ:

كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ قَبْلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ هُوَ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) انظر: كتاب السيرة النبوية في ضوء القرآن والسُّنَّة (٤٣٩/١)، للدكتور محمد أبو شهبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج هذه البيعة على هذا النحو: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٥٥) (٧٠٥٦)،

(٧١٩٩) (٧٢٠٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٠٩) (٤٢).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١١٩/٨): إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً؛ لِأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ

الْجَمْعِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً بِالمَسَاجِدِ الْكِبَارِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ قَائِدًا أَبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ بِالْجُمُعَةِ إِلَّا قَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، قُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَتُعْجِبُنِي صَلَاتُكَ^(١) عَلَى أَبِي أُمَامَةَ^(٢) كُلَّمَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ بِالْجُمُعَةِ، فَقَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْجُمُعَةَ بِالْمَدِينَةِ فِي حَرَّةٍ^(٣) بُنِيَ بَيَاضَةَ، فِي نَقِيعٍ يُقَالُ لَهُ: الْخَضَمَاتُ^(٤)، قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلًا^(٥).



= وقال الحافظ في الفتح (٣/٣): واختلف في تسمية اليوم بذلك، ... ف قيل: لأن خلق آدم ﷺ جُمِعَ فيه، فأخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم الحديث (٢٣٧١٨) عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: قال لي النبي ﷺ: «أندري ما يوم الجمعة؟». قلت: هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم.

وهذا أوضح الأقوال، و يليه ما أخرجه عبد بن حميد، وابن حبان في قصة تجميع الأنصار مع أسعد بن زرارة رحمه الله.

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣٦٣/١): وكان من هذيه ﷺ في يوم الجمعة تعظيم هذا اليوم وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره.

(١) المقصود بالصلاة هنا: الدعاء؛ لأن معنى الصلاة في اللغة: الدعاء. انظر: النهاية (٤٦/٣).

(٢) أبو أمامة هي كنية أسعد بن زرارة رحمه الله.

(٣) الحرّة: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. انظر: النهاية (٣٥١/١).

(٤) نقيع الخضومات: موضع كان يستنقع فيه الماء: أي: يجتمع. انظر: النهاية (٩٤/٥).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر البيان بأن

أسعد بن زرارة هو الذي جمع أول جمعة بالمدينة، رقم الحديث (٧٠١٣)، وأخرجه أبو

داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الجمعة في القرى، رقم الحديث (١٠٦٩).



بَعَثَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ

لَمَّا انْتَهَى الْمَوْسِمُ وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ شَابًا مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ، السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُفَرِّقَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مُصْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ: الْمُفَرِّئُ. وَكَانَ نَزُولُ مُصْعَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى السَّيِّدِ الْجَلِيلِ السَّابِقِ إِلَى الْخَيْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١).

✽ نَجَاحُ مُصْعَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُهِمَّتِهِ:

وَقَدْ نَجَحَ مُصْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّمَا نَجَاحٍ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَجَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَطَّى الصَّعَابَ الَّتِي تُوجَدُ دَائِمًا فِي طَرِيقِ كُلِّ نَازِحٍ غَرِيبٍ، يُحَاوِلُ أَنْ يَنْقُلَ النَّاسَ مِنْ مَوْرُوثَاتِ أَلْفُوهَا إِلَى نِظَامٍ جَدِيدٍ، يَشْمَلُ الْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ، وَيَعْمُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ، وَالْخُلُقَ وَالسُّلُوكَ... وَمَا كَانَ مُصْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِغْرَاءِ مَا يَطْمَعُ طُلَابُ الدُّنْيَا وَنَهَازِي الْفُرْصِ، كُلُّ مَا لَدَيْهِ ثَرَوَةٌ مِنَ الْكِيَاسَةِ وَالْفِطْنَةِ، قَبَسَهَا ^(٢) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِخْلَاصُ اللَّهِ، جَعَلَهُ يُضْحِي بِمَالِ أُسْرَتِهِ وَجَاهِهَا فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ... ثُمَّ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨/٢)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٣١/٢)، الطبقات الكبرى، لابن

سعد (٦٣/٣)، سبل الهدى والرشاد (١٩٧/٣).

(٢) قَبَسَهَا: أَخَذَهَا. انظر: لسان العرب (١١/١١).

هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ فِي تِلَاوَتِهِ، وَيَتَخَيَّرُ مِنْ رَوَائِعِهِ مَا يَغْزُو بِهِ الْأَلْبَابَ، فَإِذَا الْأَفِيدَةُ تَرَقُّ لَهُ، وَتَنْفَتَحُ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ^(١).

✽ إِسْلَامُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنهما:

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبٍ رضي الله عنه: سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ^(٢)، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ^(٣) رضي الله عنهما، وَبِإِسْلَامِهِمَا أَسْلَمَ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَصِيرِمِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ^(٤)، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحْدٍ، فَكَانَتْ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهَا.

(١) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله (ص ١٤٧).

(٢) هو: سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي الأنصاري، البدر الذي اهتزَّ عرشُ الرحمن لِمَوْتِهِ.

أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، وَبِإِسْلَامِهِ أَسْلَمَ كُلُّ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

شَهِدَ بَذْرًا بَاتِّفَاقٍ، وَأُحْدًا، وَرَمِيَّ بِسَهْمٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا، حَتَّى حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْتَفَضَ جُرْحُهُ، فَمَاتَ رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٧٠/٣).

(٣) هو: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْأَوْسِيُّ الْأَشْهَلِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، كَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْعُقْبَةَ الثَّانِيَةَ، وَهُوَ مِنَ الثُّقَبَاءِ الْإِثْنَى عَشَرَ لَيْلَةَ الْعُقْبَةِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه.

لَمْ يَشْهَدْ بَذْرًا، وَشَهِدَ أُحْدًا، وَجُرِحَ يَوْمَ أُحْدٍ سَبْعَ جِرَاحَاتٍ، وَثَبَّتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْكَشَفَ النَّاسُ، وَشَهِدَ بَاقِيَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

تُوفِيَ رضي الله عنه فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرِينَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَحَمَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (١/١٠٩).

(٤) هو: عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ بْنِ وَقْشٍ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ الْأَنْصَارِيِّ، وَيُعرفُ عَمْرُو هَذَا بِأَصِيرِمٍ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه.

تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ رضي الله عنه إِلَى يَوْمٍ أُحْدٍ، وَاسْتُشْهِدَ فِي أُحْدٍ، فَهُوَ الَّذِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ يُصَلِّ لَهِ رَكْعَةً. انظر: الإصابة (٥٠٠/٤).

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ﷺ خَرَجَ بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا^(١) مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ، عَلَى بَثْرِ يُقَالُ لَهَا: بَثْرُ مَرَقٍ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ، وَنَشَاطِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا مَا فَعَلْتَ لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضِعْفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا، وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مَنِي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا.

فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ، قَالَ لِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْذُقِ اللَّهَ فِيهِ، قَالَ مُضْعَبُ: إِنْ يَجْلِسُ أَكَلَّمَهُ. فَجَاءَ أُسَيْدُ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا^(٢)، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضِعْفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُضْعَبُ بِلِسَانِ الْمُؤْمِنِ الْهَادِي الْوَائِقِ مِنْ سَمَاحَةِ دَعْوَتِهِ: أَوْتَجَلِسَ فَتَسْمَعْ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتُهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفْتُ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ، فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ﷺ: أَنْصَفْتُ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُضْعَبُ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ.

فَقَالَا - أَيُّ: مُضْعَبُ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ﷺ -: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ أُسَيْدُ: مَا أَحْسَنَ هَذَا

(١) الْحَائِطُ: الْبُسْتَانُ مِنَ النَّخِيلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ وَهُوَ الْجِدَارُ. انظر: النهاية (١/٤٤٤).

(٢) مُتَشَتِّمًا: أَيُّ: غَابِسَ الْوَجْهَ. انظر: لسان العرب (٧/٢٨).

الكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتُطَهَّرُ وَتُطَهَّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي، فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعُكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَارِسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ^(١)، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَخْلِفْ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ عَلَى النَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

فَقَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ لِيُخْفِرُوكَ^(٢).

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه مُغَضَّبًا مُبَادِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّينِ، عَرَفَ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُتَشَمِّتًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ^(٣) هَذَا مِنِّي، أَتَعْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ؟.

(١) النَّادِي: مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر: النهاية (٥/٣١).

(٢) قال الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه السيرة النبوية (١/٤٤٢): كان غرضُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه إثارة حمية سعد بن مُعَاذٍ رضي الله عنه ليَقُومَ ويذهب إلى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ رضي الله عنه وصاحبه مُضْعَبُ رضي الله عنه، ويسمع منه.

(٣) رُمْتُ: أي: بَلَعْتُ.

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَدْ قَالَ لِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: لَقَدْ جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ مِنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعَكَ لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ اثْنَانِ.

فَقَالَ مُضْعَبُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَوْ تَقْعُدَ فَتَسْمَعَ؟ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا، وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتُهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا مِنْكَ مَا تَكْرَهُ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ: أَنْصَفْتُ، ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ فَعَرَضَ مُضْعَبُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الزُّحُرْفِ: ﴿حَمِّمَ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْآمِنِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ [الزخرف: ١ - ٣].

قَالَ - أَيُّ: مُضْعَبُ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ -: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ، وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ، فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي، فَقَامَ وَاعْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَائِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ، وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ، فَلَمَّا رَأَى قَوْمَهُ مُقْبِلًا قَالُوا: نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ! كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فَيْكُمْ؟

قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيَا، وَأَيْمُنُنَا نَقِيبَةً^(١)، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

قَالَ - أَيُّ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ﷺ وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ -: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً إِلَّا

(١) مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ: أَيُّ: مُنَجِّحُ الْفِعَالِ، مُظَفَّرُ الْمَطَالِبِ، وَالنَّقِيبَةُ: النَّفْسُ، وَقِيلَ: الطَّبِيعَةُ وَالْخَلِيقَةُ. انظر: النهاية (٨٩/٥).

الْأَصِيرِمُ عَمَرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أُحُدٍ فَأَسْلَمَ، وَاسْتُشْهِدَ بِأُحُدٍ، وَلَمْ يُصَلِّ لِلَّهِ سَجْدَةً قَطُّ، وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١).
وَأَقَامَ مُضْعَبٌ ﷺ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ،
حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ^(٢).



(١) أخرج قصة إسلام سعد بن معاذ ﷺ، وأسيد بن حضير ﷺ: ابن إسحاق في السيرة (٤٩/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٣١/٢)، وأخرج قصة إسلام الأصيرم يوم أُحد واستشهاده فيها: ابن إسحاق في السيرة (١٠٠/٣)، وأوردها الحافظ في الإصابة (٥٠٠/٤)، وصحح إسناده.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤٩/٢)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٣١/٢)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٢٣/٣).

سَبَبُ تَهَيُّؤِ الْأَنْصَارِ لِإِسْلَامِ

قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، نَذْكُرُ سَبَبَ سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ.
سَاعَدَتْ عَلَى سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ عِدَّةُ عَوَامِلٍ، هِيَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
تَعَالَى وَتَيْسِيرِهِ وَصُنْعِهِ، كَانَتْ فَارِقَةً بَيْنَ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ، وَقَبَائِلٍ يَثْرِبُ
الْعَرَبِيَّةِ:

١ - مِنْهَا: مَا طَبَعَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّقَّةِ وَاللَّيْنِ، وَعَدَمِ الْمُعَالَاةِ فِي
الْكِبَرِيَاءِ وَجُحُودِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْخَصَائِصِ الدَّمَوِيَّةِ وَالسَّلَالِيَّةِ الَّتِي
أَشَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَقَدَ وَقَدَ مِنْ الْيَمَنِ، بِقَوْلِهِ: «أَنَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ،
هُمْ أَرْقُ أَفْتَدَةً، وَالْيَمَنِ^(١) قُلُوبًا»^(٢) وَهُمَا - أَيُّ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ - تَرْجِعَانِ فِي
أَصْلِهِمَا إِلَى الْيَمَنِ، نَزَحَ أَجْدَادُهُمَا مِنْهَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ.

٢ - وَمِنْهَا: أَنَّهُمَا - أَيُّ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ - قَدْ أَتَهَكَتَهُمَا الْحُرُوبُ
الدَّاخِلِيَّةُ، وَمَا يَوْمُ بُعَاثٍ بِبَعِيدٍ، وَقَدْ اكْتَوَوْا بِنَارِهَا، وَذَاقُوا مَرَارَتَهَا،
وَعَافَوْهَا، وَنَشَأَتْ فِيهِمْ رَغْبَةٌ فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَانْتِظَامِ الشَّمْلِ، وَالتَّفَادِي
مِنَ الْحُرُوبِ، وَذَلِكَ مَا عَبَّرُوا فِيهِ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ

(١) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٢٨/٢): وَأَمَّا وَصْفُهَا بِاللَّيْنِ وَالرَّقَّةِ وَالضَّعْفِ، فَمَعْنَاهُ:
أَنَّهَا ذَاتُ خَشْيَةٍ وَاسْتِكَانَةٍ، سَرِيعَةُ الِاسْتِجَابَةِ، وَالتَّأَثُّرِ بِقَوَارِعِ التَّذْكِيرِ، سَالِمَةٌ مِنَ الْغُلْظِ
وَالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ قَدُومِ الْأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ، رَقْمُ
الْحَدِيثِ (٤٣٨٨)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ
وَرَجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥٢) (٩٠).

مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَإِنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ^(١).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ^(٢).

٣ - وَمِنْهَا: أَنْ قُرَيْشًا، وَسَائِرَ الْعَرَبِ قَدْ طَالَ عَهْدُهُمْ بِالنُّبُوتِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَأَصْبَحُوا يَجْهَلُونَ مَعَانِيهَا بِطُولِ الْعَهْدِ، وَبِحُكْمِ الْأُمِّيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِي الْوُثْنِيَّةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْأَمَمِ الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَتَحْمِلُ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ - عَلَى مَا دَخَلَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْعَبَثِ - وَذَلِكَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ٦].

أَمَّا الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْيَهُودَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَتْلُونَ صُحُفَ التَّوْرَةِ وَيُفَسِّرُونَهَا؛ بَلْ كَانُوا يَتَوَعَّدُونَهُمْ بِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]^(٣).

وَبِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأَوْسِ وَالْحَزْرَجِ وَسُكَّانِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ تِلْكَ الْفَجْوةُ الْعَمِيقَةُ الْوَاسِعَةُ مِنَ الْجَهْلِ وَالنُّفُورِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الدِّينِيَّةِ، وَالسُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ وَجِيرَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ؛ بَلْ قَدْ عَرَفُوهَا وَأَلْفُوهَا عَنْ طَرِيقِ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار، رقم الحديث (٣٧٧٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٣٢٠).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢/٢).

يَخْتَلِطُونَ بِهِمْ بِحُكْمِ الْبَلَدِ وَالْجَوَارِ وَالصُّلْحِ وَالْحَرْبِ وَالْمُحَالَفَاتِ، فَلَمَّا
تَعَرَّفُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ حَضَرُوا الْمَوْسِمَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، اِرْتَفَعَتْ
الْغِشَاوَةُ عَنْ عُيُونِهِمْ، وَكَانَهُمْ كَانُوا مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى مِيعَادٍ^(١).



(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رحمه الله (ص ١٥٦ - ١٥٧).

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

لَمَّا اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ لِلْبَيْعَةِ اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟

فَتَوَاعَدُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْحَجِّ، وَمُلَاقَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجُوا مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَهُمْ خُمُسُمِائَةٍ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ مَعَ الْحَجِيجِ فِي مَنَازِلِهِمْ مُسْتَخْفِينَ بِإِسْلَامِهِمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ جَاءَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا، وَلَمْ يَقْرَبْ مَنْزِلَهُ، فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْأَنْصَارِ، وَسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَقْصُ عَلَيْهِ خَبَرَ قَبَائِلِ يَثْرِبَ، وَمَا لَهَا مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، وَدَعَا لَهُ.

ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَ الْأَنْصَارِ الثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعُونَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتِّصَالَاتٌ سِرِّيَّةٌ أَدَّتْ إِلَى اتِّفَاقِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ^(١) فِي الشُّعْبِ^(٢) الَّذِي عِنْدَ الْعَقَبَةِ حَيْثُ الْجَمْرَةُ الْأُولَى مِنْ مَنَى، لِإِبْرَامِ اتِّفَاقٍ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ، وَأَهَمِّ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَتِمَّ هَذَا الْاجْتِمَاعُ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ^(٣).

(١) أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: هِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَلِي عِيدَ الْأَضْحَى، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْهَدْيَ وَالضَّحَايَا لَا تُنَحَّرُ حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ؛ أَي: تَطْلُعَ. انظر: النهاية (٤١٦/٢).

(٢) الشُّعْبُ: مَا انْفَرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَقِيلَ: هُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ. انظر: لسان العرب (١٢٨/٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٥٢/٢)، الرحيق المختوم (ص ١٤٧)، طبقات ابن سعد (١٠٦/١).

❁ سِيَاقُ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَّةِ:

وَلَنُتْرِكُ أَحَدَ قَادَةِ الْأَنْصَارِ يَصِفُ لَنَا هَذَا الْاجْتِمَاعَ التَّارِيخِيَّ، الَّذِي حَوَّلَ مَجْرَى الْأَيَّامِ فِي صِرَاعِ الْوُثْنِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا، وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ... قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ، لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِينَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يُقَدِّمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا. قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ، فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، تَرَكْتُهُ مَعَهُ الْآنَ جَالِسًا. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا عَبَّاسُ؟».

قَالَ: نَعَمْ، هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنَ الْخَزَرَجِ - وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ إِنَّمَا تُدْعَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَوْسَهَا وَخَزَرَجَهَا - هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ.

قَالَ كَعْبُ: فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الشَّاعِرُ؟»^(١).

قَالَ كَعْبُ: نَعَمْ.

قَالَ كَعْبُ: ... وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، فَوَاعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ

(١) قلت: سَبَبُ فَرَحِ الرَّسُولِ ﷺ بِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه كونه شاعراً؛ لَأَنَّ الشُّعْرَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَأَنَّهُ سَيَنْشُرُ الدَّعْوَةَ بِشُعْرِهِ كَمَا لَا يَنْشُرُهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَا يَمْلِكُ هَذِهِ الْمَوْهَبَةُ.

مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ، أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرْنَا، فَكَلَّمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَظَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيًّا.

قَالَ كَعْبٌ: فِينَمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا^(١)، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَهَدَّاتِ الرَّجُلُ^(٢)، خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ^(٣) مُسْتَخْفِينَ تَسَلَّلَ الْقَطَا^(٤)، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ، فِيهِمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْ ذَوِي أَسْنَانِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، وَثَلَاثُونَ شَابًّا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ^(٥)، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَارِ، وَأَسْمَاءُ^(٦) بِنْتُ عَمْرٍو أُمُّ مَنِيعٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ.

(١) الرَّحَالُ: يعني: الدُّورُ والمَسَاكِينُ والمنازل. انظر: لسان العرب (١٦٩/٥).

(٢) أَي قَلَّ الْمَشْيُ، وَقَلَّتْ حَرَكَةُ النَّاسِ.

(٣) تَسَلَّلَ: انْطَلَقَ فِي اسْتِخْفَاءٍ. انظر: لسان العرب (٣٣٨/٦).

(٤) الْقَطَا: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِثِقَلِ مَشْيِهِ. انظر: لسان العرب (٢٣٣/١١).

(٥) هي: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ بِنْتُ عَمْرٍو الْفَاضِلَةُ الْمُجَاهِدَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ الْخَزْرَجِيَّةُ النَّجَّارِيَّةُ الْمَازِنِيَّةُ الْمَدِينِيَّةُ أُمُّ عُمَارَةَ، مَشْهُورَةٌ بِكُنْيَتِهَا وَاسْمِهَا مَعًا.

شَهِدَتِ الْعَقَبَةَ، وَشَهِدَتْ أُحُدًا، وَالْحَدِيدِيَّةَ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَجَاهَدَتْ، وَقُطِعَتْ يَدُهَا فِي الْجِهَادِ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٨/٢).

(٦) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّةُ السُّلَمِيَّةُ، أُمُّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكُنْيَتُهَا أُمُّ مَنِيعٍ، شَهِدَتِ الْعَقَبَةَ الثَّانِيَةَ. انظر: الإصابة (١٤/٨).

❁ اسْتَيْثَاقُ الْعَبَّاسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَعَزْمُ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَيْعَةِ:

وَأَجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ بِالشَّعْبِ يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُمْ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَقَّعَ لَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِهِمْ قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثُ^(١).

وَبَعْدَ أَنْ تَكَامَلَ الْمَجْلِسُ بَدَأَتْ الْمُحَادَثَاتُ لِإِبْرَامَ التَّحَالِفِ الدِّينِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ، وَكَانَ أَوَّلَ الْمُتَكَلِّمِينَ هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَكَلَّمَ لِيُشْرَحَ لَهُمْ - بِكُلِّ صَرَاحَةٍ - خُطُورَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي سَتَلْقَى عَلَى كَوَاهِلِهِمْ^(٢) نَتِيجَةَ هَذَا التَّحَالِفِ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ خَزَرَجَهَا وَأَوْسَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ^(٣) فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَارَ إِلَيْكُمْ، وَاللَّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَاقِفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَازِنُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا

(١) أَحْدَاثُ: جَمْعُ حَدَثٍ؛ أَي: شَبَابٌ. انظر: لسان العرب (٧٦/٣).

(٢) الْكَوَاهِلُ: جَمْعُ كَاهِلٍ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ أَعْلَى الظَّهْرِ. انظر: لسان العرب (١٧٩/١٢).

(٣) مَنَعَةٌ: أَي: قُوَّةٌ تَمْنَعُ مَنْ يَرِيدُهُ بِسُوءٍ. انظر: لسان العرب (١٩٥/١٣).

رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أُحْبِبْتَ^(١).

فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَجَبْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، وَأَمَّنَّا بِهِ، وَرَضِينَا بِمَا قَالَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا يَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ».

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزْرَنَا^(٢)، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ^(٣)، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

فَاعْتَرَضَ الْقَوْلُ - وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ - يَعْنِي: الْيَهُودَ - حِبَالًا^(٤)، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ^(٥)، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».

(١) قال الشيخ صفِّي الرحمن المباركفوري في الرحيق المختوم (ص ١٤٨): وهذا الجواب يدلُّ على ما كانوا عليه من عزمٍ وتصميمٍ، وشجاعةٍ وإيمانٍ وإخلاصٍ في تحمُّلِ هذه المسؤولية العظيمة، وتحملِ عَوَاقِبِهَا الْخَطِيرَةِ.

(٢) أُزْرَنَا: أي: نِسَاءَنَا وَأَهْلَنَا، كُنِيَ عَنْهُمْ بِالْأُزْرِ، وَقِيلَ: أَرَادَ أَنْفُسَنَا، وَقَدْ يُكْنَى عَنِ النَّفْسِ بِالْإِزَارِ. انظر: النهاية (١/٤٧).

(٣) الْحَلَقَةُ بسكون اللام: السلاح وقيل: الدُّرُوع. انظر: النهاية (١/٤١٠).

(٤) حِبَالًا: أي: عُھُودًا وَمَوَاقِيق. انظر: النهاية (١/٣٢١).

(٥) الْهَدْمُ: يُرْوَى بسكون الدال وفتحها، فَالْهَدْمُ بالتحريك: الْقَبْرُ؛ يَعْنِي: إِنِّي أَقْبَرُ حَيْثُ تُقْبَرُونَ. وَقِيلَ: هُوَ الْمَنْزِلُ: أي: مَنْزِلُكُمْ مَنْزِلِي، لَا أَفَارِقُكُمْ. وَالْهَدْمُ بالسكون وبالفتح =

فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رضي الله عنه لِلنَّبِيِّ ﷺ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايَعُكَ.

❀ انْتِخَابُ النُّقَبَاءِ^(١) وَعَقْدُ الْبَيْعَةِ:

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ».

فَتَمَّ انْتِخَابُهُمْ فِي الْحَالِ، وَكَانُوا تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ، وَهَآكَ أَسْمَاءُهُمْ:

❀ نُّقَبَاءُ الْخَزْرَجِ:

• نَقِيبُ بَنِي النَّجَارِ:

١ - أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه.

• نَقِيبُ بَنِي سَلَمَةَ:

٢ - الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رضي الله عنه.

٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ رضي الله عنه.

• نَقِيبُ بَنِي سَاعِدَةَ:

٤ - سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رضي الله عنه.

٥ - الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو رضي الله عنه.

= أَيضًا: هُوَ إِهْدَارُ دَمِ الْقَتِيلِ. وَالْمَعْنَى: إِنْ طُلِبَ دَمُكُمْ فَقَدْ طُلِبَ دَمِي، وَإِنْ أَهْدَرَ دَمُكُمْ فَقَدْ أَهْدَرَ دَمِي، لَاسْتِحْكَامِ الْأَلْفَةِ بَيْنَنَا، وَهُوَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ لِلْعَرَبِ، يَقُولُونَ: دَمِي دُمُكَ وَهَدَمِي هَدُمُكَ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَاهَدَةِ وَالنُّصْرَةِ. انظر: النهاية (٢١٨/٥).

(١) النُّقَبَاءُ: جَمْعُ نَقِيبٍ، وَهُوَ كَالْعَرِيفِ عَلَى الْقَوْمِ الْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمْ، الَّذِي يَتَعَرَّفُ أَخْبَارَهُمْ. انظر: النهاية (٨٨/٥).

• نَقِيبُ بَنِي زُرَيْقٍ:

٦ - رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجَلَانِ رضي الله عنه.

• نَقِيبُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ:

٧ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه.

٨ - سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ رضي الله عنه.

• نَقِيبُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ:

٩ - عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه.

✽ نَقَبَاءُ الْأَوْسِ:

• نَقِيبُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ:

١٠ - أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه.

• نَقِيبُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ:

١١ - سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ رضي الله عنه.

١٢ - رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْدِرِ رضي الله عنه ^(١).

✽ التَّأْكِيدُ مِنْ خُطُورَةِ الْبَيْعَةِ:

وَبَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الْمُحَادَثَةُ حَوْلَ شُرُوطِ الْبَيْعَةِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الشَّرُوعِ فِي عَقْدِهَا، قَامَ رَجُلَانِ مِنَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِمَّنْ أَسْلَمَ فِي مَوَاسِمِ سَنَتَيِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ، وَالثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبُعْثَةِ، قَامَ أَحَدُهُمَا تَلَوَ الْآخِرَ، لِيُؤَكِّدَا لِلْقَوْمِ خُطُورَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ، حَتَّى لَا يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَى وَضُوحٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَلِيَعْرِفَا مَدَى اسْتِعْدَادِ الْقَوْمِ لِلتَّضَحِّيَةِ ^(٢).

(١) قال ابن هشام في السيرة (٥٨/٢): وأهل العلم يعدُّونَ فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدُّونَ رِفَاعَةَ.

(٢) انظر: الرحيق المختوم (ص ١٥٠).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا اجْتَمَعُوا لِلْبَيْعَةِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَشَرَ الْخَزَرَجِيِّ! هَلْ تَذَرُونَ عَلَامَ ثُبَايْعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكُمْ ثُبَايْعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نُهِكْتُ^(١) أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنَ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهُ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نُهْكَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟

قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ»، قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ ابْنِ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» قَالَ: فَأَخَذَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ﷺ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ - وَقَالَ: رُؤَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ^(٢) إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنَّا إِخْرَاجُهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةَ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْضَكُمْ السُّيُوفُ^(٣)، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَضْرِبُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللَّهِ.

(١) النَّهْكَ: النَّقْصُ. انظر: النهاية (١٢١/٥).

(٢) الْمَطِيُّ: جمع مَطِيَّة، وهي النَّاقَةُ التي يُرْكَبُ مَطَاها: أي: ظَهْرها. انظر: النهاية (٤/٢٩٠). يُقَالُ: فَلَانٌ تَضْرِبُ إِلَيْهِ أَكْبَادُ الْإِبِلِ: أي: يُرْحَلُ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ. انظر:

لسان العرب (٣٦/٨).

(٣) أَعْضَضْتُهُ سَيْفِي: أي: ضَرَبْتُهُ بِهِ. انظر: لسان العرب (٢٥٦/٩).

فَقَالُوا: يَا أَسْعَدُ! أَمِطْ^(١) عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا^(٢).

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنُّقَبَاءِ: «أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفْلَاءٌ؛ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي» - يَعْنِي: الْمُسْلِمِينَ -، قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا، يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ بِشَرْطِهِ - أَيِ: بِشَرْطِ الرَّسُولِ ﷺ - الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، وَيُعْطِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ^(٣).

✽ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ:

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ﷺ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ﷺ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ^(٤).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ لَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ^(٥).

(١) أَمِطُ: أَيِ: أَبْعِد. انظر: النهاية (٣٢٥/٤).

(٢) اسْتَقَالَ الْعَهْدَ: أَيِ: طَلَبَ أَنْ يُفْسَخَ. انظر: لسان العرب (٢٨٨/١١).

(٣) أخرج قصة بيعة العقبة الثانية: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٦٥٣) (١٥٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر أسعد بن زرارة ﷺ، رقم الحديث (٧٠١١) (٧٠١٢)، وابن إسحاق في السيرة (٥٢/٢) - وما بعدها، وأوردها الحافظ في الإصابة (١٤/٨) وصحح إسناده، وهو كما قال.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٩٨).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، باب كان أول من تكلم من النقباء، البراء بن معرور ﷺ، رقم الحديث (٤٨٨٦).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته الله: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ لِيَلْتَمِذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رحمته الله، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ، إِذْ أَكَّدَ الْعَهْدَ، وَبَادَرَ إِلَيْهِ ^(١).

❖ بَيْعَةُ الْمَرَاتَيْنِ:

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ الْمَرَاتَيْنِ قَوْلًا مِنْ غَيْرِ مُصَافَحَةٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ ^(٢)، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا أَفْرَزْنَ قَالَ: «أَذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُنَّ» ^(٣).

❖ شَيْطَانٌ يَكْتَشِفُ الْمُعَاهِدَةَ:

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رحمته الله: فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ - وَالْجَبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمِّمٍ ^(٤) وَالصُّبَاةُ ^(٥) مَعَهُ؟ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ.

(١) انظر: زاد المعاد (٤٣/٣).

(٢) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٢٨٨)، (٧٢١٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٦٦)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما مسَّت يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأةٍ قَطُّ، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايَعْتُنَّ» كلامًا.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٧٩/٢)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤٤٠/٨).

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣٥٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ؟ يَشْتُمُونَ مُذَمِّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمِّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٢٥٠/٧): كَانَ الْكَفَارُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ الدَّالِّ عَلَى الْمَدْحِ فَيَعِدُّلُونَ إِلَى ضِدِّهِ فَيَقُولُونَ مُذَمِّمٌ، وَإِذَا ذَكَرُوهُ بِسُوءٍ قَالُوا: فَعَلَ اللَّهُ بِمُذَمِّمٍ، وَمُذَمِّمٌ لَيْسَ هُوَ اسْمُهُ ﷺ وَلَا يُعْرَفُ بِهِ فَكَانَ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَضْرُوفًا إِلَى غَيْرِهِ.

(٥) يُقَالُ: صَبَأَ فُلَانٌ: إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِيَّ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. انظر: النهاية (٣/٣).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَزْبُ»^(١) الْعَقَبَةُ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعُ أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَا فَرَعَنَ لَكَ.

❖ صِدْقُ الْأَنْصَارِ ﷺ فِي بَيْعَتِهِمْ:

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبادَةَ بْنِ نُضْلَةَ ﷺ لِلرَّسُولِ ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنَى عَدَا بِأَسْيَافِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَرَجِعُوا إِلَى رِحَالِهِمْ وَنَامُوا حَتَّى أَصْبَحُوا^(٢).

❖ قُرَيْشٌ تَبَحَّتْ عَنِ الْأَخْبَارِ عِنْدَ رُؤَسَاءِ يَثْرِبَ:

وَلَمَّا قَرَعَ هَذَا الْخَبْرُ آذَانَ قُرَيْشٍ وَقَعَتْ فِيهِمْ ضَجَّةٌ أَثَارَتْ الْقَلَقَ وَالْأَحْزَانَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ مِنْ عَوَاقِبِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَتَنَاجِيهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَمَا إِنْ أَصْبَحُوا حَتَّى تَوَجَّهَ وَفْدٌ كَبِيرٌ مِنْ زُعَمَاءِ مَكَّةَ وَأَكَابِرِ مُجْرِمِيهَا إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِ يَثْرِبَ فِي مِنَى، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ! إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا^(٣) هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشُبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ^(٤).

فَانْبَعَثَ مِنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي الْخَزَرَجِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ: مَا كَانَ مِنْ هَذَا

(١) أَزْبُ الْعَقَبَةُ: اسم شَيْطَانٍ كَانَ بِالْعَقَبَةِ. انظر: النهاية (٤٦/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٩٨)، وابن إسحاق في السيرة (٦١/٢) وإسناده حسن.

(٣) أي: الرسول ﷺ.

(٤) أخرج ذلك: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٩٨)، وابن إسحاق في السيرة (٦١/٢) وإسناده حسن.

شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ - أَيُّ: زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ - أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْ سَلُولٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ، وَمَا كَانَ هَذَا، وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا^(١) عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا، لَوْ كُنْتُ يَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّى يُؤَامِرُونِي.

أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَادُوا بِالصَّمْتِ، فَلَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ.

وَصَدَّقَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ الْمُشْرِكِينَ مِنْ يَثْرِبَ، فَرَجَعُوا خَائِبِينَ^(٢).

✽ تَأَكَّدُ قُرَيْشٌ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ وَمُلَا حَقَّتْهَا الْمُبَايَعِينَ:

وَنَفَرَ^(٣) النَّاسُ مِنْ مَنَى، فَتَنَطَّسَتْ^(٤) قُرَيْشُ الْخَبَرِ، فَوَجَدُوا أَنَّ الْخَبَرَ صَحِيحٌ، وَالْبَيْعَةَ قَدْ تَمَّتْ فِعْلًا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا، فَأَمَّا الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَفِرَّ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَأَخَذُوهُ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ، وَيَجْذِبُونَهُ بِشَعْرِهِ، وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ.

قَالَ سَعْدُ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ، فَعِنْدَ هَذَا، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ، قَالَ سَعْدُ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ

(١) افْتَاتَ عَلَيْهِ: إِذَا انْفَرَدَ بِرَأْيِهِ دُونَهُ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ. انظر: النهاية (٤٢٩/٣).

(٢) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْإِمَامَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، رَقْمَ الْحَدِيثِ (١٥٧٩٨)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٤٤٩/٢)، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ (٦١/٢) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٣) النَّفَرُ: التَّفَرُّقُ. انظر: لسان العرب (٢٣١/١٤).

(٤) كُلُّ مَنْ تَأَنَّقَ فِي الْأُمُورِ، وَدَقَّقَ النَّظَرَ فِيهَا: فَهُوَ نَطِئٌ وَمُتَنَطِّئٌ. انظر: النهاية (٦٣/٥).

أَوَى^(١) لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: وَيْحَكَ!! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ فُرَيْشٍ جَوَارٍ وَلَا عَهْدٌ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرُ لَجَبْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ تُجَارَهُ، وَأَمْنَعُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بِبِلَادِي، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ!! فَاهْتَفَ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، وَادَّكُرَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا، قَالَ: فَفَعَلْتُ، وَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَيْهِمَا، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَزَرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ^(٢) يَهْتَفُ بِكُما، وَيَذْكُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُما جَوَارًا، قَالَا: مَنْ هُوَ؟

قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَا: صَدَقَ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ لِيُجِيرَ لَنَا تُجَارَنَا، وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِبِلَادِهِ، قَالَ: فَجَاءَا فَخَلَصَا سَعْدًا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، فَانْطَلَقَا، وَكَانَ الَّذِي لَكُمْ سَعْدًا، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو^(٣)، وَالرَّجُلُ الَّذِي آوَى لَهُ أَبَا الْبُخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ^(٤).

وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ اتْتَمَرَتْ حِينَ فَقَدُوا سَعْدًا ﷺ، أَنْ يَكْرُوا^(٥) إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ، فَرَحَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ^(٦).

(١) آوَى لَهُ: أَي: رَقَّ وَرَحِمَ. انظر: لسان العرب (١/٢٧٥).

(٢) الْأَبْطَحُ: هُوَ أَبْطَحُ مَكَّةَ، وَهُوَ مَسِيلُ وَادِيهَا. انظر: النهاية (١/١٣٤).

(٣) سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَسْلَمَ ﷺ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ.

(٤) أَبُو الْبُخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ قُتِلَ كَافِرًا فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى.

(٥) الْكَرُّ: الرُّجُوعُ. انظر: لسان العرب (١٢/٦٤).

(٦) أخرج تفاصيل بيعة العقبة الثانية: الإمام أحمد في مسنده بأسانيد قوية وحسنة، رقم الحديث (١٤٤٥٦)، (١٤٦٥٣)، (١٥٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه بسند صحيح على شرط مسلم، كتاب التاريخ، باب وصف بيعة الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة، رقم الحديث (٦٢٧٤)، وكتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ، باب ذكر أسعد بن زرارَةَ ﷺ، رقم الحديث (٧٠١٢)، وباب ذكر البراء بن معرور ﷺ، رقم الحديث (٧٠١١)، وابن إسحاق في السيرة (٢/٥٢) وما بعدها، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٤٤٢).

❀ وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ:

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْعَةَ الْحَرْبِ حَيْثُ أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْحَرْبِ، فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، وَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعُقَبَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ أَخَذَ لِنَفْسِهِ وَاشْتَرَطَ عَلَى الْقَوْمِ لِرَبِّهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ عَلَى الْوَفَاءِ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ ذَكَرَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي الْقِتَالِ: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩] (١).

وَهَذَا مِنْ أَوْهَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَلَى جَلَالَتِهِ، فَالْجِهَادُ لَمْ يُشْرَعْ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى هَذَا الْوَهْمِ ابْنُ هِشَامٍ أَيْضًا. وَلَيْسَ أَدْلُ عَلَى عَدَمِ فَرُضِيَّةِ الْجِهَادِ قَبْلَ الْعُقَبَةِ مِنْ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبَّادَةَ بْنِ نَضْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنْى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ» (٢).

❀ فَضْلٌ مَنْ شَهِدَ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعُقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ (٣)، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ (٤) فِي النَّاسِ مِنْهَا (٥).

(١) انظر الخبر في: سيرة ابن هشام (٨١/٢).

(٢) أخرج ذلك: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٩٨)، وابن إسحاق في السيرة (٦١/٢)، وإسناده حسن.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦٢٤/٧): لأن مَنْ شَهِدَ غَزْوَةَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ فَاضِلًا بِسَبَبِ أَنَّهَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ نُصِرَ فِيهَا الْإِسْلَامُ، لَكِنْ بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ كَانَتْ سَبَبًا فِي فَشْوِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْهَا نَشَأَ مَشْهَدُ بَدْرٍ.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٦٢٤/٧): أي: أكثر ذِكرًا بِالْفَضْلِ، وَشَهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، =

قَالَ الشَّيْخُ صَفِيُّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْفُورِي: هَذِهِ هِيَ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ - الَّتِي تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْكُبْرَى - وَقَدْ تَمَّتْ فِي جَوْ تَعْلُوهُ عَوَاطِفُ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ وَالتَّنَاضُرِ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالثَّقَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالِاسْتِيسَالِ فِي هَذَا السَّبِيلِ، فَمُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَحْنُو عَلَى أَخِيهِ الْمُسْتَضْعَفِ فِي مَكَّةَ، وَيَتَعَصَّبُ لَهُ، وَيَغْضَبُ مِنْ ظَالِمِهِ، وَتَجِيشٌ^(١) فِي حَنَائِيهِ مَشَاعِرُ الْوُدِّ لِهَذَا الْأَخِ الَّذِي أَحَبَّهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ وَالْعَوَاطِفُ نَتِيجَةَ نَزْعَةٍ عَابِرَةٍ تَزُولُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ؛ بَلْ كَانَ مَصْدَرُهَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ وَبِكِتَابِهِ، إِيْمَانٌ لَا يَزُولُ أَمَامَ أَيِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَّاتِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، إِيْمَانٌ إِذَا هَبَّتْ رِيحُهُ جَاءَتْ بِالْعَجَائِبِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعَمَلِ، وَبِهَذَا الْإِيمَانِ اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُسَجِّلُوا عَلَى أَوْزَاقِ الدَّهْرِ أَعْمَالًا، وَيَتْرُكُوا عَلَيْهَا آثَارًا، خَلَا عَنْ نَظَائِرِهَا، الْغَابِرُ وَالْحَاضِرُ، وَسَوْفَ يَخْلُو الْمُسْتَقْبَلُ^(٢).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: تِلْكَمُ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ، وَمَا أُبْرِمُ^(٣) فِيهَا مِنْ مَوَائِقٍ، وَمَا دَارَ فِيهَا مِنْ مُحَاوَرَاتٍ... إِنَّ رُوحَ الْيَقِينِ وَالْفِدَاءِ وَالِاسْتِيسَالِ سَادَتْ هَذَا الْجَمْعَ وَتَمَشَّتْ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ قِيلَتْ، وَبَدَأَ أَنَّ الْعَوَاطِفَ الْفَائِرَةَ لَيْسَتْ وَخَدَهَا الَّتِي تُوجِّهُ الْحَدِيثَ أَوْ تُمْلِي الْعُهُودَ كَلَّا، فَإِنَّ حِسَابَ الْمُسْتَقْبَلِ رُوجَعَ مَعَ حِسَابِ الْيَوْمِ، وَالْمَعَارِمُ^(٤) الْمُتَوَقَّعَةُ نَظَرَ إِلَيْهَا قَبْلَ الْمَغَانِمِ الْمَوْهُومَةِ.

= رقم الحديث (٣٨٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم الحديث (٢٧٦٩).

(١) تجيش: تفيض. انظر: لسان العرب (٤٣٥/٢).

(٢) انظر: الرحيق المختوم (ص ١٥٤).

(٣) أُبْرِمُ الأمر: أحكمه. انظر: لسان العرب (٣٩١/١).

(٤) الْمَغْرَمُ: هو الدين. انظر: لسان العرب (٥٩/١٠).

مَعَانِمُ؟ أَيْنَ مَوْضُوعِ الْمَعَانِمِ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ؟ لَقَدْ قَامَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى التَّجَرُّدِ الْمَحْضِ وَالْبَذْلِ الْخَالِصِ.

هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ مِثْلًا لِنِشَارِ الْإِسْلَامِ، عَنْ طَرِيقِ الْفِكْرِ الْحُرِّ وَالْإِفْتِنَاعِ الْخَالِصِ.

فَقَدْ جَاءُوا مِنْ يَثْرِبَ مُؤْمِنِينَ أَشَدَّ الْإِيمَانِ، وَمُكَلِّبِينَ دَاعِيَ التَّضَحِّيَةِ، مَعَ أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لَمَحَّةً عَابِرَةً، عَبَرَتْ عَلَيْهَا الْأَيَّامُ، وَكَانَ الظَّنُّ بِهَا أَنْ تَزُولَ، لَكِنَّا لَا يَجُوزُ أَنْ نَنْسَى مَصْدَرَ هَذِهِ الطَّاقَةِ الْمُتَأَجِّجَةِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالثَّقَّةِ، إِنَّهُ الْقُرْآنُ!! لَيْتُنْ كَانَ الْأَنْصَارُ قَبْلَ بَيْعَتِهِمُ الْكُبْرَى لَمْ يَضْحَبُوا الرَّسُولَ ﷺ إِلَّا لِمَامًا^(١) فَإِنَّ الْوَحْيَ الْمُشْعَّ مِنَ السَّمَاءِ أَضَاءَ لَهُمُ الطَّرِيقَ، وَأَوْضَحَ الْغَايَةَ^(٢).

✽ إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣):

لَمَّا رَجَعَ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِهَا، وَدَعَوْا أَهْلِيهِمْ إِلَيْهِ، وَكَانَ فِي قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شَيْوخٍ لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلَمَةَ وَأَشْرَافِهِمْ، وَكَانَ ابْنُهُ مُعَاذٌ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَا.

وَكَانَ عَمْرُو قَدْ اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنْمًا مِنْ خَشَبٍ، يُقَالُ لَهُ: (مَنَاةٌ)، كَمَا كَانَ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فُتِيَانُ بَنِي سَلَمَةَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَابْنُهُ

(١) اللُّمَامُ: اللقاء اليسير. انظر: لسان العرب (٣٣٣/١٢).

(٢) انظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ١٤٨).

(٣) هو: عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْرَجَ، وَشَهِدَ بَدْرًا فِي قَوْلٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيهِمْ، وَاسْتَشْهَدَ فِي أُحُدٍ. وَدَفِنَ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ. وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِيمًا جَوَادًا، سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ الْأَنْصَارِ، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ. انظر: الإصابة (٥٠٦/٤).

مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو، فِي فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ، كَانُوا يُدْلِجُونَ^(١) بِاللَّيْلِ عَلَى صَنَمِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، فَيَحْمِلُونَهُ، فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفَرِ بَنِي سَلِمْةَ، وَفِيهَا عِذْرُ^(٢) النَّاسِ، مُنْكَسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٍو، قَالَ: وَيْلَكُمْ!! مَنْ عَدَا عَلَى إِلَيْنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ، حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَّلهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّنَمِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا لَأَخْرَيْتَهُ، فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٍو عَدَا عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَغْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، فَيَغْسَلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَغْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى، فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا، فَعَسَّلهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّنَمِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا أَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاْمْتَنِعْ، فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ، فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٍو عَدَا عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ أَخَذُوا كُلُّهَا مِيتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلِ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بِئْرِ مِنْ أَبَارِ بَنِي سَلِمْةَ فِيهَا عِذْرُ النَّاسِ، وَغَدَا عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ، فَخَرَجَ يَتَبَعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ مُنْكَسًا مَقْرُونًا بِكُلْبٍ مَيْتٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، وَبَانَ لَهُ صَوَابُهُ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، وَعَلِمَ أَنَّهَا أَصْنَامٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَمَا إِنْ كَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَسْلَمَ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ﷺ، وَقَالَ حِينَ اسْتَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ، يَذْكُرُ صَنَمَهُ هَذَا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ:

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكُلْبٌ وَسَطٌ بِئْرٍ فِي قَرْنٍ^(٣)

(١) الدَّلَجَةُ: سَيْرُ اللَّيْلِ. انظر: النهاية (٢/١٢٠).

(٢) الْعِذْرَةُ: الْعَائِطُ الَّذِي يُلْقِيهِ الْإِنْسَانُ. انظر: النهاية (٣/١٨٠).

(٣) الْقَرْنُ: بِالْتَحْرِيكِ الْحَبْلُ. انظر: لسان العرب (١١/١٣٩).

أَفِ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنٌ^(١) الْآنَ فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْعَبَنِ^(٢)
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنَنِ الْوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
 هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهَنِ
 بِأَحْمَدَ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ^(٣)



(١) الْمُسْتَدَنُ: الدَّنِي الْحَسِيسُ. انظر: لسان العرب.

(٢) الْعَبَنِ: السَّفَه. انظر: الروض الأنف (٢/٢٧٩).

(٣) انظر قصة إسلام عمرو بن الجموح رضي الله عنه في: سيرة ابن هشام (٢/٦٥)، الروض الأنف (٢/٢٧٨)، سبل الهدى والرشاد (٣/٢٢٢).

خَصَائِصُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِي أَمْرِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، نَتَكَلَّمُ عَنْ خَصَائِصِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ أَوَّلًا.

كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ دَارًا لِلْهَجْرَةِ، وَمَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ، عَدَا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِكْرَامِ أَهْلِهَا، وَأَسْرَارٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ أُمُورٌ، مِنْهَا:

١ - أَنَّهَا امْتَاَزَتْ بِتَحْصِينِ طَبِيعِي حَرْبِيٍّ، لَا تُزَاحِمُهَا فِي ذَلِكَ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ فِي الْجَزِيرَةِ، فَكَانَتْ حَرَّةً^(١) الْوَبْرَةَ مُطْبِقَةً عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَحَرَّةً وَاقِمٌ مُطْبِقَةً عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَكَانَتْ الْمَنْطِقَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنَ الْمَدِينَةِ، هِيَ النَّاحِيَةُ الْوَحِيدَةُ الْمَكْشُوفَةُ^(٢).

٢ - كَانَتْ الْجِهَاتُ الْأُخْرَى مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ مُحَاطَةً بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَالزُّرُوعِ الْكَثِيفَةِ، لَا يَمُرُّ مِنْهَا الْجَيْشُ إِلَّا فِي طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ، لَا يَتَّفَقُ فِيهَا النَّظَامُ الْعَسْكَرِيُّ وَتَرْتِيبُ الصُّفُوفِ.

٣ - كَانَتْ خَفَارَاتُ عَسْكَرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ، كَافِيَةٌ لِإِفْسَادِ النَّظَامِ الْعَسْكَرِيِّ، وَمَنْعِهِ مِنَ التَّقَدُّمِ، يَقُولُ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ أَحَدُ جَانِبِي الْمَدِينَةِ عَوْرَةً وَسَائِرُ جَوَانِبِهَا مُسَكَّكَةً بِالْبُنْيَانِ وَالنَّخِيلِ، لَا يَتِمَكَّنُ الْعَدُوُّ مِنْهَا.

وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ

(١) الْحَرَّةُ: هِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ السُّودِ، يَمْتَنِعُ فِيهَا الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ، وَمَشْيُ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ، فَضْلًا عَنْ مُرُورِ الْجَيْشِ. انظر: النهاية (٣٥١/١).

(٢) وَهِيَ الَّتِي حَصَّنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ.

بِقَوْلِهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»^(١) - وَهُمَا الْحَرَّتَانِ - فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ.

٤ - كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَصْحَابَ نَخْوَةٍ^(٢) وَإِبَاءٍ^(٣) وَفُرُوسِيَّةٍ، وَقُوَّةٍ، وَشَكِيمَةٍ^(٤)، أَلْفُوا الْحُرِّيَّةَ، وَلَمْ يَخْضَعُوا لِأَحَدٍ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى قَبِيلَةٍ أَوْ حُكُومَةٍ إِتَاوَةً^(٥) أَوْ جَبَايَةً^(٦)، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدُ الْأَوْسِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ: قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَظْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً إِلَّا قَرَى^(٧) أَوْ بَيْعًا^(٨).

وَجَاءَ فِي «العَقْدِ الْفَرِيدِ»: وَمِنَ الْأَزْدِ الْأَنْصَارُ، وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَهُمَا ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ أَنْفُسًا، وَأَشْرَفُهُمْ هِمَمًا، وَلَمْ يُؤَدُّوا إِتَاوَةً قَطُّ إِلَى أَحَدٍ الْمُلُوكِ^(٩).

فَكَانَتِ الْمَدِينَةُ - لِكُلِّ ذَلِكَ - أَصْلَحَ مَكَانٍ لِهِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهَا دَارًا وَقَرَارًا، حَتَّى يَقْوَى الْإِسْلَامُ، وَيَشَقَّ طَرِيقُهُ إِلَى الْأَمَامِ، وَيَفْتَحَ الْجَزِيرَةَ، ثُمَّ يَفْتَحَ الْعَالَمَ الْمُتَمَدَّنَ^(١٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، رقم الحديث (٢٢٩٧)، وكتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٢) يُقال: رجل فيه نَخْوَةٌ: أي: أَنْفَةٌ وَحِمِيَّةٌ وَكِبَرٌ. انظر: النهاية (٢٩/٥).

(٣) الْإِبَاءُ: هو أَشَدُّ الْاِمْتِنَاعِ. انظر: النهاية (٢٤/١).

(٤) يُقال: فلان شديد الشَّكِيمَةِ: إذا كان عزيزَ النفسِ أَيْبًا قَوِيًّا. انظر: النهاية (٤٤٤/٢).

(٥) الْإِتَاوَةُ: الرِّشْوَةُ وَالْخَرَجُ. انظر: لسان العرب (٦٧/١).

(٦) الْجَبَايَةُ: هي استِخْرَاجُ الْأَمْوَالِ مِنْ مَظَانِّهَا. انظر: لسان العرب (١٧٤/٢).

(٧) الْقَرَى: ما يُصْنَعُ لِلضَّيْفِ مِنَ الطَّعَامِ. انظر: لسان العرب (١٤٩/١١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٢٤٦/٣). (٩) انظر: العقد الفريد (٢٩٧/٣).

(١٠) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ١٥٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم الشيخ مشهور حسن آل سلمان	٥
تقديم الشيخ أ. د. خالد بن علي المشيقح	٧
تقديم أ. د. محمد رواس قلعه جي	٨
تقديم الشيخ عثمان بن محمد الخميس	٩
المقدمة	١١
قَالُوا فِي أَهْمِيَّةِ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ	١٥
مَزَايَا السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ	١٨
وَنُجْمِلُ فِيمَا يَلِي أُبْرَزَ مَزَايَا السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ	١٨
الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ	٢٥
شُرْبُ الْخَمْرِ	٢٦
الْقَمَارُ	٢٦
تَعَاطِيهِمُ الرَّبَا	٢٧
انْتِشَارُ الزُّنَى	٢٨
وَأُدْهَمُ الْبَنَاتِ	٣٠
قَتْلُ الْأَوْلَادِ خَشْيَةَ الْفَقْرِ	٣١
ظَلَامٌ مُطْبِقٌ وَيَأْسٌ قَاتِلٌ	٣٣
لِمَاذَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ؟	٣٤
مَنْ قَبِلَ مَوْلِدِهِ ﷺ إِلَى مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ ﷺ النَّسَبُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ	٣٩
أَصَالَةُ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ	٤٠
طَهَارَةُ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ	٤٢
أُسْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ	٤٣

الموضوع

الصفحة

٤٣	هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ.....
٤٤	عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ.....
٤٥	وَفَاةُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.....
٤٧	أَهَمُّ الْأَحْدَاثِ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.....
٤٧	أَمَّا زَمَزَمُ.....
٥٠	رَوَايَاتٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ.....
٥١	حَدِيثُ الْفِيلِ.....
٥٤	دُخُولُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ.....
٥٥	وُضُوءُ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ.....
٥٦	هَلَاكُ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ.....
٥٨	نَذْرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ دَبَّحَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ.....
٦٠	خُرُوجُ الْقَدْحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ.....
٦٠	فِدَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بِمَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ.....
٦١	حَدِيثُ وَاهٍ.....
٦٢	زَوَاجُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.....
٦٢	قِصَّةُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَمُنْكَرَةٌ.....
٦٣	وَفَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.....
٦٤	وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتِيمَ الْأَبِ.....
٦٥	كَمْ كَانَ عُمُرُ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا تُوفِّيَ؟.....
٦٥	مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيهِ.....
٦٦	مِنْ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ إِلَى نُزُولِ الْوَحْيِ وَلَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ.....
٦٧	عَلَامَاتٌ ظَهَرَتْ عِنْدَ وَلَادَتِهِ ﷺ.....
٧٠	عَلَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ لِكِنَّهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ.....
٧١	فَرَحُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِوِلَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ.....
٧٢	خِتَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.....
٧٤	خِتَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ وَتَسْمِيَّتُهُ مُحَمَّدًا.....

٧٦	رَضَاعُ النَّبِيِّ ﷺ
٧٧	اسْتِرْضَاعُهُ ﷺ فِي بَنِي سَعْدٍ
٧٩	حَدِيثُ مَوْضُوعٍ
٧٩	إِقْبَالُ الْمَرَاضِعِ
٧٩	قِصَّةُ حَلِيمَةَ فِي اسْتِرْضَاعِهِ ﷺ
٨٤	حَادِثَةُ شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ
٨٦	عُمُرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا شُقَّ صَدْرُهُ
٨٦	تَكَرَّرُ شَقِّ الصَّدْرِ
٨٦	الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ: وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ ﷺ
٨٧	الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ: عِنْدَ الْمَبْعَثِ
٨٨	الْمَرَّةُ الرَّابِعَةُ: عِنْدَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
٨٩	خَاتَمُ النَّبَوَّةِ
٩١	رَوَايَاتُ ضَعِيفَةٍ
٩٢	عَوْدَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أُمِّهِ الْحُنُونِ أَمَنَةً
٩٢	وَفَاةُ أَمِنَةَ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ
٩٣	زِيَارَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ
٩٥	كَفَالَةُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
٩٥	قِصَّةُ تَذُلِّ عَلَى شِدَّةِ مَحَبَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِلرَّسُولِ ﷺ
٩٦	جُلُوسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فِرَاشِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
٩٦	وَفَاةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
٩٦	كَفَالَةُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ
٩٧	سَفَرُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الشَّامِ مَعَ عَمِّهِ
٩٩	اِخْتِلَافُ الْمُعَلِّمَاءِ فِي تَضْحِيحِ هَذَا الْحَدِيثِ
٩٩	إِنْكَارُ الْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ
١٠١	رَغْبَةُ ﷺ لِلْغَنَمِ
١٠٢	الْحِكْمَةُ فِي رَغْيِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ لِلْغَنَمِ

الموضوع

الصفحة

١٠٣	فَوَائِدُ الْحَدِيثِ
١٠٤	شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حَرْبَ الْفَجَارِ
١٠٤	شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حِلْفَ الْفُضُولِ
١٠٧	خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ بِتِجَارَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
١٠٩	رِوَايَةُ ضَعِيفَةٌ لِاضْطِرَابِهَا
١١١	ذَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
١١٢	خُطْبَةُ أَبِي طَالِبٍ
١١٤	رِوَايَةُ ضَعِيفَةٌ
١١٥	عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ
١١٦	حَدِيثُ مَوْضُوعٌ
١١٦	أَوْلَادُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
١١٨	تَغْيِيرُ الْمُشْرِكِينَ بِانْقِطَاعِ نَسَبِ الرَّسُولِ ﷺ
١٢٠	بِنَاءُ الْكَعْبَةِ وَدَرْءُ فِتْنَةِ عَظِيمَةٍ
١٢٤	صَاحِبُ الْعَقْلِ الْكَبِيرِ
١٢٥	ضَبَقُ النَّفَقَةِ الْحَلَالِ
١٢٦	فَوَائِدُ الْحَدِيثِ
١٢٧	حِفْظُ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَدْرَانِ الْجَاهِلِيَّةِ
١٢٨	بُعْضَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَصْنَامُ
١٢٩	بُعْضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشُّعْرُ
١٣٠	لَمْ يَشْرَبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْرًا، وَلَا قُرْبَ مِنْ فَاحِشَةٍ
١٣٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقِفُ بِعَرَفَةَ مَعَ النَّاسِ
١٣٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرُوفًا بِالْأَمَانَةِ
١٣٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ
١٣٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضُولًا لِلرَّجَمِ
١٣٦	قَلَقَ غَايِضٌ وَعَدَمُ تَرْقُبِ لِنُبُوءَةِ أَوْ رِسَالَةٍ
١٣٧	إِرْهَاصَاتُ الْبِعْثَةِ

- ١٣٧ حَجَبُ الشَّيَاطِينِ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ قُرْبِ مَبْعَثِهِ ﷺ
- ١٣٨ مَتَى حَدَثَ هَذَا الرَّصْدُ؟
- ١٤١ هَلْ انْقَطَعَ هَذَا الرَّمْيُ بَعْدَ وِفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْ لَا؟
- ١٤٢ وَهُمْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ سَعْدٍ
- ١٤٣ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ
- ١٤٤ تَعَدُّدُ وَفُودِ الْجِنِّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ
- ١٤٦ مُقَدِّمَاتُ نَزُولِ الْوَحْيِ
- ١٤٦ أَوَّلًا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ
- ١٤٧ ثَانِيًا: حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِلْخَلْوَةِ
- ١٤٨ ثَالِثًا: تَسْلِيمُ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
- ١٤٩ رَابِعًا: سَمَاعُ النَّبِيِّ ﷺ الصَّوْتِ وَرُؤْيُ الصَّوِّءِ
- ١٥١ الْأَحْدَاثُ مِنْ نَزُولِ الْوَحْيِ إِلَى الْهَجْرَةِ نَزُولُ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٥٢ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ١٥٦ رِوَايَةُ مُرْسَلَةٍ ضَعِيفَةٍ
- ١٥٦ فَتَوْرُ الْوَحْيِ
- ١٥٧ رِوَايَةُ مُرْسَلَةٍ ضَعِيفَةٍ
- ١٥٨ مُدَّةُ فَتَوْرِ الْوَحْيِ
- ١٥٨ نَزُولُ الْوَحْيِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَالْأَمْرُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
- ١٦١ نَزُولُ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ
- ١٦١ افْتِرَاضُ قِيَامِ اللَّيْلِ
- ١٦٢ وَهُمْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي نَزُولِ سُورَةِ الضُّحَى
- ١٦٣ رِوَايَةُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» أَصَحُّ
- ١٦٤ مَرَاتِبُ الْوَحْيِ وَشِدَّةُ نَزُولِهِ
- ١٦٨ خَوْفُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ
- ١٦٩ أَذْوَارُ الدَّعْوَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَرَاجِلُهَا
- ١٧١ الدَّعْوَةُ السَّرِيَّةُ

١٧١	إِسْلَامُ حَدِيجَةَ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ ﷺ
١٧٢	إِسْلَامُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ
١٧٣	إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ
١٧٥	بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ
١٧٦	إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ﷺ
١٧٦	الْأَدْلَةُ عَلَى تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ﷺ
١٧٨	مَنْزِلَتُهُ ﷺ فِي قُرَيْشٍ وَدَعْوَتُهُ لِلْإِسْلَامِ
١٧٩	ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ﷺ
١٨٣	تَسَامُعُ النَّاسِ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ
١٨٩	بِدَايَةُ فَرَضِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ
١٨٩	أَمَّا أَمْرُ الصَّلَاةِ
١٩١	اسْتِحْقَاقُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ
١٩١	أَوَّلُ دَمٍ أَهْرِيَقَ فِي الْإِسْلَامِ
١٩٣	الْجَهْرُ بِالْدَّعْوَةِ
١٩٤	الدَّعْوَةُ فِي الْأَقْرَبِينَ
١٩٦	الدَّعْوَةُ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا
١٩٨	قَوَائِدُ الْحَدِيثِ
١٩٩	الصَّدْعُ بِالْدَّعْوَةِ وَرُدُّهُ فَعَلِ قُرَيْشٍ
٢٠٠	وَقَدْ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ
٢٠١	مَوْقِفُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ
٢٠٣	تَشَاوُرُ قُرَيْشٍ لِمَصْدِّ الْحُجَّاجِ عَنِ اسْتِمَاعِ الدَّعْوَةِ
٢٠٤	قَصِيدَةُ أَبِي طَالِبٍ الشَّهِيرَةُ
٢٠٨	مَا نَزَلَ بِشَأْنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ
٢١٠	حَدِيثٌ لَا أَصْلَ لَهُ
٢١١	إِسْلَامُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ
٢١١	رِوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ

- ٢١٥ رِوَايَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ
- ٢١٦ الْأَدِلَّةُ عَلَى تَأْخُرِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه
- ٢١٧ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ
- ٢١٨ أَسَالِيبُ قُرَيْشٍ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَدَعْوَتِهِ
- ٢٢٤ تَعْذِيبُ قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ
- ٢٢٥ الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٦ صُورٌ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالْإِذَاءِ
- ٢٢٧ تَعْذِيبُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه
- ٢٢٧ تَعْذِيبُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه
- ٢٢٧ تَعْذِيبُ زَيْنَبَةَ رضي الله عنها
- ٢٢٨ تَعْذِيبُ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه
- ٢٢٨ تَعْذِيبُ التَّهْدِيبَةِ وَبَنَتِهَا
- ٢٢٩ تَعْذِيبُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه
- ٢٢٩ تَعْذِيبُ جَارِيَةِ بَنِي مُؤَمَّلٍ
- ٢٢٩ تَعْذِيبُ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ رضي الله عنه
- ٢٣٠ رِوَايَةُ ضَعِيفَةٌ
- ٢٣١ تَعْذِيبُ آلِ يَاسِرٍ رضي الله عنه
- ٢٣٢ تَعْذِيبُ أَبِي فُكَيْهَةَ رضي الله عنه
- ٢٣٣ تَعْذِيبُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه
- ٢٣٣ تَعْذِيبُ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ رضي الله عنه
- ٢٣٣ مِحْنَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه مَعَ أُمِّهِ
- ٢٣٤ تَعْذِيبُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ رضي الله عنه
- ٢٣٧ إِحْتِقَاقُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه لِلْمُسْتَضْعَفِينَ
- ٢٣٧ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ الَّذِينَ أَعْتَقَهُمُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه
- ٢٣٩ إِنَّمَا أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ
- ٢٤١ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ

الموضوع

الصفحة

- ٢٤٢ اشتدَّادُ أَدَى قُرَيْشٍ
- ٢٤٣ شَكْوَى الصَّحَابَةِ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٢٤٦ اسْتَهْزَاءُ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ
- ٢٤٦ عَدَاوَةُ أُمِّ جَمِيلٍ زَوْجَةِ أَبِي لَهَبٍ
- ٢٤٨ شِدَّةُ عَدَاوَةِ أَبِي لَهَبٍ لِلرَّسُولِ ﷺ
- ٢٤٩ شِدَّةُ عَدَاوَةِ عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ
- ٢٤٩ أُمِّيَّةُ بَنِي خَلَفٍ وَهَمْزُهُ لِلرَّسُولِ ﷺ
- ٢٥٠ مُجَادَلَةُ أَبِي بَنِي خَلَفٍ
- ٢٥٢ أَشَقَى الْقَوْمِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللَّهُ
- ٢٥٣ الْأَخْسَسُ بْنُ شُرَيْقٍ
- ٢٥٤ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ
- ٢٥٥ تَهْكُمُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٢٥٦ قِصَّةُ تَبِيْنٍ شِدَّةَ كُفْرِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ
- ٢٥٦ الْكَافِرُ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ
- ٢٥٧ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرَى
- ٢٦٠ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى
- ٢٦٢ قِصَّةُ الْإِرَاشِيِّ
- ٢٦٣ قِصَّةُ أُخْرَى
- ٢٦٤ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ
- ٢٦٦ رُكَّانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدٍ يُصَارِعُ الرَّسُولَ ﷺ
- ٢٦٦ رُسُلُ قُرَيْشٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ وَامْتِحَانُهُمُ الرَّسُولَ ﷺ
- ٢٦٧ آيَةُ الرُّوحِ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟
- ٢٦٨ عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ٢٦٩ اسْتِمَاعُ رُعَمَاءِ قُرَيْشٍ إِلَى الْقُرْآنِ سِرًّا
- ٢٧٠ الْكِبَرُ وَالْحَسَدُ مَنَعَا أَبَا جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ
- ٢٧٢ الْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ

٢٧٣	عَدُّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبْشَةِ
٢٧٤	سُجُودُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ
٢٧٦	قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ
٢٧٦	أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي بُطْلَانِ هَذِهِ الْقِصَّةِ
٢٧٩	لِمَاذَا سَجَدَ الْكُفَّارُ إِذَا؟
٢٨٠	قِصَصُ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَى انْبِهَارِ الْكُفَّارِ بِالْقُرْآنِ
٢٨١	عَوْدَةُ مُهَاجِرِي الْحَبْشَةِ
٢٨١	عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْخُلُ بِجَوَارٍ
٢٨٣	أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ فِي جَوَارٍ
٢٨٤	وَهُمْ ابْنُ سَعْدٍ فِي أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَعَ إِلَى الْحَبْشَةِ
٢٨٦	مُقَاوَصَاتُ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ
٢٨٨	رِوَايَةُ مَشْهُورَةٍ ضَعِيفَةٍ
٢٨٨	طَلَبُ قُرَيْشٍ تَسْلِيمَ الرَّسُولِ ﷺ
٢٨٩	مُنَاصَرَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لِأَبِي طَالِبٍ
٢٩٠	مُحَاوَلَةُ الطُّغَاةِ اغْتِيَالِ الرَّسُولِ ﷺ
٢٩٢	أَوَّلُ مَنْ سَلَ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٩٤	إِسْلَامُ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٩٤	سَبَبُ إِسْلَامِهِ ﷺ
٢٩٧	إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٩٧	دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٩٨	بِدَايَةُ اللَّيْنِ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٩٩	إِسْلَامُ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ وَزَوْجِهَا
٢٩٩	قِصَّةُ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣٠٣	رِوَايَةُ ثَانِيَةٍ فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ ﷺ
٣٠٤	قِصَّةُ أُخْرَى فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ ﷺ
٣٠٥	مَتَى كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

الموضوع

الصفحة

- ٣٠٥ اَنْتِشَارُ خَبَرِ اِسْلَامِهِ ﷺ
- ٣٠٧ رَخْفُ الْمُشْرِكِينَ لِقَتْلِ عُمَرَ ﷺ
- ٣٠٧ عِزَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِاِسْلَامِ عُمَرَ ﷺ
- ٣٠٨ آيَةُ نَزَلَتْ
- ٣١٠ اِغْرَاءَاتُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ
- ٣١٠ جَوَارُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣١٢ مَا اَشَارَ بِهِ عُتْبَةُ عَلَى قُرَيْشٍ
- ٣١٣ تَصْوِيرُ لِمَوْقِفِ قُرَيْشٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣١٤ تَعَنُّتُ قُرَيْشٍ وَطَلَبَهُمُ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ
- ٣١٥ مَقَالَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ
- ٣١٨ الْحِكْمَةُ فِي أَنَّهُمْ لَمْ يُجَابُوا لِمَا طَلَبُوا
- ٣٢٠ الْقُرْآنُ مُعْجِزَةُ الْمُعْجِزَاتِ
- ٣٢٢ الْهَجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ
- ٣٢٢ الشُّكُّ فِي هِجْرَةِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ
- ٣٢٣ وَهُمْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ
- ٣٢٤ وَهُمْ آخَرُ لَابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ
- ٣٢٥ مَوْتُ خَالِدِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ
- ٣٢٦ نُبْدَةُ عَنْ خَالِدِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ
- ٣٢٦ تَعَقُّبُ قُرَيْشٍ لِمُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ
- ٣٢٧ إِخْضَارُ النَّجَاشِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ وَسُؤَالُهُمْ
- ٣٣٠ مُحَاوَلَةٌ أُخْرَى لِلْوَقِيعَةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّجَاشِيِّ
- ٣٣٢ اِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ ﷺ
- ٣٣٣ التَّمَكُّنُ لِلنَّجَاشِيِّ فِي مُلْكِهِ
- ٣٣٤ بَقَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ
- ٣٣٤ بَعْضُ الْقَوَائِدِ مِنْ قِصَّةِ الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ
- ٣٣٥ أَوَّلُ وَفْدٍ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

٣٣٩	مُقَاطَعَةُ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَحِصَارِ الشُّعْبِ
٣٤٠	شِدَّةُ الْحِصَارِ
٣٤٢	بَيْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ وَأَبِي جَهْلٍ
٣٤٣	وِلَادَةُ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ
٣٤٤	نَقْضُ الصَّحِيفَةِ وَإِنْهَاءُ الْمُقَاطَعَةِ
٣٤٦	إِخْبَارُ الرَّسُولِ ﷺ عَنْهُ بِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ
٣٤٦	صِدْقُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا قَالَ
٣٤٨	آخِرُ مُفَاوِضَاتِ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ
٣٥٢	وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ
٣٥٤	فَوَائِدُ الْحَدِيثِ
٣٥٤	اسْتِغْفَارُ الْمُسْلِمِينَ لِمَوْتَاهُمُ الْكُفَّارِ
٣٥٥	عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ
٣٥٦	دَفْنُ أَبِي طَالِبٍ
٣٥٦	مَصِيرُ أَبِي طَالِبٍ
٣٥٩	وَفَاةُ حَدِيجَةَ ﷺ
٣٥٩	وَقْتُ وَفَاتِهَا ﷺ
٣٦٠	حُزْنُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَيْهَا ﷺ
٣٦٠	هَذِيئُهُ ﷺ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ
٣٦١	فَضْلُ حَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ ﷺ
٣٦٤	مُكَافَأَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيجَةَ ﷺ
٣٦٥	حَصَائِصُ حَدِيجَةَ ﷺ
٣٦٦	النَّبِيُّ ﷺ يَغْفِدُ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ
٣٦٨	زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ﷺ
٣٦٩	شِدَّةُ اتِّبَاعِ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ﷺ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ
٣٧٠	جَعْلُ سَوْدَةَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ
٣٧٠	وَفَاةُ سَوْدَةَ ﷺ

الموضوع

الصفحة

- ٣٧١ اسْتَدَّادَ إِذَاءُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ
- ٣٧٢ قِصَّةُ فِي إِذَاءِ الْكُفَّارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣٧٣ قِصَّةُ أُخْرَى فِي إِذَاءِ الرَّسُولِ ﷺ
- ٣٧٣ قِصَّةُ أُخْرَى فِي إِذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣٧٥ فَوَائِدُ الْحَدِيثِ
- ٣٧٦ قِصَّةُ أُخْرَى فِي إِذَاءِ الرَّسُولِ ﷺ
- ٣٧٨ قَوْلُهُ جَمِيلَةٌ لِلشَّيْخِ عَلِيِّ الطَّنْطَاوِيِّ
- ٣٨٠ اسْتَبْدَانُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ
- ٣٨٤ خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ
- ٣٨٥ وَصُولُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ
- ٣٨٦ هِمَّةٌ عَجِيبَةٌ
- ٣٨٧ تَضَرُّعٌ وَدُعَاءٌ
- ٣٨٧ قِصَّةُ عَدَّاسٍ
- ٣٨٩ رُجُوعُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ
- ٣٩٠ وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمَا فِي إِسْلَامِ الْجَنْ
- ٣٩١ دُخُولُ الرَّسُولِ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ
- ٣٩٢ وَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ
- ٣٩٣ اسْتَهْزَأَ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ
- ٣٩٤ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ
- ٣٩٤ الْمَقْصُودُ بِالْإِسْرَاءِ
- ٣٩٥ الْمَقْصُودُ بِالْمِعْرَاجِ
- ٣٩٥ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ٣٩٦ مَتَى حَدَّثَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟
- ٣٩٦ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ
- ٣٩٨ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً
- ٣٩٩ قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

- ٤٠٢ الآيات التي رآها رسول الله ﷺ في طريقه إلى بيت المقدس
- ٤١٠ صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٤١٠ متى صلى رسول الله ﷺ بالأنبياء؟
- ٤١٢ عرض الآنية في بيت المقدس
- ٤١٢ صعود الرسول ﷺ في المعراج إلى السموات
- ٤١٤ المشاهد التي شاهدها رسول الله ﷺ في السماء الدنيا
- ٤١٦ صعود النبي ﷺ إلى السماء الثانية
- ٤١٧ صعود الرسول ﷺ إلى السماء الثالثة
- ٤١٧ صعود الرسول ﷺ إلى السماء الرابعة
- ٤١٨ صعود الرسول ﷺ إلى السماء الخامسة
- ٤١٨ صعود الرسول ﷺ إلى السماء السادسة
- ٤٢٠ صعود الرسول ﷺ إلى السماء السابعة
- ٤٢١ الحكمة في لقاء هؤلاء الأنبياء
- ٤٢٢ دخول الرسول ﷺ الجنة وما رآه فيها
- ٤٢٣ رؤية الرسول ﷺ نهر الكوثر
- ٤٢٤ جارية يزيد بن حارثة عليه السلام
- ٤٢٤ صوت بلال عليه السلام في الجنة
- ٤٢٥ فوائد الحديث
- ٤٢٦ عرض الآنية على الرسول ﷺ
- ٤٢٦ انتهاء الرسول ﷺ إلى سدره المتهى
- ٤٢٧ رؤية الرسول ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية
- ٤٢٩ افتراض الصلوات الخمس
- ٤٣٠ ما خص به الرسول ﷺ وأُمَّته
- ٤٣١ هل رأى الرسول ﷺ ربه ليلة الإسراء؟
- ٤٣٦ عودة الرسول ﷺ إلى مكة وإخباره الناس بمسراه
- ٤٣٦ بعض المشاهد وهو في طريق العودة إلى مكة

الموضوع

الصفحة

- ٤٣٧ هَلْ صَدَّقَتْ قُرَيْشُ الرَّسُولَ ﷺ فِي إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ؟
- ٤٣٨ مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٤٣٩ طَلَبُ قُرَيْشٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ
- ٤٤٤ مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ
- ٤٤٥ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ الرَّبَاعِيَّةُ رَكَعَتَانِ
- ٤٤٧ الصَّلَاةُ كَانَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ
- ٤٤٨ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ
- ٤٥١ عَرَضُ الرَّسُولِ ﷺ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْأَفْرَادِ
- ٤٥٢ شِدَّةُ عَدَاوَةِ أَبِي لَهَبٍ لِلْإِسْلَامِ
- ٤٥٣ الْقَبَائِلُ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ الْإِسْلَامَ
- ٤٦١ الْأَفْرَادُ الَّذِينَ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ الْإِسْلَامَ
- ٤٦١ سُؤْيُذُ بْنُ الصَّامِتِ
- ٤٦٢ ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
- ٤٦٣ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدُّوسِيِّ
- ٤٦٥ خُرُوجُ الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قَوْمِهِ دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ
- ٤٦٦ دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لِقَبِيلَةِ دَوْسٍ بِالْهَدَايَةِ
- ٤٦٦ اسْتِشْهَادُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٤٦٧ إِسْلَامُ إِيَّاسَ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٤٦٨ يَوْمُ بُعَاثٍ
- ٤٧٠ بَدْءُ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ
- ٤٧٣ أَوَّلُ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِالْمَدِينَةِ
- ٤٧٣ عَدَدُ وَأَسْمَاءُ رَهْطِ الْخَزَرَجِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
- ٤٧٤ رِوَايَةُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ
- ٤٧٧ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى
- ٤٧٨ عَلَامٌ كَانَتْ الْبَيْعَةُ؟
- ٤٨٠ الصَّحِيحُ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ

٤٨٣	أَوَّلُ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ
٤٨٥	بَعَثَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ
٤٨٥	نَجَّاحُ مُضْعَبٍ ﷺ فِي مُهِمَّتِهِ
٤٨٦	إِسْلَامُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ
٤٩١	سَبَبُ تَهْيُؤِ الْأَنْصَارِ لِلْإِسْلَامِ
٤٩٤	بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ
٤٩٥	سِيَاقُ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ
٤٩٧	اسْتِثْنَاءُ الْعَبَّاسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَعَزْمُ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَيْعَةِ
٤٩٩	اِتِّخَاذُ النُّقَبَاءِ وَعَقْدُ الْبَيْعَةِ
٤٩٩	نُقَبَاءُ الْخَزْرَجِ
٥٠٠	نُقَبَاءُ الْأَوْسِ
٥٠٠	التَّأَكُّدُ مِنْ خُطُورَةِ الْبَيْعَةِ
٥٠٢	أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ
٥٠٣	بَيْعَةُ الْمَرَاتَيْنِ
٥٠٣	شَيْطَانُ يَكْتَشِفُ الْمُعَاهَدَةَ
٥٠٤	صِدْقُ الْأَنْصَارِ ﷺ فِي بَيْعَتِهِمْ
٥٠٤	قُرَيْشٌ تَبَحُّثُ عَنِ الْأَخْبَارِ عِنْدَ رُؤَسَاءِ يَثْرِبَ
٥٠٥	تَأَكُّدُ قُرَيْشٍ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ وَمُلَاحَقَتُهَا الْمُبَايَعِينَ
٥٠٧	وَهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ
٥٠٧	فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ
٥٠٩	إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ ﷺ
٥١٢	خَصَائِصُ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ

